

دراسات
في تاريخ الشرق الأدنى القديم

١٠
إسرائيل
الكتاب الرابع المضاف

دكتور

محمد بيومي مهران

أستاذ التاريخ القديم المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

اهداءات ٢٠٠٠
ا.د.رشيد سالم الناضوري
أستاذ التاريخ القديم
جامعة الإسكندرية

دراسات
في تاريخ الشرق الأدنى القديم

١٠
إسرائيل
الكتاب الرابع المضاة

دكتور
محمد بيومي مهران
أستاذ التاريخ القديم المساعد
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

تقديم

قدمنا في الجزأين - السابع والثامن - من سلسلة دراساتنا في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دراسة عن تاريخ إسرائيل السياسي، وكان لابد بعد ذلك من أن نقدم دراسة للظواهر الحضارية في إسرائيل القديمة، وما أسهم به العبريون - وإن كان قليلا - في ميدان الحضارة في الشرق الأدنى القديم، فضلا عن الذي اقتبسوه - وهو الكثير - من معاصريهم، وبدهى أن الهدف من ذلك إنما هو تقديم دراسة متكاملة للتاريخ والحضارة اليهودية في العصور القديمة.

وتقع هذه الدراسة في جزأين، الواحد، خصص للتوراة والتلمود، وهما مصادر الفكر الإسرائيلي لكل مناحي الحياة، والثاني، خصص للديانة اليهودية فضلا عن الحياة الاجتماعية، إلى جانب التنظيمات السياسية والاقتصادية والقضائية والعسكرية، التي سارت عليها يهود، في عصور تاريخ بني إسرائيل القديم، بل ما تزال تسير على منوالها في معظم مناحي الحياة، ذلك لأننا في الواقع، لانعرف شعبا في التاريخ الإنساني كله، حافظ على قديمه، كما حافظ عليه هذا الشعب، وهو لا يصدر اليوم وغدا في كل شأن من شئونه إلا عن فهم لهذا القديم، بل عن إيمان بهذا القديم.

والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة بعض النفع.

« وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

بولسكي - رمل الاسكندرية في } الثاني من صفر عام ١٣٩٩ هـ
الأول من يناير عام ١٩٧٩ ق

دكتور

محمد بيومي مهران

الباب الثاني

الديانة اليهودية

الفصل الأول

الله في التوراة

اشتهرت الديانة الموسوية - كما أشرنا من قبل - بأنها دين سماوي ، نادى
بوحداية الله الواحد القهار ، ونحن نؤمن بكل هذا ، ذلك لأن دعوة موسى -
عليه السلام - إنما كانت دعوة توحيد ، ما في ذلك من ريب ، وأن كلم الله ،
عليه السلام ، إنما دعا إلى عبادة الله ، الواحد الأحد - وهو أمر لا يخامرنا
فيه مجرد شك ، ولو لحظة واحدة ، بل إننا كسالمين لا بد وأن نؤمن بذلك كله ،
بل إن إيماننا بمولانا وسيدنا وجدنا محمد رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه -
لا يكمل ، إلا إذا آمننا بموسى وإخوانه من الأنبياء - عليهم السلام - فضلا عن
الإيمان برسالاتهم وكتبهم ، ذلك لأن الهدف واحد ، والعقيدة واحدة فالأنبياء
دينهم واحد ، وإن تنوعت شرائعهم (١) .

وانطلاقا من هذا كله ، فإننا نؤمن - الإيمان كل الإيمان - بأن موسى نبي
الله ، وأن الله - سبحانه وتعالى - قد أنزل عليه توراة ، فيها هدى ونور ،
فإذا كان ذلك كذلك ، وإذا كانت توراة موسى من لسان على قدير ، فإنها لا بد ،
وأن تقدم لنا - من خلال نصوصها - مضمونا متسقا عن الذات العلية ، إذ تتجلى
لموسى هدى للعالمين ونور ، وهذا ما نعتقد ونؤمن به .

(١) انظر : سورة البقرة : آية ٤ ، ١٣٦ ، آل عمران : آية ٨٤ ، النساء :
آية ١٥٠ - ١٥٢ ، المؤمنون : آية ٥٢ ، المائدة : آية ١٣ ، صحيح البخارى :
كتاب المناقب - باب خاتم النبيين - ٢٦٦/٤ (دار الشعب - القاهرة ١٣٧٨ هـ)

ولعل سؤال البهاة الآن : هل قدمت لنا توراة اليهود المتداولة اليوم شيئا من ذلك ؟ فتوريد دعوة التوحيد ، وتزده الله - جل وعلا - عن صفات البشر ؟ ثم ما هي القيمة الحقيقية لمفهوم التوحيد اليهودى - كما تقدمه التوراة الحالية - وما هي صفات الله في التوراة المتداولة اليوم ؟

(١) الله واليهود :

تطلق التوراة على الله - جل وعلا - لفظ «يهوه» (JHWH) أحيانا ، ولفظ «إلوهيم» (ELOHIM) أحيانا أخرى ، وهو في كلتا الحالتين ، إنما هو إله بنى إسرائيل دون سائر البشر ، وليس رب العالمين - كما يعتقد المسلمون والمسيحيون -

وقد بدأت فكرة الإله الواحد في التوراة مع إبراهيم ، وذلك حين جمعت من «الرب الإله» ، ربا إلها لإبراهيم ، وبعد إبراهيم ربا إلها لإسحاق ، ثم ليعقوب من بعده (١) ، ثم موسى (٢) ، وأخيراً تنتقل التوراة خطوة أخرى في مفهوم الله بعد ذلك ، فتصوره إلها لبنى إسرائيل جميعا (٣) ، بل أن اليهود لم يفكروا قبل النبي «إشعيا» (حوالى ٧٣٤ - ٦٨٠ ق . م) في أن «يهوه» هو إله الأسباط جميعا (٤) .

وعلى أى حال ، فإن التوراة حين تخرج في أسفارها الأخيرة بيوه من دائرة بنى إسرائيل إلى غيرهم من الشعوب ، فقد ظل المعنى المتضمن لمفهوم الله في

(١) تكوين ١٢ : ١ - ١٣ : ٢ - ١٤ : ١٨ - ١٥ : ١٨ - ٢٠ : ٢٦ - ٢٤ :

٢٢ : ٩ ، ٢٨ : ١٣ ، ٤٦ : ٤٠ .

(٢) خروج ٣ : ٦ ، ١٥ : ١٠ - (٣) خروج ٦ : ٦ - ٧ .

(٤) ول ديورانت : قصة الحضارة - الجزء الثانى - ترجمة محمد بدران القاهرة

١٩٦١ - ص ٢٤٣ .

التوراه ، على أنه إله إسرائيل في المقام الأول (١) ، ولهذا يقول يشوع في سفره :
« هكذا قال الرب إله إسرائيل (٢) » ، و « هكذا بنى مذبحا للرب إله
إسرائيل (٣) » ، و « أن جماعة إسرائيل حلفوا بالرب إله إسرائيل (٤) » ،
ويقول داود في سفر صموئيل الأول « مبارك الرب إله إسرائيل (٥) » ، ويقول
في سفر أخبار الأيام الأول « مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى
الأبد » (٦) .

وهكذا كانت ديانة يهود ، ديانة أسرة بشرية واحدة ، هي بنو إسرائيل ،
ذلك لأن إله إسرائيل - كما تصوره التوراة - لم يكن الله ، كما تفهمه البشرية في
الديانات المعاصرة (٧) ، وهذه الفكرة تتناسق تناسقا كاملا مع سياق النظام
الإسرائيلي عامة ، لأن الدين الخاص لشعب خاص ، لا بد وأن يكون له إله
خاص ، وهذه الخصوصية مهمة جدا في عقيدة هذا الشعب (٨) ، إذ اعتبروا أن
كرامة الله ، مرتبطة بكرامة الأمة .

وانطلاقا من هذا فقد دعوا « الله » رب الجنود ، معتقدين بأن هذا معناه
رب جنود إسرائيل ، مما جعلهم يعتقدون كذلك بأن الله ملزم بأن يحمي عنهم ،
لأن حمايتهم إنما هي حماية لكرامته هو ، وإذا حدث أن سقطت الأمة ، فعنى هذا

(١) صبرى جرجس : التراث اليهودي الصهيوني ص ٢٥ .

(٢) يشوع : ١٣

(٣) يشوع ٨ : ٢

(٤) يشوع ٩ : ١٨

(٥) صموئيل الأول ٢٥ : ٢٣

(٦) أخبار أيام أول ١٦ : ٢٦

(٧) صبرى جرجس : المرجع السابق ص ٥٢

(٨) عبده الراجحي : الشخصية الإسرائيلية - الإسكندرية ١٩٦٨ - ص ٤٧ .

- في نظرهم - أن الله نفسه قد سقط (١) - والعباذ بالله - ومن هنا كان عليه أن يكرس كل قوته وسلطانه من أجل شعبه إسرائيل (٢) ، وهو لذلك يحارب إلى جانبهم ، أو يحارب بدلا عنهم ، أو يطرد من أمامهم أعداءهم ، وييسر لهم قتلهم ، ويحل لهم نهبهم (٣) .

وهو في سبيل انتصار شعبه مستعد أن يرتكب من ضروب الوحشية ما تشمئز منه نفوسنا ، اشمزازا لا يعادله إلا رضاء أخلاق ذلك العصر عنها ، ويأمر شعبه بأن يرتكبوا هم هذه الوحشية ، فهو يذبح أما بأكملها راضيا مسرورا عن عمله ، ومع ذلك - وفي نفس الوقت - فإن اللعنات التي يهدد بها ديهوه ، شعبه المختار ، إذا عصاه - كما ترونها التوراة (٤) - لجديرة بأن تكون نماذج في القدح والسب ، ولعلها هي التي أوحى إلى الذين حرقوا الكفرة في محاكم التفتيش الأسبانية ، أو حكوا على الفيلسوف اليهودي المشهور د باروخ سينوزا ، (١٦٣٢ - ١٦٧٧ م) بالحرمان ، أن يفعلوا ما فعلوا (٥) .

(١) القس عاموس عبد المسيح : دراسته في عاموس ص ١٨ .
(٢) لعل هذا ربما يشير إلى أن القومية الإسرائيلية ، ليست قومية وطنية إقليمية أو سياسية ، بل دينية ، تعتمد على العهد بين ديهوه وإسرائيل ، ويتجلى ذلك واضحا في أغاني إسرائيل الدينية كأغنية تابوت العهد ، وأغنية دبور ، وحتى التي قبلت في الملوك فقد اعتبرت الملك رديفا ليهوه (فؤاد حسنين : التوراة الميروغليفية ص ٣٥) .

(٣) تثنية ٩ : ٣ ، ، هبده الراجعي : المرجع السابق ص ٤٧

(٤) تثنية ٢٨ : ١٥ - ٦٨ .

(٥) ول ديورانت : المرجع السابق ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

ولا يقف اليهود عند حد معين في علاقتهم برهبهم «يهوه»، فهم يفسبون «بنوة الله»، إلى بنى إسرائيل جميعا، وذلك حين تروى التوراة، أن الله قد أمر موسى، عليه السلام، أن يذهب إلى فرعون ليطلق إسرائيل - ابنه البكر - بغية أن يسبده في البرية، فإذا ما امتنع فرعون عن إجابة طلب موسى هذا، فإن الله سوف يقتل «ابن فرعون البكر»^(١)، وهكذا بكرا بيكر، ولست أدري كيف قبل المؤمنون بالتوراة ذلك كله؟ وهل يتفق ذلك مع الوحدانية التي يزعمونها؟

وقد يزول العجب حين نقرأ في التوراة، أن الله قد كان له أبناء منذ بدء الخليقة، وأن مؤلاء الأبناء إنما قد فتوا بجمال بنات الناس، «فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا»، ثم تحدر من هؤلاء وأوائك نسل رزقه الله بسطة في الجسم، وهم الجبابرة الذين سكنوا في الأرض قبل الطوفان.^(٢)

وليت الأمر اقتصر على ذلك، فإن صفة الألوهية نفسها لم تكن مقصورة على الله وحده، بل شاركه فيها موسى، الذي كان بدوره إلها، وله أنبياء، «فقال الرب لموسى: انظر: أنا جعلتك إلها لفرعون، وهارون أخوك نبياً»،^(٣).

صفات الله في التوراة:

لا ريب في أن صفات الله في التوراة، إن كانت تتفق والذات العلية أحيانا، فإنها في أغلب الأحيان، أقرب إلى صفات البشر، بما فيهم من ضعف ونقص،

(٢) تكوين ٦ : ١ - ٥ .

(١) خروج ٤ : ٢١ - ٢٢ .

(٢) خروج ٧ : ١ .

وبما لهم من حركات واعمال ، وما يجوز عليهم من غفلة النسيان ، فهامى التوراة تصف الله - جلي وعلا - في صورة المساوم مع أحد عباده ، ونقرأ في سفر التكوين (١) - على لسان يعقوب - « إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه ، وأعطاني خبزا لآكل ، وثيابا لآلبس ، ورجعت بسلام إلى بيت أبي ، يكون الرب لي إلهاء ، ولا حاجة بنا إلى التعقيب بأن هذا القول يعنى ضمنا ، أن الرب إن لم يقبل الصفقة ، فإن يعقوب لن يقبله إلهاء (٧) .

وتصور التوراة رب إسرائيل على أنه كثيرا ما يدخل في نقاش حاد مع عباده ، وليت الذي ألب هذه المناقشات قد فطن إلى الاحتفاظ لها بما ينبغي أن تكون عليه من سمو ووقار ، ولكنه أجراها على مستوى لا يكون إلا بين الأنداد المحقى من بنى البشر ، وقد وصل فيها أحيانا إلى الحد الذي جعل إله إسرائيل يسأل موسى ذات يوم قائلا : « حتى متى يهيننى هذا الشعب (٢) ، ثم إلى حد التهديد بأن الله لا يريد أن يرى جميع الذين أهانوه الأرض التي حلف لأبائهم ، على أن يمنحها إياهم (٤) .

وتصور التوراة الله ، بأن نفسه إنما ترتاح وتنتعش من رائحة الدخان المتصاعد من المحرقات ، وأنه يغضب - الغضب كل الغضب - إذا لم تقدم له في

(١) تكوين ٢٨ : ٢٠ - ٢١

(٢) صبرى جرجس : المرجع السابق ص ٥٤ ، ٥٦

(٣) عدد ١٤ : ١١ (وقد جاءت الصيغة في الطبعة الكاثوليكية للتوراة كالآتي :

وقال الرب لموسى إلى متى يستخف بنى هؤلاء الشعب ، - طبعة بيروت ١٩٤١)

(٤) عدد ١٤ : ٢٣ (والنص في الطبعة الكاثوليكية كالآتي : ولن يروا الأرض

التي أقسمت عليها لأبائهم ، وكل من استهان بنى لن يراها)

التي يرضاهما ، أو إذا قدمت له في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم (١) ،
وأنه قد يصب غضبه حينئذ على المقصرين ، فيرسل عليهم نارا تحرقهم (٢) .

وتصور التوراة الله - أو يهوه كما يسمونه - على أنه إله بركاني ، فنقرأ في
سفر القضاة : « يارب بخروجك من سعير ، بصعودك من صحراء أدوم ، الأرض
ارتعدت ، السموات أيضا قطرت ، كذلك السحب قطرت ماء ، تولدت الجبال
من وجه الرب إله إسرائيل (٣) » ، وفي نصوص أخرى من التوراة نقرا :
« صوته يجلجل كالرعد » ، « فتذوب الجبال وتتشق الوديان » ، وخاصة « إذا
ما اتقد غضبه » ، فإن غيظه ينسكب كالنار ، فتهايل الصخور ، وتلتهب الأرض ،
ونقرأ « وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار ، وصعد
دخان كدخان الآتون (٤) » .

ويعلل المؤرخ الأمريكي « جيمس هنري برستد » (١٨١٥ - ١٩٣٥م) ذلك
بأن خروج العبرانيين من مصر ، إنما قد صاحبه خوارق لا ريب في أنها إنما
كانت ذات صبغة بركانية ، فالظفر الغريب الذي ظهر به « يهوه » رب إسرائيل ،

(١) يرد القرآن الكريم على مزاعمهم الكذوب هذه بقوله تعالى : « لن ينال
الله لحومها ولأدمائها ، ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا
الله على ما هداكم وبشر المحسنين » (سورة الحج : آية ٢٧) وبقوله تعالى : « فكفروا
منها وأطعموا البائس الفقير » (سورة الحج : آية ٢٨)

(٢) سفر اللاويين ١ : ١ - ٩ ، ١٠ : ١ - ٢ ، إبراهيم خليل : إسرائيل
والتلويح - القاهرة ١٩٦٧ ص ٨٦ - ٨٨ (٣) سفر القضاة ٥ : ٤ - ٥

(٤) خروج ١٩ : ١٨ ، ثنية ٣٢ : ٢٢ ، مواير ١٠٤ : ٢٢ ، إرميا ٢٥ :
٣١ ، عاموس ١ : ٢ ، ميخا ١ : ٤ ، ناحوم ١ : ٦

في صورة عمود من نار ، أو « عمود من دخان » ، ثم تجليه فوق سيناء نهارا ،
معدنا « الرعد والبرق والسحاب الكثيف » ، إنما هي بدهانة ظواهر بركانية ، وعلى
ذلك فقد كان من المعترف به منذ زمن بعيد ، أن « يهوه » رب إسرائيل ، ليس
إلا إلهما عاليا للبراكين ، وكان مقره المختار سيناء ، واسكن الإسرائيليين تخلوا
- بتأثير من موسى - عن آلهتهم القدامى (إلوهيم) ، واتخذوا من « يهوه » إلهما
واحدا لهم (١) .

ثم تمضى التوراة ، فتصف الله - سبحانه وتعالى - وكأنه الدليل لبني إسرائيل
في سيناء بعد طردهم من مصر ، وذلك على هيئة عمود من غمام نهارا ، ومن نار
ليلا (٢) ، ويعطى « سميت » لهذه الظاهرة ، بأن شبه جزيرة سيناء منطقة بركانية ،
يكثر فيها الدخان المنبعث من البراكين ، ومن المحتمل أن يكون عمود السحاب ،
الذى تبعه بنو إسرائيل ، وظنوا أن إلههم « يهوه » يسير فيه ، ليس في الحقيقة إلا
دخانا متجمعا من البراكين دفعته الرياح إلى الإمام (٣) .

وتصف التوراة الذات العلية بالنسيان ، بل لم يجد كاتب التوراة غضاضة في
أن يزعم بأن الله تعالى قد نسى عهدا كان قد قطعه على نفسه لآباء العبرانيين الأولين ،
ولم يتذكره إلا حين سمع الآيين من بني إسرائيل (٤) ، والأدهى من ذلك وأمر ،
أن الرب لا يتذكر وعده ، إلا عندما يموت أولئك الذين يطلبون النار من
موسى (٥) .

(١) J. H. Bseasted, The Dawn of Conscience, N. Y, 1939, P. 351.

(٢) خروج ٢٣ : ٧ - ١٠

(٣) J. W. D. Smith, God and man in Easly Israel, p. 35

(٥) خروج ٤ : ١٩

(٤) خروج ٦ : ٥

ثم لا يقتصر كاتب سفر الخروج من التوراة على ذلك ، بل إنه إنما يصور الرب ، وكأنما هو أراد من الإسرائيليين أن يسرقوا أمتعة المصريين ، ومن ثم نراه يسجل في هذا السفر من التوراة : « فيكون حين تمضون ، أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جاريتها ، ومن نزيلة بيتها ، أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وفضة ، وتضعونها على بئركم وبناتكم فتسلبون المصريين ، ، ثم نقرأ بعد ذلك أن القوم إنما قد فعلوا ما أمروا به ، « وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم ، فسلبوا المصريين ، (١) ولعل في هذا إشارة واضحة إلى خناق الإسرائيليين ، واستحلالهم لأموال غيرهم ، وسلبها بأية وسيلة .

ويتبادى كاتب التوراة على جلال الله - سبحانه وتعالى - وذلك حين يصوره - جل وعلا - وقد أراد قتل موسى ، وهو في الطريق من مدين إلى مصر ، بسبب تركه سنة الختان ، لولا أن أنقذته زوجته المديانية « صفورة » ، حين أسرعت بالقيام بهذا الجراحة ، حيث أخذت صوانة وقطعت قلفة ولدها ، ومصت بها قدمية قائلة : « حقا إنك لي حليل دم » (٢) ، :

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن قصة الختان هذه في التوراة ، إلى جانب تطلوها على الذات العلية ، فإنها إنما تدل كذلك على مدى التضارب في نصوص التوراة بشأنها ، ذلك لأن هناك نصوصا في سفر التكوين إنما ترجع بسنة الختان إلى عهد إبراهيم ، عليه السلام (٣) ، وقد دونت أول مادونها أحبار السبي البابلي ، فيما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد (٤) ، أي بعد عهد

(١) خروج ٣ : ٢١ - ٢٢ ، ١٢ : ٢٥ (٢) خروج ٤ : ٢٤ - ٢٦

(٣) تكوين ١٧ : ١٠ - ١١

(٤) Adolphe Lods, Israel, From its Beginnings to the

إبراهيم - صلوات الله وسلامه عليه - بما يربو عن ألف وخمسمائة عام ، ثم إنها رواية لم تتداخل مع بقية النصوص في صلب أسفار الشريعة في صورتها الحالية ، إلا في عام ٤٠٠ ق.م - أو ما يقرب من ذلك - حين ابتعثت دولة يهوذا في ظل الحماية الفارسية على يد نحميا ، وعزراء ، فلا غرو أن يتعارض تعارضا جديرا ، مع روايات أخرى - كما في سفر التثنية (١) - ربما أن كانت أصداء خافتة لوقائع في صورة من أساطير عن نشأة سنسة النختان ، تلك السنة التي كانت عادة مصرية مألوفة (٢) ، ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ (٣) .

وتصف التوراة الله على أنه لا يدعى أنه عالم ، وإنما يطلب من الإسرائيليين أن يميزوا بيوتهم عن بيوت المصريين بأن يرشوها بدماء المكباش المضحاة ، لئلا يهلك أبناءهم على غير علم منه ، مع من يهلكهم من أبناء المصريين (٤) .

ويصور سفر الخروج الله على أنه ليس معصوما ، وأنه كثيرا ما يقع في الخطأ ، ثم سرعان ما يندم على خطئه ، حدث ذلك عندما فكر في إهلاك اليهود عن بكرة أبيهم ، مما اضطر موسى إلى أن ينصحه فينتصح ، بل إن موسى إنما يتخذ منه موقف المرشد المعلم ، فن ذلك أن يهوه ، قد غضب على بني إسرائيل ، وقال موسى : « فالآن اتركني ليحمني غضبي عليهم رافنيهم ، ولكن موسى يستشير فيه العواطف الطيبة ، وينصحه أو يأمره أن يفكر فيما يقول الناس عنه ،

middle of the Eighth Century, Translated by S. H. Hoolte, = London, 1962, p. 251.

(١) تثنية ٥ : ١ - ٣ ، وكذا A. Lods, op. cit, p. 199

(٢) A. Powell Davies, Ten Commandments, New York, 1956, p. 59 - 60.

(٣) J. H. Breasted, op - cit, p. 303, no. 10

(٤) خروج ١٢ : ١٢ - ١٣ ، ول ديورانت : المرجع السابق ص ٢٤٠

إذا ما سمعوا بفعلته هذه ، لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بجثث ابيقتالهم في الجبال ، ويفنيهم عن وجه الأرض ، إرجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك ، وهنا يضطر رب إسرائيل أن يتراجع عن وعيده لشعبه إسرائيل ، فندم الرب على الشر ، الذي قال إنه يفعله بشعبه (١) .

ولم يكن ذلك كل ما قدمته لنا أسفار التوراة من ندم الرب على الشر الذي قال إنه فعله أو سيفعله ، فهناك ندمه على اختيار شاول ملكا ، تقول التوراة في سفر صموئيل الأول : ندمت على أني قد جعلت شاول ملكا ، لأنه رجعت من ورائي ، ولم يقم كلامي (٢) ، إلا أن أشنع ما وقع فيه الرب من أخطاء ، إنما هو خلقه للإنسان ، فحزن الرب أنه همل الإنسان في الأرض ، وتأسف في قلبه (٣) .

وتصور التوراة موسى على أنه صاحب الأمر بالنسبة إلى ربه ، فكان إذا رأى التابوت قد حمل وتحرك فإنه يأمره بالقيام ، وعندما يبلغ مكان الجيش يأمره بالعودة إلى ربوات إسرائيل ، وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول : قم يارب ، فلتبدد أعدائك ، ويهرب مبغضوك من أمامك ، وعند حلوله كان يقول : إرجع يارب إلى ربوات أليف إسرائيل (٤) .

وتصور التوراة ديهوه ، إله اليهود هذا ، قديما مدمرا متعصبا لشعبه ، متعطشا للدماء ، متقلب الأطوار ، نزقا ، تكدا ، د أتراف على من أتراف ،

(١) خروج ٢٢ : ١٠ ، ١٢ : ١٤

(٢) صموئيل أول ١٥ . ١١ ، ول ديورانت . المرجع السابق ص ٤٣٠

(٣) تكوين ٦ . ٦ ، إرميا ١٨ . ٧ - ١٠ ، عاموس ١٠ . ٧ - ٦ ، يونان ١٠٣ - ١٠٠ ، رحمة الله الهندي . إظهار الحق - الجزء الأول - ترجمة عمر

الدسوقي ، القاهرة ١٩٦٤ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ (٤) عدد ١٠ : ٢٥ - ٣٦

وأرحم من أرحم ، ، وهو يرضى عما استخدمه يعقوب من ختل وخذاع ، في الإلتقام من خاله « لابان » ، وضميره لا يقل مرونة عن ضمير الأسقف الذي يتدفع في تيار السياسة ، وهو كثير الكلام ، يجب إلقاء الخطب الطوال ، وهو حي لا يسمح للناس أن يروا منه إلا ظهره ، وقصارى القول أنه لم يكن للأمم القديمة إله أدى في كل شيء ، كإله اليهود هذا (١) .

واحد - في عرف التوراة - إله « غير يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبعضيه (٢) ، ود أن الآباء يأكلون الحصرم ، والأبناء يضرسون (٣) ، ، وإن كانت التوراة قد غيرت من ذلك على أيدي الأنبياء المتأخرين (٤) .

واحد - في عرف التوراة كذلك - لا يتزه عن أن يأتي أعمال الإنسان وحركاته ، فتروى التوراة ، أن الرب بينما كان يتمشى في الجنة ، سمع آدم وحواء ضوته عند هبوب ريح النهار ، « فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم ، وقال له . أين أنت ، فقال . سمعت صوتك في الجنة فخشيت ، لأنى عريان فاختبأت (٥) .

(١) تكوين ٢٨ - ٢٠ ، ٢١ - ٣١ ، ١١ - ١٢ ، خروج ٣٢ - ١٩ ، ٣٣ - ٢٣ ، ول ديورانت . المرجع السابق ص ٣٤٠

(٢) خروج ٢٠ - ٥ (٣) حزقيال ١٨ - ١٠ ، ثم قارن ذلك بالآيات الكريمة - على سبيل المثال - سورة فاطر : آية ١٨ ، سورة البقرة : آية ١٤١

(٤) إرميا ١٧ - ١٠ ، ٣٠ ، ٢٩ : ٣٠ ، حزقيال ١٤ ، ١٨ - ١٠ ، ٤ - ٢٥ ، وأنظر

S. A. Cook, The Prophets, in CAH, III, Cambridge, 1965, p. 467 - 468

(٥) تكوين ٣ - ٨ - ١٠

وتصور التوراة الله في سفر التكوين ، على أنه قد خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، واستراح في اليوم السابع (١) ، وهكذا يصور الإله الخالق - جل جلاله - في صورة بشر يعملون فيمسهم لغوب ، ومن ثم يستريحون (٢) .
ومن الصور المادية كذلك في التوراة ، أن الله تعالى ، وملكين معه ، قدموا على إبراهيم وهو جالس أمام خيمته ، وأن إبراهيم قد عرف الله من بينهم ، ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا ، من وثناء السفر ومشقة الطريق ، وقدم لهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم ، وفضاير وعجلا حينذا لطعامهم ، فانتحى ثلاثهم تحت شجرة ، وأخذوا يأكلون مما قدمه لهم إبراهيم ، الذي ظل جالسا على مقربة منهم ، ثم تفقد الرب الإله سارة ، زوج إبراهيم ، وسأل عنها ، وأخذ يبشرها ويبشر زوجها إبراهيم ، بأنه سيمر بهما في هذا الموعد نفسه من العام القادم . فيجدهما وقد رزقا غلاما زكيا (٣) ، ثم اشتبك معه إبراهيم في نقاش وجدال ومساومة حول

(١) تكوين ١٠٢ - ٣ (٢) قارن ذلك بقوله تعالى ولقد خلقنا
السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ، (سورة ق :
آية ٣٨ ، وأنظر . تفسير القرطبي ص ٦١٩٢ - ٦١٩٤ ، تفسير ابن كثير
٢٨٥/٧ - ٢٨٦)

(٣) تكوين ١٨ - ١٥ -
ثم قارن ذلك بقوله تعالى ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا
سلاما قال سلام ، فما لبث أن جاءهم بعجل حينذ ، فلما رأى أيدهم لا تصل
إليه تكرم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم
لوط ، وإسراةه قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ،
قالت يا ويلاتي أألد وأنا عجوز ، وهذا بعل شيخنا إن هذا الشيء عجيب ، قالوا
أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ، (سورة
هود . آية ٦٩ - ٧٣ ، وأنظر . سورة الذاريات ، آية ٢٤ - ٢٠ ، تفسير الطبري =

القريتين اللتين يريد إهلاهما (وهما سدوم وعمورة ، قرينتا لوط عليه السلام) ،
بغية أن يثنيه عن ذلك ، لأن بعض أهلها من الاقبياء ، ولا يصح أن يؤخذ
المحسن بذنب المسوء (١) .

ولم يقتصر كاتب التوراة على ذلك في تصوير إله إسرائيل بصورة مادية ،
بل نراه مغرقا في المادية ، وذلك حين يقول : ثم صعد موسى وهارون وناداب
وأبيهو ، وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل تحت رجله شبه
صنعة من العتيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده
إلى أشراف بني إسرائيل ، فرأوا الله وأكلوا وشربوا (٢) ، ، ويبدو أن كاتب
التوراة لم يرضه أن يكون شرف اللقاء مع الله مقصورا على الخاصة من بني
إسرائيل ، فجعله للإسرائيليين عامة ، وذلك حين أمر الرب موسى أن يستعد
القوم للقاء ربهم ويغسلوا ثيابهم ، « لأن الرب ينزل أمام عيون جميع الشعب على
جبل سيناء (٣) » .

وهكذا ظل الإسرائيليون يصورون ربهم « يهوه » ، بشتى الصور المادية ،
حتى وصل الأمر إلى أن يصور الله - تعالى عن ذلك علوا كبيرا - وهو يصارع
يعقوب حتى مطلع الفجر ، فلا يفاته يعقوب حتى يغير اسمه إلى إسرائيل ، ويقص

== ٢٨١/١٥ - ٤٠٦ ، تفسير المنار ١٢ / ١٠٥ - ١٠٨ تفسير القرطبي ص ٣٢٩٠ -

٣٢٩٩ ، ٦٢١٤ - ٦٢١٦ ، تفسير ابن كثير ٤ / ٢٦٤ - ٢٦٦ ، ٢٩٧ / ٧ ، ٢٩٨ (

(١) تكوين ١٨ : ١٦ - ٢٣ ، (ثم قارن الآيات الكريمة : سورة هود : آية

٧٤ - ٧٦ ، سورة العنكبوت : آية ٣١ - ٣٢ ، سورة الذاريات : آية ٣٠ - ٣٧ ،

وأنظر . تفسير القرطبي ص ٣٣٠٠ - ٣٣٠١ ، ٥٠٥٧ - ٥٠٥٨ ، ٦٢١٧ - ٦٢١٨ ،

تفسير ابن كثير ٧ / ٣٩٨ - ٣٩٩ (٢) خروج ٢٤ - ٩٠ - ١١

(٣) خروج ١٩ - ٩٠ - ١١

علينا سفر التكوين تلك الأسطورة، فيروى أن يعقوب بينما كان عائدا من دفدان أرام ، إلى أرض كنعان ، وهناك عند « مخاضة يوق » ، وقد أجاز يعقوب عائلته عبر الوادي ، يبرز له من يصارعه حتى مطلع الفجر ، صراع رهيب ، يكاد يعقوب يتغلب فيه على خصمه ، لولا حركة مخالفة للأصول ، يصاب فيها يعقوب بضربة ينخلع لها حق الورك ، ويسأل يعقوب غريمه فلا يجيبه ، وإن كان يباركه ، فيطلق عليه اسم « إسرائيل » ، فيفرح يعقوب ، ويسمى المكان « قنويل » (وجه الله) ، قائلا : « لأنني نظرت الله وجها لوجه ، ونجيت نفسي » ، وتشرق الشمس ، فإذا بيعقوب يجمع على فخذه ، ومن ثم « لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا » ، الذي على حق الفخذ ، لأنه ضرب حق فخذه يعقوب على عرق النسا (١) .

ويصور الإسرائيليون ربهم « يهوه » ، وكأنه يخاف من مركبات الجبال ، كما يخافها جنوده ، وغربواردها من الدهر ، وهم يسوون بينه وبين عزازيل - شيطان البربة - فيتقربون إليه بذبيحة ، ويتقربون إلى الشيطان بذبيحة مثلها (٢) ، كما كانوا يعتقدون أن الرب هو الذي دفن موسى ، عندما مات عند رأس « الفسجة » ، التي يفترض أنها جزء من جبل « نبو » (٣) في أرض

(١) تكوين ٣٢ : ٢٢ - ٢٦ ، وأنظر عن أسطورة المصارعة هذه بالتفصيل (محمد يوسى مهران : إسرائيل : الكتاب الثاني - التاريخ ص ١٩٩ - ٢٠٥)

(٢) عباس العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - القاهرة ١٩٦٥ ص ٥١

(٣) من المحتمل أن « جبل نبو » إنما هو « جبل نبا » الحسالي ، على مبعدة ثمانية أميال إلى الشرق من نهر الأردن ، وأما « الفسجة » فربما كانت القمة الغربية والسفلى لنفس الجبل ، ويقودنا الطريق المنحدر من الجبل إلى « عيون موسى » ، التي تشرف على خرائب قلعة « خربة عين موسى » ، وهناك خرائب بعيدة عنها ، وهي « خربة المنحيط » ، التي يمكن أن توحد بمدينة « نبو » ، على مبعدة خمسة أميال =

مؤاب (١) .

ويبلغ الأمر أشده حين يرى كتبة التوراة، أن إسكان إله إسرائيل في وسط إسرائيل ، أفضل من سكناه الجبل، ففي سكناه في وسط شعبه ، ضمان كي لا تعود هذه الجماعة إلى ما صنعت يوم طلبت من هارون أن يصنع لها عجلا مسبوكا ، وراحت أمامه ترقص (٢) ، فالو لم يكن « يهوه » في الجبل لما اسطاعت إسرائيل أن تصنع ما صنعت ، ومن ثم فلتنصب له بين خيام جماعة إسرائيل خيمة .

ثم يأتي هذا المؤلف ، إلا أن يتبادى في بهتانه ، فينسب ذلك إلى موسى ، حيث يقول : « وأخذ موسى الخيمة ونصبها خارج المحلة ، بعيدا عن المحلة ، ودعاها خيمة الاجتماع ، فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التي خارج المحلة ، وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة ، يقومون ويقفون كل واحد في باب خيمته ، وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة ، وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ، ويقوم الشعب ويسجدون كل واحد في باب خيمته ، فإثما في هذه الخيمة بالذات « يكلم الرب موسى وجها لوجه ، كما يكلم الرجل صاحبه (٣) ، ومن هنا، فإن هذه الخيمة لن تترك وحدها أبدا ، فإذا ما غاب موسى عنها ، كان يشوع

= إلى الجنوب الشرقى من « حسيبان » ، بينما على الجبل نفسه بقايا كنيسة بيزنطية (قاموس الكتاب المقدس ٢/٩٥٣ - ٩٥٤ وكذا

(N. Glueck, The Other Side of the Jo Rdan, New Haven, 1945, p.143

(١) تثنية ٢٤ : ٥ - ٦ ، عباس محمود العقاد: الله - القاهرة ١٩٦٨ ص ٩٩

(٢) خروج ٢٢ : ١ - ٢٩ ، ثم قارن : سورة البقرة : آية ٩٢ ، سورة

الأعراف : آية ١٤٨ - ١٥٢ (٣) خروج : ٣٣ : ٧ - ١١

خادمه في داخلها، لأنها مكان اللقاء بين موسى وربه، فإذا ما أراد الرب موسى - أو أراد موسى الرب - ينزل الرب، وفي عمود سحب يقف بالباب (١).

ويبدو أن هذا ليس كل ما في جملة كتبة أسفار التوراة، لذا نراهم يصورون الله - أو يهوه اليهود - قاسيا مدمرا، متعصبا لشعبه، لأنه ليس إله كل الشعوب، وإنما إله بني إسرائيل فحسب، وهو بهذا عدو للآلهة الأخرى، كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى، ومن هنا فإن رب إسرائيل إنما يأمر شعبه باستعباد جميع شعوب المدن القريبة منهم، حين توافق على الصلح معهم، فإن شئت ضدكم حربا، وكتب لهم نصرا عليها، فليس لهذه الشعوب عند بني إسرائيل سوى السيف، تضرب به رقاب رجالهم جميعا، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدن، ففنيمة خاصة للإسرائيليين، وأما الشعوب الأخرى، فبني الإسرائيليين ألا يبقوا منها لسمة أبدا، أي على الإسرائيليين أن يبيدوهم تماما (٢).

وهكذا حبس اليهود إلههم «يهوه»، داخل ذلك الإطار الإنساني المحدود، ولم يستطع خيالهم أن يتسامى بصورته إلى ما وراء الحدود المادية، فخرج في روايات توراتهم على صورة تأبأها النفس، ويمجها الذوق، صورة أقرب إلى المادية منها إلى الروحية، وهو أمر تنبأت إليه الأديان الكتابية فيما بعد، فضغظت على الناحية الروحية ضغطا واضحا (٣)، الأمر الذي يتجلى، أعظم ما يتجلى، في الإسلام - دين التوحيد المطلق - يقول عن من قال: «قل هو الله أحد»، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد» (٤).

(١) أبكار السقاف: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة - القاهرة ١٩٦٧

ص ٢٤٣ - ٢٤٤ (٢) تثنية ٧: ١ - ٢٠: ١٠ - ١٦

(٣) نجيب ميخائيل: المرجع السابق، ص ٢٥ - ٢٥٩

(٤) سورة الإخلاص

الفصل الثاني

يهوه : إله إسرائيل

(١) الأصول العربية للاله يهوه :-

يتجه بعض الباحثين إلى أن الشريان الرئيسي للديانة العبرية ، إنما يتصل في واقع الأمر ببلاد العرب القديمة ، ومن ثم فعلينا أن نبحث عن وطن القبائل العبرية وديانتها في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وهي منطقة كانت مركزاً من مراكز الثقافة العربية القديمة (١) .

ذلك أن أصول الديانة العبرية القديمة وأسسها - ولا أعني هنا ديانة الانبياء وإنما أعني تلك الديانة التي سادت بين الشعب العبري - إنما ترجع إلى أصول عربية ، صحيح وبالتأكيد ، أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط ، ثم موسى وهارون ، وكذا داود وسليمان ، وغيرهم من المصطفين الأخيار ، عليهم السلام ، نادوا بالوحدانية المطلقة ، وصحيح كذلك وبالتأكيد ، أن اليهودية دين سماوي ، نادى بوحدانية الله ، الواحد الأحد .

ولكن صحيح كذلك ، أن اليهودية السهاوية شيء ، واليهودية - كما تقدمها لنا تورااة اليهود المتداولة اليوم - شيء آخر ، وهي التي تعنينا حين نتحدث عن التأثير العربي في ديانة العبريين ، حيث نجد العنقوس العربية القديمة المجردة من الصور عند العبرانيين - وإن كان تأثير ديانة إخناتون في هذه الجزئية أوضح -

(١) D. S. margoliouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the Rise of Islam, London, 1924, p. 8, 10, 23, 25.

والأمر كذلك بالنسبة إلى التثليث العربي ، فعند العبرانيين (يهوه وبمسئله وعشتارت) ، وقد كان هذا الثلاث يقدس عند العبرانيين في عصر الملوك من جميع أفراد الشعب (١) ، وإن كانت عبادة «بعل» على أيام الملك الإسرائيلى «أخاب» (٨٦٩ - ٨٥٠ ق.م) ، معاصر النبي اليهودى «إيليا» ، وهو «إلياس» على ما ترجح - أوضح من غيرها (٢) .

والى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : « وإن إلیاس لمن المرسلین ، إذ قال لقومه ألا تتقون ، أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقین ، الله ربکم ورب آبائکم الاولین ، فكذبوه فأنهم لمحضرون ، إلا عباد الله المخلصین » (٣) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أننا نجد عند العبرانيين ، تلك الظاهرة العربية القديمة ، أهى « الشمس كإلهة أم ومؤنثة » ، كما فى زواج « يهوه » - رب يهود - بالشمس ، وفى جميع الحالات التى ترد فىها الشمس مؤنثة ، وأما « الزهراء » (عشر) فذكر (٤) .

وأما « يهوه » رأس الثلاث ، فظهر فى الهيئة العربية القديمة جدا ، كما

(١) ديتلف نلسن وآخرون : التاريخ العربى القديم - ترجمه وزاد عليه ، فؤاد حسنين - القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٢٦ (٢) ملوك أول ١٦ : ٣٠ - ٣٤ (٣) سورة الصافات : آية ١٢٣ - ١٢٨ ، وأنظر : تفسير البيضاوى ٢/٢٩٩ ، تفسير روح المعانى ٢٣ / ١٣٨ - ١٤٠ ، تفسير ابن كثير ٧ / ٣١ - ٣٢ ، تفسير القرطبى ص ٩ : ٥٥ - ٥٥٦٤ ، تفسير القاسمى ١٤ / ٥٠٥٩ - ٥٠٦١ ، تفسير الطبرى ٢٣ / ٩٠ - ٩٥ ، تفسير الطبرمى ٢٣ / ٨٠ - ٨٢ ، تفسير المنذر الرازى

يرجع ورود الاسم في النقوش اللحيانية (١) ، ولدينا الكثير من الأدلة التي تؤيد أن الإله العبري « يهوه » ، إنما هو في الأصل إله قري ، كما أن الحصان عند العرب القدامى - وكذا العبرانيين - هو الحيوان المقدس التابع للشمس ، تبعية الثور للقمر ، كذلك كان « يهوه » في العصور القديمة يرسم في صورة « ثور » مقدس ويعبد ، فضلا عن أننا نجد قرنين في مذيحه (٢) ، إلى جانب أننا نفهم من العهد القديم (التوراة) أن الديانة العبرية قبل السبي البابلي ، في القرن السادس قبل الميلاد ، كانت توصف بأنها ديانة قر وشمس وكواكب (٣) .

على أن هناك ما يشير إلى أن المواطن الأصلي لقب يهود ، إنما كان في سيناء . وربما قد احتفظت ذاكرة القوم بذلك في أغنية « دبورة » ، (٤) ، حيث يصور « يهوه » آتيا من جبل سعير (على الجانب الشرقي من البرية العربية) جابرا أرض أدوم ، ليقود المحاربين الإسرائيليين ، لكي يصرعوا الكنعانيين ، تقول التوراة : « يارب بخروجك من سعير ، بصعودك من صحراء أدوم ، الأرض ارتعدت ، السماء أيضا فطرت ، كذلك السحب قطرت ماء » ، (٥) ، فالإله « يهوه » ، إذن إنما

A. J. Jausson and R. Savignac, mission Archeologique (١)
en Arabie, II, Paris, 1911 p. 250 — 91

(١) خروج ٣٢ : ٤ ، ملوك أول ١٢ : ٢٨ ، ملوك ثان ٢٣ : ١١ ،

هوشع ٨ : ٥

(٢) ملوك ثان ١٧ : ١٦ ، ٢١ : ٣ ، ٥ ، ٢٣ : ٤ - ٥ ، إرميا ٨ : ٢

(٤) ظهرت « دبورة » ، في عصر القضاة كشخصية من أقوى الشخصيات ذلك

العصر دون منازع ، وهي زوجة « فيدوت » من سبط أفرايم ، وقد قالت

ولاء قومها وزعامتهم ، حتى أنها أصبحت قاضية لإسرائيل - وثيقة كذلك -

متخذة لها مركزا عند « نخلة دبورة » ، بين الرامة وبيت إيل في جبل أفرايم

(قضاة ٤ : ٤ ، ٩ ، قاموس الكتاب المقدس ١/٣١٨) (٥) قضاة ٥ : ٤ - ٥

قد أقبل من سعيير ، ومن ثم فهذا يشير إلى أن موطنه لم يكن في كنعان ، وإنما كان في سيناء ، وأنه كان ما يزال إله البرية المحارب (١) .

ولأنه لمن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن إله القمر ، إنما كان ينظر إليه ككبير للآلهة ، وكإله قومي ، والامر كذلك بالنسبة إلى « يهوه » عند العبرانيين ، فقد كان لها قومية ، بل إن القوم حتى لم يفكروا في أن يجعلوا « يهوه » - قبل عصر إشعياء النبي (٧٣٤ - ٦٨ ق.م) - إله العبريين جميعا ، أو حتى إله الأسباط جميعا (٢) ، وحين فعلوا ذلك ، فإنهم لم يصوروه على أنه الإله الأوحد - أو حتى الوحيد - وإنما هو أكبر الآلهة فحسب ، ومن ذلك ما جاء في التوراة : « من مثلك بين الآلهة يارب » (٣) ، و « الرب إلهنا أعظم من جميع الآلهة » (٤) ، و « الرب أعظم من جميع الآلهة » (٥) .

وبدعى أن هذه النصوص التوراتية جميعا ، إنما تدل على أن « يهوه » لم يكن الإله الوحيد الذي يعترف اليهود بوجوده ، أو هو نفسه يعترف بوجوده وحده ، وشاهد ذلك أن كل ما يطلبه في الوصية الأولى من الوصايا العشر ، هو أن يكون مقامه فوق سائر الأرباب جميعا (٦) .

وهكذا كان للنوابين إلههم « شمس » ، وكانت « نعي » تظهر أنه لا ضير

(١) A. Lods, Israel, From its Beginnings to the middle

of the Eight Century, London, 1962, p. 404

(٢) قضاة ١١ : ٢٤ ، راعوث ١ : ١٥ ، ديتلف نلسن : المرجع السابق

ص ٢٢٨ (٣) خروج ١٥ : ١١

(٤) خروج ١٨ : ١١ (٥) أخبار أيام ثان ٢ : ٥

(٦) خروج ٢٠ : ٣ ، عباس العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٢٢

من أن تظل « راعوث » ، على ولائها لآلها (١) ، كما كانت العبريون يتقبلون « كيموش » ، كإله للقوم « أليس ما يملك إياه كيموش إلهك تمتلك » ، وجميع الذين طردهم الزب إلهنا من أمامنا ، فإياهم نمتلك (٢) .

هذا وقد كان الإسرائيليون يعظمون « بعـل » ، كما كان « بازيوب » إله « عقرون » - وهي قرية « بسيطة » جنوب يافا بأثني عشر ميلا - و « ملكوم » إله عمون ، ذلك لأن النزعة الانفصالية التي كانت تمتلك نفوس القوم من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، قد أدت بطبيعة الحال إلى ما نستطيع أن نسميه استقلالاً دينياً (٣) .

وانطلاقاً من هذا - وكما يقول إنجمنل - أن الوحدانية التي كان يدركها الإسرائيليون في ذلك الزمن لم تكن وحدانية تفكير ، ولكنها وحدانية تغليب لرب من الأرباب على سائر الأرباب ، ولم يخط اليهود غير هذه الخطوة ، وهي أن لليهود إلهما يعلو على آلهة غيرهم من البشر (٤) .

(٢) يهوه والآلهة الكنعانية :-

نعرف من التوراة - طبقاً لما جاء بها في سفر القضاة - أن الإسرائيليين إنما كانوا بعد غزو فلسطين ، يتعبدون لربهم « يهوه » ، إذا ما أحاطت بهم المصاعب من كل جانب ، بينما كانوا يتعبدون لآلهة « البعول » الكنعانية ، عندما تنفرج

(١) راعوث ١ : ١٥ (٢) قضاة ١١ : ٢٤

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة - الجزء الثاني من المجلد الأول ، ترجمة

محمد بدران - القاهرة ١٩٦١ ص ٢٤٣

(٤) عباس العقاد : المرجع السابق ص ١٢٢

الأزمة ويعم الرخاء (١) ، هذا وقد أقام سكان «أورشليم» ، (٢) في القرن الثامن قبل الميلاد ، طقوس عبادة يوه في معبد حية النحاس (نحشتان) ، التي ربما كانت معبود اليبوسيين القديم (٣) ، وربما عبدوا كذلك في قرّة ما الإلهة «عشتار» (٤) .

وهناك ما يشير إلى أن يهود «إليفانتين» (٥) ، إنما قد عبدوا في القرن

(١) A. Lods, op - cit, p. 404

(٢) أنظر عن «أورشليم» : محمد ييوى مهران : إسرائيل - الكتاب الثاني -

التاريخ - الباب السابع - الفصل الخامس ص ٨١٢ - ٨٦٦ .

(٣) أنظر عن «اليبوسيين» : محمد ييوى مهران : إسرائيل - الكتاب

الثاني - التاريخ - الباب الخامس - الفصل الأول ص ٥٦٢ - ٥٦٣ .

(٤) أنظر : ملوك أول ١٥ : ، ملوك ثان ١٨ : ٢٣ ، ٥ : ٤ ، ٧ ، وكذا

A. Lods , op - cit, P. 404

(٥) إليفانتين : تقع جزيرة إليفانتين (yeb) والمعروفة الآن باسم «جزيرة

أسوان» ، على مبعده ستة أميال من الجندل الأول ، في مقابل مدينة أسوان الحالية

عبر النهر ، ويعنى اسمها في اللغة المصرية القديمة «فيل» ، والذي انتقل إلى اليونان

تحت اسم «إليفانتين» (أو اليفتين) ، وربما سميت كذلك لأن الأفيال قد

وجدت فيها مكانا لاستقرارها قبل هجرتها النهائية جنوب الجنوب ، ونظراً

لتحكم جزيرة «يب» و «أسوان» ، والمعروفة عند الأغارقة باسم سين (Syene)

في مدخل مصر الجنوبي فقد أقيمت في كل منهما قلعة ، ومن ثم فإن البرديات

الآرامية إنما تتحدث كثيراً عن «يب القلعة» و «أسوان القلعة» (قلعة سين

أو سني أو سونو) ، هذا وقد ذكرت أسوان في التوراة كذلك (حزقيال ٢٩ :

١٠ ، ٢٠ : ٦ ، مصطفي عبد العليم : اليهود في مصر في عصر البطالمة =

الخامس قبل الميلاد - إلى جانب ربهم يهوه - عديدا من أزواج الآلهة ، مثل
 « عنات بيت إيل ، و « أشيم بيت إيل ، و « عنات ياهو ، (١) ، ولعل هذا إنما
 يشير إلى إحياء استقرار بني إسرائيل في فلسطين ، كما يشير كذلك إلى أن القوم
 إنما بدأوا يتخلون عن دينهم القوي ، وعبادة آلهة أخرى مع « يهوه ، رب
 إسرائيل (٢) .

ويبدو أن « يهوه » - بعد غزو يهود افلسطين - يأخذ أماكن عبادة الآلهة
 القديمة ، وإن كان من النادر أن ذلك قد صاحبه عنف شديد (٣) ، وبما لأن
 الكنعانيين قد اقتنعوا أن ربهم « بعل » إنما قد رضى مختارا ، أن يكون لرب
 جيرانهم الجدد مكانا في معبده (٤) ، وطبقا لما جاء في النقوش ، فإن « تيا ،
 (Telma) يستقبل الإله « سالم » (Salm) برهبة (٥) ، وبنفس الأسلوب ،

==والرومان ص ٦ . خالد الدسوقي : الجمالية اليهودية في أسوان ص ٤٩ ،

H. Goedick, ZAS, 81; 1956, P. 81 - 124

وكذا

E. G. Kraeling, the Brooklyn Museum

وكذا

Aramaic Papyri, New Haven, 1963, P. 21

A. Lods, op - cit, P. 404 - 405

(١)

Gustav Hoelscher, Die Profeten untersuchung Zur

وكذا

Religions Geschichte, Israels, Leipzig, 1914, P. 160

(٢) ملوك أول ١٨ : ٢١ ، إرميا ٩ : ٨ - ١٠ ، ١٦ - ١٨ ، وكذا

V. Chepot, BCH, 26, P. 182

(٣) تضاة ٦ : ٢٥ - ٢٢

A. Lods, op - cit, P. 405 (٤)

M. J. Lagrange, Etudes sur Les Religions Semitiques , (٥)

1905, P. 502 - 503 .

فلقد استقبل « يهوه » (Jahweh) نفسه في عصر الملك « منسى » (٦٨٧ - ٦٤٢ ق. م) آلهة آشور في معبده بأورشليم ، وان لم يكن القوم يضعون « يهوه » في مكانه مساوية لهذه الآلهة ، ذلك لأن بنى إسرائيل إنما كانوا يعتبرون « يهوه » سيد البلاد الحقيقي ، والوحيد كذلك (١) .

ومع ذلك ، فقد كانت معظم أماكن عبادة « يهوه » في فلسطين ، إنما هي في الأصل أماكن مقدسة كنعانية ، حتى إن لم يقدم لنا ذلك تفسيراً لأماكن العبادة المقدسة المسورة في « شكيم » (٢) ، أو « عفرة » (٣) ، فإنه إنما يمكن تعليل ذلك بأن أماكن عبادة يهوه ، إنما كانت عادة تحتوى على ينبوع أو حفرة أو شجرة بلوط ، أو تكون على قمة جبل ، وهي - في الواقع - إنما كانت مقدسة من قبل هند الكنعانيين ، ورثها « يهوه » عن هذه الآلهة المحلية القديمة ، وهو أمر جد شائع في الديانات القديمة (٤) .

وهكذا أصبح « يهوه » - بعد أن تملك أماكن العبادة الكنعانية - إله البلاد ، واعتبر الإسرائيليون فلسطين أرض يهوه ، (أرض الرب) ، وتطلعوا إليه ليبارك زراعة الحقل ، ذلك لأنه قد أصبح هو الذى يصيب أرض كنعان بالتحط ، يهبها المطر ، وربما قد ساعد على نقل هذه الوظائف إلى « يهوه » ، أنه كان في الأصل ربا للعاصفة ، كما كانت لديه وسائل الزراعة ، تقول التوراة - على لسان « يهوه » - اصنعوا واسمعوا صوتي ، اصتروا واسمعوا قولي ، هل يحرق الحارث كل يوم ، ليزرع ويشق أرضه ويمهدا ، اليس أنه إذا سوى

(١) A. Lods, op - cit, P 405

(٢) فارق : قضاة ٩ : ٦ ، ٣٧ ب تكوين ١٢ : ٦ - ، يشرح ٢٤ : ٢٦

(٣) قضاة ٦ : ٢٥ - ٢٢ . (٤) A.Lods, ob - cit, P. 406

وجهاً يبذر الشونيز (١) ، ويذرى الكون ، ويضع الحنطة في أتلام ، والشعير في مكان معين ، والقطنى (٢) في حدودها ، فيرشده بالحق ، يعلمه إلهه ، إن الشونيز لا يدرس بالنورج ، ولا تدار بكرة عجلته وخيله ، لا يستحقه ، هذا أيضاً خرج من قبل رب الجنود ، عجيب الرأى ، عظيم الفهم ، (٣) .

وقد أدى ذلك كله إلى نوع من التغيير في عبادة يهوه ، إذ أصبح القوم يحملون إلهه - كما كان يحدث مع آلهة اليعول - قرابين الحب والفاكهة والزيت والنيذ ، كما أقاموا له ثلاثة أعياد زراعية رئيسية ، أكبرها عيد الكروم ، وهو في الأصل عيد كنعانى ، وكانوا يحتفلون به فى « شكيم » (٤) ، فى معبد « بـمـل بريث » (٥) (Baal Berith) ، هذا إلى جانب أعياد الرعاة البدر اليهودية ، و « عيد جز صوف الغنم » و « عيد الفصح » ، وهى أعياد مفرقة فى الفموض ،

(١) الشونيز : نبات من الفصيلة الشقية ، واسمه باللاتينى (nigella Sativa) ، وهو ذو أزهار خيمية شبيهة بنبات اليانسون ، ويسمى بذرة « حبة البركة » ، والشونيز لا يدرس بل يخطط بالعصا (قاموس الكتاب المقدس ١/٥٢٠)
(٢) القطنى : كلمة عبرية بمعنى المزروعات ، ويراد بالقطنى عند علماء العرب جميع الحبوب التى تطبخ كالعدس والفرول واللوبيا والحمص (قاموس الكتاب المقدس ٢/٧٢٨)

(٣) إشعياء ٢٨ : ٢٣ - ٢٩

(٤) شكيم : مدينة كنعانية ، يحتمل أن يكون مكانها الأصلى « تل البلاطة » شرق مدينة نابلس الحالية ، التى تبعد عن أورشليم بحوالى ٣٣ ميلاً ، وخمسة أميال ونصف ميل إلى الجنوب الشرقى من « السامرة » (قاموس الكتاب المقدس

١/٥١٤ - ٥١٥ وكذا : (J. Finegan, op-cit, p. 183)

(٥) قضاة ٩ : ٢٧

إِ كما أن عيد الخلاص من مصر، (الفصح = Passover)، إنما قد أُعيد الاحتفال به في يهوذا في القرن السابع قبل الميلاد (١).

هذا وقد اتسبت أعياد يهوه - إله إسرائيل - بصفة المرح والابتهاج - شأنه في ذلك شأن أعياد البعول - وكانت الدطارة المقدسة، (Sacred Prostitution)، تمارس تكريماً ليهوه، رب يهود، وكان يصور أحياناً مثل د حدد، (Hadad) على شكل د ثور، (٢)، كما كان يعبد في كل مكان طبقاً لطقوس هذا المكان، كما كان يحمل لقباً خاصاً بهذا المكان كذلك - كما كان الأمر مع آلهة البعول المحلية -، وهكذا كان د يهوه، بلقب د إله الرقيا، (إيلي رقي) (٣) و د إله دان، (٤) و د الإله السرمدي، (٥) (God of Eternity)، و د محبوب بر سبع، و د إله بيت إيل، و د رب العمود، (٦).

وبدعى أن كل هذه الألقاب إنما تشير إلى أن وحدانية يهوه إنما قد أصبحت في خطر، ومن ثم فقد رأينا التوراة تقول د اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، (٧)، ويعلم د موسى بن سيمون، (١١٣٥ - ١٢٠٤ م) علامة اليهود،

(١) A. Lods, op-cit, p. 407

(٢) A. Lods, op-cit, p. 457-458

(٣) تكوين ١٦ : ١٣ (٤) عاموس ٨ : ١٤

(٥) تكوين ٢١ : ٣٢

(٦) تكوين ٣١ : ١٣، ٣٥ : ٧ وكذا A. Lods, op-cit, p. 124, 261, 407

(٧) تثنية ٦ : ٤ W. F. Bade, ZATW, 1910, p 80-90

S. Freud, op-Cit, p. 27 وكذا

William Frederick Bade, The Old Testament in the Light of To-day, N.Y 1915. p. 187-217 وكذا

والذى تأثر بعلم التوحيد ، وعلوم الكلام عند أئمة المسلمين ، أن هذه الشهادة إنما تعلن عن وحدانية لاشبهة فيها على الإطلاق ، ثم يصف الرب بأنه ليس بجسم ، ولا تحده بحدود الجسم ، وأنه هو منذ الأزل وإلى الأبد ، وأنه الأول والآخراً هم ينزه الرب عن الشريك .

وكل ذلك يبدو فيه بوضوح أثر الفكر الدينى الإسلامى ، الذى لم يكن معروفاً على عهد التوراة ، يوم كان الرب الواحد لا يعنيه إلا شعبه المختار ، ولا يفضيه أن تكون للأمم الأخرى آلهة أخرى ، ولا يتعرج الراوية التوراتى - على لسان موسى نفسه - من أن يقارن بين رب يهود ، وغيره من الأرباب (١) ، فيقول : « من مثلك بين الآلهة يارب ، من مثلك جليل القدسية . . . » (٢) .

هذا فضلاً عن أن المصلحين على أيام « يوشيا » (٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م) ملك يهوذا ، قد استنوا سنة جديدة مؤداها : أن تكون العبادة ليهوه مقصورة على معبد واحد ، هو معبد أورشليم (٣) .

هذا وقد حمل « يهوه » لقب « بعل » (Baal) فى عصر القضاة والجزء الأكبر فى عصر المملكة المتحدة ، وهكذا رأينا « شاول » (١٠٣٠ - ١٠٠٠ ق.م) - وهو المسوح من الرب القومى يهوه كملك على شعبه إسرائيل - يطلق على واحد من بنائه اسم « إيشبيل » (٤) (IshBaal) (أى رجل بعل = رجل الرب) ،

(١) حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى - القاهرة ١٩٧١ ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) خروج ١٥ : ١١ - ١٨ .

(٣) A. Lods, op-cit, p. 408

(٤) أخبار أيام أول ٨ : ٢٣ ، ٩ : ٢٩ .

وكان أحد أبناء «يهوناثان» يسمى «مريبعل» (١) ، وربما يعني «محبوب بعل» = محبوب الرب) ، وكان أحد أولاد «داود» (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) يسمى «بعليا داغ» (٢) (بعل ياداغ) ، كما أن واحدا من ضباطه إنما كان يسمى «بعل حانان» (٣) ، هذا فضلا عن أن «جدعون» - أحد قضاة إسرائيل الكبار - إنما كان يسمى كذلك «يربعل» (٤) ، ومعناه «لندع بعل يدافع عن نفسه» ، وفقا لاسطورة شعبية أسست على حادث هدم مذبح أو معبد «البعل» ، الذي كان قد أقامه أبوه في مدينته «عفرة» (٥) ليتعبد إليه هو وبنو قومه الإسرائيليين (٦). هذا ، وطبقا لما جاء في «أوستراكا» (Ostraca) (٧) ، وجدت في مدينة «السامرة» ، كان معظم الإسرائيليين يحملون أسماء مركبة من «بعل» ، مثل

(١) أخبار أيام أول ٨ : ٣٤ ، ٩ : ٤٠ .

(٢) أخبار أيام ثمان ١٤ : ٧ . (٣) أخبار أيام أول ٢٧ : ٢٨ .

(٤) قضاة ٦ : ٣٢ ، ٧ : ١ ، ٨ : ٩ ، ٩ : ١ .

(٥) عفرة : ربما كانت بلدة الطيبة الحالية ، على معبدة أربعة أميال شرقي

«بيتين» ، (قاموس الكتاب المقدس ٦٣٢/٢) .

(٦) قضاة ٦ : ٢٥ - ٢٣ ، وكذا A. Lods, op-cit, p. 408

(٧) أوستراكا : كلمة يونانية الأصل ، بمعنى قطعة مكسورة ، يقصد بها علماء الآثار ، أية قطعة مكسورة من إناء من الفخار ، أو أية شظية من الحجر ، وخصوصا الحجر الجيري الأبيض ، استخدمها القدماء للكتابة عليها ، وهناك عشرات الآلاف منها في متاحف مصر والعالم ، عليها كتابات بلغات هؤلاء القدامى - كالمصرية (بكتاباتهما الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية) واليونانية واللاتينية وغيرها ، إلى جانب ما على بعضها من رسوم ، هذا ولم يقتصر استخدام الأوستراكا على عصر معين أو منطقة معينة ، بل كان استخدامها =

« أيبيل » و « بعلز امار » و « مري ببعل » و « بعلا » و « بعل زاكار » (١) .

وبمرور الزمن ، أصبحت الملامح المستعارة من « البعول » ، توحد تماما بهيئة « يوه » ، حتى أن الانبياء العبرانيين الذين كانوا معادين لكل شيء كنعاني ، قد أجازوا هذه الملامح ، وتروى التوراة أن النبي « إيليا » (حوالي عام ٨٥٠ ق.م) قد رتب سباقا شعائريا ، ليبرهن على أن « يوه » - وليس بعل - هو الذي ينزل المطر على فلسطين ، وذلك حين طلب أن يدعى كل إسرائيل إلى جبال الكرمل بإمر ملكي ، حيث يلتقى هناك مع « انبياء البعل » الأربعمائة والخمسين ، وأنبياء السواري ، الأربعمائة ، الذين يأكلون على مائدة إيزابل ، ويتغلب « يوه » على « بعل » في هذه المباراة ، لأن « يوه » هو الذي ينزل المطر (٢) .

هذا ، وقد أعلن النبي « هوشع » (٧٥٠ - ٧٢٢ ق.م) ، أن إسرائيل إنما تدين بقسمها ونبيذها وزيتها إلى « يوه » ، وليس إلى « بعل » ، كما تعود الكهان والأفياء الحديث عن كنعان ، على أنها « أرض يوه » وأن غيرها من البلاد غير طامر (٣) ، وهكذا يبدو واضحا ، مدى الخليط العجيب الكبير ، بين طقوس الكنعانيين ودين العبرانيين ، ولكن يبدو أن الآلهة المحلية ، مثل « داجون » و « عشتارت » و « اترجاتس » ، قد نفدت شعائرها إلى دين الوافدين الجدد من

== عاما في جميع العصور ، وفي بلاد كثيرة ، وإن كان أهم مصدر لها جبانة طيبة في مصر . وبخاصة على أيام الإمبراطورية المصرية (الموسوعة المصرية ١/٣١) .

(١) D. G, Lyon, HTR, 1911, p. 136—143

(٢) فلوك أول ١٨ : ١٩ - ٤٦ .

(٣) هوشع ٩ : ٣ - ٥ ، عاموس ٧ : ٧ ، ثم قارن : هوشع ٨ : ١ ، ٩ :

٢٥ ، إرميا ١٢ : ١٤ .

يهود ، ومن ثم فإن دين إسرائيل إنما كان خليطا مركبا من الطقوس ، وأن هذا الدين اتقوى ليهود إنما قد اشتقت عناصره من العرف الكنعاني (١) .

واعلم هذا كله ، إنما يدل دونما لبس أو غموض - أن البدو العبرانيين لم يأخذوا من جيرانهم الكنعانيين الحياة الزراعية فحسب ، وإنما استحوذوا كذلك على عبادة آلهة البعل الكنعانية ، ولم تكن آلهة البعل على غرار « يهوه » آلهة حرب ، ولكنهم كانوا آلهة طبيعة مسالمين ، تتمثل فيهم قوى الخصب والحياة المنتجة ، ويتألفون أزواجا ، ذكر وأنثى (بعل وعشتارت) ، ولهم ديانات محلية متباينة ، تصحبها الشهوة ، ولو كانت عملية الإمتزاج سليمة في مجلتها ، فرمما كال دين المصريين قد هبط في مصر وسهولة إلى مستوى الدين الكنعاني ، ولما كان « يهوه » قد اندمج مع « البعل » ، ولما ترك المصريون طابعا على تاريخ البشر الروحي ، ولكن كان على الغزاة الإسرائيليين أن يحاربوا لأجل ميراثهم ، ولحفظ شخصتهم الدينية والتومية ، وظل « يهوه » - بين كل ما تمتلوه من العبادات الكنعانية كالمرتفعات والصور الخشبية لعشتارت أو العمد المقدسة - إله شعبه المختار ، ولا تزال أغنية دبورة (٢) ، وهي واحدة من أقدم شذرات أدب الشعر العبري - باقية لتبين لنا كيف أن عقيدة يهوه ، قد ألهمت عشائر المصريين في تلك المعارك القديمة مع الشعوب المحيطة بها .

وقد عملت الحروب اليهودية ضد الفلسطينيين - في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد (٣) - على تقوية الشعور بقومية متميزة ، وعلى الاستقلال

(١) A. Lods, op-cit, p. 409

(٢) أنظر : الإصحاح الخامس من سفر القضاة .

(٣) أنظر عن هذه الحروب : محمد يومي مهران : إسرائيل الكتاب الثاني -

التاريخ - الإسكندرية ١٩٧٨ ص ٦٨٠ - ٦٩٠ ، ٦١٠ - ٧٢

العين والقوى في نفس الوقت ، ومن ذلك الوقت فصاعدا ، أصبح عبادة يهوه - على الرغم من طائفة عظيمة من إضافات كنعانية - الرمز المعترف به لمصير العبريين الذي تميزوا به (١) .

وهكذا فقد احتفظ دين يهوه بكثير من عناصره الأساسية اليهودية ، وتعزى هذه النتيجة - دون شك - جزئيا ، إلى شعور المستوطنين العبريين القومى ، وإلى تضامنهم العنصرى القوى ، وإلى روح البدو المنتصرين البدائية ، وإلى الحروب المستمرة ، التي كانوا يسمونها «حروب يهوه» - والتي أثبتت صلاتهم قوية بربهم القوى - وإلى ما يحيط باللاويين - عشيرة موسى - من امتياز دينى ، وهم الغيورون على «يهوه» رب إسرائيل ، وإن كان ذلك كله يجب أن يعزى إلى حقيقة هامة ، وهي أن مؤسس التحالف العبرى - كليم الله عليه السلام - إنما قد غرس في نفوس شعبه ، أن يهوه كان - وما يزال وسيظل - رب إسرائيل الوحيد ، بل الأوحى .

وليس هناك من ريب في أنه كانت توجد طقوس مثل «الدعارة المقدسة» ، ما كانت تنفق وريح اليهودية ، ومن ثم فقد كان أمرا لا مفر منه ، أن تقاوم وتستأصل ، بمرور الزمن ، هذا وقد كان «يهوه» دائما بالنسبة إلى الإسرائيليين ، هو «الإله القومى» (national God) ، وعلاقته بشعبه ذات طبيعة أخلاقية ، بعكس آلهة «البعل» ، التي كان وجودها لا يختلف عمليا عن حياة الطبيعة ، مثل «تموز» - أدونيس ، (Tammug - Adonis) ، الذي يموت ويولد ثانية مع

(١) و. ج. دى بورج : تراث العالم القديم - الجزء الأول - ترجمة زكى مومن ، ومراجعة يحيى الخشاب ، وحقق خفاجه - القاهرة ١٩٦٥ ص ٦٦-٦٩

النبات كل عام ، ومن هذا يمكن تأييد ممارسة «الدعارة المقدسة» ، التي يتحد بها الفرد بذاته بتصرف إخصائي إلهي ، مفروض أنه يؤثر في إحياء سنوى للطبيعة ، الأمر الذي لم يكن أبدا مقبولا في اليهودية ، طبقا للقانون التثنوي (١) ، وأن هذه الممارسة إنما قد منعت كقربان للرب ، لأن المال الذي كان يؤخذ ثمنا لهذا القربان ، إنما كان يدفع إلى الخزينة المقدسة (٢) .

أما بالنسبة للممارسات السحرية أو البربرية ، مثل عبادة الأشجار والينابيع والأحجار المقدسة أو التضحية البشرية وغيرها ، والتي وصمها المصلحون الدينيون في القرنين السابع والخامس قبل الميلاد ، بأنها استعارات كنعانية ضارة ، فقد سبق أن مارست قبائل البدو العبرية مثلها في فترة مبكرة من ميلاد اليهودية .

على أننا يجب ألا نبالغ كثيرا في خطورة تأثير الطقوس الكنعانية على ديانة يهو . ، هذا فضلا عن أن هناك - من ناحية أخرى - ما يهبط إلى أن قوة «يهوه» ، إنما قد ازدادت بدرجة كبيرة ، وامتدت إلى كل بلاد كنعان ، نتيجة تغفل الطقوس البعلية في اليهودية ، فقد اعتبر «يهوه» مصدر الحياة للبلاد الزراعية ، كما أن قيام الإسرائيليين بأعمال اعتقدوا أنها تمت بمساعدة «يهوه» إنما قد جعلتهم يؤمنون أن قوة ربهم وعنايته سوف تشملهم أيما شتقروا . ومنها كانت الظروف التي تحيط بهم ، وبهذا التصرف الإيجابي من القوم ، أصبح لإيمان إسرائيل بربها «يهوه» أكثر ثقة ، وأحسن تجهيزا لغزوات جديدة (٣) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن الطقوس البعلية إنما قد وجدت

(١) تثنوية ٣١ : ١٨ - ١٩

(٢) A. Lods, op—cit, p. 409 - 410

(٣) Ibid , p. 410

معارضة من اليهوديين ، ومن ثم فقد قامت الجماعات القينية بالحفاظ على أسلوب الحياة البدوية، وجعلت من نفسها القوة الحفيظة على دين الآباء، تقياً من شوائب الأديان الزراعية ، وكان رعاة الغنم في جنوب يهوذا - دون شك - أقل تأثراً بدين كنان ، من أولئك المزارعين ومنتجي الكروم في الوسط والشمال (١) .

هذا وقد قوبل استخدام النبيذ - وهو هبة خاصة لآلة البعل - في الطقوس والأعياد الموسمية، بمقاومة عنيدة، وكان ممنوعاً تماماً على «النذيين» (Nazirites) و «الركابيين» (٢) (Rechabites) ، كما حرم على «السكانيين» أن يشارك في

(١) G. Hoelscher, op-cit, p. 163

(٢) الركابيون : هم قوم من القينيين أو المديانيين ، وقد صاحبهم سلفهم الكبير ديهو ناداب بن ركاب ، القائد دياهو ، (الملك ياهو ، فيما بعد ٨٤٢ - ٨١٥ ق.م) في حملة على ذرية «أخاب» ، فاستولى على الحكم ، ويطهر السامرة من الأوثان ، وقد سن ديهو ناداب بن ركاب ، لنذريته (أي الركابيين) شريعة لكي يظلوا شعباً مستقلاً ممتازاً ، وعشيرة مهترلة ، بعيدة عن عبادة الأصنام ، وتتلخص هذه الشريعة في : (١) أن يمتنعوا عن شرب الخمر ، وكل شراب مسكر (٢) ألا يسكنوا في بيوت (٣) ألا يزعموا ولا يغرسوا كرماً (٤) أن يكون سكنهم في خيام ، وكان القصد من ذلك أن يحتفظوا ببساطة عاداتهم البدائية ، وقد أطاع الركابيون هذه الوصايا الأربعة ، وظلوا شعباً مستقلاً ، محباً للسلام ، وسكنوا الخيام .

وكانت أخطر النتائج لهذا كله ، أن الركابيين - وهم من أصول قينية ، وليست عبرية - أن كانوا أشد الأقوام تمسكاً بالتعاليم اليهودية ، حين تردت البلاد إلى درك أسفل من وثنية ، ظلوا النواة الصلبة للديانة الحققة في «أورشليم» ، بل إنهم قبل كل شيء حماة العقيدة اليهودية ، بالتضامن أو بالتداخل مع المديانيين ،

تناول النبيذ ، أو الشراب الخمر قبل أن يؤدي الصلاة (١) ، وكان العرف شبه السائد في العالم القديم استخدام السوائل المسكرة لجلب ظاهرة الإلهام ، الأمر الذي عارضه اليهود الأصلاء ، رغم استخدام بعض أنبياء يهود ذلك من قبل ، تقول التوراة : « هؤلاء أيضا ضلوا بالخمر ، وتاهوا بالسكر ، الكاهن والنبي ترنموا بالسكر ، ابتلعها الخمر ، تاهوا من السكر ، ضلوا في الرؤيا ، قلقا في القضاء ، فإن جميع الموائد امتلأت قيثا وقذرا ، (٢) ، وتقول : « لو كان أحد وهو سالك بالبيع والكذب ، يكذب قائلا : أتنبأ لك عن الخمر والسكر ، لكن هو نبي هذا الشعب ، (٣) ، وهكذا كان حب النبيذ في فترة مبكرة ، إنما لتكريم الرب (٤) ، ودع ذلك فقد حاول النبي « حزقيال » (٥٩٣ - ٥٧٢ ق.م) حوالى عام ٥٠٣ ق.م ، أن يستبعد النبيذ من قائمة القرابين التي تقدم ليهوه ، رب إسرائيل ، ولكنه لم ينجح في ذلك أبدا (٥) .

(٣) موطن يهوه :-

استمرت طوال الفترة المبكرة لاستيطان اليهود في فلسطين ، تلك الفكرة

كما يدفع ترجيحنا وقلبيبا ، إلى الأقراض ، بأن « يهوه » إنما هو أصلا ربههم ، قبل أن يتخذه بنو إسرائيل إله قوميا (ملوك ١٥/١٥ - ٢٨ ، أخبار أيام أول ٢ : ٥٥ ، إرميا ٣٥ : ٦ - ١١ ، حسين ذو الفقار صبرى : إله موسى في توراة اليهود - المجلة - العدد ١٦٣ - يوليو ١٩٧٠ ص ١٠ ، وكذا

A. Lods, op, cit, p. 318, 320

(١) لاويون ١٠ : ٩ ، حزقيال ٤٤ : ٢١ (٢) إشعياء ٢٨ : ٧ - ٨

(٣) ميخا ٢ : ١١ (٤) قضاة ٩ : ١٣

(٥) حزقيال ٤٥ : ٢٤ - ٢٥ ، ٤٦ : ١١ ، ١٤ - ١٥ ، وكذا

A. Lods, op—cit, p. 411

القديمة القائلة ، بأن يهود رب إسرائيل ، إنما كان يقيم في صحراء الجنوب (١) ، حيث تجلى الرب هناك في سيناء على موسى (٢) . ومن ثم فقد كان جبل الطور ينظر إليه «كجبل الله» ، وذلك لأن يهود إنما قد غضب على بني إسرائيل لعبادتهم «العجل الذهبي» ، ومن ثم فقد أقام في سيناء (٣) ، وهكذا فإن «يهود» عندما قدم إلى فلسطين ، فإنما قدم من سيناء ، مارا بجبل سعير (٤) ، إلى «قادش» (٥)

(١) قضاة ٥ : ٤

(٢) خروج ٢٠ : ٢

(٣) خروج ٣٢ : ٢٣

(٤) تثنية ٣٣ : ٢

(٥) هناك عدة أماكن تحمل اسم «قادش» :-

(أ) قادش الأورنت : وتقع على نهر الأورنت (العاصي) في مكان «تل نبي

مند» على الشاطئ الأيسر لنهر العاص ، داخل الزاوية المكونة من التقاء نهر العاصي

بنهر الموقادية الصغير ، من ناحية الغرب ، وعلى مبددة بضعة أميال جنوب النهاية الجنوبية

لبعيرة حمص ، وكانت قادش تدعى في حويليات «تحو تمس الثالث» «قدشو» ، وفي

رسائل المارثة «كزا» أو «كدش» ، وأحياناً «كدشو» و«جيزا» ، وربما كان

«إدوا-دماير» مصيباً في ظنه أن الاسمين مختلفان حقيقة ، فالأول هو الاسم

الحقيقي ، والآخر بمعنى «المحراب» من الأصل السامي «قدش» أي مقدس ،

ويبدو أن المدينة قد خربت بعد المعركة العظيمة بين «رعسيس الثالث» و«مواتيل»

ملك الحيثيين (حوالي عام ١٢٨٥ ق.م) ، وترجع أهميتها من الناحية الاستراتيجية

أنها تقع في النهاية الشمالية لوادي البقاع ، ومن ثم فقد كان لزاماً على الجيوش المنجزة

شمالاً أو جنوباً أن تمر بها ، إلا إذا فضلت السير على الطريق الساحلي الضيق ،

بطريق «أرواد» أو «أجاريث» .

(ب) قادش برنيع : وكانت تدعى «عين مشفاط» ، حيث ضرب موسى

الحجر بنصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وحيث قضى بنو إسرائيل ٣٨

سنة فيها من سنن تبيهم الأربعين ، وكانت فيها خيمة الاجتماع وتابوت العهد ، =

ومنذ ذلك الحين ؛ وهو يأتي إلى شعبه في كنعان لمساعدته (١) ، وتأكيدها لاهتقاد
الإسرائيليين أن ربهم «يهوه» إنما كان يقيم هناك ، نحمد النبي اليهودي «إيليا»
(إلياس) ، يمج حيث يقيم «يهوه» (٢) .

ومن عجب أن يؤمن الإسرائيليون أن ربهم إنما يقيم في سيناء — وليس
معهم في فلسطين — ويذكر العهد القديم أن من أتباع «يهوه» المديانيين ، وأن
كبير كهانهم (يثرو) إنما كان يرعى غنمه على مقربة من الجبل الذي يقيم فيه
«يهوه» (٣) .

== وطبقا لرواية التوراة فهي على مسيرة أحد عشر يوما من جبل سيناء ، وفي
اتجاه جبل سمير ، وعلى طريقه ، ويرجع أنها الآن «عين قديس» على مبعده ٥٠
ميلا جنوبي بئر سبع ، ٧٠ ميلا جنوبي حبرون (الخليل) ، وإن كان البعض
يرجع أنها «عين قضيرات»

(ج) قادش قشيون : وربما كانت «أبو قديس» على مبعده ميلين ونصف
ميل جنوبي «مجدو» (تل المسلم) .

(د) قادش الجليل : - وهي مكان قرية «قديس» الحالية، على مبعده عشرة
أميال شمال «صفد» ، وأربعة أميال إلى الشمال الغربي من بحيرة الحولة . هذا
وربما كانت «قادش برنيع» هي المقصودة في النص هنا .

(أنظر : تكوين ١٤ : ٧ . عدد ٢٠ : ١٣٢١ - ١٦ . ٣٤ : ٤ . قاموس
الكتاب المقدس ٧٠٨/٢ - ٧٠٩ ؛ وكذا

A. H. Gardiner, Onom., I, P. 137-141

m. F. unger, op—cit, P. 625

وكذا J. H. Breasted, The Battle of Kadesh, Chicago, 1903, P.13

(٢) ملوك أول ١٩ : ٨

(١) قضاة ٥ : ٤

(٣) خروج ١٠ : ٢

وفي هذا المكان المقدس للكاهن « يثرو » تجلى « يهوه » لموسى (١) ، ومن ثم
فقد قدم يثرو وموسى وهارون ، فيما بعد ، القرابين ليهوه ، وعن يثرو ، أخذ
موسى تشريعاته القانونية .

(١) يعتقد بعض العلماء أن العبرانيين قد عبدوا يهوه قبل أيام موسى اعتقادا
على المصدر اليهودي ، ولكن المصدر الإلهيمي والكنهوتي يذهبان إلى أن موسى
هو الذي أدخل عبادة يهوه بين العبريين ، وبما من مديان ، وعلى أى حال ، فقد
كان النطق باسمه محظورا إلا في مقامات خاصة ، وكانوا يكتبون اسم « يهوه »
بالأحرف الأربعة (ي . ه . و . ه) (J.H.V.H) دون ذكر حروف العلة
لخو اللغة العبرية منها ، وهكذا ورد اسمه في « المسورة » (المسورت) ومن ثم
كان من الممكن أن يقرأ الاسم « يهوه » ، أو « ياهو » ، ولما ابتكرت علامات ضبط
الحروف العبرية في القرن السابع الميلادي كان مجال المقارىء في المعبد يتورعون
عن النطق باسم الله إذ كان ذلك محرما على اليهود وعلى غيرهم ، ومن ثم فقد
استخدموا بدلا من « لفظ الجلالة » كلمة « أدوناى » أو « أدونا » (أى ربى) ،
وقد أثرت هذه الوسوس في أصحاب الترجمة السبعينية فكانوا يتحاشون ذكر اسم
الله إلا فيما ندر ، وأدرجوا بدلا منه كلمة « هو كوريوس » أى الرب ، وركب
اليهود آخر الأمر لكلمة يهوه أحرف العلة التى بكلمة « أدونا » (Edona) فأصبح
الاسم يكتب على وزن « Je Ho Va H » وينطق (Jahweh) (يه-وه) ،
ويعنى هذا الاسم سر مجهول ، وقد يكون معناه « أنا الذى هو أنا » أو « الخالد »
وقد وصف يهوه نفسه لموسى أنه « أهيه الذى أهيه » (تكوين ٤ : ٢٦ ، خروج
٣ : ١١-١٤ ، ٤ : ٣-٧ ، ١٧ : ٢٠ ، و . ج . دى جورج : المرجع السابق ص ٦٦ ،
عصام الدين حنفى ناصف : اليهودية فى العقيدة والتاريخ ج القاهرة ١٩٧٧
ص ٩٦ ٩٧) .

وفي الواقع ، إن وحدة العبادات ، ووحدة المعبر ، إنما تعني أن الشبه قوى جدا بين الطقوس الدينية ... ولو من الناحية الشكلية - وبتعبير آخر ، إن العلاقة جد قوية بين المديانوية المعينية ، وبين عبادة د يهوه ، وطقوسه ، وهي البنية الأولى في المقدسات الإسرائيلية (١) .

عل أن فكرة إقامة د يهوه ، في صحراء الجنوب ، سرعان ما اختفت بمرور الأيام ، ولم يعد لها وجود إلا في أذهان الشعراء المحافظين على التقاليد (٢) ، وكان لدى الإسرائيليين إدراك مركز جدا ، بالتدخل الإلهي في كل حياتهم اليومية ، وقد مرت فترة طويلة كان القوم يعتقدون فيها أن مكان ربهم إنما هو بعيد جدا عنهم (٣) وعلى أي حال ، فما أن يمضي حين من الدهر ، حتى يثبت الغزاة الجدد من بني إسرائيل أقدامهم في فلسطين ، وهنا تبدأ في الظهور عقيدة جديدة لدى القوم ، موداما أن د يهوه ، (Jahweh) إنما هو د رب أرض كنعان ، ، ثم سرعان ما نشأت رابطة وثيقة بين يهوه وبين هذه البلاد ، لدرجة أن فلسطين إنما كانت تصور غالبا على أنها وحدها هي د مقر يهوه ، وأصبح السكان الذين كانوا يعيشون في هذه الأرض المختارة بعيدون عن يهوه (٤) ، وأما المنفيون أو المطرودون من وجه يهوه (٥) ، فإن الواحد منهم لا يستطيع أن يعبد في بلاد أخرى ، أو في تربة

(١) فؤاد حسنين : إسرائيل عبر التاريخ ص ٢١٤ - ٢١٥

(٢) تثنية ٢٢ : ٢ ، حبقوق ٣ : ٢ ، مزمو ٦٨ : ٨-٩

(٣) A. Lods, op.cit, P. 451

(٤) إرميا ١٢ : ١٤

(٥) ملوك ثان ١٣ : ١٣ ، ٢٠ : ١٧ ، ٢٠ : ٢٤ ، إرميا ١٥ : ٧ ، يوتان ١ : ٣ ،

١٠ ثم قارن : تكوين ١٤ : ٤ ، خروج ٣ : ٢٠

غريبة ، خاصة بالهة أخرى ، وغير ظاهرة في نظر رب إسرائيل (١) ، ومن ثم ، فإنه للحصول على مساعدة يهوه في بلد غريب ، فمن الضروري القسم له بالوفاء بقربان ، يمكن أن يتم بعد العودة إلى فلسطين ، كما فعل أبشالوم بن داود (٢) ، وكما فعل « نعمان » القائد الأرامي ، الذي شفاه « اليسع » النبي العبراني من برص حيث حمل إلى وطنه « حل بغلين من تراب أرض كنعان » وهناك شيد مذبحا على مثال ما كان ليهوه من مذابح في أرض كنعان (٣) .

ووفقا لاعتقاد ثالث ، وهو مرتبط دون شك بما سبق ، فإن يهوه إنما يسكن في معابد كنعان ، وعندما كان الإسرائيلي يذهب إلى الحج في أحد هذه الأماكن المقدسة ، إنما كان يفكر ويشعر ويتصرف كأن ربه يهوه موجود حقا ، وباقيا ، داخل « هذا السياج المقدس » ، والذهاب إلى مكان العبادة إنما كان يعني في نظر القوم ، البحث عن « يهوه » ، أو زيارته أو التطلع إلى وجهه ، لأن المعبد هو « بيت الله » وقد بقيت هذه المعتقدات حتى بين الانبياء اليهود أنفسهم ، على الرغم من أن معظم تعليماتهم كانت روحانية ، وطبقا لما جاء في سفر حزقيال ، فإن تدمير معبد اورشليم في عام ٥٨٧ ق.م ، إنما كان أمرا متوقما ، لأن يهوه قد هجر معبده وأن التشريع الكهنوتي يصبح كاهن غير مفهوم ، ما لم تعترف بأن يهوه ما بعد السبي البابلي (٥٨٧-٥٣٩ ق.م) إنما قد استقدوا في فكرة غامضة ، مؤداها : أن رب

(١) هوشع ٩ : ٣-٦ ، عاموس ٧ : ١٧ ، خروج ١٠ : ٥-١٦ ، ١٦ : ٧ ،

١٦ : ٨ ، ٢٦

(٢) صموئيل ثان ١٥ : ١٠-١١ ،

(٣) ملوك ثان ١٧ : ١٧ ، وكذا : A. Lods, op-cit, P. 452

السموات والأرض إنما هو موجود في قدس الأقداس في المعبد الثاني (١) ، الذي
نجح « زربابل » في إكمال بنائه في ١٠ مارس من عام ٥١٥ ق.م (٢) .

وأما مصدر هذا الاعتماد الثالث ، فيرجع إلى أن الإسرائيليين بعد استيلائهم
فلسطين ، إنما قد نقلوا إلى دينهم تلك المعتقدات التي كانت سائدة بين السكان
القدامى ، والخاصة بـ « البعل » ، فضلا عن القدسية الخاصة بالاماكن المرتفعة ،
وقد سهل من هذا التشابه أن العبريين كانت لهم أفكار مماثلة عن اليتاميع المقدسة ،
وعن جبال صحراواتهم (٣) .

وهناك وجه رابع للنظر فيما يختص بمسكن يهوه ، مؤداه : أن رب يهود إنما
« يسكن في السماء » ، ورغم أن هذا الأمر قد أثر جدلا طويلا ، غير أن النصوص
... فيما يبدو - إنما تميل إلى تأكيده (٤) ذلك أن الرواية التوراتية إنما تذهب
إلى أن « برج بابل » إنما كان يعاود إلى انصهار - وهي من الواضح مقر الأرباب -
وأن « يهوه » دون شك ، قد هبط من السماء مرة ليرى هذا البرج ، الذي أقامه
الناس بغية غزوه في علياء سماه (٥) ، وطبقا للمصدر اليهودي فإن « يهوه » إنما
قد هبط مرة أخرى في سيناء ، عندما تجمع الإسرائيليون عند سفح الجبل (٦) ،

(١) A. Lods, op-cit, P. 452

(٢) أنظر . محمد يهوى مهران : المرجع السابق ص ١٠٢٦ - ١٠٤٩

(٣) A. Lods, op-cit, P. 452

(٤) أنظر : Bernhard Stade, Biblische Theologie des Alten

Testaments, Tubingen, 1905, P. 104

(٦) خروج ١٩ : ١١ ، ٢٠٠

(٥) تكوين ١١ : ٤ - ٥

هذا فنزل عن زائر متوح ، (والشمشون) الغامض ، قد أتى عند صعود
الهبب من المذبح نحو السماء (١) .

وطبقا للبصير الإلهيمي ، فإن ملاك يهوه عندما يريد الاتصال بواحد من
البشر ، فإنه يتأديه من السماء (٢) ، وهناك محاولة غريبة يتطابق فيها هذا الاعتقاد
مع سابقة ، ذلك أن يعقوب عندما تلقى الحلم المشهور الخاص بالملائكة (٣) ،
في بيت إيل ، (٤) ، فإن يعقوب إنما يصح قائلًا : « هذا باب السماء » (٥) ،
وهكذا كان مسكن الرب (يهوه) في السماء ، وكان المعبد الأرضي الذي أقيم في
بيت إيل ، عيزا ، بأرضه نقطة البداية للسلم الخفي الذي يؤدي إلى بوابة القصر
المقدس ، وهو المكان الذي كان يتقابل فيه يهوه مع رسله الربانيين (٦) .

وفي الواقع إن قصة الاعتقاد في السلم الملائكي بين الأرض والسماء ، إنما هي

(١) تضاة ٢ : ٣٠ (٢) تكوين ٣١ : ١٧ ، ٢٢ : ١١ ، ١٥ : ١٠
(٣) تروى التوراة أن يعقوب ، وهو في الطريق من كنعان إلى ديار خاله
لابان في حاران ، أخذته سبعة من المزم ، فإذا به يرى - فيما يرى النائم - وإذا
سلم منصوبة على الأرض ، ورأسها على السماء ، وهو ذا ملائكة الله صاعدة
ونازلة عليها ، وهو ذا الرب واقف عليها ، فقال : أنا الرب إله إبراهيم أبيك ،
والله اسعاق ، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيتها لك ولذالك ، (تكوين
٢٨ : ١٢ - ١٣)

(٤) بيت إيل : بمعنى بيت يهوه « أو بيت الله ، وقد سماها يعقوب كذلك
لأن الله ظهر له فيها (تكوين ٢٨ : ١٦ - ١٧ ، ٣١ : ٢٠) وتقع شمال أورشليم
بحوالي ١٢ ميلا
(٥) تكوين ٢٨ : ١٧

A. Lods, op-cit, p. 453

(٦)

هوجودة عند شعوب وثنية قديمة كثيرة ، وهي في الغالب إنما تتحد مع « قوس
قزح » (Rain Bow) ، أو مع صعود الأجسام الساهوية يوميا من الأفق إلى
كبد السماء ، ثم هبوطها من السمث إلى الأرض ، وإذا كان هذا الإيمان الفلسطيني
يعكس في قصتنا هذه علاقته بالنجوم ، فربما يشير ذلك إلى أنه من أصل بابلي ،
وعلى أى حال ، إن كان نص القصة الاصلى قد نسى ، فن المؤكد أنه لم يدع أن
النجوم إنما تلو وتجمع عند « بيت إيل » (١) .

وعلى أى حال ، فإن هذه الفكرة إنما تشير إلى أن « يهوه » الذى يسكن
السماء ، لم يجر بالضرورة الأرض ، التى فرضها الاعتقاد الشعبى عليه ، ومن ثم
فإن رب إسرائيل اعتقد أنه كماكم فى هذا الجزء من السماوات ، وهو الجزء الذى
يتطابق مع أرض كنعان فى دسماه يعقوب ، - كما عبر عن ذلك فى سفر التثنية (٢) ،
ومع ذلك فسوف يفرض علينا هذا القصور أن نفترض وجود كائن علوى ،
له عقيدة أقل مادية من طبيعة « يهوه » رب إسرائيل (٣) .

(٤) يهوه والآلهة الأجنبية :-

ظل الإسرائيليون - حتى القرن الثامن قبل الميلاد - يعتقدون فى وجود عدة
آلهة أخرى ، إلى جانب ربهم القومى « يهوه » ، مما يشير إلى أن دين يهود لم يكن
دين توحيد ، فقد كان صراحة عبارة عن عبادة إله واحد ، من بين آلهة كثيرين ،
ولقد أتخذ يهوه أمره إلى البرانيين : « لا تعبد آلهة أخرى غيرى » ، وبدى أن

(١) سفر التكوين : إصحاح ٢٨ : وكذا A. Lods, op.—cit, p. 453

وكذا A Jeremias, Das Alte Testament im Lichte des Alten
Oriente, Leipzig, 1904, p. 234

A. Lods, op.—cit, p. 454 (٢)

(٢) تثنية ٢٣ . ٢٨

عبادة إله من بين آلهة كثيرين (monolatry)، إنما تعنى أنه : وإن كانت توجد آلهة كثيرة ، فإن واحدا فقط منها ، هو الذى يجب أن يعبد ، أما التوحيد فعناه أنه لا يوجد أبدا ، سوى إله واحد ، لا شريك له (١) .

وهكذا كان عباد يهوه يعتقدون أنه الإله الواحد عندهم، ولكنهم لم يكونوا يعتقدون أنه الإله الوحيد فى العالم كله ، و كانوا يتحدون عنه بقولهم « ربنا ، - أى رب بنى إسرائيل وحدهم - و كانوا يفاخرون به الشعوب والأقبائل المتاخمة، التى تعبد آلهة يراها اليهود دون « يهوه ، شأنا (٢) ، وفى هذا تقول التوراة « لا مثيل لك بين الآلهة يارب (٣) ، و « من مثلك بين الآلهة يارب ، (٤) و « لأنى عرفت أن الرب عظيم ، وربنا فوق جميع الآلهة ، (٥) و « الرب أعظم من جميع الآلهة ، (٦) و « إلهنا أعظم من جميع الآلهة ، (٧) .

هذا ولم يدع « يهوه » - رب يهود - بدوره أنه إله البشر أجمعين ، بل هو على النقيض من ذلك أقر بأن ثمة آلهة أخرى ، وأبدى غيرته منهم ، فقد كانت السماء فى ذلك الوقت ، إنما تقص - فى نظر يهود - بالآلهة ومنهم « عشتارت ، الإلهة الصيدونيين ، و « كيموش ، إله الموائيين ، و « ملكوم ، إله العمونيين ، وهلم جرا ، ولم يكن إله البرانيين إلا واحدا من أولئك الآلهة القبليين الذين

(١) و . ج . دى بورج : المرجع السابق ص ٦٧ - ٦٨

(٢) هشام الدين حفى ناصف : المرجع السابق ص ٩٨ . ٩٦

(٣) مزمور ٨٦ : ٨ (٤) خروج ١٥ : ١١

(٥) مزمور ١٣٥ : ٥ (٦) خروج ١٨ : ١١

(٧) أخبار أيام ثان ٢ : ٥

كانوا يعبدون في عهد البداوة^(١)، وقد جعل ديهوه، أولى وصايا العشر: ولا يكن لك آلهة أخرى أماي^(٢)، وكرر هذا المعنى غير مرة: «فألآن اخشوا الرب وأعبدوه بكل أمانة، وانزعوا الآلهة الذين عبدوهم آباؤكم في عبر النهر، وفي مصر، واعبدوا الرب^(٣)، و« من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك »^(٤).

وتدل هذه الحقيقة - التي أشرنا إليها من قبل كثيرا - على أن سلطة يهوه في فلسطين إنما كانت محدودة، وفي أثناء المباحثات الدبلوماسية بين « يفتاح » قاضي إسرائيل، وملك موآب، يقول يفتاح: « أليس ما يملك إياه كيموش إلهك تمتلك، وجميع الذين طردهم الرب إلينا من إمامنا، فأياهم تمتلك »^(٥)، وهكذا يعترف كاتب نص التوراة هذا بأن « كيموش » (Chemosh) كان سيّدا في بلاده دون منازع، وأن غضبه إنما كان سببا في الهزيمة التي لحقت بها شعبه بملوك إسرائيل ويهوذا في منطقة الموابيين^(٦).

هذا فضلا عن أن هناك ما يشير إلى أن العبرانيين إنما قد آمنوا بهذه الآلهة الأجنبية وعبدوها، وهكذا رأينا الإسرائيليين يتعبدون لقوى الطبيعة كالشمس والقمر والكواكب والأشجار والأحجار، فضلا عن الآلهة ذوى الإختصاصات، ولبثوا على ذلك دهورا قبل أن يتجهوا صوب الإله الواحد.

وكان من أسماء آلهتهم القدامى « إيل »، ومن ثم فإن يعقوب إنما قد أقام

(١) عصام الدين حفي ناصف: المرجع السابق ص ٩٨

(٢) خروج ٢٠ : ٣ (٣) يشوع ٢٤ : ١٤

(٤) خروج ٢٠ : ١ (٥) قضاة ١١ : ٢٤

(٦) ملوك ثان ٣ : ٢٧

هناك مذبحا ، ودعاه إيل إله إسرائيل ، (١) ، كما عبدوا « أنات » ملكة
السموات ، وهي إلهة سامية قديمة (٢) ، هذا إلى جانب عبادة « أشيا » إله
النار والأوبئة عند البابليين ، وقد كان يهوه أيضا إله النار ، وذلك ما جعله
يتراعى لموسى في شجيرة مشتعلة (٣) ، كما كان كذلك إله الأوبئة (٤) .

هذا ويعتقد بعض الباحثين أن « يهوه » هو « ملكوم » (مولك =
moleck) ، الذي كانوا يحرقون أطفالهم تضحية له (٥) ، والذي بنى له سليمان
- كما تقول التوراة - « مرتفعة » يعبدونه فيها « حيث بنى سليمان مرتفعة لسكوش
رجس المؤابيين ، على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بنى عمون (٦) » ،
و « مولك » ، على أى حال ، معناها « ملك » ، وكان « ملك » من ألقاب يهوه
المعروفة ، هذا إلى جانب أن كلا من « يهوه » و « مولك » قد عبد في صورة العجل .

وأيا ما كان الأمر ، فلقد كان « يهوه » أول أمره إله من آلهة الطبيعة ،
كان إله الجبال ، ثم أصبح إله قبليا مقاتلا ، لأن رجال القبيلة التي عبدته كانوا
مقاتلين مظفرين ذوى شوكة وبأس ، وظل هذا شأنه حتى السبي البابلي ، في القرن
السادس قبل الميلاد ، ثم شملته حركة الترقيات ، فأصبح عميدا للآلهة في فلسطين ،
على مثال « ريدوخ » في بابا ، و « زيبوس » في اليونان ، ولهذا نرى سفرى
التثنية ويشوع يصوران « يهوه » في صورة الطاغية الذي يهيمن على سائر

(١) تكوين ٢٣ : ٢٠ (٢) إرميا ٤٤ : ١٧

(٢) خروج ٣ : ٢ (٤) حبقوق ٣ : ٥

(٥) عصام الدين حنفى ناصف : المرجع السابق ص ٩٥

(٦) ملوك أول ١١ : ٧

الآلهة (١)، إله الآلهة الرب ، إله الآلهة الرب ، هو يعلم، (٢).

هذا وقد اعتبرت عبادة الآلهة الأجنبية - أو الغريبة كما كانوا يسمونها - ذات صفة شرعية في داخل حدود مناطقها ، وما زالت وجهة النظر التي تضع الرب الشرعي في تعارض حاد مع الآلهة المزيفة غير مفهومة ، وبالتالي فقد كانت علاقة إسرائيل بالأجانب في هذه الفترة غير ثابتة كذلك ، وهكذا نرى « إيليا ، النبي ، وبطل يهوه الحاد الطبع ، يعيش في منطقة الفينيقية ، وبالذات في أحد منازل عبادة « بعل » ، حيث بقي هناك في صرفه (٣) ، عالة على إحدى الأرامل هناك ، طوال فترة المجاعة التي كتب على المنطقة أن تعيشها (٤) ، هذا إلى جانب أن الإسرائيليين لم يرددوا في الزواج من أراميات ومؤايبات ومصريات ، وفي نفس الوقت إنما كانوا في دهشة غريبة لرفض المصريين مشاركتهم في الطعام (٥) .

(١) عصام الدين حنفي ناصف : المرجع السابق ص ٩٥

(٢) يشوع ٢٢ : ٢٢

(٣) صرفقة : مدينة فيليقية تسمى الآن « صرفند » ، وهي ضيعة قائمة على تل قرب البحر الأبيض المتوسط ، وعلى مبعدة « ميللا شمالى صور ، ٨ أميال جنوبي صيدا ، وأما المدينة القديمة فكانت عند البحر وعلى شواطئه وتمتد خرائطها ميلا أو يزيد (قاموس الكتاب المقدس ٥٤١ / ٢) .

() ملوك أول ١٧ : ٨ - ٢٤

(٥) حدث هذا عندما أقام يوسف الصديق - وهو وزير مصر - فخصصت مائدة ليوسف ، وأخرى لأهله ، وثالثه لضيوفه المصريين ، تقول التوراة : « وقال : قدموا الطعام ، فقدموا الطعام ، فقدموا له وحده ، ولهم وحدهم ، والمصريين الآكلين عنده وحدهم ، لأن المصريين لا يقدر أن يأكلوا طعاما مع المصريين ، لأنه رجس عند المصريين » (تكوين ٤٢ : ٣١ - ٣٢) .

هذا وقد كان من العادات المألوفة في الشرق القديم استشارة الوحي الأجنبي ،
وقد أرسل الفرعون « أمنحتب الثالث » (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق.م) في طلب تمثال
« عشتار نينوى » (Ishtar of Nineveh) لمساعدته على الشفاء من أمراض
ألمت به في أخريات أيامه (١) ، كما أن ابنة ملك الحيثيين قد شفيت من مس أم
بها بناء على تدخل من الإله المصري « خونسو » ، بعد أن أرسلت لها صورة لهذا
الإله (٢) ، وقد آمن المؤابيون والآراميون بكلمة « رجال الله »
الإسرائيليين (٣) .

ولم يكن الأمر مختلفا بالنسبة إلى بني إسرائيل فقد كان شعب « يهو » ،
فخورا بركة « بلعام » ، وهو متبني أجنبي مشهور من قرية « فتور » ، فيما بين
الهرين ، وطبقا لرواية التوراة ، فإن « بالاق » ، ملك مؤاب قد استعان بلعام ضد
شيوخ بني إسرائيل لإبان خروجهم من مصر ، ليبتل دعواهم باسم النبوة ،
ويدهض أقوالهم بأقوال من قبيلها ، فجاء بلعام ورفض طلب « بالاق » ، بل
وحكم بتفضيل عبادة يهو على عبادة إله المؤابيين ، وبارك الإسرائيليين (٤) .

وتروى التقاليد الإسرائيلية القديمة ، الكثير عن الثقة في الشكهن الذي كثيرا
ما كان يديه الكهنة الفاسطليوني ورجال الرب (٥) ، وكان « أخزيا » (حوالى
٨٤٣ ق. م) ملك إسرائيل كثير ما يرسل لاستشارة « بعل زبوب » إله

(١) S. A. B. Mercer, the tell el Amarna tablets, 1939 I, no.23

(٢) A. Moret et G. Davy, Des Clans aux Empires, Paris, (٢)

1923, P.384

(٣) قضاة ١ : ٢٠ ، ملوك ثان ٨ ، ٥ : ٧ - ١٥

(٤) عدد ٢٢ : ١ - ٢٤ : ٢٥

(٥) صموئيل أول ٦ : ٢ - ٩ .

« عقرون » (١) الفلسطينى ، ومن ثم فقد كان من حق « إيليا » أن يلزمه كثيرا على هذه الخطوة ، أكثر من لومه إياه بسبب خرافة استشارة مبيود لا يرد عليه ، ونقض احترام إله بلاده ، وهكذا نقرأ فى التوراة : « وسقط أخزيا من السكوة التى فى غلينة التى فى السامرة فرض ، وأرسل رسلا وقال لهم : اذهبوا أسألوا بعل زبوب إله عقرون ، إن كنت أبرأ من هذا المرض ، فقال ملاك الرب لإيليا النشيبى : قم اصعد للقاء رسل ملك السامرة (٢) ، وقل لهم : أليس لأنه لا يوجد فى إسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عقرون ، ولذلك هكذا قال الرب : إن السرير الذى صنعت عليه لا تنزل عنه ، بل موتا تموت (٣) ... »

(١) عقرون : هى أقصى مدن الفلسطينيين الخمس من ناحية الشمال ، وربما كانت « عافر » الحالية ، وهى قرية بسيطة تقع إلى الجنوب من « يافا » بانى عشر ميلا .

(٢) السامرة : وهى سبسطية الحالية على بعد ستة أميال إلى الشمال الغربى من شكيم ، وقد بناها ملك إسرائيل « عمري » (٨٧٦ - ٨٦٩ ق.م) ، وسماها « السامرة » نسبة إلى « شامر » صاحب التل القديم الذى اشتراه منه وأقام عليه المدينة ، وإن كان هناك من يرى أن الاسم يعنى « مركز المراقبة » أو « جبل المراقبة والحراسة » ، وقد قامت عدة هينات عليه بحفريات فى السامرة ، لعل أهمها ما كان فى أعوام ٨ / ١٩ ٠ / ١٩ ، ١٩٣١ / ١٩٣٣ ، ١٩٣٥ (ملوك ١٦ : ٢٣ - ٢٤ ، قاموس الكتاب المقدس ١ / ٤٤٨ - ٤٤٩ ، جون إلدر : الأحجار تتكلم ص ٨٦ ، وكذا W. F. Albright, BASOR, 150, 1958, p.21-25 وكذا J. Finegan, op-cit, p. 185 وكذا A. Lods, op-cit, p. 378 وكذا W. Keller, The Bible As History, 1967, p. 227

(٣) ملوك ثان ١ : ١ - ٤

هذا وقد شاركت إسرائيل الشعوب وقت ذاك في الاعتقاد بوجود قوى خارقة ، فضلا عن أرواح وكائنات وآلهة ، لما القدرة على أن تهب الإنسان قدرا من سلطتها أو عليها الحارق ، وقد وقر في نفوس الإسرائيليين في تلك الفترة أن النبوة الإسرائيلية لا تتميز عن غيرها من النبوات الأخرى ، في أنها هي الصحيحة وغيرها الزائف ، أو أنها النبوة الصدوق وغيرها الكذوب ، ولكنها تمتاز بأن « يهوه » في هذه النبوة ، إنما هو الرب الوحيد الملهم ، والإله الذي تستشيريه إسرائيل ، بينما تعتمد النبوات الأخرى في الكشف والإيجاء على كل أنواع الآلهة المختلفة (١) .

هذا فضلا عن أنه على الرغم من اعتقاد الإسرائيليين بوجود اختلاف جوهرى بين طبيعة « يهوه » وبين الآلهة الأخرى الأجنبية ، فقد كان القوم يعتقدون أن ربهم يهوه إنما هو أقوى بكثير في قوته من آلهة جيرانهم ، وكانوا يفخرون بقصة النذل الذي نزل بالإله « داجون » الفلسطينى رمعبده ، بعد أن استولى الفلسطينيون على تابوت العهد (٢) .

وهكذا فقد رأينا الواحد من بنى إسرائيل ، إنما يعزى كل ما يحدث له من خير أو شر - حتى في بلاد الغربية - إلى حماية يهوه أو نقمته (٣) ، لأنه إنما كان يرى « يهوه » على نمط الملك القوى ، الذى كان يقادر على أن يسبغ حمايته على

(١) A. Lods, op-cit, p. 455. (٢) صموئيل أول : لإصحاح ٥ ، ٤

(٣) أنظر تكوين ١٢ : ١٧ ، ٢٠ : ٣ - ٧ ، ٢٤ : ٢٧ ، ٢٧ : ١٢ ، ٢٧ : ٤٠ ،

٢٦ : ١٢ - ١٣ ، ٢٨ : ١٥ ، ٢٩ : ٣١ ، ٣٠ : ٢٢ - ٢٤ ، ٢٧ : ٣٠ ، ٣١ : ٣١ ،

٣ - ٧ ، ٤١ : ١٦ ، ٤٢ : ٥١ ، ٤٣ : ٢١ ، ٤٤ : ١٦ ، ٤٥ : ٧ - ٩ ، ٤٦ : ٤ ،

خروج ٣ : ٧ - ٨ ، ملوك أول ١٧ : ٢٠ - ٢ ، ملوك ثان ٥ : ١٧

رعاياه ، حتى فيما وراء حدوده، وإن اضطر إلى نشر الخراب والدمار في أراضى أولئك الذين يضطهدون رعاياه ، ومع أن هذه المعتقدات إنما كانت تحمل في طبيعتها عقائد قدامى الإسرائيليين في تعدد الآلهة ، إلا أنها مهدت الطريق إلى وجهة نظر أسس من سلطة الرب القومى ، وكان الرجل الورع الإسرائيلى إنما يحس دائماً بشعور متزايد نحو الاعتماد المستمر على «يهوه» حيثما يكون ، ورغم ما كان لديه من تعدد العبادات في أفكاره وشعوره وطقوسه الدينية إلا أنها كانت في أغلبها تميل أحياناً إلى التوحيد (١) .

(٥) عقائد يهوه :-

اشتقت بعض المظاهر في عقائد يهوه ، منذ الأزمنة القديمة السابقة لـ مصر موسى ، عليه السلام ، حينما اتحد رب سيناء مع ظواهر الطبيعة ، مثل البرق والعواصف والزلازل والنار ، وربما كان السبب أن الجبل المقدس كان بركانياً ، وتذهب الرواية التوراتية إلى أن يهوه قد ظهر للإسرائيليين قبل البركان على هيئة عمود من النار ليلاً ، وعمود من السحاب نهاراً (٢) .

وقد أبان نفسه لأبراهيم كشعلة متوهجة ، وكصباح نار (٣) ، وقد أمثلاً معبد أورشليم بالدخان عندما أحضر إليه «تابوت العهد» (The Ark Covenant) إلى د'خه على أيام سليمان (٤) ، وعندما استقبل «إشعيا» الرؤيا التي أعلنت

(١) أنظر ملوك أول ١٨ : ٢٩ ، ملوك ثان ٥ : ٥١

(٢) A. Lods, op-cit, p. 179, 456

(٣) تكوين ١٥ : ٧ (٤) ملوك أول ٨ : ١٠ - ١١

فيها نبوته واهتزت أساسات العتب من صوت الصاروخ، وامتلا البيت دخاناً (١)، وكان الرعد هو صوت يهوه (٢) ، وقد وصف الشعراء موكب يهوه تكنتفه السحب السوداء ، وقد أفرغ حولته من البرد ، وبقايا النار من جمر (٣) .

وقد ظهر إله سيناء لموسى « لهيب نار في وسط عليقة تموقد ناراً » (٤) ، وكان يهد يهوه ناراً إلهية ذات إشراقة مذهلة في قترات ، من سحابة العاصفة التي تخفيه (٥) ، وأحياناً يبدو وكأن النار تحيط به (٦) ، وأحياناً تبسود النار، وكأنها تكون جسد الرب ، وتظهر العريبات الحربية والخيول الخاصة بالرب ، وكأنها من النار كذلك (٧) .

هذا وقد استبدلت طبيعة عقيدة يهوه - بمرور الزمن - بعقيدة وثنية ، كان من نتائجها تمثيل الرب بما يشبه الإنسان، وهكذا كان يهوه - في نظر الإسرائيليين - ذا أفكار وعواطف ومشاعر ، كالتى لدى الإنسان ، ومن ثم فمن الممكن إذن ، أن يشور ، وأن يهدأ ، وأن يفرح ، وأن يحزن ، وبهذا يكون يهوه في جوهره روحاً، وهكذا مضى الإسرائيليين في تحديد الرب بالنسبة للإنسان، فنسب إليه الأعضاء الجسدية ، فجعل لربه يهوه عينين وأذنين وفم وأنف ويدين ، فضلاً عن قلب

(١) إشعياء ٦ : ٤

(٢) أنظر : عاموس ١ : ٢ ، مزمور ٢٩ : ٣ - ٩

(٣) أنظر : قضاة ٥ : ٤ - ٥ ، مزمور ١٨ : ٨ - ١٥ ، ٦٨ : ٨ - ١٠ ،

إشعياء ٢٩ : ١ ، حزقيال ١ (٤) خروج ٢ : ٢

(٥) أنظر : ملوك أول ٨ : ١١ ، إشعياء ٦ : ٢ - ٤ ، ثم قارن : خروج

(٦) أنظر : خروج ٣٤ - ٢٩ - ٢٥

١٥ : ١٠ ، ٢٤ : ١٥ - ١٧

(٧) ملوك ثان ١٢ : ١١ ، ١٦ : ١٧

وأمعاء ، ونفس عميق أو قصير (١) .

وهكذا وصف « يهوه » بأنه مشاكل للإنسان في شكله وعواطفه ، وأسلوب معاشه ، فهو يسكن في « بيت » ، « حيثئذ تكلم سليمان ، قال الرب إنه في الضباب ، لأنى قد بنيت لك بيت سكنى مكانا لسكنائك إلى الأبد » (٢) ، وهو يفرض على طابديه فرائض من حيوانات « صحيحة لا عيب فيها » (٣) ، ويطلب إليهم اتخافه بالبواكير من ثمار الموسم ، ويسلط السباع الضارية ، والحيات اللواذع ، والأوبئة الفتاكة ، على من يعصيه ويخالف عن أمره ، وله مثل ما لنا من جوارج (٤) ، « ثم أعطى موسى عند فراقه من الكلام معه في جبل سيناء ، لوحى الشهادة ، لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله » (٥) ، وله حواس كحواسنا ، ومن ذلك أنه شم ريح القتر مما شواه له نوح من اللحم ، بعد مارست به سفينته على البر ، عند انحسار الطوفان ، « وأخذ نوح من كل البهائم الطاهرة ، ومن كل الطيور الطاهرة ، وأصعد محرقات على المذبح ، فنسم الرب رائحة الرضا » (٦) وقد وصف « يهوه » بأنه تنفبه انفعالات كأنفعالاتنا ، فهو يستشيط غضبا ، ثم يسكن غضبه ، فيمسك عن الاسترسال فيه « فحمى غضب الرب على موسى » (٧) ، و« بسط الملك يده على أورشليم ليهلكها ، فقدم الرب عن الشر ، وقال لللاك المهلك الشعب كفى ، الآن ود يدك » (٨) ، وهو ينفار من لآلة

(١) و. ج. بورج : المرجع السابق ص ٦٧ ، وكذا :

(٢) ملوك أول ٨ : ١٢ - ١٣ A. Lods, op-cit, p. 457

(٣) عدد ١٩ : ٢٠

(٤) عصام الدين حقي فاصف : المرجع السابق ص ١٠٤ - ١٠٦

(٥) خروج ٣١ : ١٨ (٦) تكوين ٨ : ٢٠ - ٢١

(٧) خروج ٤ : ١٤ (٨) صموئيل ثان ٢٤ : ١٦

الآخرين « فإنك لا تسجد لإله آخر، لأن الرب اسمه غيور، إله غيور هو» (١) .
وينار رب يهود من مخلوقاته، فقد طرد آدم من جنة عدن، لأنه هدى النجدين
وميز بين السيلين، سبيل الخير، وسبيل الشر، عندما أكل من ثمار شجرة معرفة
الخير والشر، وكانت المعرفة بها حتى ذلك العهد، مما انفرد به الآلهة، دون
البشر (٢)، « وقال الرب الإله : هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارفا
الخير والشر » (٣) .

وهكذا جعل بنو إسرائيل ربهم « يهوه » صورة منهم، وقد رسم الكهنة
هذه الصورة بمداد من الدم، فإذا هو إله راعب يلتذ الأئين والتهندات، يظل
الإنسان ما ماش، يرتجف بين يديه من الملاح، غير السمع والطاعة فليس له،
ولقد عزوا إلى هذا الإله أقوالا من بنات أفكارهم، ونحلوه أعمالا من تلفيق
مخيلاتهم، ووصفوه بأنه وحش مفترس (٤) « فإني أنا أقرس، وأمضى آخذ،
ولا منقذ » (٥)، « أصدتهم كدبة مشكل وأشق شغاف قلبهم، وآكلهم هناك
كلبوة، يمزقهم وحش البرية » (٦) .

وقد وصف « يهوه » بأنه غشاش مخادع، « فقلت آه : ياسيدي الرب، حقا
إنك خداعا، خادعت هذا الشعب وأورشليم، قائلا: يكون لكم سلام، وقد

(١) خروج ٣٤ : ١٤

(٢) عصام الدين حنفي ناصف : المرجع السابق ص ١٠٦

(٣) تكوين ٣ : ٢٢

(٤) عصام الدين حنفي ناصف : المرجع السابق ص ١٠٧

(٦) هوشع ١٣ : ٨

(٥) هوشع ٥ : ١٤

بلغ السيف النسر ، (١) ، وبأنه ولوع بالخنزير (٢) ، وبأنه أكل منوم (٣) .
وليست هذه مجرد تشبيهات - في نظر الإسرائيل - إذ أنه استطاع ، دون
شك ، أن يؤكد - بالمقارنة بين الإنسان والحيوان - أن الرب روح ، وليس
جسداً (٤) ، غير أنه لم يستطيع أن يفهم عن طريق الروح - المبدأ غير المادي ،
ذلك لأن معظم الشعوب الوثنية كانت الروح بالنسبة إليها مادة خفيفة كالغمامة ،
وكالسائل الأثيري ، ومع ذلك فإنها مادة ، لأنها يمكن أن تصب كالسائل (٥) .

هذا وقد أخذ يهود جزءاً من الروح التي كانت في موسى ، ووزعها على
السبعين شيخاً ، فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ، (٦) ، وقد طالب النبي «اليشع»
بنصيب مضاعف - نصيب الابن البكر - من روح النبي «إيليا» ، مفترضاً أن
إيليا يستطيع أن يقسم ما لديه من هذه الروح ، كما لو كانت ميراثاً (٧) .

واعتقد الإسرائيلي أن روح الإنسان غير ملبوسة ، وربما ينصب له فسوخ
فتصاب وتقتل ، كما أنه لم يستطيع أن يعتقد أن ربه يهود خفي بطبيعته ، ولم
يكن بقادر على أن يقول «لا يستطيع الإنسان أن يرى الرب» (٨) ، وإنما كان

(١) إرميا ٢٠ : ٧

(٢) قضاة ٩ : ١٢ - ١٣

(٣) تكوين ١٨ : ٨

(٤) تكوين ٦ : ٦

(٥) إشعياء ٢٩ : ١٠

(٦) عدد ١١ : ١٧ ، ٢٥

(٧) ملوك ثان ٢ : ٩

(٨) لعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن القرآن الكريم إنما يحدثنا أن
بنى إسرائيل لم تقو عقولهم في مبدأ الأمر ، على فهم الذات العلية الفهم الصحيح ،
وظنوا أنه من الممكن رؤيتها ، بل علقوا لإيمانهم بموسى ورسالاته دلي رؤيتهم
لله تعالى ، وفي هذا يقول القرآن الكريم : «وإذ قلتم يا موسى إن نؤمن لك حتى =

يقول « لا يستطيع إنسان أن يرى الرب ويعيش » ، وهذا يعني أن الشخص الذي يرى كائنات ربانية إنما يجب أن يموت ، وبدهي أن الرؤيا بالنسبة للذهن البدائي إنما تعني نفس الإتصال الجسدي (١) ،

وكان الإسرائيليون يؤمنون أن ربهم « يهوه » ، فهو روح من نوع أثيري (جسد غير ملموس) ، أو هو قادر على الظهور في أشكال متنوعة ، كما أنه قادر على الظهور على شكل نار أو حيوان ، وبصفة خاصة على هيئة « عجل » ، ومن هنا كان تصوير إسرائيل لربها في شكل عجل ، أي تصوير « العجل الذهبي » ، في معابد « دان » ، و « بيت إيل » ، ومن هنا جاء لقب « عجل يعقوب » ، (٢) أو « عجل إسرائيل » ، (٣) ، وهناك نصان ينسبان إلى يهوه قرون الجاموسة ، ويفسر الاسم الشخصي « Egel yahu » - والذي جاء على أوستراكا من السامرة ، ترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد - « يهوه عجل صغير » (Jahweh is a young Bull) ، ولم يكن العجل في أي مكان تصويراً ليهوه ، ولكنه إنما كان الحيوان المقدس لرب إسرائيل ، ومن ثم فقد ظهر في زخارف المعبد ، كما ظهر كذلك في نختم « Shema yahu » (٤) .

« نرى الله جهرة ، فأخذتكم الساعة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (سورة البقرة : آية ٥٥ ، ٥٦) »

(١) تكوين ١ : ٢٦ ، عدد ٢٣ : ٤١ ، ٢٣ : ٩ ، ٢٤ : ٢

(٢) أنظر : تكوين ٤٩ : ٢٤ ، إشعياء ٤٩ : ٢٦ ، ٦٠ : ١٦ ، مزمو

١٣٢ : ٢ ، ٥ (مع ملاحظة أن الترجمات العربية قد استخدمت جملة « عزيز

يعقوب » ، وليس عجل يعقوب ، رغم أنها لا تتفق مع المعنى ، ولا تصاير النص ،

ثم أنظر : A. Lods, op—cit, p. 458)

(٣) إشعياء ١ : ٢٤

(٤) ملوك أول ٧ : ٢٥ ، ٢٩ ، ٤٤ وكذا :

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن القرون ، إنما كانت عند البابليين
تنسب إلى الكائنات الإلهية ، وكان العجل بوجه خاص مقدسا عند الإله « حدد »
(Adad) و « مردوخ » (مردوك = marduk) (١) ، وليس هناك من شك
في أن طقوس « حدد » - كإله عاصفة - قد استعارها الإسرائيليون لربهم
يهوه (٢) .

ولكن من المعتاد أن يهوه إنما كانت تقدمه التقاليد كإنسان ، ومن ثم فهو
يتزه في جنات عدن عند هبوب النسيم ، أو يلتصق بسفينة نوح ، أو يهبط من
عليائه ليشاهد مدينة بابل ، أو ليوقف بناء البرج ، أو يتقبل ضيافة إبراهيم
وجدهون ، أو يسمح لموسى أو إيليا برؤية ظهره ، وطبقا لهذا ، فن الواضح أن
يهوه هو المصور على خاتم ابن « جد الياهو » ، و... ويجلس على عرش عمام
بأشجار النخيل في قارب مزين برؤوس من طير (٣) .

هذا ويصور « يهوه » أحيانا على شكل « قرص مجذج » (٤) ، ونقرأ في
التوراة : « لكم أيها المتقون اسمي ، تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها » (٥) .

A. Lods, op-cit, p. 458-459

=

I. Benzinger, HA, III, 1927, p. 228, fig. 265

وكذا

H. Vincent, Canaan d'apres L'EXploration Recent, Paris, (١)
1914, P. 164, 170, fig. 107, 114, 116

A. Lods, op-cit, p. 459 (٢)

A. Lods, op-cit, p. 459 (٣)

(٤) قارن : I. Benzinger, HA, III, 1927, p. 229

(٥) ملاخي ٤ : ٢

ولعل هذا من تأمير الديانة المصرية في اليهودية ، ذلك أن العدالة كانت ممثلة في شخص الإله ماعت ، التي كان يعتقد المصريون أنها بنت إله الشمس ، وبما أن شمس العدالة (أو البر) العبرانية وصفت بأن لها أجنحة ، فلا يمكن أن يكون المراد بذلك سوى الإشارة إلى إله الشمس ذي الأجنحة ، لأنه لم يكن يوجد بين جميع التصورات العبرانية القديمة جدا للإله يهوه صورة تمثله بأجنحة (١) .

(٦) نشاط يهوه لمصلحة شعبه إسرائيل :-

لعل من أهم نقاط الضعف في دين يهوه ، ذلك الاعتقاد السائد بين يهود ، بأن الفرض الإلهي إنما يتركز في شعب واحد ، اختير من بين شعوب الأرض جميعاً ، ليكون مستودع عطف يهوه الخاص ، وإن كل مجرى الطبيعة وتاريخ البشر ، يدور بإرادة يهوه حول حياة ومصير العبرانيين (٢) .

وهكذا لم تكن خلاصة الأفكار عن ماهية يهود أكثر من أهمية ثانوية في دينهم ، وإنما كان وضع الإهتمام بالنسبة لعباد يهود مدى أهمية الرب بالنسبة لإسرائيل ، ومع ذلك فلا بد أن معظم العبرانيين القدامى قد تأمروا بأفكار فوق إدراكهم عن إرادة ربهم « يهوه » ، ولكنهم في كل الأحداث إنما كانوا على اقتناع تام بأن إرادة يهوه إنما هي موجبة تماماً لمصلحة شعب إسرائيل .

هذا ولم يشغل الإسرائيليين أنفسهم بالتعنى فيما يتعلق بطبيعة العلاقة التي ربطت بين يهوه وإسرائيل ، وتفترض الأوصاف المتعلقة بالعصر الموسوي إرجاع أصل هذه الرابطة إلى الميثاق الذي عقد في عصر الخروج من مصر ، بينما وجد المؤرخ

(١) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N.Y, 1939, p.306

(٢) و. ج. دي بورج : المرجع السابق ص ١٠١

اليهودى أصلها في العلاقة المغرقة في القدم ، والتي ترجع إلى الجيسل الثالث من البشر ، إلى أنوش بن شيث بن آدم ، - أبى البشر - وإن كانت الحقيقة المؤكدة أن يوه إنما هو مرتبط بشعبه إسرائيل (١) .

وعلى أى حال ، فإن علاقة يوه بشعبه ، إنما تشبه علاقة شيخ بقبيلة ، وملك بأمة يحكمها ، وهى علاقة يعبر عنها بالكلمة العبرية (Eshed) ، وهى تقرب فى معناها من الكلمة اللاتينية (Pietas) ، والتي ترجمت فى الكتاب المقدس العربى إلى كلمة لطف ، أو إحسان ، إلى غير ذلك مما يدخل فى هذا المعنى (٢) .

وتظهر عناية يوه بشعبه بوضوح فى الظروف التى كان لإسرائيل فيها دور كأمة ، وكانت دائما تأخذ شكل التدخل الشخصى ، والتفكير فى أكثر الأساليب حيوية ومنفعة لإسرائيل (٣) ، وكانت الحروب أكثر الأمثلة وضوحا على ذلك ، حتى أطلق على صراعات إسرائيل الدينية اسم «حروب يوه» ، وكان المحاربون الإسرائيليون يدهون معاوتوا الرب (٤) ، وكان يوه يحضر هذه الحروب فى وسط الجيش (٥) ، أو متخفيا ، أو على هيئة مادية كالتابوت أو الإفود .

ولعل ما حدث فى عصر القضاة على أيام داود ، الكاهن يظهر ذلك بوضوح ، ذلك أن الإسرائيليين فى موقعة «أفيق» (ومكلمها الآن تل المنخر الحديثة ، قرب رأس العين ، على مبهدة ١٥ كيلو مترا إلى الشرق من حيفا) ، قد بدأ لهم عليهم أن النصر ضد عدوهم الفلسطينيين لن يتحقق إلا عن طريق عون

(١) تكوين ٤ : ٢٥ - ٢٦ ، وكذا A. Lods, op-cit, p. 461

(٢) تكوين ٢٤ : ٢٧ ، صموئيل ثان ٢ : ٦

(٣) A Lods, op-cit, p. 461-462

(٤) قضاة ٥ : ٢٣ (٥) تثنية ٢٣ : ١٤

خارق للعادة، ومن هنا فقد أحضروا معهم « تابوت العهد من «شيلوه»، ليضمنوا وجود ربهم بينهم (١)، تقول التوراة: « فأرسل الشعب إلى شيلوه (٢)، وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود، الجالس على الكروبيم (٣)، وكان هناك أبناء طال، حفي وفينحاس، مع تابوت عهد الله، وكان عند دخول تابوت

(١) Cecil Roth, A Short History of the Jewish People, London, 1969, p. 14

(٢) شيلوه: تقع شمال « بيت إيل »، بتسعة أميال، في منتصف المسافة بين بيتين وشكيم، ويرجع أنها هي المصاه الآن « سيلون »، على بعدة ١٧ ميلا شمال أورشليم (قاموس الكتاب المقدس ١/٥٣٥، وكذا (m. F. nager, op-cit, p. 1015

(٣) الكروبيم: (Kerubim) جمع مفردة « كروب » (Kerub) وهي أصلا، وبلاشك، سحابة عاصفة كان يمتطيا يهوه، وقد صورت كسكائن مجنح، وعلاقة الكروبيم بالعاصفة ربما كانت أوضح في سفر حرقياال، كما أن الشكل الطبيعي ربما كان من أصل عبري قديم، هذا وقد كان الكروبيم حارسا على الأشياء المقدسة وعلى شجرة الحياة وعلى التابوت في معبد أورشليم.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الكروبيم ملائكة، بينما يرى آخرون أنهم مخلوقات، لا هم لا يقومون بعمل الملائكة من حمل رسالة الله، وإنما يقومون بأعمال أخرى، منها: أنها تظل تابوت العهد بتمثالين لها، ومنها أنها تزين بصورها ستائر الخيمة التي كان موسى يتخذها هيكلًا، وأنها تفصل بين التابوت وقدس الأقداس، ومنها أنها تحمل الرب أو عرشه، ومنها أنها تزين بصورها المحفورة هيكل أورشليم، ويذهب بعض الباحثين إلى أنها تشبه تماثيل أبي الهول المجنحة في مصر وفينيقيا، والثيران المجنحة في يابل وأشور، ومن ثم فقد ذهب البعض إلى

عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا متافا عظيما ، حتى ارتجت الأرض ،
فسمع الفلستينيون صوت الهتاف ... وعلوا أن تابوت الرب جاء إلى المحلة ،
فخاف الفلستينيون ، لأنهم قالوا قد جاء الله إلى المحلة ، وقالوا : ويل لنا ، لأنه
لم يكن هذا منذ أمس ولا ما قبله ، ويل لنا من يتقصدنا من يد هؤلاء الآلهة
الغادرين ، هؤلاء الآلهة الذين ضربوا مصر بجميع الضربات ، (١) .

(٧) عقيدة تقليد يسو ه :-

من البدهي أن الثقة في الرب الذي كان يتم بكل ما فيه صالح شعبه ، يجب
أن يكون مظهر سائدا في الدين القومي ، غير أن هذا الإحساس بالثقة إنما كان
مختلطا بشعور آخر ، هو الرهبة والمعجز في وجود الرب ، وعلى أي حال ، فلم
يكن هذا الشعور المختلط غريبا على الإسرائيليين ، فقد كان شائعا لدى الساميين

أنها بالتأكيد تأثير قادم من الكنعانيين الفينقيين ، وإن كان هذا لا يمنع من القول
بأن أشكالا المركبة من جسم أسد ورأس إنسان ، إنما هو تأثير مصري ، أكثر
من واضح (تسكوين ٢ : ٤ ، مزمور ١٨ : ١٠ - ١٢ ، ١٠٤ : ٣ ، حزقيال
١ : ١٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ١٠ : ٥ ، ١٢ ، قاموس الكتاب المقدس ٢ / ٧٧٩ ،
سبتيو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ص ١٤ ، ٢٨٦ - ٢٩٧ ، وكذا
A. Lods, op-cit, p. 459-460

وكذا T. K. Cheyne, EB, I, 1899, Col 741-743

وكذا W. F. Albright, op-cit, p. 148, 216

(O. Eissfeldt, CAH, II, Part, 2, 1975, p. 600-601)

(١) صموئيل أول ٤ : ٤ - ٨

جميعاً ، وقد عبروا عنه في كل فكرة قديمة خاصة بالتقديس (١) .

هذا وقد أطلق اصطلاح « مقدس » في التراث القديم ، وفي الأدب العبري
بعامه ، على كل شيء يتصل بالرب أو الآلهة ، ليشير إلى أن هذا الشيء ، أو
ذلك المكان ، إنما هو عاظم بهالة من القداسة لا يجوز ابتدائها ، كما أن الإتصال
بها ليس في كل الأحيان خير للإنسان ، رغم أن الإتصال بالأشياء المقدسة
- بطبيعة الحال - مرغوب فيه ، لأن العلاقة مع الرب قد تجلب للإنسان قوى ،
وربما حياة خارقة، للمادة (٢) .

وتروى التقاليد أن الإسرائيليين عندما استردوا تابوت العهد من بلاد
الفلسطينيين ، إنما قد مات سبعون (٣) إسرائيليًا ، لأنهم قد تجرأوا ونظروا إلى
ذلك التابوت المقدس ، أو وفقاً لتقاليد أكثر احتمالاً فإن الإسرائيليين لم يظهروا
فرحاً كبيراً بعودة التابوت (٤) ، وإن أهل بيت شمس ، قد صاحوا : « من
يقدر أن يقف أمام الرب ، الإله القدوس هذا ، وإلى من يصعد عنا » (٥) ،

A Lods, op-cit, p. 248-249, 265-266 (١)

F. J. Leonhardt, La Notion de Saintete dans L'Ancien Testament, paris, 1929, وكذا

A. Lods, op - cit, p. 465 (٢)

(٣) نص التوراة يرى أنهم ٥٠٧ رجلاً ، تقول التوراة : وضرب أهل بيت شمس ، لأنهم نظروا إلى تابوت الرب ، وضرب من الشعب خمسين ألف وسبعين رجلاً ، (صموئيل أول ٦ : ١٩) ثم انظر ما سبق أن ذكرناه هنا .
(ص ٢٩٨) عن الآراء المختلفة عن هذا الرقم .

(٤) A. dā, op - cit, P. 466 (٥) صموئيل أول ٦ : ٢٠

والكلمة المرادفة لمقدس ، إنما هي « رهبة » (١) وأحياناً « غيور » (٢) ، والمرادف
لكلمة تقديس ، « مجد » (٣) .

هذا ويتميز « يهوه » ، بأنه ليس فقط « رب الجنود » ، ولكنه قدوس
إسرائيل ، ، والebraيون شعب مقدس تخصص لخدمته ، وهكذا خاطبهم في
التوراة « واتخذكم لي شعباً ، وأكون لكم إلهاً (٤) ، و « أنتم تكونون لي مملكة
كهنة ، وأمة مقدسة » (٥) ، وأما كانت قداسة يهوه على التقبض من مجامعته
هو ، ونجاسة إسرائيل ، التي أوقعت على النبي (إشعياء) الخزي والفرح في
الرؤيا (٦) الرائمة التي دعت به إلى خدمة النبوة (٧) ، وتمثل شريعة القداسة - كما
في سفر عاموس في مطلب العدالة الاجتماعية ، وكما في سفر هوشع في مطلب
الإخلاص الشخصي - وخطيئة الشعب هي أنهم « ردلوا شريعة رب الجنود ،
واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل (٨) .

-
- (١) إشعياء ٨ : ١٣ (٢) يشوع ٢٤ : ١٩
(٣) إشعياء ٦ : ٣ (٤) خروج ٦ : ٧ (٥) خروج ١٩ : ٦
(٦) في هذه الرؤيا تصور التوراة الرب أو الله بصورة مادية صرفة ،
ولنقرأ هذا النص - كمثل - « في سنة وفاة عزيا الملك ، رأيت السيد (الرب)
جالسا على كرسي عال ومرتفع ، وأذياله تملأ الهيكل ، السرافيم واقفون فوقه ،
لكل واحد ستة أجنحة ، بائنين يغطي وجهه ، وبائنين يغطي رجله ، وبائنين
يغطي » (إشعياء ٦ : ١ - ٢)
(٧) أنظر : إشعياء ٦ : ١ - ١٣ .
(٨) و . ج . دي بورج : المرجع السابق ص ٧٨ .

(٨) غضب يهوه :-

كان الإسرائيليون أكثر الشعوب ميلا إلى أن يصفوا ربهم بالتجهم ، الذي يتفق مع شخصية يهوه كرب للمصافة ، وربما كذلك مع طبيعته البركانية المنحدرة إليه من سيناء ، ومن ثم فليس هناك تردد من ناحية الفكرة القائلة ، أن كل ما حل بالقوم من مصائب إنما كان سببا يهوه ، وخاصته تلك التي كانوا يصابون بها ، أو تحمل عليهم فجأة ، كالقحط وأسراب الجراد التي تسبب المجاعات ، فضلا عن الوباء والمهزيمة ، وعدم فهم المحكام ، وعدم الإستجابة لنبوءات الكهنة ، وروايات الأنبياء ،

وكان من الضروري أن تبحث إسرائيل أسباب غضب ربها يهوه ، حتى يمكن العمل على تهدئة غضبه ، وفي الواقع فإن إجابة إسرائيل عن أسباب غضب يهوه ، لها مغزى كبير ، لأنها تقدم لنا الكثير عن هذه العقيدة ، فيما يتصل بالربط بين الدين والإخلاق (١) .

وفي الواقع فإنه لا يوجد في اليهودية وعى بالتفرقة بين الواجب الديني والواجب الخلقى ، وكل عمل سواء أكان صادرا عن العرد أو المجتمع ، يقع في مجال المسئولية الخلقية ، وكذلك ينطوى على طاعة أو عصيان الأمر الإلهي ، لأن المجتمع (بيت إسرائيل) أيضا كان يتألف برابطة شخصية يهوه ، كشخص ذي جسد) واقعى ، يتميز بأنه ينزع إلى آداب السلوك ، عن وعى الجماعة الفريرى السابق للأخلاق ، وكوحدة قائمة بذاتها عن المجتمع المصطنع الذى هو

(١) A. Lods, op - cit, P. 466

نتاج تعاقب من جانب الأفراد الذين ينتظمون أعضاء فيه (١) .

ورقنا لما جاء في روايات الانبياء الإسرائيليين وحواريهم ، فيما بعد عصر السبي البابلي ، فإن غضب يهوه إنما كان بسبب ظلم الإنسان ، لأن الشعب أو الجبل أو الفرد الذي ارتكب الجريمة ، إنما قد حل عليه بالتأكيد غضب يهوه ، ومن ثم فيمكن الاستدلال على غضب الرب بتنفيذ العدالة .

واعتقد الإسرائيليون - كما اعتقدت الشعوب القديمة الأخرى - أن ربهم د يهوه ، ينتقم من الجرائم التي ترتكب بين الناس ، أو على الأرض التي تقع في دائرة اختصاصه ، ومن ثم فقد عاقب المذنبين ، كما كان حاميا للأرامل واليتامى والمقيمين الغرباء ، وموقفا عقابه الصارم على من يخرق العرق القومي ، كما أنه هو وحده القادر على أن يعفو عن بعض الذنوب (٢) .

ومن ناحية أخرى ، فإن غضب يهوه سوف يشتعل بوحشية لاحد لها ، إن كان الأمر يتعلق بإساءة شخصية تتصل بذاته ، ولا تصالح الكفارة في هذه الحالة ، ويعبر الكامن د عالي ، (من عصر القضاة) عن هذا الأمر ، لأحد أبنائه ، بقوله: د إذا أخطأ إنسان إلى إنسان يدينه الله ، فإن أخطأ إنسان إلى الرب فن يصل من أجله (٣) ، وكانت جريمة أبناء عالي أنهم أخذوا نصيبهم من القرابين المقررة لهم ككهنة ، فبطل أن يتلقى ربهم يهوه نصيبه (٤) ، وطبقا لرواية أخرى ، فإن جريمتهم أنهم قد أكلوا قبل الزوار الآخرين من الوجبة المقدسة (٥) ، ومن أجل

(١) و. ج. دي بورج : المرجع السابق ص ٧١

(١)

A. Lods, op - cit, p. 467

(٢) صموئيل أول ٢ : ٢٥ (٤) صموئيل أول ٢ : ١٥ - ١٦

(٥) صموئيل أول ٢ : ١٣ - ١٤

هذه الإساءة ، فقد سحقهم يهوه ، وحرّم المناصب الكهنوتية على « بيت عالي » ، إلى الأبد ، تقول التوراة - على لسان يهوه - « ولذلك أقسمت لبيت عالي ، أنه لا يكفر عن شر بيت عالي بذيبيحة ، أو بتقدمة ، إلى الأبد » (١) .

ولعل هذا الأمر ، إنما يظهر بوضوح مدى اهتمام يهوه بملاقة شعبه بشخصه ، وعدم عفوّه لآية جريمة ترتكب ضد ذاته الشخصية ، إذا ما علنا أن أبناء عالي قد فعلوا كل ذنء وقدر مع نساء إسرائيل ، ومع ذلك لم يكن عقابهما يتناسب مع عقاب جريرتهما ضد التمدي على مقدسات يهوه ، ذلك أن ولدى عالي - حفنى وفينحاس - لم يكتفيا بطمعهما الجشع ، بل كانا يرتكبان أقذر أنواع العبادة الوثنية وسط غابات وكروم شيلوه ، ذلك أن العلقوس الشهوانية اللسة ، إنما كانت تمارس في الأعياد الوثنية منذ القدم ، ولسكنها لم تكن تدنس الكهنة من نسل هارون ، غير أن الشابين إنما قد تسفلا جدا ، حتى أنهما - رغم أنهما كانا متزوجين - لم يترددا عن إفساد النسوة اللاتي كن يترددن على المبدد المقدس للقيام بالخدمات التي كانت تتطلب عملا يليق بالنساء (٢) .

وسمع « عالي » بكل ما فعله بنوه بجميع بنى إسرائيل ، وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في خيمة الإجتماع (٣) ، ولكنه بدلا من إعلان الغضب الشديد ، والتهديد العنيف ، اكتفى بهذا التوبيخ اللطيف ، « فقال : لماذا تعملون هذه الأمور ؟ لأنى أسمع أموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب ، لا يا بنى ، ليس حسنا الخبر الذى أسمع ، تعملون شعب الرب يتعدون » (٤) .

(١) صموئيل أول ٣ : ١٤

(٢) ف. ب. ماير : حياة صموئيل النبى - ترجمة القس مرقس داود -

القاهرة ١٩٦٧ ص ٢ ، ٣٥

(٤) صموئيل أول ٢ : ٢٢ - ٢٤

(٣) صموئيل أول ٢ : ٢٢

هذا وتقدم النصوص يهوه على أنه متعصب لشعبه إسرائيل ، حتى أنه لم يرد أى نص فى النصوص القديمة ما يشير - مجرد إشارة - إلى وقوف يهوه ضد إسرائيل فى شجارها مع الأمم الأخرى ، وقد نراه - فى بعض الأحيان - يوقع إسرائيل فى قبضة أهدائها ، لا لأن الأعداء هل حق ، وإنما لأن يهوه غاضب على شعبه ، وفى الواقع ، إن هذه إنما كانت سنة الشعوب القديمة ، فقد كان المؤايون - مثلاً - يفسرون الأحداث على نفس المنهج ، إذ يرون أن هزائمهم إنما ترجع إلى غضب ربهم « كيموش » كما يبدو ذلك من نص للملك « ميشع » على الحجر المؤابى (١) .

وطبقاً لروايات التوراة ، فإن « يهوه » إنما يتحيز لشعبه إسرائيل ، حتى وإن اضطر أن ينصحهم بخديعة الآخرين - كما فعل إبراهيم واسحاق (وحاشاهما أن يكون كما صورتها تورااة يهود) مع فرعون مصر ، وأمالك ملك جرار ، وكما فعل يعقوب مع أبيه ، عندما سرق أغنام عماله لابان (وحاشا لى الله أن يكون كذلك) ، وذلك لأن هؤلاء الآباء إنما كانوا يمثلون إسرائيل فى علاقاتها مع غيرها من الأمم الأخرى ، بل إن « يهوه » نفسه ، إنما قد أمر الإسرائيليين

(١) أنظر عن ترجمة النص : محمد بيومى مهران : إسرائيل - الكتاب الثانى - التاريخ - الإسكندرية ١٩٧٨ ص ٩١٩ - ٩٢١ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأذنى القديم ٣٩٧ - ٣٩٩ ، وكذا : W. F. Albright, ANET, p. 320-321 وكذا S. A. Cook, CAH, III, 1965, p. 372-373 وكذا J.B. Pritchard, ANEA, 1958, p. 209 F وكذا G.A. Cooke, The Text - Book of North-Semitic Inscriptions, OXford, 1903, p. 1-14

على أيام الخروج بسرقة المصريين وإفساد حياتهم (١) .

وهناك أمثلة مشابهة عند تنفيذ القانون في إسرائيل القديمة ، حيث نرى
دعوه ، ينزل صارم عقابه بالأطفال جزاء وفاقلا اقرت أيدي آبائهم من أنام (٢)
إذ كان الأطفال يقضون بدور البديل عن الآباء ، ذلك لأن ديهوه ، إنما يفقد
ذئوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع (٣) . و أن الآباء يأكلون
الخضرم ، والأبناء يضربون (٤) .

وهكذا كان يهوه يقتض من جميع أفراد الشعب من أجل جريمة فرد واحد، وعلى
الأخص إذا كان هذا الفرد ملكا (٥) ، وفي الواقع فلقد كان هذا الإجراء واحدا
من وسائل عدة ، استخدمها ديهوه ، للإنتقام من يرتكبون الجرائم ، وربما لجأ
يهوه إلى القصاص من كل أفراد المجتمع ، بغية أن يجبرهم على الإعلان عن الخطيئة
ومعاقبته (٦) ، ولعل كل هذا إنما يدل على أن العقاب الذي يتزله القضاة بالخطيئة ،
لم يكن لإصلاح خطأ وقع على من اعتدى عليه ، بقدر ما كان لرفع الشريعة عن الأمة
حتى لا تتعرض آخر الأمر لغضب يهوه (٧) .

هذا وقد كان القوم يعتقدون أن الطقوس الدينية قد تعبر عن شعور ديهوه

(١) تكوين ١٢ : ١٠ - ٢٠ ، ١٨ - ١٦ : ١ - ١١ ، ٢٧ :

١ - ٣٥ ، ٣٠ : ٢٥ - ٣١ : ٣١ ، خروج ٣ : ٢١ - ٢٢ :

(٢) عدد ١٦ : ٢٢ ، صموئيل ثان ١٢ : ١٢ - ٤ :

(٣) خروج ٢٠ : ٥ - (٤) حزقيال ١٨ : ١ :

(٥) صموئيل ثان : إصحاح ٢٤

(٦) يشوع ٧ - ٨ ، صموئيل أول ١٤ : ٢٧ - ٤٥ ، صموئيل ثان ٢١ : ١ - ١٤

A. Lods, op - cit, p. 468

(٧)

لمر المخطئين ، وربما تهدي من سورة غضبه ، وبخاصة عندما يشتم راحة القربان
كما يبدو ذلك واضحا من قصة الطوفان (١) ، ومع ذلك فقد كان ليهوه أمواره
الخاصة ، ، أتراف حل من أتراف ، وأرحم من أرحم (٢) .

ولم يقرر المصدر اليهودي لتوراة ، أن يهود كان لديه سببا لقبول قربان
، هايل ، ورفض قربان ، قايين ، (قاييل) (٣) ، مما يدل على أن يهود لم يكن في حاجة
لتقديم قسره عن أعماله ، وهكذا كان الإسرائيليون ، رغم أنهم كانوا يؤثرون
لائام يهود بالتحيز ، إلا أنهم إنما كانوا يتحنون في رهيبه وخشوع أمام
أباليه ، واضحة كانت أم ملتوية ، وربما قد أجسوا أن قوانين عبادة الرب ،
إنما تختلف عن تلك التي لبني الإنسان ، وهكذا لم يجد الإسرائيلي صبوية في فهم
نشاط الرب ، ذلك لأنه إنما قد آمن من كل قلبه ، بأن كل شيء ذو طبيعة خارقة
لعادة ، إنما هو من عمل الرب (٤) .

هذا وقد وفر في قلوب بني إسرائيل ، أن يهود عندما يقبل أن يعلم فردا
من أمته ، فإنه إنما يحمل وسائل ارتكابه الخطايا بسهولة ميسرة ، وهكذا فقد أرسل
روحاً شريراً لشهد رجال شكيم عند أبيالك (٥) ، ثم هو نفسه الذي « شدد قلب
فرعون ، فلم يطلق بني إسرائيل (٦) » ، وهو الذي شدد قلوب أبناء جالي الكاهن ،

(١) تكوين ٨ : ٢١ ، وأنظر : صموئيل أول ١٦ : ١٩ ، قضاة ٩ : ١٣

(٢) خروج ٢٣ : ١٩

(٣) قارن النص العربي الحالي : تكوين ٤ : ١ - ٢٦

(٤)

A. Lods, op-cit, p. 469

(٥) قضاة ٩ : ٢٣

(٦) خروج ١٠ : ٢٠

« فلم يسمعوا صوت أبيهم ، لأن الرب شاء أن يمتهم (١) ، وهو الذي جعل
« رحبعام بن سليمان ، يرفض بتعال أن يمنح رعاياه حقوقهم ، ويوافق على طلباتهم
العادلة ، لأن يهوه إنما أراد أن يفي بوعده ، وينفذ وعيده ، بانشقاق الوحدة
القومية لشعبه إسرائيل ، ويقسم ملكة سليمان بين ولده « رحبعام ، وعبيده
« يربعام ، ، حتى يقيم الرب كلامه الذي تكلم به عن يد أخيا الشيلوني (٢) .

وقد فعل « صدقيا ، (٥٩٧ - ٥٨٦ ق.م) ملك يهوذا ، الشر ، لأن يهوه
إنما كان يبعث عن أسباب للإطاحة بدولة يهوذا (٣) ، وعندما غضب يهوه على
إسرائيل ، فقد دفع « داود ، (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) القيام بتعداد عام للسكان ،
ومن ثم فقد كانت هذه الخطوة من جانب داود ، سببا في وقوع البلاد على
إسرائيل (٤) ، وبما له مغزى أن المحرر المتأخر لسفر أخبار الأيام الأول ، إنما
قد ذهب - عند إعادة صياغة هذا النص - إلى أن الشيطان - وليس الرب - هو
الذي أغوى داود ليقوم بإجراء إحصاء عام لإسرائيل (٥) .

وعلى الرغم من كل هذا ، فإن الإسرائيل القديم ، إنما كان متأثرا بإدراك
عام عند القوم ، مؤداه : أن يهوه إنما كان راغبا في سادة شعبه ، وإن اعترم
- بماله له من قداسة - أن يكون الحكم العدل بينهم ، وأن هناك إمكانية أن يخطيء
شخص ما دون قصد ، فيغضب يهوه ، ولكن هذا الشخص إنما يظل بريئا
ظاهرا (٦) .

(١) صموئيل أول ٢ : ٢٥

(٢) ملوك أول ١٣ : ١٥

(٣) صموئيل ثان ٢٤ : ١

(٤) ملوك ثان ٢٤ : ١٣ - ٢٠

(٥) أخبار أيام أول ٢١ : ١

A. Lods, op—cit, p. 470

(٦)

(٩) يهوه والتضحية البشرية :

عرفت بعض مجتمعات الشرق الأدنى القديم نظام الضحايا البشرية التي كانت تقدم على مذابح الآلهة ، وعند دفن الملوك ، وتدلتنا حفائر أور ، السومرية على قدم تلك العادة (١) ، كما تشير التوراة إلى أن السفروايميين ، إنما كانوا يحرقون بنبيهم بالنار ، كتقدمات لأهتهم الوثنية (٢) ، ولم يكن المصريون (٣) والسودانيون (٤) والسكنمانيون والفينيقيون (٥) والمؤابيون (٦) - وكذا سكان الجزيرة العربية (٧) - بمنأى عن هذه العادة الوحشية (٨) .

وفي القرن العشرين قبل الميلاد ، يبعث الله خليله إبراهيم نبيا ورسولا ،

(١) أنظر : عباس العقاد : المرجع السابق ص ١٧٢ ، وكذا :

Sir Leonard Woolley, Excavations at ur, London, 1963

Sir Leonard Woolley, ur, of the Chaldees, London, 1950 وكذا

(٢) ملوك ثامن ١٧ : ٣١

Walter B. Emery, Great Tombs of the First Dynasty, (٢)

II, London, 1954, p. 142—158

(٤) أحمد فخري : مصر الفرعونية - القاهرة ١٩٧١ ص ٢٣٠

(٥) ج. كونتنو : الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبيد الهادي شعيرة ،

ومراجعة طه حسين ص ١٤٥

(٦) ملوك ثامن ٢ : ٢٧ ، وكذا : S.A.Cook, GAH, III, 1965, p.372

G. Bibby, Looking for Dilmun, London, 1970, p.212 (٧)

K. Thorvildson, Kumal, 1962, p. 217—218 وكذا

(٨) أنظر : عن قصة التضحية البشرية بشيء من التفصيل : محمد بيومي

مهران : إسرائيل - الكتاب الأول - التاريخ - الإسكندرية ١٩٧٨ ص ١٦٢-١٧٤

ولما كان الانبياء هم الاسوة الحسنة التي يحتذى حذوها كافة الناس وخاصتهم ، فقد أراد الله - جلت قدرته - أن يجعل من خليفه قدوة حسنة ، ومثلاً أعلى لارفع صور الإيمان ، وأجلها في تاريخ الإنسانية ، وذلك حين تها لها أن تدنو إلى كمال ، ومن ثم فقد شامت إرادة الله تعالى لآبى الانبياء ، أن يحمل عبء الدعوة إلى أبطال هذه المادة ، البالغة أبعد منازل القباحة ، عادة التقرب إلى المعبود بدماء البشر - شدخا بمجر ، أو ذبحاً بمدية ، أو حرقاً بنار - كما شامت له إرادة الله أن يستبدل بهذه المادة القبيحة ، عادة أجمل وأنفع وأكرم ، فيجعل من دم الحيوان سلماً إلى فداء دم الإنسان (١) .

وهكذا أعطى الله مثلاً حياً في إبراهيم وإسماعيل - صلوات الله وسلامه عليهما - في ضريبة الفداء، وهي في مفترق الطرق، بين الهمجية التي كانت لا تتورع عن الذبائح البشرية ، وبين الإنسانية المبتدئة التي لا تأبى الفداء بالحياة ، ولكنها تتورع عن ذبح الإنسان (٢) ، فيأمر الله خليله بذبح ولده ، ثم يفتدي به بذبح عظيم .

وقارىء القرآن الكريم واجد فيه ما يشير إلى هذا المعنى، في قوله تعالى وعز، من سورة الصافات، حكاية عن إبراهيم في خطاب ولده إسماعيل ، عليها السلام، « يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت أفعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلاء

(١) أحمد حسن الباقورى : مع القرآن - القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٢٠

(٢) عباس العقاد : الإسلام دعوة عالية - القاهرة ١٩٢٠ ص ٢١٨ - ٢١٩

المين ، رفقينا بذيح عظيم ، (١) .

ولاريب في أن انطلاق ابراهيم يدعو البشرية إلى إكرام نفسها ، والإمتناع عن قربان البشرى ، والإستغناء عنه بالقربان الحيوانى ، إنما كان انطلاقا مستتبلا لا تتكأده حدود ، ولا تقيدته قيود ، ولا يبالي فيه أبو الأنبياء عقبه تعترض ، ولا تلقا يتوقع .

ومن هنا كان ارتباط هذه الحادثة ارتباطا وثيقا بظاهرة التضحية البشرية ، التي كانت تمارس في بعض مجتمعات الشرق الأدنى القديم ، والحك على استبدال ذلك التقليد بالتضحية الحيوانية (٢) .

ومن عجب أن ذرية إبراهيم الخليل من ولده إسحاق - عليهما السلام - لم

(١) سورة الصافات : آية ١٠٢ - ١٠٧ ، وأنظر : تفسير الطبرى ٤٨/٢٣ - ٥٨ ، تفسير الطبرسى ٧١/٥ - ٧٨ ، تفسير أبى السعود ٥٤٣/٤ - ٥٤٦ ، تفسير روح المعانى ١٣/١٣٧ - ١٣٢ ، الجواهر فى تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهري ١٨/١٩ - ٢٣ ، تفسير الفخر الرازى ٢٦/١٥٢ - ١٥٧ ، فى ظلال القرآن ٧/٦٢ - ٦٦ ، أحكام القرآن للجصاص ٣/٣٧٧ - ٣٠٨ ، تفسير القرآن الكريم للخطيب الشرينى ٣/٣٨٤ - ٣٨٧ ، تفسير الكشاف لمحمد جواد مغنية ٦/٣٤٨ - ٣٥١ ، تفسير القرطبي ص ٥٥٤٣ - ٥٥٠٨ ، تفسير النيسابورى ٢٣/٦٦ - ٧٢ (نسخة على هامش الطبرى - طبعة بولاق ١٣٢٨ هـ) ، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ٥/٢٧٩ - ٢٨٤ ، تفسير ابن كثير ٧/٢٢ - ٣٠ ، تفسير النسفى ٤/٢٧٢ - ٢٧٤ ، تفسير الكشاف ٤/٥٣ - ٥٨

(٢) رشيد الناضورى : المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى - بيروت

يكونوا على مستوى الدعوة ، فبقيت فيهم عادة الضحية البشرية إلى ما بعد أيام موسى، ونزول التوراة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وهكذا تقدم لنا التوراة « يهوه » - رب يهود - لا يختلف عن غيره من آلهة الشعوب الوثنية ، يتطلب من بني الإنسان أضحى بشرية « لا تؤخر مله بيدرك ، وقطر معصرتك ، وأبكار بذك تعطيني (١) » ، فإذا ما نذر امرؤ إبه للرب في لحظة من لحظات الضعف النفسى والتهوس الدينى ، لم يكن له أن يعدل عن ذلك ، وأن يفترى ولده بالمال، وإنما عليه أن يسوق بنفسه قلدة كبده إلى حيث يجرع كأس المنون .

تقول التوراة : كل محرم يحرمه إنسان الرب من كل ماله ، من الناس والبهايم ومن حقول ملكه ، فلا يباع ولا يفك ، إن كل محرم يحرم من الناس لا يفدى ، يقتل قتلا ، (٢) ، وتقول : « كان جوع في أيام داود ثلاث سنين ، سنة بعد سنة ، فطلب داود وجه الرب ، فقال الرب : هو لأجل شاول ولأجل بيت الدماء لأنه قتل الجبعونيين ... فلنقط سبعة رجال من بنيه فتصلبهم للرب في جعبة شاول مختار الرب ، فقال الملك : أنا أعطى ، فأخذ الملك ابني رصفه آية اللذين ولدتهما لشاول ، أرمونى ومفبوشت ، وبني شاول الخمسة الذين ولدتهم لعديشيل ابن برزلاى المحولى ، وصلبهم إلى يد الجبعونيين ، فصلبوهم على الجبل

(١) خروج ٢٢ : ٢٩ ، ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذه الترجمة إنما تعوزها الدقة ، ومن تم فالترجمة الصحيحة هي : « لا تتوان في تقديم باكورة ما ينضج من ثمرك ، وما تعصر من خمرك ، وهب لى البكر من ولدك ، (عصام الدين حنفى ناصف : اليهودية فى العقيدة والتاريخ - القاهرة ١٩٧٧ ص ١١٠)

(٢) لاويون ٢٧ : ٢ - ٢٩

أمام الرب ، (١) .

وتبلغ التضحية بالبشر ذروتها في قصة « يفتاح الجلجادي » ، وهي قصة يرمز بها إلى التضحية بألمة عذراء ، ذلك أن يفتاح هذا إنما قد تذر لربه يهوه : « إن دفعت بني عمون ليدي ، فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائى عند رجوعى بالسلامة من عند بني عمون ، يكون للرب ، وأصعده محرقة » (٢) .

وهكذا ما أن يعود « يفتاح » من معركة ضد العمونيين منتصراً (٣) ، ويصل إلى « المصفاة » - على مبعده خمسة أميال إلى الشمال الشرقى من أورشليم - حتى تكون ابنته هي أول من يهب « للقائه بدفوف ورقص ، وهي وحيدة ، لم يكن له ان ولا ابنة غيرها ، وكان لما رآها أنه مرق ثيابه ، وقال : آه يا ابنتى ، قد أحزقتى حزناً ، وصرت بين مكدرى ، لأنى فتحت فى إلى الرب ، ولا يمكننى الرجوع » ، وهكذا اضطر يفتاح أن ينى بنذره ، ويذبح ابنته قرباناً لربه يهوه ، بعد شهرين من قدومه ، ذلك لأن ابنته إنما طلبت منه « أن اتركنى شهرين . فأذهب وأنزل على الجبال ، وأبكى عذراوتى أنا وصاحباتى » ، ومن ثم فقد « صارت عادة فى إسرائيل أن بنات إسرائيل يذهبن من سنة إلى سنة ، ليبتعن على بنت يفتاح الجلجادي أربعة أيام فى السنة » (٤) .

وهكذا بقى الإسرائيليون ، حتى عصر القضاة ، يمارسون التضحية البشرية

(١) صموئيل ثان ٢١ : ١ - ٩ . (٢) قضاة ١١ : ٣٠ - ٣١ .

(٣) Martin Noth, the History of Israel, London, 1965, P. (٢)

(٤) قضاة ١١ : ٢٢ - ٤٠ .

إرضاء لربهم يهوه ، المتعاش إلى الدماء أبدا ، ويبدو بما كتبه و مينخا ، النبي
(٧٤٠ - ٧٠١ ق.م) ، وما كتبه النبي و إرميا ، (٦٢٦ - ٥٨٠ ق.م) ،
وما كتبه النبي و حزقيال ، (٥٩٣ - ٥٧٢ ق.م) ، أن اليهود لم ينفكوا يحرقون
بفهم وبناتهم قرابين لربهم يهوه ، حتى عصر متأخر غدت فيه التضحية بيني
الإنسان أمر يمتد على النفور ، ويشير الحق ، فاعتاض القوم عن الأضحية
البشرية أضحية من الخراف .

وهكذا رأينا النبي و إرميا ، يؤنب قومه على أنهم و بنو مرتفعات توفة في
« وادي ابن هنوم » (١) ليحرقوا بفهم وبناتهم بالنار ، (٢) ، بل أن الأمر إنما
قد استمر كذلك على أيام السبي البابلي ، وهكذا رأينا النبي و إشعياء الثاني ،
(عاش في بابل حوالي عام ٥٤٠ ق.م) ، يقول لهم : « يا بني الساحرة ، لسل
الفاق والرائية ... المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء ، القاتلون
الأولاد في الأودية ، تحت ثقوق المعازل (٣) .

(١) وادي ابن هنوم : وهو في العبرية (Ge - Hinnom) ، وانتقل هذا
اللفظ إلى الحبشية ، فأصبح (Gahannam) - بالجيم المصرية - ثم انتقل من
الحبشية إلى العربية . فهو « جهنم » ، وبعد أن كان علما على الوادي الذي يمر إلى
الجنوب والغرب من مدينة القدس ، ويدعى الآن « وادي الرباني » أو « وادي
الربابة » ، ويسمى الجزء الشرقي منه « توفة » ، وكان الوثنيون يقربون صبياتهم في
هذا الوادي ، حتى أطلق عليه إرميا وادي القتل ، (قاموس الكتاب المقدس
١ / ١٠٠٣ - ١٠٠٤ ، عصام الدين حنفي ناصف : المرجع السابق ص
١١٢ - ١١٣) .

(٣) إشعياء . ٥ : ٣ - ٥ .

(٢) إرميا . ٧ : ٣١ .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن التوراة ، إنما تشير في بعض
نصوصها أنها تحرم على بني إسرائيل أن يعطنوا أبنائهم قربانا إلى الله
تعالى (١) ، كما قص في سفر اللاويين على عقوبة الرجم لمن يعطى ولده قربانا
لإله العمونيين (مولاك) ، وقد كانوا يقدمون له ذبائح بشرية ، ولا سيما من
الأطفال (٢) .

غير أن ديهوه ، - رب يهود ، ومزول التوراة على أنبيائهم - ليس بمستطيع
أن يتصل بما أسلف من أوامر ، وأن يبيت من خلوه من أنبيائه في وجوههم ،
ويجبرهم بالتكذيب ، فكان عليه أن يلتمس لنفسه عدوا من إصداره تلك الأوامر
التي جاء اليوم ينسخها ، ويرر فرضها عليهم فيما مضى ، وتمرّد على بيت إسرائيل
في البرية ، لم يسلكوا في فرائضهم ورفضوا أحكامى التي إن عملها إنسان يحيا بها ،
ونحووا سبوتى كثيرا ، فقلت أنى أسكب رجزى عليهم في البرية لإفنائهم . . . ورقعت
لهم يدي في البرية لأفرقهم في الأمم وأذنبهم في الأراضى . . . وأعطيتهم أيضا
فرائض غير صالحة ، وأحكاما لا يحيون بها ، ونجستهم بعبادتهم ، إذ أجازوا في
النار كل قاتح رحم لا ييدم ، حتى يعلموا أنى أنا الرب ، (٣) .

وهذا يعنى أن يهود إنما قد أنزل على شعبه إسرائيل هذه الشريعة الفاسدة
على عمد ، وفرض عليهم التضحية بأفلاذ أكبادهم ، بغية إيدانهم والتكليف بهم ،
ليعلموا أنه الرب (٤) .

(١) خروج ٢٢ : ٩ .

(٢) لاويون ١٨ : ٢١ ، ٢٠ : ٢ ، قاموس الكتاب المقدس ٧٣١/٢ .

(٣) حزقيال ٢٠ : ١٣ - ٢٦ .

(٤) عصام الدين حفى ناصف : المرجع السابق ص ١١٣ .

لقد كان يهوه دائماً طالباً للقرابين ، ولعلّما عمرت مائدته بألوان من لحوم
الأطفال والرجال والابقار والأغنام ، فما أن ارتوى بدمائهم المسفوحة ، حتى
طابت نفسه ، وأصبح يؤثر المال الصامت : الذهب والفضة ، على صنوف اللحوم
جماء ، فضى يحض بعض الخلق على اقتداء بغيرهم ، وأداء مال القسدية إليه (١) ،
تقول التوراة « وكل بكر إسان من أولادك تفديه (٢) » ، وتقول « كل بكر
من بذك تفديه » (٣) وتقول « غير أنك تقبل فسداء بكر الإنسان ، وبكر
البيمة النجسة ، تقبل فداءه » (٤) .

(١) نفس المرجع السابق ص ١١٣ .
(٢) خروج ١٣ : ١٢ .
(٣) خروج ٢٤ : ٢٠ .
(٤) عدد ١٨ : ١٥ .

الفصل الثالث

اليهود بين التوحيد والتعدد

(١) عصر ما قبل موسى :-

لا ريب في أن يعقوب أو إسرائيل - جد بني إسرائيل الأكبر - إنما كان واحدا من تلك الصفوة المختارة من عباد الله ، الذين اختارهم الله من بين خلقه ، ليكونوا حملة رسالته إلى الناس ، ولا ريب كذلك في أن يعقوب ، إنما قد شارك أباه إسحاق - كما شارك أبوه جده إبراهيم من قبل - في الدعوة إلى الله ، وبذو الوثنية ، ورفع علم التوحيد ، وإقامة الملة السمحة الصحيحة ، وصدق الله العظيم حيث يقول « ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يابني "إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" ، (١) .

وهكذا كان يعقوب في نظر الإسلام - كما كان أبوه وجده من قبل - مسلما ، يعبد الله ، ويدعو الناس إلى عبادته ، ولم يشرك به أحدا ، ذلك لأن الإسلام - في لغة القرآن العظيم (٢) - ليس اسما لدين خاص ، وإنما هو اسم للدين المشترك ،

(١) سورة البقرة : آية ١٣٢ ، وأنظر : تفسير الطبري ٢/٩٢ - ٩٦ ، معاني القرآن للفراء ١/٨٠ - ٨١ ، تفسير المنار ١/٢٩٥ - ٢٩٢ ، تفسير القرطبي ص ٥١٩ - ٥٢٣ ، تفسير ابن كثير ١/٢٦٩ - ٢٧٠ .
(٢) أنظر : سورة البقرة : آية ٢٢ - ١٣٣ - سورة آل عمران : آية ٦٧ ، سورة المائدة : آية ١١١ ، سورة يونس : آية ٧٢ ، ٨٤ ، سورة النمل : آية

الذي هتف به كل الانبياء ، وانقصب إليه كل أتباع الانبياء (١) ، ومن ثم فإن الإسلام شعار عام يدور في القرآن على السنة الانبياء وأتباعهم ، منذ أقدم الصور التاريخية إلى عصر البعثة المحمدية (٢) .

غير أن توراة يهود تافى إلا أن تخالط توحيد يعقوب - أو على الأقل أهل بيته - بشىء من ريبة، فإلى جانب أسطورة المصارعة المشهورة بين الله ويعقوب (٣)، نقرأ في التوراة، أن يعقوب - عليه السلام - عندما أراد العودة بزوجاته وأولاده من ديار خاله «لابان»، في «حاران»، إنما قد سرقت زوجته «راحيل»، أصنام أبيها وأخذتها معها، مما اضطر «لابان»، وبنوه إلى اللحاق بركب يعقوب، معاتبين إياهم على سرقة أصنامهم، جادين في طلبها، غير أن راحيل سرعان ما خادعتهم، عندما أخذت الأصنام ووضعتها في حداجة الجميل، وجاست عليها، ثم ادعت بعد ذلك أنها لا تستطيع القيام من مكانها، لأنها في المحيض (٤).

ولست أدري: كيف قبل كتابة التوراة أن يصوروا لنا راحيل - وهي زوج نبي، وأم نبي - سارقة لأصنام أبيها، ثم وهي مخادعة له، وذلك حين خبأت الأصنام في حداجة (مودج) الجميل، وجلست عليها، بل وادعت كذباً على أبيها «لابان»، أنها لا تستطيع النهوض من مكانها، لأن عليها «عادة النساء»، فهل كانت زوج نبي الله يعقوب - وأم ولده الصديق يوسف، عليهما السلام -

(١) محمد الراوى: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ص ٥١

(٢) عمود الشرقاوى: الانبياء في القرآن الكريم - القاهرة ١٩٧٠ ص ٧٥-٧٦

(٣) أنظر التفصيلات في (محمد يوسى مهران: إسرائيل - الكتاب الاول -

التاريخ - الإسكندرية ١٩٧٨ ص ١٩٩-٢٠٥)

(٤) تكوين ٣١: ٩ - ٣٥

ما تزال على الشرك؟ وقد مضى على زواجها من يعقوب سنين عددا .

في الواقع، أتني لا أظن أن هناك باحثا بقادر على أن يجد لذلك تبريرا مقبولا لدى ذى عقل ، فضلا عن أن يتفق ذلك التبرير مع نبوة يعقوب ، إلا إن كان يريد أن يؤمن بحرفية كل ما جاء في التوراة ، أيا كان هذا الذي جاء فيها (١) .

بل إن التوراة إنما تذهب كذلك ، إلى أن الله - جلا وعلا - قد تراءى للابان في الحلم - مع أنه وثني ، ولم يلحق بيعقوب إلا لياخذ أصنامه التي سرقها ابنته راحيل زوج يعقوب - وقال له : « احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر ، (٢) ، وإن كان لابان لم يحترز ، وكلم يعقوب ، ولكنه جنح آخر الأمر إلى السلم ، بل وقطع معه عهد سلام ، على نصب هناك ، في جبال حلعاد ، شرق نهر ييوق ، ودعاها يعقوب « جمعيد » (رجمة الشهادة) ، وأشهد هذه الرجمة ، - فضلا عن الله نفسه - على هذا العهد ، على أن يكون إله إبراهيم وآلهة ناحور (أخى إبراهيم وجد لابان) قاضية ، فيما يشجر بين يعقوب ولابان من خلاف في تنفيذ هذا العهد (٣) .

ولست أدري : كيف جاز كل ذلك على كتبة التوراة ، وكيف قبلوا أن يقيم يعقوب الأنصاب ، وأن يشهدا على العهد بينه وبين خاله لابان ؟ ثم كيف قبلوا أن يترامى الله للوثنيين في المنام ؟ ، بل كيف قبلوا أن يجمعوا بين إله إبراهيم وبين آلهة ناحور في القضاء في أى خصام يشجر بين لابان ويعقوب ، وهل علم الذين يدعون لهذه النصوص ، ما يدعون من قداسة ، أن تلك كانت عادة

(١) أنظر : محمد يوسى مهران : المرجع السابق ص ١٩٦ - ١٩٩

(٢) تكوين ٣١ : ٢٤ (٣) تكوين ٣١ : ٤٥ - ٥٤

تسحب الوثيقة القديمة، وعلى سبيل المثال، تلك المعاهدة التي عقدت بين عميسيس الثاني، (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م) و د خاتوسيل الثالث، (١٢٧٥ - ١٢٥٠ ق.م) ملك الحيثيين، حوالي عام ١٠٨٥ ق.م، وأشهد كل منهما عليها أربابه، وأن ذلك إنما كان - فيما يرى المؤرخون - دليلاً على استعداد كل من الدولتين للإعتراف بألمة الدولة الأخرى، فهل كان الأمر كذلك بين لابان ويعقوب (١)؟

ويستمر الإسرائيليون - رغم ما جاء في روايات التوراة - على إيمانهم بربهم الواحد الأحد، على أيام الصديق - كما كانوا على أيام يعقوب وإسحاق وإبراهيم - وينفرد القرآن الكريم بذكر دعوة يوسف، وهو في السجن، إلى توحيد الله، وبث العقيدة الصحيحة، ويظهر جلياً في هذه الدعوة لطف مدخله إلى النفوس، وسيره خطوة خطوة في رفق، وتودده، قال لصاحبيه في السجن « لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله نبل أن يأتيكما، ذلكما مما علمني ربي، إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخررة هم كفرون، وابتعت ملة آباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون (٢) »، ثم يتوغل في قلوبها أكثر، ويفصح عن دعوته، ويكشف عن فساد اعتقاد قومه، بعد ذلك التهيد

(١) أنظر: عبد العزيز صالح: مصر والعراق ص ٢٢٤، وكذا

J. A. Wilson, op—cit, p. 248

A. H. Gardiner, JEA, 6, 1920, p. 201—202

وكذا

P M, II, p. 49 F وكذا

ASAE, 15, p. 181 F

(٢) سورة يوسف: آية ٣٧-٤٨، وأنظر: تفسير المنار ١٢/٢٥٠-٢٥٣،

تفسير القرطبي ص ٢٤١٧-٢٤٢٠، تفسير ابن كثير ٤/٣١٤-٣١٥،

الدرالمشور في التفسير بالمأثور ٤/١٩، تفسير الطبري ١٦/١٠٠-١٠٤

الطويل (١): دياصاحي السجن أرباب متفرقون خير، أم الله الواحد القهار (٢).
وما أن يخرج يوسف من السجن ، ويصبح على خزان الأرض أمينا ، بعد
أن كان في زوايا الأرض سجينا ، حتى يستدهى أباه وإخوته من كنعان للإقامة
معه في أرض الكنانة الطيبة ، ثم تمضي الأيام ، وتمر السنون ، وتطول إقامة بني
إسرائيل في مصر إلى قرون - ربما تجاوزت الأربعة (٣) - ينسى الإسرائيليون
خلالها دعوة التوحيد ، التي نادى بها الآباء من أنبياء الله الكرام ، وينغمسون
في وثنية مفرقة في التعدد ، فيتعبدوا إلى آلهة مصر ، فضلا عن آلهة ساداتهم
المكسوس (٤) .

(٢) عصر موسى :-

قبل مولد موسى عليه السلام ، بفترة لا نستطيع تحديدها على وجه اليقين ،
تغيرت حال بني إسرائيل في مصر ، من عز إلى ذل ، ومن رخاء إلى فاقة ، ومن
حرية إلى عبودية ، لأسباب سبق لنا مناقشتها في غير هذا المكان (٥) ، وذلك
حين أمر فرعون جميع شعبه ، قائلا : كل ابن يولد (لبني إسرائيل) تطرحوه
في النهر ، لكن كل بنت تستحيونها (٦) ، ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله

(١) محمد رجب البيومي: البيان القرآني - القاهرة ١٩٧١ ص ٢٢٥ ، النهاية

نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن - تونس ١٩٧٤ ص ٥٣٥

(٢) سورة يوسف : آية ٣٩

(٣) خروج ١٢ : ٤٠ ، ثم قارن : تكوين ١٥ : ١٣

(٤) يشوع ١٤ : ١٤ ، حزقيال ٢٠ : ٤ - ٨

(٥) محمد بيومي مهران: إسرائيل: الكتاب الأول- التاريخ- ص ٢٦١-٢٨٢

(٦) خروج ١ : ٢٢ (الإسكندرية ١٩٧٨) .

تعالى « إن فرعون علا في الأرض ، وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم ،
يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم (١) » ، ويقول « وإذ نجيناكم من آل فرعون
يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم ، وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم (٢) » .

وفي قرّة الإضطرابات المصيبة هذه ، التي سيطر الله فيها فرعون على بني
إسرائيل ، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ، في هذه الظروف القاسية ، ولد موسى
عليه السلام ، والذي حمل دعوة الوحدانية ، والعودة إلى دين الآباء الأولين
- دين إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف ، عليهم السلام - ورغم أن التوراة
قد أشارت في وضوح إلى إيمان بني إسرائيل بموسى ودعوته ، حيث « مضى
موسى وهارون وجما جميع شيوخ بني إسرائيل ، فتكلم هارون بجميع الكلام
الذي كلم الرب موسى به ، وصنع الآيات أمام عيون الشعب ، فأمن الشعب (٣) » .
غير أن التوراة سرعان ما تعود مرة ثانية ، فتقول إنهم « لم يسمعوا لموسى

(١) سورة النقص : آية ٤ ، وأنظر : تفسير ابن كثير ٣/٢٧٩ - ٢٨٠ ،
تفسير روح المعاني ٢٠/٤٢ - ٤٤ ، في ظلال القرآن ٢٠/٢٦٧٦ ، تفسير القرطبي
ص ٤٩٦٣ - ٤٩٦٥

(٢) سورة البقرة : آية ٤٩ ، وأنظر : تفسير الطبرسي ٢/٢٣١ - ٢٢٥ ،
تفسير الطبرسي ٢/٣٦ - ٣٩ ، تفسير روح المعاني ١/٢٥٢ - ٢٥٤ ، تفسير القرطبي
ص ٢٢٥ - ٢٣٠ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١/٦٨ - ٦٩ ، في ظلال
القرآن ١/٧٠ - ٧٣ ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم ١/٥٩ - ٦١ ، تفسير
الكشاف ١/١٣٧ - ١٣٨ ، تفسير ابن كثير ١/١٢٨ - ١٣٠ ، تفسير البحر المحيط
١/١٨٧ - ١٨٨ ، تفسير المنار ١/٣٠٨ - ٣١٣

(٣) خروج ٤ : ٢٩ - ٣١

من صغر النفس ، ومن العبودية القاسية ، ، رغم ما وعدهم به موسى من إنقاذ لهم من استعباد المصريين لهم ، ومن اتخاذهم شعبا مختارا لرب إسرائيل (يهوه) ، وإدخالهم إلى الأرض التي تفيض لبناوعسلا ، وبمعنى آخر رغم ما يزعمون من دعوة موسى إياهم بأنهم «شعب الله المختار» ، وبأنهم سيرفون كنعان - أو أرض الميعاد ، كما يسمونها - وبأن نجاتهم من عذاب المصريين واستعبادهم إياهم ، إنما سوف تكون عن قريب ، رغم ذلك كله ، فإنهم لم يؤمنوا بموسى ، وبدعوة التوحيد التي جاء بها ، بسبب صغار في نفوسهم من جراء العبودية القاسية (١) ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى « فآمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يقتنهم ، وإن فرعون لعال في الأرض ، وإنه لمن السرفين (٢) » .

وهكذا يبدو واضحا إلى أى مدى قد أذل الاستعباد قوم موسى ، وأفسد طباعهم ، فأعرضوا عن الحق ، وأصبحوا لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا ، فلقى منهم نبيهم العنت الشديد ، فضلا عن التهم الكذوب .

ثم صراحة ودون مواربة ، إذ تعزى إليه شوائب من وثنيه ، فهو صاحب « حية النحاس » « نحشتان » ، صنعها بيديه ورفعها أمام القوم على سارية ، هي من أسباب غواية بني إسرائيل ، يقدمون لها القرابين متعبدين ، فيسحقها « حزقيا »

(١) خروج ٦ : ٦ - ٩

(٢) سورة يونس : آية ٨٣ ، وأنظر : تفسير الطبري ١٥ / ١٦٣ - ١٧ ، تفسير ابن كثير ٤ / ٢٢٢ - ٢٢٣ ، تفسير القرطبي ص ٣٢٠٨ ، تفسير المنار

ملك يهوذا (٧١٥ - ٦٨٧ ق.م) ضمن ما كان قد حطم من أصنام (١) .

ومن عجب أن هذا يحدث من بني إسرائيل مع نبيهم الكريم - موسى عليه السلام - في الوقت الذي يؤمن به السحرة المصريون - الذين جاء بهم فرعون ليواجههم معجزات موسى ، بعد أن اعتقد أنها نوع من السحر الذي تعلمه في مصر - الأمر الذي فوجئ به فرعون ، وكاد أن يتمزغ غطيظا ، وقال : « أمتهم له قبل أن أذن لكم ، إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولا صلبنكم في جذوع النخل ، ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبى ، قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات ، والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إنا آمنة بربنا ليعرف لنا خطايانا ، وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وأبى (٢) » .

وما إن يكتب الله لموسى النصر على فرعون ، وينجح في الخروج بقومه من قبضته ، حتى يعود الإسرائيليون مرة أخرى إلى الوثنية ، وعبادة الأصنام ، وفي الواقع فإن التراث الدينى اليهودى ليزخر بأدلة لا تقبل الشك ، على أن اليهود الذين رافقوا موسى لم يكونوا أكفاء لحمل عبء التوحيد وفلسفته التجريدية الروحية الرفيعة ، ولم يجسدوا فيما تقدمه الديانة الجديدة ما يشبع حاجتهم إلى الإعتبارات المادية ، بل إنه لا يفهم من حادث واحد من حوادث الرحلة أن القوم كانوا يؤثرون الفرار حرصا على عقيدة دينية ، فإنهم أسفوا على ما تعودوه من المراسم الدينية فى مصر ، ووردوا لو أنهم يعودون إليها ، ويعيدونها منسوخة

(١) عدد ٩٠٢١ ، ملوك ثان ١٨ : ٤ ، حسين ذو الفقار صبرى : إله موسى فى

توراة اليهود ص ٦ .

(٢) سورة طه : آية ٧١ - ٧٣

ممسوخة في الصحراء (١) .

ومن ثم فلم يكذب بنو إسرائيل يمشون مع موسى بعد خروجهم من البحر ،
ونجاتهم من آل فرعون ، حتى رأوا قوما يعبدون أصناما لهم ، فأنسوا كل ما كانوا
يذكرونه من آيات الله ، ونجاتهم مع موسى ، وقالوا ، احكاه القرآن ، حيث
يقول : « وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ، فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ،
قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء
متبرمهم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون (٢) » ، و « الفاء » في قوله تعالى « فاتوا »
تفيد - كما هو معروف - الترتيب والتعقيب ، ومعنى ذلك أنه لم يمض وقت بعد
خروجهم من البحر ، ونجاتهم من الهلاك ، حتى عادوا إلى الوثنية التي ألفوها ،
وألغوا الذل معها ، وهذا يدل على أن الإيمان لم يخالط بهاشة قلوبهم ، ولم يتمكن
من ضمائرهم ومشاعرهم ، ولم يشر فيهم الثمرة الطيبة لكل شجرة طيبة ، وإنما
كان إيمانهم بموسى إيمانا بإمامته وزعامته ، لا إيمانا بالله الذي خلقه
وسواه (٣) .

وهكذا لم يمض ظويل وقت ، حتى كانت الردة النائية - بعد فشل الأولى -

(١) عباس العقاد : مطلع النور - أو طوابع البعثة المحمدية - دار الهلال -

القاهرة ١٩٦٨ ص ١٠٧

(٢) سورة الأعراف : آية ١٣٨ - ١٣٩ ، وأنظر : تفسير المنار ٩/٩١ -

٩٩ - ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم ٤/٢١٥ - ٢١٦ ، تفسير الطبري ١٣/

٨٠ - ٨٤ ، تفسير القرطبي ص ٢٧٠٩ - ٢٧١٠ ، تفسير الجلالين ص ١٥٤ ،

تفسير ابن كثير ٣/٤٦٤ - ٤٦٥

(٣) عبد الرحيم فوده : من معاني القرآن ص ١٩٣ - ١٩٤

بمثلة في قصة «العجل» ، ، والتي جاءت في التوراة (١) والقرآن الكريم (٢) ، حيث يقول سبحانه وتعالى « واتخذ موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين ، ولما سقط في أيديهم ورواوا أنهم قد ضلوا ، قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ، ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، قال بشما خلفتموني من بعدي ، أعجلتم أمر ربكم ، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ، فلا تشمت بي الأعداء ، ولا تجعلني مع القوم الظالمين ، قال رب اغفر لي ولاخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ، إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المفترين (٣) . »

وليس هناك من ريب في أن هذا ، إنما كان - مره أخرى - من تأثير الديانة المصرية على بني إسرائيل ، ذلك أن عبادة العجل في مصر ، إنما هي جد عميقة

-
- (١) خروج ٣٢ : ١ - ٢٨
(٢) سورة البقرة : آية ٥١ ، ٥٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، سورة النساء : آية ١٥٣ ، سورة الأعراف : آية ١٤٨ - ١٥٢ ، سورة طه : آية ٨٢ - ٩٨
(٣) سورة الأعراف : آية ١٤٨ - ١٥٢ ، وأنظر : تفسير أبي السعود ٤٠٦/٢ - ٤٠٩ ، تفسير روح المعاني ٦٧/٩ - ٧٠ ، تفسير الطبري ١٣/١١٧ - ١٣٦ ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم ٢١١/٤ - ٢٢١ ، تفسير الجلالين ص ١٥٥ ، تفسير القرطبي ص ٢٧٢٠ - ٢٧٢٨ ، تفسير الكشاف ٢/١١٨ - ١٢٠ ، تفسير الطبرسي ٢٦/٩ - ٣٢ ، تفسير الفخر الرازي ١٥ / ١٠٨ - ١١١ ، تفسير ابن كثير ٣/٤٧٣ - ٤٧٥ ، تفسير القاسمي ٧ / ٢٨٥٩ - ٢٨٦٤ ، تفسير المنار ١٧٢/٩ - ١٨٣

الجدور ، إذ ترجع إلى ما قبل عصر موسى بكثير - إلى أيام الأسرة الأولى المصرية^(١) ، حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م - ثم استمرت حتى ظهور المسيحية وغلبتها عليها .

وهكذا بقيت الوثنية راسخة في قلوب بني إسرائيل ، حتى بعد انفلاق البحر لهم ، وحتى بعد أن جاوزوه على يابس ، وحتى بعد أن من الله عليهم بالمن والسلوى وحتى بعد أن استقوا موسى فضرب الحجر بعصاه فانبجست منه اثنا عشرة عينا ، لكل سبط من الأسباط مشربهم ، وحتى بعد أن نزلت عليهم شريعة تحذرهم من اتخاذ آلهة أخرى غير الله ، حتى بعد هذا كله ، فإن الإسرائيليين سرعان ما زاغوا عن الطريق المستقيم ، وكفروا بالله الواحد الأحد ، وصنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا ، وقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدتلك من أرض مصر^(٢) ، وهو مأسوف يفعلونه كما سنرى - في دولة إسرائيل على أيام «يربعام الأول» (٩٢٢ - ٩٠١ ق.م) ، وبعد موت سليمان ، عليه السلام ، مباشرة .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن الإسرائيليين جميعا - فيما يرى باروخ سينوز^(٣) - قد عبدوا العجل الذهبي ، باستثناء اللاويين ، فإذا كان ذلك كذلك ، وإذا كان اللاويون - فيما يرى سيجموند فرويد^(٤) - هم بطانه موسى من

Walter B. Emery, Archaic Egypt (Penguin Books), 1963 (١)

P. 124

(٢) خروج ٣٢ : ٨

(٣) باروخ سينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة حسن حنفي -

القاهرة ١٩٧١ ص ٤١٥

(٤) Sigmund Freud, Moses and monotheism, New York 1939

كهنوت مصرى، فإن المصريين وخدمهم الذين لم يعبدوا العجل، أو قل هم وخدمهم الذين عبدوا رب موسى عن عقيدة، لم تضغف حتى أمام وعيد فرعون وتهديده (١).

(٣) عصر القضاة :

عندما خرج البدو الإسرائيليون، الذين لا ثقافة لهم، من صحراء التية، ليستقروا بفلسطين، وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل، فكان أسرم كأسر جميع العروق الدنيا التي تكون في أحوال مماثلة، فلم يقتبسوا من تلك الأمم سوى أحسن ما في حضارتها - أي لم يقتبسوا خير عيوبها وعاداتها الضارة ودعاراتها وخرافاتنا - فقبوا القرايين للآلهة، عشتارت وبعل ومولك، بل إنهم قربوا لهذه الآلهة الأجنبية أكثر مما قربوا لربهم « يهوه »، كما كانوا يعبدون آلهة على هيئة عجول، ويضعون أبنائهم في ذرعان محرقة من نار «مولك»، ويحملون نساءهم على البغاء المقدس في المشارف (٢).

وعلى أي حال، فلقد كانت السمة الدينية الدائمة التي يتميز بها عصر القضاة هو الردة عن عبادة « يهوه » - رب يهود - وعبادة الآلهة الأجنبية، وفي مقدمتها بعل وعشتارت، وهكذا نقرأ في سفر القضاة من التوراة أنه أعقب موت « يشوع » - فتي موسى وخليفته - فترة زاعغ فيها بنو إسرائيل عن عبادة الواحد القهار، واتجهوا نحو عبادة « بعل » و«عشتارت»، فسلط الرب عليهم من أذلم

(١) أنظر عن قصة العجل الذهبي، بالتفصيل : محمد يوسى مهراڤ : إسرائيل - الكتاب الأول - التاريخ ص ٤٦٢ - ٤٧٩

(٢) جوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٢٠

وهنا عادت خراف بيت إسرائيل الضالة إلى ربها تدهوه أن يكشف عنها الغمة ،
و فاقام لهم قضاة ، كان الرب مع القاضى ، وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضى
لان الرب ندم من أجل أتيتهم بسبب مضايقتهم وزاحمهم ، وعند موت القاضى
كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آباءهم بالذهاب وراء آلهة أخرى، ليعبدوها
ويسجدوا لها ، لم يكفوا عن أفعالهم وطريقتهم القاسية ، ، فحسى غضب الرب
على بنى إسرائيل وسلط عليهم أعداءهم ، ليمتحنهم بهم (١) .

وهكذا تقدم لنا التوراة صورة بشعة لما كان من ارتكاس بنى إسرائيل ،
وانحرافهم الدينى والخلقى بسرعة عجيبة ، الأمر الذى تكرر منهم من قبل مع
موسى الكليم ، عليه السلام ، والذى ظل طابعهم المميز ، بل هو كذلك التعليل
التقليدى الذى تقدمه التوراة دائما وأبدا ، حين تحمل بنى إسرائيل النوائب ،
وتقف فى طريقتهم العقبات ، أو ترفضهم القبائل ، أو تشن الأمم عليهم الحروب ،
وذلك نتيجة الطبع المتوى ، والخلق النهار للفرص ، ذلك التعليل هو أن رب
إسرائيل قد غضب على شعبه إسرائيل ، بسبب عصيانهم لإياه ، وإشراكهم به ،
ولكن رب إسرائيل - وباللهعجب - فإنه سرعان ما يعود ، فيغفر لبنى إسرائيل
ذلتهم ، حين يريد بنى إسرائيل ذلك الغفران ، مستغلين علاقتهم به ، فيحارب
عنهم وبهم ، حتى يحقق لهم مايبغون من نصر ، وتلك امرى ، فرية لايقبلها
إلا بنو إسرائيل .

على أن هناك من عصر القضاة ، مايشير إلى أن الإسرائيليين لم يكتفوا بعبادة
الآلهة الأجنبية فحسب ، وإنما كانوا يقيمون لها المذابح ، - شأنها فى ذلك شأن

يهوه ، إله يهود - ذلك أن التوراة إنما تحدثنا أن القوم إنما قد عادوا إلى ردتهم القديمة ، فسلط الله عليهم المديانيين ، الذين استذلوهم سنوات سبع ، اضطروا في أخرياتهما إلى أن يتركوا قرانهم ومدنهم ، وأن يلتجئوا إلى الكهوف والمضاور والحصون (١) .

ويصرخ الإسرائيليون إلى ربهم « يهوه » ، وكالعادة يرسل رب إسرائيل إلى شعبه إسرائيل رجلا نبيلًا منهم ، هو « جدعون » ، من سبط منسى ، والذي يأمره « يهوه » ، أن « اهدم مذبح البعل الذي لا يبيك ، واقطع السارية التي عنده ، وابن مذبحًا للرب إلهك على رأس هذا الحصن بترتيب ، وخذ الثور الثاني ، واصعد محرقة على حطب السارية التي تقطعها (٢) » ، على أن « يهوه » ، إنما ينصح « جدعون » ، إن كان يخاف من بيت أبيه ، ومن أهل المدينة ، إن قام بذلك العمل في وضح النهار ، فليقم به ليلا ، وليساعده في ذلك عشرة من عبيده (٣) .

ويصدق « جدعون » ، بأمر ربه يهوه ، ويبيك أهل مدينته « عفرة » ، في الغد ، فإذا « بمذبح البعل قد هدم ، والسارية التي عنده قد قطعت ، والثور الثاني قد أصعد على المذبح الذي بنى » ، وهنا يثور أهل « عفرة » ، ولا يقبلون لتهدئة ثورتهم ، أقل من رأس جدعون ، جزاء وفاقا على ما قدمت يداه (٤) .

وهكذا أعاد جدعون عباد « يهوه » ، مرة أخرى إلى إسرائيل ، غير أن

(١) قضاة ٦ : ١ - ٦

(٢) قضاة ٦ : ٢٥ - ١٧

(٣) قضاة ٦ : ٢٥ - ٢٧

(٤) قضاة ٦ : ٢٤ - ٤٠ ، وكذا :

O Eissfeldt, in CAH, Part. 2, Cambridge. 1975, P. 556

ثم أنظر : قضاة (٦ : ٢٨-٢٢) ، حيث ظن الإسرائيليون أن البعل سوف ينتقم من جدعون ، لأنه هدم مذبحه .

الرجل إنما قد أقام في أخريات حياته « أفودا » ، وذلك عندما جمع من الإسرائيليين أقراط الذهب التي جمعوها من المديانيين ، وصنع منها « أفودا » ، وجمعه في مدينته (عفرة) ، ووزن كل إسرائيل وراء هناك ، فكان ذلك لمدعون وبيته فنها (١) .

(٤) عصر الملكية :

من أسف أن التوراة لم تقتصر في رواياتها لإظهار شرك بني إسرائيل ، في أدوار تاريخ بني إسرائيل السابقة ، ولا على الأشخاص السابقين ، وإنما تعدت ذلك كله إلى الأنبياء أنفسهم ، وهكذا تروى التوراة أن سليمان ، عليه السلام ، إنما قد ختم حياته ، وغضب الرب قد حل عليه - والعياذ بالله - لأن قلب النبي الكريم - فيما تروى توراة يهود - قد مال عن الرب ، إله إسرائيل ، ولم يحفظ ما أوصى به الرب ، ومن هنا ، ولأن سليمان لم ينفذ وصايا رب إسرائيل ، فقد تحول من موحد إلى مشرك ، وهو يدرك تمام الإدراك ، أن « الرب إله غيور ، يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من ميغضيه ، لهذا فقد شاءت إرادة رب إسرائيل أن يمزق ملكة سليمان (٢) ، ليفوز عبده « درجعام » منها بتصيب الأسد ، ولا يبقى منها لولده « درجعام » سوى القليل (٣) .

ولعل سؤال البداة الآن : ماذا فعل سليمان ليكون هذا نصيبه من رب

إسرائيل ؟

(١) قضاة ٨ : ٢٤-٢٧

(١) أنظر عن الأسباب الحقيقية لانقسام ملكة سليمان بعد موته (محمد بيومي

مهران : إسرائيل - الكتاب الثاني - التاريخ ص ٨٦٩ - ٨٨٩) .

(٢) خروج ٢٠ : ٥ ، ملوك أول ١١ : ١٣ وكذا

I Epstein, op - cit, P. 37

تروى التوراة أن سليمان كان يذبح ويوقد في المرتعات ، وأنه قد أحب نساء غريبة كثيرة مع بنتى فرعون ، مؤايبات وعمونيات وصيدونيات وحشيات ، من الأمم التي قال عنهم الرب ابني إسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء بالهبة ، وكانت له سبع مئة من النساء السيدات ، وثلاث مئة من السراوى ، فأمالت لساؤه قلبه ، وكان في زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أمعن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه ، فكقلب داود أبيه ، فذهب سليمان وراء عشتاروت إلهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما فكداود أبيه ، حيثند بنى سليمان مرتفعة لكيموش رجس المؤايبين على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بنى عمون ، وهكذا فعل سليمان بجميع نساته الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن فنضب الرب على سليمان ، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل ، الذى قرأى له مرتين ، وأوصاه فى هذا الأمر ، أن لا يتبع آلهة أخرى ، فلم يحفظ ما أوصى به الرب ، فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها ، فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا ، وأعطيها لعبدك (١) .

ومكذا - وطبقا لرواية التوراة . فإن سليمان قد بنى هيكلًا ، ولكنه لم يظفر منه إلا بالقليل من الإهتمام ، بينما الجانب الأكبر من الأموال إنما قد خصص لبنا أخرى ، استغرق بناؤها ثلاثه عشر عاما ، بينما بنى الهيكل فى عام واحد (٢) منها القصر الملكى لسليمان ، وقصر زوجة ابنة فرعون ، وللصروح البديعة والفيلات الأنيقة التى أعدها لنساته الكثيرات جدا ، والأبنية الحكومية المختلفة ، وحتى

(١) ملوك أول ١١ : ١١ - ١١
(٢) ملوك أول ١٠ : ٦ ، ١٠ : ٧

المعابد الوثنية التي أقيمت خصيصا لمن رفض اليهود من النساء الاجنبيات اللاتي
أحبهن سليمان (١) .

ويبدو أن هذه الوثنية ، إنما كانت في الهضبة الغربية من اورشليم ، ذلك أن
التوراة إنما تروى في سفر الاخبار الثاني أنه من غير اللائق أن يقيم سليمان بيوت
زوجاته الوثنيات على مقربة من بيت يهوه ، (هيكل سليمان) ، ومن ثم فإن
الهضبة الغربية تصبح هي المكان المناسب لتهيئة وسائل الإقامة لطؤلاء الزوجات ،
وهكذا أقيم قصر سليمان الكبير على المنطة الصخرية التي تدعى « تل موريا » (٢).

وفي عام ٩٦٢ قبل ميلاد السيد المسيح - عليه السلام - ينتقل سليمان إلى جوار
ربه - راضيا مرضيا عنه ، ولو كرهت يهود - ولكنه في اللحظة التي دفن فيها ،
إنما دفن معه حلم إسرائيل ، في أن تكون قوة لها كيان بين جيرانها من دويلات
فلسطين وسورية ، إذ سرعان ما نشى الشقاق القبلي القديم بين الإسرائيليين ومن
ثم فقد انقسمت دولتهم إلى دويلتين ، الواحدة في الشمال ، وتدعى « إسرائيل » ،
والأخرى في الشمال وتدعى « يهوذا » ، ويجلس على عرش الأولى عبد سليمان
(يربعام) ، بينما يجلس على عرش الثانية ولده « رحبعام » .

هذا وقد كانت اورشليم بتابوتها المقدس ، ومعبدها الرئيسي (هيكل سليمان)
تقع ضمن ملكة يهوذا ، ومن ثم فقد استمر المعبد الملكي الرئيسي في اورشليم ،
يجذب إليه أبناء القبائل التي كانت تعيش في مملكة إسرائيل ، للحج إليه ، وتقديم

(١) حسن ظاظا : القدس - الإسكندرية ١٩٧٠ ص ٢٦ - ٢٨

(٢) أخبار أيام مان ٣ : ١ ، ١٨ : ١١ ، وكذا

P. A. S. Macalister, The Topography of
Jerusalem, in CAH, III, Cambridge, 1965. P. 450

القرابين هناك ، هل أساس أن هذا المعبد الرئيسي - أو هيكل سليمان كما يسمونه -
المحراب الرئيسي للقبائل الإسرائيلية ، حتى وإن نبذت سلطة آل داود الملكية .

وبدئى أن « يربعام الأول ، (٩٢٢ - ٩٠١ ق.م) ملك إسرائيل الجديدة
(المملكة الشمالية) لم يكن ينظر إلى كل هذا بعين الرضا ، ذلك لأن وجود المعبد
الرئيسى فى أورشليم ، إنما يعنى أن هناك رابطة غير مباشرة تربط القبائل
الإسرائيلية الشمالية بأسرة داود ، وخشى يربعام أن « ترجع الملكية إلى بيت
داود ، إن سعد هذا الشعب ، ايقربوا ذبائح فى بيت الرب فى أورشليم ، فيرجع
قلب هذا الشعب إلى رجعام ملك يهوذا ويقتلونى (١) ، .

وفكر « يربعام ، فى وسيلة يحتفظ بها بولاء شعبه فى الشمال ، وفى نفس
الوقت يوجد نوعا من التوازن العيني بين مقدسات قبائل إسرائيل الشمالية ، وبين
هيكل سليمان فى أورشليم ، وهكذا هداه تفكيره إلى أن يعيد للسكان المقدسين
القديمين مكاتهما ، وكان الواحد منهما فى « بيت ليل ، وهى برج بيتين ، على مقربة
من بيتين الحالية ، على مبعده عشرة أميال شمالى أورشليم - وكان المكان الآخر فى
« دان ، وهى تل القاضى الحالية ، على مبعده ثلاثة أميال غربى بانياس ، عند منابع
الأردن ، فى أقصى شمال المملكة الشمالية ، وزود كل من المكانين ب « العجل
النهى ، ، ثم أعلن لشعبه أنه « كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم ، هوذا
أهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ، ، ثم « بنى بيت المرتفعات ،
وصير كهنة من أطراف الشعب ، لم يكونوا من بنى لاوى ، وعمل يربعام عبدا
فى الشهر الثامن فى اليوم الخامس عشر من الشهر ، كالعبد الذى فى يهوذا ، وأصعد

على المذبح ... وأوقف في بيت إيل كهنة المرتفعات التي عملها (١) .

وهناك ما يشير إلى أن مدينة « السامرة » إنما قد زودت فيما بعد بحراب ملكي ، وربما بعجل ذهبي ، وعلى أي حال ، فإن التوراة إنما تشير بوضوح إلى عجل السامرة (٢) ، وهكذا قام يربعام بكل إجراءات الانفصال عن يهوذا ، فاختار كهنة من غير اللاويين ، كما اعتنى بعناية شديدة بالأماكن المقدسة القائمة على المرتفعات ، مما دفع كثيرا من اللاويين وغيرهم من المتدينين ، إلى مغادرة البلاد ، والهجرة إلى دويلة يهوذا ، هذا فضلا عن التغيير الذي أحدثه في « عيد المظال » واحتفالات الحصاد الدينية من الشهر السابع إلى الشهر الثامن (٣) .

وعلى أي حال ، فلقد كانت مقاومة التأميرات السكمانية في ديانة يهو ، أمرا مسلما به منذ بداية استيطان اليهود في فلسطين ، إلا أنه - دون شك - إنما قد أصبح أشد إصرارا ، وأقوى عزيمة على أيام الملكية - وبخاصة في القرن التاسع قبل الميلاد - حيث بدأت حركة « الركايبين » حوالي عام ٨٥٠ ق.م (٤) ، ومن ناحية أخرى ؛ فلقد اتجهت القوى المختلفة العاملة في هذا المجال ، إلى تأييد التقاليد القومية ، وخاصة تلك التي تقف ضد إدخال أي عنصر أجنبي في الدين ، بغية أن تحتفظ ، بل وتؤكد حق يهو ، بملائته وصفاته ، هذا ورغم أن كتاب العهد قد أقر تحويل

(١) ملوك أول ١٢ : ٢٧ - ٣٢

(٢) هوشع ٨ : ٥ - ٦

(٣) ملوك أول ١٢ : ٣١ - ٣٣

Adolphe Lods, *Israel, From its Beginnings to the Middle* (٤)
of the Eighth Century, Translated by S. H. Hooke, London,
1962, p. 399—400, 410—411

عبادة يهوه إلى عبادة زراعية ، إلا أنه قد جدد في أماكن العبادة ، بحيث تنفق وبساطة الدين القديمة .

هذا وقد أقر رواية القصص الذين صنفوا التقاليد المحلية في المصدرين واليهوى « (Jahvist) و « الإلوهيمي » (Elohist) في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد ، أن يثيرا بين الإسرائيليين شعور الكبرياء بأصلهم الطيب ، وبالإيمان بربهم « يهوه » (Jahweh) ، الذي تدين له إسرائيل بكل شيء في الماضي ، وتضع فيه كل أمالها في الحاضر والمستقبل ، وقد نمت هذه التقاليد حقيقة في توحيد تاريخ الأمة بآلهة ، على أساس أن « يهوه » قد صمم منذ البداية - رغم كل العقبات - على خلق شعب غني وقوي ، وإن كانت مرت قرون طويلة قبل أن يقدر لأرض كنعان أن تكون ملكا له دون منازع .

ولعل الأسباب الرئيسية لمعارضة دين « بعل » إنما كانت بسبب تبني ملوك إسرائيل ديانات الشرك ، بالإضافة إلى دين « يهوه » ، وأقاموا عجولا من الذهب ، وضعوها في مبان كالمعابد ، واختلط الحابل بالنابل ، وأمسى الكهنة يقدمون الأضاحي ليهوه وبعل على السواء ، ويعبد دين « بعل » نموذجا للأديان الزراعية في بلاد تهود حقولها بالكروم والفلال ، إذ اشتهر هذا الدين بشرب الخمر ، والإنغماس في الجنس ، وتسربت هذه العدوى إلى دين يهوه ، حتى ساد الإنحلال الجنسي خلال عصر الملكية ، لقد سكر رعاة الأغنام ، ولانت طباعهم الخشنة ، نقرل النوراة : « ويل للبكرين صباحا يتيسون المسكر ، للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر ، وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائهم (١) » ،

(١) إشعياء ٥ : ١١ - ١٢

وقارفت بنو إسرائيل ألوانا مختلفة من الشذوذ مثل اللواط والاتصال بالحيوان من الذكور والإناث، ومارس الرجال والنساء زوجات وبنات - الدعارة المقدسة على أبواب المعابد فوق التلال (١) .

وكان رد الفعل الطبيعي أن تكونت في إسرائيل جماعات الأنبياء ، وقفت وجها لوجه أمام أنبياء « بعل » ، وكان الأنبياء : إيليا ومينخا واليشع ، هم الذين حلوا لواء المعارضة العنيفة ضد بيت عمري أخاب وأولاده - ومن سوء الحظ أن الروايات التي وصلت إلينا عن بداية هذه المعارضة ، إنما هي تقاليد شعبية ، أكثر منها حقائق تاريخية (٢) .

ونقرأ في التوراة أن « أخاب » (٨٦٩ - ٨٥٠ ق=م) قد اقترف من الشرور أكثر من كل تلك التي اقترفها أسلافه من قبل ، ولعل السبب في ذلك أن « أخاب » (Ahab) قد تزوج من « إيزابيل » (Jezebel) ابنة « إيشبيل » ملك صور ، والتي كانت ذات شخصية قوية ، ومن ثم فقد استطاعت أن تسيطر على زوجها اليهودي تماما ، وقد أثار هذا الزواج معارضة قوية في إسرائيل نفسها ، تزعمها النبي « إيليا » ، ذلك لأن « إيزابيل » لم تأت إلى إسرائيل بأفكار الحكم المطلق

(١) يدل على ذلك تحريم هذه الأمور في التشريع : أنظر : عن اللواط : (لاويون ٢٠ : ٣) ، وعن الاتصال بالحيوان : (تثنية ٢١ : ٢١ ، لاويين ٢٠) : (١٥ - ١٥) ، وعن الدعارة المقدسة : (تثنية ٢٣ : ١٧ - ١٨ ، ملوك ثان ٢٣ : ١٧ ، هوشع : ٧) ، وأنظر : ثروت الآسيوطي : نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين - الجماعات البدائية - بنو إسرائيل ص ١٧٤

(٢) A. Lods, op - cit, P. 419 - 420 وكذا :

Ernest Renan, Histoire du Peuple d'Israel, II, Paris, 1887, p. 267 F

الفريية عن التصور العبرى التقليدى عن الملكية فحسب (١) ، وإنما حاولت كذلك إجلال آلهة الفينيقيين شيئاً فشيئاً ، محل عبادة الله (يهوه) فى مملكة إسرائيل (٢) ، وليس هناك من شك فى أن د إيزابيل ، وحاشيتها السورية ، إنما كانوا يمارسون ديانتهم الوثنية فى معبد أنشء فى السامرة نفسها من أجل هذا الغرض (٣) .

وعلى أى حال ، فلم تكن هذه طقوس الدولة الرسمية ، ذلك لأن د يهوه ، إنما ظل بالتأكيد رب إسرائيل بالنسبة لآخاب ومملكة إسرائيل ، وإن كان الملك آخاب نفسه - فيما ترى التوراة - قد عبد البعل وسجد له ، (٤) ، بل إنه إنما أقام مذبحاً للبعل فى بيت البعل الذى بناه فى السامرة ، وعمل آخاب سوارى ، وزاد آخاب فى العمل لإغاظة الرب ، إله إسرائيل ، أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله ، (٥) .

غير أن وجود هذه الديانة الأجنبية ، وعبادتها فى السامرة ، إنما قد أثار مقاومة التقاليد القديمة الصارمة للقبائل الإسرائيلية ، والتي كانت خدمة د يهوه ، هو هدفها النهائى (٦) ، وقد تزعم د إيليا ، النبى الثورة ضد آخاب وزوجه

(١) Cecil Roth, A Short History of the Jewish People, London, 1969, p. 25

(٢) ج. كوتننو : المرجع السابق ص ٧٤ .

(٣) ملوك أول ١٦ : ٣٠ - ٢٤

(٤) ملوك أول ١٦ : ٣١ .

(٥) ملوك أول ١٦ : ٣٣ - ٣٢ .

(٦) M. Noth, op - cit, P. 241 - 242

إيراييل ، الذين جهدا لإلغاء عبادة « يهوه » ، وإحلال عبادة « البعل » في مكانها ، فهما مذابح رب إسرائيل ، وقتلا أنبياءه ، فاندفع إيليا في طول البلاد وعرضها كالإعصار ، مهددا متوعدا ، بأنه لا طل ولا مطر في هذه السنين ، وفي السنة الثالثة يقول الرب لإيليا « اذهب وتراء لآخاب ، فأعطى مطر على وجه الأرض » (١) .

ومع أن الجماعة كانت شديدة ، إلا أنها كانت في السامرة - عاصمة إسرائيل - أشد قوة ، وأعنف ضراوة ، وأخيرا يطلب إيليا النبي من آخاب أن يدعو كل إسرائيل إلى « جبل الكرمل » ، حيث يلتقى هناك بأنبياء البعل وعددهم ٤٥٠ نبيا - وكذا أنبياء السواري الذين كانوا يأكلون على مائدة إيزريل ، وعددهم ٤٠٠ نبيا - وأصدر آخاب أمره الملكي باستدعاء « جميع بني إسرائيل ، وجميع الأنبياء إلى الكرمل » ، ويعقد إيليا - نبي يهوه - مباراة بينه وبين أنبياء البعل - ليعرف الناس أي الآلهة الذي يستطيع أن ينزل المطر ، ويمن على الحقول بالخصر .

وحاول أنبياء البعل ، دون جدوى ، على مدى يوم كامل ، أن يأتوا بنار من السماء ، ليستنقذوا أضحياتهم ، ولكن إيليا بمجرد أن قدم صلواته ، حدثت المعجزة ، وإلى هذا تشير التوراة في سفر الملوك الأول ، حيث تقول : « فتقدم إيليا إلى الشعب ، وقال : حتى متى تخرجون بين الفرقتين ، إن كان الرب هو الله فاتبعوه ، وإن كان البعل فاتبعوه ، فلم يجبه الشعب بكلمة ، ثم قال إيليا للشعب : أنا بقيت نبيا للرب وحدي ، وأنبياء البعل أربع مئة وخمسون رجلا ، فليعطونا

(١) أنظر : التوراة (ملوك أول ١٧ : ١ - ١٨ : ١ ، ١٩ : ٢١) ، الإنجيل

(لوقا ٤ : ٢٥ ، رسالة يعقوب ٥ : ١٧)

ثورين ، فيختاروا لأنفسهم ثورا واحدا ويقطعوه ويضعوه على الحطب ، ولكن لا تضعوا نارا ، وأنا أقرب الثور الآخر ، وأجعله على الحطب ، ولكن لا أضع نارا ، ثم تدعون باسم آلهتكم ، وأنا أدعو باسم الرب ، والإله الذي يجيب بنار ، فهو الله ، فأجاب جميع الشعب ، وقالوا : الكلام حسن .

وقال إيليا لأنبياء البعل : اختاروا لأنفسكم ثورا واحدا ، وقربوا أولا ، لأنكم أنتم الأكثر وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا نارا ، فأخذ الثور الذي أعطى لهم وقربوه ، وادعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر ، قائلين : يا بعل اجبنا ، فلم يكن صوت ولا يجيب ، وكانوا يرقصون حول المذبح الذي عمل ، وعند الظهر سخر منهم إيليا ، وقال : ادعوا بصوت عال لأنه إله ، لعله مستغرق أو في خلوة أو في سفر لعله نائم فينتبه ، فصرخوا بصوت وتقطعوا حسب عاداتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم ، ولما جاز الظهر وتنبأوا إلى حين إصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا يجيب ولا مصغ ، (١) .

وقال إيليا لجميع الشعب : تقدموا إلى ، فتقدم جميع الشعب إليه ، فرم مذبح الرب المنهدم ، ثم أخذ إيليا اثني عشر حجرا بعدد أسباط بني يعقوب ، الذي كان كلام الرب إليه قائلا : إسرائيل يكون اسمك ، وبني الحجارة مذبحا باسم الرب ، وعمل قناة حول المذبح تسع كيلتين من البر ، ثم رتب الحجر ، وقطع الثور ووضعها على الحطب ، وقال : أملأوا أربع جراب ماء وصبوا على المحرقة وعلى الحطب ، ثم قال : ثنوا فثنوا ، وقال : ثلثوا فثلثوا ، فجرى الماء حول

المذبح وامتلات القناة أيضا ماء ، وكان عند إصعاد التقدمة أن إيليا النبي تقدم ، وقال : أيها الرب إله إبراهيم وإسحاق وإسرائيل ، ليعلم اليوم إنك أنت الله في إسرائيل ، وأنا أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور ، استجبني يا رب ، استجبني ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله ، وأنتك أنت حولت قلوبهم رجوعا ، فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة في الحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة ، فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم ، وقالوا : الرب هو الله ، الرب هو الله ، (١) .

وهنا يأمر د إيليا ، النبي قومه أن د امسكوا أنبياء البعل ، ولا يفلت منهم رجل ، فامسكهم ، فنزل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم ، (٢) ، وهكذا استأصل إيليا أنبياء البعل في إسرائيل، ولم يحل بها القحط، حيث دعا إيليا لقومه بوفرة المطر ، واستجاب يهوه لدعاء نبيه (٣) .

وتسمع د إيزابيل ، بما حدث لأنبياء ربه د بعل ، وفي غضب مرير ، تنذر قتل د إيليا ، النبي ، انتقاما منه لقتله أنبياء البعل ، وفي يأس قاتل يهرب د إيليا ، إلى د حوريب ، (٤) ، ثم يعهد إلى حواريه د اليشع ، ليمسح - باسم يهوه ، رب إسرائيل - د حزائيل ، ملك دمشق (٥) د رغب ، أن د حزائيل ، هذا ، لم يكن

(١) ملوك أول ١٨ : ٣٠ - ٣٩ (٢) ملوك أول ١٨ : ٤٠

(٣) A. Lods, op - cit, P. 421

(٤) حوريب : هو جبل سربال في وادي فيران ، على رأى ، وهو جبل يقع في أدوم على رأى آخر ، وهو جبل موسى (في سيناء) على رأى ثالث (قاموس الكتاب المقدس ١ / ٤٩٨) .

(٥) ملوك أو : ١٨ : ١ - ١٩ : ١٧

إسرائيليا ، ولا عابدا ليهوه ، ذلك لأن رب إسرائيل - فيما يرى المخاضم أبشتين-
إنما أراد أن يجعل ملك دمشق الآرامى ، صوت عذاب على شعبه إسرائيل ،
الآثم الشرير (١) ، والذي لم يبق منه سوى سبعة آلاف رجل ، لم يركعوا للإله
بعل ، ولم تقبله شفاهم (٢) .

على أن هناك - من ناحية أخرى - بعضا من الباحثين ، إنما يذهب إلى أن
هذه الصفحات التي وردت في التوراة عن « قصة إيليا » ، ربما كانت تقاليد شعبية ،
أكثر منها حقائق تاريخية ، وذلك لأسباب منها (أولا) أننا نستطيع أن نستخلص
من التوراة نفسها ، أن « أخاب » و « إيزاييل » ، إنما كانا أول حاكين إسرائيليين
- بعد داود عليه السلام - أعطيا أبناءهما أسماء بها مقاطع من اسم الرب
القوى (أخزيا ويهورام وعثليا) . ومنها (ثانيا) أن « الأوستراكا » التي اكتشفت
في قصر « أخاب » في السامرة تبين أن هناك أسماء من هذا القبيل ، كانت شائعة
بين موظفي الملك « أخاب » (٣) .

ومنها (ثالثا) أن الزوجين الملكيين لم يبق ما باغتيال كل أنبياء يهوه ، ذلك
لأن هناك نصوصا تشير إلى أن أخاب قد استمع إلى بعض أنبياء يهوه بعد ذلك
تقول التوراة : « وكان يحيط به عشية وفاته أربعمائة نبي تنبأوا له بالنصر ، إلا
واحدا ، ومنها (رابعا) أن « إيليا ، النبي » لم يبلغ عباده « بعل » ، في عهد « أخاب » ،

Isidore EPsTein, Judaism, 1970, P. 41 (١)

A. Lods, op cit, P. 421 (٢)

G. A. Reinsner, Israelite Ostraka from Samaria, p. 20-27 (٣)

H. Gressmann, ZATW, 1925, P. 148 وكذا

G. R. Driver, ZATW, 1928, P. وكذا

(٨٦٩ - ٨٥٠ ق.م) ، وإنما كان الملك « ياهو » (٨٤٢ = ٨١٥ ق.م) هو الذى فعل ذلك ، بعد سنين عددا ، وطبقا لتقاليد أخرى ، فإن الذى انفى عبادة « بعل » إنما كان « حزائيل » ملك دمشق ، وعلى أى حال ، فإن الذى مسح « ياهو » إنما كان النبي اليسع ، وليس « إيليا » (١) .

وأيا ما كان الأمر ، فهناك من يذهب إلى أن الملك الإسرائيلى « أخاب » ، إنما قد أقام فى السامرة معبد الإله صور (بعسل) . و « ملقارت » إله حليفه « إيشبل » لأهداف سياسية ، وأنه بهذا التعدى على ربه « يهوه » لم يقم إلا بما قام به سليمان من قبل « عندما أقام أماكن لعبادة زوجاته الوثنيات فى أورشليم ، والتي ظلت قائمة حتى عهد الإصلاح الدينى فى عام ٦٢٢ ق م ، والذى قام به « يوشيا » (٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م) ملك يهوذا (٢) ، غير أن ما فعله « أخاب » إنما كان جديدا وخطيرا فى مظهره ، لأن الملك الإسرائيلى ورجال حاشيته إنما قد قاموا بتقديم القرابين للإله الأجنبي ، ولم يعد « يهوه » هو رب البلاد الوحيد ، الذى يعبده الإسرائيليون فى فلسطين ، حيث انتهك مسيح يهوه حرمان ربه ، وأخل بواجباته الأساسية ، وكان لمنافسه « بعل » معبد فى بلاده ، وأعل هذا هو سبب غيرة النبي إيليا ، وقيامه بالدعوة لربه « يهوه » (٣) .

وأيا ما كان الأمر ، فلقد أرسل النبي « اليسع » واحدا من بنى الأبيسار ، ليسع القائد الإسرائيلى « ياهو » ملكا على إسرائيل ، ومبيدا لبيت « أخاب » ،

(١) ملوك أول ٢٠ - ٢٢ ، ملوك ثان ٨ : ٧ - ١٥ ، ١٩ : ٦

A. Lods, op-cit, p. 421

وكذا

(٢) ملوك أول ١١ : ٧ - ٨ ، ملوك ثان ٢٣ : ١٣

(٣) A. Lods, op-cit, p. 422

ونجح الرجل في مهمته ، بعد أن قام بعدة مذابح وحشية (١) ، ثم اتجه إلى السامرة وبصحبه - وفي عربته الحربيه ذاتها - ياهو ناداب بن ركاب ، القيني ، المتحمس ليهوه ضد البعل ، وهناك « قتل جميع الذين بقوا لآخاب في السامرة » ، ثم ادعى أنه أكثر إيمانا بالبعل من آخاب ، ليجمع إليه « كل أنبياء البعل ، وكل عابديه ، وكل كهنته » ، وفي لحظة من التعصب الديني البغيض ، ذبح « ياهو » كل من اتخذ البعل ربا ، ودمر معبده (٢) ، وهكذا أيد أتباع البعل في مذبحه بقيت في ذاكرة القوم مروعة ، ولفترة طويلة بعد ذلك (٣) .

وتمضى الأيام ، ويجلس « يربعام الثاني » على عرش إسرائيل ، حيث تمتاز أيامه (٧٨٦-٧٤٦ ق.م) بقوة ورخاء ، مصحوبتين بانتعاش ديني ، وبدت روح الورع ، وكأنها تسود في كل مكان ، واحتشدت الحاربي ، وتدقت القرابين ، وحافظ على الأعياد بدقة ، ولكن كل هذه المظاهر الخارجية للديانة قد لوتت بالوثنية ، فلم توجه إلى عبادة « يهوه » النقية ، وإنما للتوفيق بينها وبين عبادة المعول الذهبية (٤) ، ومن هنا نرى النبي « هاموس » (٧٦٠-٧٤٦ ق.م) يقول - على لسان ربه يهوه - « بغضت ، كرهت أعيادكم ، ولست أذبح باع تكافاتكم ، إلى إذا قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى ، وذبايح السلامة من مسمتانكم لا ألتفت إليها ، إبعده عن ضجة أغانيك ونعمة ربابك لا أسمع ، وليجر الحق

(١) ملوك ثان ١:٩-٣٧ ، ١:١٠-١٧ ، وكذا A. Lods, op-cit, p. 383

(٢) ملوك ثان ١٥ : ١٥ - ٢٨

(٣) هوشع ١ : ٤ ، وكذا C. Roth, op-cit, P. 26

(٤) I. EPstein, op-cit, p. 42

كالمياه ، والبر كنهر دائم (١) .

وإذا ما تركنا دويلة إسرائيل (٩٢٢ - ٧٢٢ ق.م) ، واتجهنا إلى دويلة يهوذا (٩٢٢ - ٥٨٧ ق.م) ، لرأينا أن الملك اليهودي «أسا» (٩١٣-٨٧٣ ق.م) يقوم بحركة إصلاح ديني ، لا بأس بها على أية حال ، فقد كان الرجل «يهويا» ، ومخلصا ، ومن ثم فقد أخرج من معبد سليمان الإلهة الأوثان التي كانت تقطن بجوار «يهوه» ، وطرد العاهرات المقدسات ، وأزال المابونيين من أرض يهوذا وسحب من أمه «معكة» ابنة ابشالوم (٢) ، لقب «الملكة الأم» ، لأنها كانت تؤيد الوثنية (٣) تقول التوراة : «وعمل أسا ما هو مستقيم في عيني الرب كداود أبيه ، وأزال المابونيين من الأرض ، ونزع جميع الأصنام التي عملها أبوه ، حتى أن معكة أمه خلعها من أن تكون ملكة ، لأنها عملت تمثالا لسارية ، وقطع أسا تمثالها وأحرقه في وادي قدرون» (٤) .

ومن المعروف أن هذه الأمور إنما قد انتقلت إلى الإسرائيليين من ديانة «بعل» ، الذي اشتهر بشرب الخمر ، والإنغماس في الجنس (٥) ، وأما المرتفعات التي كانت قد أسست على نمط كنعاني ، بأعمدة وسواري مقدسة ، فقد بقيت كما

(١) عاموس ٥ : ٢١ - ٢٤

(٢) تضطرب التوراة في «معكة ابنة ابشالوم» هذه ، وصلتها بالملك «أسا» ، فهي مرة أم أبيه «أبيام» ، وهي مرة أخرى أمه هو ، أي «أسا» (انظر : ملوك أول ١٥ : ٢ ، ثم قارن : ملوك أول ١٥ : ١٠)

(٣) باروخ سبينوزا : المرجع السابق ص ٤٢٤

(٤) ملوك أول ١٥ : ١١ - ١٣

(٥) ثروت أنيس الأسيوطي : المرجع السابق ص ١٧٤

كانت ، لانهم إنما كانوا يظنون أن ذلك إنما كان مجرد عادة ، ولا يحمل بين طياته
آية أهداف وثنية(١) .

وجاء بعد داسا ، ولده ديهو شافط ، (٨٧٣ - ٨١٩ ق.م) ، الذي نهج
نهجة ، وأكل بعض مشروعاته ، ونقرأ في التوراة أنه « أزال المأبوسين ، الذين
بقوا في أيام أبيه داسا ، ، إلا أن المرتفعات لم تنزع ، بل كان الشعب لا يزال
يذبح ويوقد على المرتفعات (٢) » .

وفي عام ٨٤٣ ق.م ، تجلس دعثليا ، على عرش أورشليم ، بعد موت ولدها
دأخزيا ، (٨٤٢ ق.م) ، وتعلن عبادة دبعل ، الصورية كديانة رسمية لدولة
يهوذا (٣) ، غير أن ديهوياداع ، - الكاهن الأكبر ، وصهر البيت المالكة . قد
استطاع بعد ست سنوات ، من أن يقتل دعثليا ، في عام (٨٢٧ ق.م) ، وأن
يدخل جميع الشعب د إلى بيت البعل ، وهدموا مذابحه ، وكسروا تماثيله تماما ،
وقتلوا دمتان ، كاهن البعل ، أمام المذابح (٤) ، ، غير أن عبادة البعل سرعان
ما تعود ثانية في عهد ديهوآش ، (٨٢٧ - ٨٠٠ ق.م) - خليفة عثليا - وبعد قتل
الكاهن الأكبر ديهوياداع ، مباشرة ، فترك القوم د بيت الرب إله آبائهم ،
وعبدوا السورى والاصنام ، فكان غضب يهوه على يهوذا وأورشليم لاجل
إثمهم هذا ، وأرسل إليهم أنبياء لإرجاعهم إلى الرب ، وأشهدوا عليهم ، فلم

(١) I. Epstein, op—cit, P. 46

(٢) ملوك أول ٢٢ : ٤٢ - ٤٦

(٣) Cecil Roth, A Short History of the Jewish People, (٣)

London, 1969, P, 32

(٤) ملوك ثان ١١ : ٢ - ٢٣ ، أخبار أيام ثان ١٠ : ٢٣ - ٢٢

يصنعوا (١) .

وجاء « أمصيا » (٧٨٢-٨٠٠ ق.م) ، الذي تذهب التوراة إلى أنه قد « عمل المستقيم في عين الرب » ، وإن ظلت المرتفعات كما كانت ، يذبح القوم لها ، ويوقدون عليها (٢) ، وطبقا لرواية التوراة ، فقد قام أمصيا بحملة ناجحة ضد أدوم ، نجح فيها في الاستيلاء على « صالح » (البترام) ، وأطلق عليها اسم « يقتيل » بمعنى « الخاضع لله » ، ولكنه في نفس الوقت ، فقد أحضر معه آلهة أدوم الوثنية وسجد أمامها ، وأوقد لها (٣) .

وفي عهد « أحاز » (٧٢٥-٧١٥ ق.م) يقود النبي « إشعيا » (٧٢٤ - ٦٨٠ ق.م) حركة المقاومة ضد الحلف الذي كانت تزعمه مصر ، وتنضم له ولايات سورية وفلسطين ضد آشور ، ويطلب من قومه اليهود بأن يضعوا ثقتهم في ربهم « يهوه » ، الذي اتخذ من أورشليم مقرا دائما له ، ومن ثم فإنه لا يرضى بأن تكون مدينته المقدسة فريسة للغازي الأجنبي ، فلتثق يهوذا بربها يهوه ، فلا يستطيع أحد لها ضرا ولا نفعا (٤) .

(١) أخبار أيام ثان ٨:٢٤-٨ ، وكذا I. Epstein, op-cit, p. 47-48

(٢) ملوك ثان ١٤:٧-١٤ ، أخبار أيام ثان ٢٥:١٦-٢٥

(٣) أخبار أيام ثان ٢٥ : ١٤

وكذا J. Hastings, A Dictionary of the Bible, p. 853

A. B. W. Kennedy, Petra, History and Monuments, London,

1925, p. 78 وكذا

(٤) إشعيا ١٧:٧-١٧ ، تيودور روبنسون - تاريخ العالم - إسرائيل في

ضوء التاريخ - ترجمة عبد الحميد يونس - القاهرة - ص ١٤٢

ومع ذلك كله ، فلقد رفض «أحاز» أن يسمع لتحذيرات النبي إشعياء وتأكيده ، أو يشاطره آفته في «يهوه» رب إسرائيل ، فقدم جزيته إلى آشور بل إنه إنما قد ذهب بنفسه إلى دمشق ليقدم فروض الولاء ، للعاهل الآشوري «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) ، ونقرأ في التوراة أن «أحاز» قد ضحى لآلهة دمشق ، وطلب عونها ، لأنها في رأيه الأقوى ، بل إنه قد شيد مذبحا في أورشليم على النمط الوثني الذي رآه هناك . كما أدخل في يهوذا طقوس التضحية بالطفل التي كان يمارسها الآشوريون ، حتى أنه قدم ابنه الوحيد لنيران «مردوخ» (١) ، وفي نفس الوقت ، فلقد أدخل في نطاق المعبد صوراً للخبول المتدسة ، تكرّما لإله الشمس ، وتعبيرا للآلهة لمعبودات آشور القديمة ، فضلا عن التعبير لملك الملوك نفسه - أي لملك آشور - (٢)

وخلف «حزقيا» (٧١٥ - ٦٨٨ ق.م) أباه «أحاز» على عرش يهوذا ، ولكنه كان مختلفا عنه ، ومن ثم فلم ينجح نهجته ، ولم يتبع سياسته في الدين والسياسة ذلك لأن العاهل الجديد - فيما تروى التوراة - إنما كان مصالحا دينيا ، ولهذا فقد أمر بإخراج النجاسة من بيت الرب وتطهيره ، فضلا عن تقديم الذبائح والقرايين والمحرقات ، هذا إلى جانب إزالة المرتفعات ، وكسر التماثيل ، وقطع السوارى ، وهي أمور حاول أسلافه القيام بها دون جدوى ، بل لقد ذهب «حزقيا» إلى حد الإعلان بأنه لن يدمر ما هو أقل قداسة من «تمثال حية النحاس» (نحشتان) ، والذي كان محفوظا داخل معبد أورشليم (هيكل سليمان)

(١) ملوك ثان ١٦:٧-٢٠ ، أخبار أيام ثان ١:٢٨-٢٥ ،

وكذا

I. EPstein, op-cit, p. 48-49

C Roth, op,-cit, p. 34

(٢)

ومعسوبا على أنه من صنع موسى نفسه ، كما أنه قد « عصى على ملك آشور ، ولم يتعبد له (١) » .

غير أن خليفته وولده « منسى » (٦٨٧ - ٦٤٢ ق.م) ، إنما كانت له شهرة سيئة من الناحية الدينية ، ذلك لأن « منسى » هذا ، إنما كان كافرا بدين « يهوه » ، متبنيا لطقوس سادته الوثنية ، بما فيها من عبادة الكواكب والتضحية بالأطفال ، ومن هنا فقد اعتبرت فترة حكمه أسوأ وأقسى ردة وثنية في تاريخ يهوذا ، وأما ما هو أكثر دهشة في هذه المرحلة ، فإن هذه الأحوال الوثنية إنما كان يمارسها القوم الذين ادعوا أنهم عباد يهوه - رب إسرائيل - وهم يعتقدون أنهم يمارسونهم مثل هذه الأعمال يصبحون جدريين برعاية رب إسرائيل (٢) .

ونقرأ في التوراة أن « منسى » قد « بنى المرتفعات التي أبادها حزقيا أبوه ، وأقام مذابح البعل ، وعمل سارية ، كما عمل أخاب ملك إسرائيل ، وسجد لكل جند السماء وعبدها ، وبنى مذابح في بيت الرب ، الذي قال الرب عنه : في أورشليم أضع اسمي ، وبنى مذابح لكل جند السماء في داري بيت الرب ، وعبر ابنه في النار ، وعاف وتعامل واستخدم جانا وتوابع ، وأكثر عمل الشر في هيبي الرب لإغاظته ، ووضع تمثال السارية التي عملت في البيت ، الذي قال الرب عنه لداود وسليمان ابنه ، في هذا البيت ، وفي أورشليم التي اخترت من جميع أسباط إسرائيل ، أضع اسمي إلى الأبد » (٣) .

(١) ملوك ثان ١٨ : ٧ - ١ : ٢٦ ، أخبار أيام ثان ١ : ٢٦ - ٢٦

(٢) Isidoro Epstein, Judaism, A Historical Presentation, (٢)
(Penguin Boaks) 1970, p. 51

(٣) ملوك ثان ٢١ : ٣ - ٧

وهكذا وجدت المحاريب المحلية القديمة ، كما أدخل مذبح عبادة الشمس في
يهوذا، على نظام عبادتها في آشور، ودشن - وكذا فعل خليفته - خيلا وعجلات
للمس، وأحرقوا لها بخورا على السطوح ، كما مارس القوم كذلك عادة الضحايا
البشرية ، وقدموا الطقوس الأجنبية المألوفة حول معبد أورشليم نفسه (١) ،
واعترفوا بعبادة « البعل » ، وممارسة العرافة والسحر ، ولعل هذا كله ما دعا
بعض الكتاب المتأخرين إلى أن يروا في « مثنى » وما تم في عهده من وثنية ،
سببا في سقوط أورشليم ، ونفى يهوذا (٢) .

وتميز عهد الملك « يوشيا » (٦٤٠ - ٦٠٩ ق. م) بعدة إصلاحات دينية ،
كان أساسها الحصول على نسخة من « سفر الشريعة » في العامن الثامن عشر من حكم
هذا الرجل (أى عام ٦٢٢ ق.م) ، على يد الكاهن « حلقيا » في معبد أورشليم (٣) ،
وقد قام جدل طويل حول هذا الكشف ، وسواء أكان « حلقيا » أوجد نسخة
« سفر الشريعة » هذه ، أم أنها وجدها حقيقة ، وسواء أكانت هي النسخة الأصلية ،
أم أنها لم تكتب إلا قبيل اكتشافها هذا المزعوم ، بما لا يتعدى عشرات السنين (٤)

(١) ملوك ثان ٢١ : ٣ ، ٥ ، ٢٣ ، ٥٠ ، ١١ ، قاموس الكتاب المقدس

١/٥١٩ ، وكذا C. Roth, op-cit, p.35

(٢) ملوك ثان ٢٣ : ٢٦ - ٢٧ ، إرميا ١٥ : ١ ، وكذا W.F. Albright,

The Biblical Period, From Abraham to Ezra, New York,
1963, p. 79

(٣) ملوك ثان ٢٢ : ٣ - ١٣ ، أخبار أيام ثان ٢٤ : ٨ - ٢٣

(٤) ول ديورانت : المرجع السابق ص ٣٦٥ ، وكذا

W.F. Albright, The Archaeology of Palestine, 1949, p. 225

وكذا A. P. Davies, The Ten Commandment, N.Y, 1956, p. 35

- الأمر الذي ناقشناه من قبل بالتفصيل في هذا الكتاب (١) - فالذي يهمننا هنا أن النصوص إنما تنسب إلى د يوشيا ، أنه قد أصلح المعبد ، وظهره من الطقوس الأجنبية ، وأزال المحاريب من المرتفعات ، ودمر مذبح د بيت لئيل ، المنافس لمذبح اورشليم ، منذ أيام د يربعام الأول ، (٩٢٢ - ٩٠١ ق.م) ، واحتفل بعيد الفصح ، الذي يذكر القوم بالتحلاص من مصر (٢) .

وفي عام ٥٨٧ ق.م ، تم السبي البابلي المشهور ، والذي ينسب القوم في توراتهم إلى الإتحلال الداخلي ، وانتشار الفساد الخلق والاجتماعي بين القوم ، فضلا عن الإنحراف عن عبادة د يهوه ، ، والإتجاه إلى عبادة الآلهة الأجنبية - وبخاصة بعل صور - في الفترة التي سبقت هذا السبي (٣) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن وجود البابليين في اليهودية - كحكام وكهامية - قد أدى إلى قيام المعبودات البابلية والاضراف بها ، حتى لئرى د إرميا ، يحتج - وهو في مصر - على عبادة ملكة الهياوات «عشتار» (٤) .

(١) أنظر : محمد بيومي مهران : إسرائيل - الكتاب الثالث - الحضارة -

الإسكندرية ١٩٧٩ ص ٢٧ - ٣٠

(٢) ملوك ثان ٢٢ : ٢٣ ، وكذا C. Roth, op-cit, p. 35 - 36

(٣) إرميا ١ : ١٥ - ١٦ ، ٢ : ٢ ، ٨ - ١٠ ، ١٩ ، وكذا

b: A. Cook, CAH, 1965, p. 400

(٤) هناك من يذهب إلى أن الإلهة الكبرى الشهوانية د عشتار ، التي كان المبرانيون يعبدونها في الأماكن المرتفعة بين الغياض ، والتي كانوا يأتون بالدعوات المقدسة تكريما لها ، لم تكن سوى زهراء بابل عشتار ، وكان لعشتار هذه خطوة لدى شعب إسرائيل الشيق ، وذلك لما كان لها من شعار شهوانية ، وكانت لها هياكل على التلال ، وتحاط بغاب الزيتون ، حيث يسع للحائم العاشقات سجع وهديل ،

ويشير « حزقيال » - وهو أحد أفراد سبي يهوياكين في عام ٥٩٧ ق.م - إلى مجرى سير الأمور في المعبد قبل عام ٥٨٧ ق.م ، فيحدثنا عن « تمثال الغيرة » (وربما كان لعشتار) ، هذا فضلا عن عبادة الحيوان التي كانت تمارس في قاعة سرية ، وفي نفس الوقت كانت السامرة تشجع عبادة بعل الكنعاني (١) .

وهناك قصص ! تتحله الإسرائيليون طوعا عن « تموز » الذي ذهبته الآلهة لتبعث عنه حتى سواء المجيم ، وكان يمثل موت « تموز » ، الذي غدا « أدونيس » ، [الإغريق نهاية الخريف ، وكان ذلك الإله الجميل يموت في كل سنة ، ليبعث بعد كل شتاء ، فإذا دل حر الصيف على فقده بكى باحتفال ، فكانت النساء تقوم بالشعائر المأتمية نادبات باكيات ، وبما رواه « حزقيال » (٥٩٣ - ٥٧٢ ق.م) أنه كان في زمانه نساء تبكي تموز في معبد الرب (٢) ، تقول التوراة : « وقال لي الرب ... »

وحيث تجلس الفتيات اللاتي يقضين نهرهن في تطريز الخيام للغياض ولياليهن في قضاء أوطار المؤمنين الذين يتقاطرون إلى هناك ، وسرعان ما غدت الدعارة المقدسة تأخذ شكلا أشد كراهية ، وأكثر اشمئزا ، عند أصبح الحصيان - لا الفتيات - يبيعون ، أنفسهم في ليل الغاب الكثيف ، وعلى ما كان من نعم الانبياء لهؤلاء الفتيان ب « الكلاب » ، وعلى ما كان من حذر نذر أجور هؤلاء الفاسقين - أو المأبوسين ، كما تسميهم التوراة - لم ينفك بني إسرائيل عن مضاجعتهم (أنظر : ملوك أول ١٥ : ١١ ، ٢٣ : ٤٦ ، ملوك ثان ٢٣ : ٧ ، جوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى - ترجمة عادل زعيتر - القاهرة ١٩٦٧ ص ٦٢ ، ٦٧)

(١) إرميا ٤٤ : ١٧ - ١٩ ، حزقيال ٨ : ٣ ، ١٤ ، إشعياء ٧ : ٣ - ٨ ،
٦٥ : ٣ - ٥ ، ٦٦ : ٣ ، ١٧ ، نجيب مينخايل : مصر والشرق الأدنى القديم
٤٥٧ / ٣

(٢) جوستاف لوبون : المرجع السابق ص ٦٤ - ٦٥ .

تعال أنظر رجاسات أعظم هم عاملوها ، فجاءني إلى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال ، وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز ، فقال لي : رأيت هذا يا ابن آدم ، بعد تنظر رجاسات أعظم من هذه ، (١) .

وظلت عبادة الشمس والقمر والنجوم قائمة طويلا زمن ، لدى جميع أمم سورية ، ولدى بني إسرائيل على وجه الخصوص ، وفي زمن حزقيال كان يمكن أن نرى - حتى في هيكل أورشليم - يهودا كانوا يسجدون أمام الشمس ، مولين وجوههم شطر المشرق (٢) ، تقول التوراة - على لسان حزقيال - فجاء بي إلى دار بيت الرب الداخلية ، وإذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلا ظهورهم نحو هيكل الرب ، ووجوههم نحو الشرق ، وهم ساجدون للشمس نحو الشرق ، وقال لي : رأيت يا ابن آدم ، أقليل لبيت يهوذا عمل الرجاسات التي عملوها هنا ، لأنهم قد ملأوا الأرض ظلما ، ويعودون لاغاطي ، (٣)

على أن هذا كله ، لا يبين - بحال من الأحوال - أن القوم قد انصرفوا عن عبادة ربهم « يهوه » ، وإنما ربما يعني أن هناك محاولة للربط بين رب إسرائيل ، وبين مختلف معبودات الشعوب الأخرى ، وبدمي أن الاحتجاجات التي أثيرت ضد محاولات التوفيق هذه ، وإنما توحى بأن أولئك الذين كانوا يتبذرون يهوه ، إنما ظلوا في اليهودية - بعد السبي - كما يشير إلى ذلك الوصف الذي يقدمه الثامون حاجا القادمون من شكيم وشيلوه والسامرة ، إنما كانوا قادمين إلى أورشليم ،

(١) حزقيال ٨ : ١٢ - ٥ :

(٢) جوستاف لوبون : المرجع السابق ص ٦٥ .

(٣) حزقيال ٨ : ١٦ - ١٨ .

لتقديم القرابين إلى بيت الرب الذي خرب ، وفي هذا دليل على أن عبادة يهوه ، إنما قد استمرت في مكان المعبد ، حتى بعد عام ٥٨٧ قبل الميلاد^(١) .

عصر السبي وما بعده :-

استمر اليهود على أيام السبي البابلي (٥٨٧ - ٥٣٩ ق.م) مذبحين بين عبادة يهوه ، وعبادة الآلهة الأجنبية، ورغم أنهم لم يكونوا - طبقا لرواية التوراة - مرغبين على عبادة أى نوع من المعبودات البابلية^(٢) ، فإن طائفة منهم مطردة الزيادة أخذت تتعبد إلى الآلهة البابلية ، وتآلف الأساليب الشهوانية الشائعة في العاصمة القديمة ، على الرغم مما بذله حزقيال من جهد جبار في إبقاء القوم على عقيدتهم في نهاية يهوه بمدينةته ووطنه وشعبه ، ومع ذلك فإن الجيل الثاني من المنفيين كانت ذكرى أورشليم قد محيت - أو كادت - من أذهانهم^(٣) .

ورغم ذلك فقد ظل الكثيرون من المنفيين ينظرون إلى المكان المقدس في أورشليم - حيث كان التابوت محفوظا - وكأنه يمثل المركز الديني للقبائل الإسرائيلية، ومن ثم فقد أصبح المكان المختار لسكنى « يهوه »^(٤) ، والمكان الذى اختاره ليحمل اسمه^(٥) ، ورغم أن المعبد الذى بناه سليمان في هذا المكان قد أتت عليه النيران ، إلا أن قدسية المكان لم ترتبط ببناء المعبد فحسب، ومن ثم فإنه كخرائب

(١) إرميا ٤١ : ٤ - ٨ ، نجيب مينخايل : المرجع السابق ص ٥٧ ، وكذا

M. Noth op-cit, p. 288

(٢) M. Noth, op-cit, p. 296

(٣) ول ديورانت : المرجع السابق ص ٢٦٠ ، وكذا

C. Roth, op-cit, p. 51-52 وكذا S. A. Cook, op-cit, p. 457-408

(٤) إشعياء ٨ : ١٨ ، (٥) تثنية ١٢ : ١١ -

ما يزال مكانا مقدسا ، وسكنا لرب إسرائيل ديهوه،^(١) .

وفي فترة ما بعد السبي ، والعودة إلى فلسطين ، كانت مهمة «عورا ، الكاتب الأساسية - بعد مشكلة الزواج المختلط بين يهود وجيراتهم - هي «إعلان الشريعة ، التي أحضرها معه من بابل في اجتماع وقور وخطير ، ومن ثم فقد شرع يقرأ عليهم من مطلع النهار إلى منتصفه «سفر شريعة موسى» . وظل هو وزملاؤه اللاويون سبعة أيام كاملة يقرأون عليهم ما تحتويه ملقات هذا السفر ، ولما فرغوا من قراءتها ، أقسم الكهنة والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ، ويتخذوها دستوراً لهم يتبعونه ، ومبادئ خلقية يسرون على هديها ، ويطيعونها إلى أبد الأبدين^(٢) .

وسرعان ما بدأ القوم في ممارسة الطقوس على النظام القديم ، ومراعاة «السبت ، والعبادة والاحتان ، التي غدت جميعا بعد هذه المرحلة أمورا يجب اتباعها ، كما عملت في الوقت نفسه على ربط ما كان قد انفردت من عقدهم ، وتأت بهم عما كانوا يترددون فيه من ضباب الوثنية ، الآخذ بنخاقهم ، والمحيط بهم من كل ناحية ، وقربتهم إلى فكرة التوحيد ، وباعدت ما بينهم وبين الشرك ، وأعطتهم الأمل في بعث وتشور ، وحساب من ثواب أو عقاب^(٣) .

(١) M. Noth, The History of Israel, London, 1965, p. 291

(٢) نحميا ٨ : ١ - ١٨ ، ول ديورانت : المرجع السابق ص ٣٦٦ .

(٣) جيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٧٠ .

الفصل الرابع

المقدسات الإسرائيلية

(١) السوارى :-

وهي السوارى المقدسة عند الكنعانيين ، وقد أوضحت الآن إحدى الملامح المنتظمة لأماكن إسرائيلية مقدسة (١) ، وقد شيدت هذه السوارى (The Asherah) على امتداد مذابح ديهوه، في كل من السامرة وأورشليم (٢)، وعلى الرغم من تحريمها بنص التوراة ، لا تنصب لنفسك سارية من شجرة ما ، بجانب مذبح الرب إلهك ، الذى تصنعه لك ، ولا تقم لك نصبا ، الشيء الذى يبغضه الرب إلهك (٣) ، فقد أصبح للسوارى ، على أيام الملك دأخاب ، (١٦٩ - ٨٥٠ ق.م) ، أربعائة نبي يأكلون على مائدة زوجه إيزابيل (٤) .

وعلى أى حال، فلقد أثبتت الآثار التى وصلتنا أن العقوس الدينية الإسرائيلية ترجع كثرتها إلى أصول كنعانية ، حتى أصبح من العسير على الباحث فى العقائد الإسرائيلية أن يعزلها من الأصول الكنعانية، فنحن نجد عقوس عبادة يهوه ماهى فى الواقع إلا عقوس الإله الكنعانى ، بل وأصبحت قدسية المكان هى بعينها القديمة لم تتغير (٥) .

وهناك ما يشير إلى أن الإسرائيليين لم يكونوا يعرفون دالسوارى ، قبل

(١) ميخا ٥ : ١٤ (٢) ملوك ثان ١٣ : ٦ ، ١٨ : ٤ ، ٢١ : ٧ ، ٢٣ : ٦

(٣) تثنية ١٦ : ٢١ (٤) ملوك أول ١٨ : ١٩

(٥) فؤاد حسنين : إسرائيل عبر التاريخ - الجزء الأول ص ٢١٦ - ٢١٧

دخولهم فلسطين، ذلك لأن المرادف لها لم يكن معروفا عند الوثنيين العرب، وأن عبادة يهوه لم ينسبوا إلى الأحياء - سواء أكان ذلك في الروايات اليهودية أو الإلوهيمية - بناء السوارى ، وربما يفسر ذلك بدرجة أفضل ، افتراض أن السوارى لم تكن جزءا من تراث الأحبار الدينى القديم (١) .

وأيا ما كان الأمر ، فإن عمود السوارى هذا ، أو « أشيرة » (Asherah) ، إنما كان يرمز للإلهة « عشتارت » ، ثم نقله الإسرائيليون عن جيرانهم ، وهكذا وجدت « أشيرة » بجانب « بعل » (٢) ، كما وجدت إلى جانب يهوه ، وأماكنه المقدسة (٣) ، كما فى السامرة وأورشليم (٤) - أى فى العاصمتين الشمالية والجنوبية - وظل الحال كذلك ، حتى جاء حين من الدهر ، اعتبرت هذه المقدسات وثنية ، لأن التوراة قد اعتبرت عمود السارى (تمثال السارية) - كما فى سفر التثنية - نسبة لآشير - والتي هى عشتارت - وكان تكريمها وتقديسها مرتبطا بعبادة بعل (٥) .

(٢) تابوت العهد :-

يطلق على « تابوت العهد » (The Ark of Covenant) كذلك التابوت المقدس ، أو كما عرف قديما باسم « تابوت إلهيم » (٦) ، وأحيانا « تابوت

(١) A. Lods, op-cit, p. 425-426

(٢) تثنية ٧ : ٥ ، قضاة ٦ : ٢٥ (٣) هوشع ٢ : ٤ ، ميخا ٥ : ١٢-١٣

(٤) ملوك ثان ١٣ : ٦ ، ١٨ ، ٤ ، ٢١ ، ٧ : ٢٣ ، ٦

(٥) تثنية ١٢ : ٣ ، ١٦ ، ٤١ : ٣ ، قضاة ٣ : ٧ ، ملوك أول ١٥ : ١٣ ، ١٨ :

١٩ ، فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ٢٢١

(٦) صموئيل أول ٤ : ١٣ ، ١٧ ، ٥ : ١٠ ، ٢ - ١٠

إله إسرائيل ، (١) أو « تابوت يهوه » ، (٢) أو « تابوت يهوه قائد الجيوش » ، (٣)
أو « التابوت » ، (٤) ، أما تسمية « تابوت العهد » ، فأول ما ظهرت في سفر
التثنية (٥) ، ثم هناك تسمية أخرى ، وهي « تابوت الشهادة » (٦) .

وعلى أى حال ، فتابوت العهد عبارة عن صندوق صنعه موسى ، بأمر ربه
يهوه الذى حدد أوصافه ومقاييسه ونوع الخشب الذى يتخذ منه ، وصور
التماثيل التى يحملها خطأه ، وأسبب فى ذلك غاية الإسهاب ، وفى ذلك تقول
التوراة : « فتصنعون تابوتا من خشب السنط ، طوله ذراعان ونصف ، وعرضه
ذراع ونصف ، وارتفاعه ذراع ونصف ، وتنشيه بذهب نقى ، من داخل ومن
خارج تنشيه ، وتصنع عليه إكليلا من ذهب حوالبه ، وتسبك له أربع حلقات
من ذهب ، وتجعلها على قوائم الأربعة ، على جانبه الواحد حلقتان ، وعلى جانبه
الثان حلقتان ، وتصنع عصوين من خشب السنط وتنشيهما بذهب ، وتدخل
العصوين فى الحلقات على جانبي التابوت ، ليحمل التابوت بهما ، تبقى العصوان
فى حلقات التابوت ، لانهزاعان منها ، وتضع فى التابوت الشهادة التى أعطيك (٧) .

وأما غطاء التابوت ، فقد حدد « يهوه » - رب يهود - كالتالى « وتصنع
غطاء من ذهب نقى ، طوله ذراعان ونصف ، وعرضه ذراع ونصف ، وتصنع
كرويين من ذهب ، صنعة خراطة تصنعها على طرفي الغطاء ، تصنع كرويا واحدا

(١) صموئيل أول ٥ : ٧ - ٨ ، ١٠ ، ١١ - ٦ :

(٢) صموئيل أول ٤ : ٦ ، ٥ : ٢ - ٤

(٣) صموئيل أول ٤ : ٤ ، ٦ ، ٤ : ٣ (٤) عد. ١٠ : ٣٥ ، يشوع ٤ : ١٠

(٥) تثنية ١٠ : ٨ ، إرميا ٣ : ١٠ (٦) خروج ٢٥ : ٢٢

(٧) خروج ٢٥ : ١٠ - ١٦

على الطرف من هنا ، وكروبا آخر على الطرف من هناك ، من الغطاء تصنعون الكرويين على طرفيه ، ويكون الكروبان باسطان أجنحتهما إلى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء ، ووجههما كل واحد إلى الآخر ، نحو الغطاء يكون الكرويين ، وتعمل الغطاء على التابوت من فوق ، وفي التابوت تصنع الشهادة التي أعطيك (١) ، :

وأما الغرض من التابوت ، فهو المكان الذي يجتمع فيه يهوه مع موسى ، ويتكلم معه من بين الكرويين اللذين على تابوت الشهادة (٢) ، وأما حراسة التابوت فقد أسندت إلى د بنى قهاث ، من سبط اللاويين ، رهط موسى (٣) .

هذا ويرجح بعض الباحثين أن فكرة التابوت إنما هي مستعارة من المصريين ، ذلك أن فرعون مصر - وهو المساوي للالهة - هو الذي كان يحق له وحده أن يفتح النؤس ، وأن يرى الشمار المرهوب الحافل بالأسرار ، وفي اليهودية كان يحق للحبر الأعظم وحده ، أن يدخل مرة واحدة في العام الواحد ، إلى قدس الأقداس ، حيث تابوت العهد (٤) ، على أن هناك من يذهب إلى أن الكثير من أماكن العبادة الكنعانية ، إنما كان لها صناديق أو توابيت صخرية مقدسة ، وربما افترض الإسرائيليون الفزاة أن واحد أمن هذه التوابيت المقدسة ، إنما يصلح ليكون مقرا ليهوه رب إسرائيل (٥) ، ومرة ثالثة فهناك من يفترض أن التابوت

(١) خروج ٢٥ : ١٧ - ٢١ (٢) خروج ٢٥ : ٢٢

(٣) عدد ٢٩ : ٣١ - ٣١

(٤) جوستاف لوبون : المرجع السابق ص ٦١ .

(٥) A. Lods, op . cit, P. 429

إنما كان تابوتا صغريا يشبه تابوت «أوزير» (١)، وفي هذه الحالة ، فإن التابوت يصبح مصدرا غريبا تماما عن دين يهوه ، ذلك لأن رب إسرائيل لم ينظر إليه أحد أبدا ، على أنه مماثل للإله المصري «أوزير» ، أو حتى «أودنيس» ، الذي يموت ويمحيا سنويا (٢) .

وأيا ما كان الأمر ، فلقد احتل التابوت مكانة ممتازة عند المؤمنين من بني إسرائيل ، وظل كذلك فترة طويلة بعد اختفائه من معبد اورشليم ، وطبقا للتقاليد الإسرائيلية ، فقد كان القوم يحملون «التابوت» معهم أثناء المعارك الحربية (حتى حصر داود على الأقل) ، ويتقبل بالتهليل والتكبير ليتحقق النصر ، ويقع الذعر في قلوب الأعداء ، الذين كانوا يقولون ، «جاء الله الى المحلة» ، «ويل لنا من يتخذنا من هؤلاء الآلهة القادرين» ، (٣) ، وفي فترات الهدنة كان التابوت يودع في أحد أماكن العبادة أو في خيمة ، وهكذا وجد «تابوت الله» في بيت إيل وشيلوه وبيت شمس وقرية يعساريم ، وفي نفس الوقت في خيمة «شازل» ، حيث كان يقوم على خدمته كاهن نوب ، وأخيرا في اورشليم (٤) .

وطبقا لوجهة النظر التثوية (أي بعد عام ٦٢٢ ق. م) ، فإن قدسية التابوت إنما قد أصبحت في كونه يحتوي على الواج الشريفة ، ومن ثم فلم يعد اسمه «تابوت العهد» ، (The Ark of covenant) أو «تابوت الشهادة» ،

(١) A. Lods, la Religion d' Israël, p. 110 - 111 .

(٢) Adolphe Lods, Israel, From its Beginnings to the middle of the Eighth Century, London, 1962. p. 428 .

(٣) صموئيل أول ٤ - ٣ - ٨

(٤) A. Lods, op - cit, p. 425

(Ark of Testimony) ، وإنما «تابوت الشريعة» (Ark of the Law) (١).

وهناك ما يشير إلى أن «يهوه» إنما كان يخاطب كما لو كان إلها في هيئة إنسان ، وهكذا تروى التوراة أن موسى كان «عند ارتحال التابوت يقول : قم يارب فليبتدأ أعدائك ، ويهرب مبغضوك من أمامك ، وعند حلوله كان يقول : إرجع يارب إلى ربوات أوف إسرائيل» (٢) ، وكان البشر يعلو وجوهه المحارين الإسرائيليين ، عندما يحضر التابوت اليهم ، بينما يملأ الملح قلوب أعداء إسرائيل-شعب يهوه .. ذلك لأن «يهوه» (٣) ، إنما كان يوقع نعمته على أعداء عابديه ، عن طريق التابوت (٤) .

هذا وتشير التوراة إلى أن التابوت إنما كان يوجه الأبقار التي تهود العربة التي تحمله ، فالآن خذوا وأعملوا عجلة واحدة جديدة ، وبقرتين مرضعتين لم يملها نير ، واربطوا البقرتين إلى العجلة ، وارجموا ولفيها عنها إلى البيت ، وخذوا تابوت الرب واجعلوه على العجلة ، وصنعوا أمتعة الذهب التي تردونها له قربان إثم في صندوق بجانبه ، وأطلقوه فيذهب ، وأنظروا فإن سعد في طريق تخمة إلى بيت تمس فإنه هو الذي فعل بنا هذا الشر العظيم ، وإلا فتعلم أن يدهم تضربنا ، كان ذلك علينا غرضا ، ففعل الرجال كذلك وأخذوا بقرتين مرضعتين وربطوهما إلى العجلة وحبسوا ولفيها في البيت ، ووضعوا تابوت الرب على العجلة ، وحبسوا ولفيها في البيت ، ووضعوا تابوت الرب على العجلة مع الصندوق ويران الذهب

(١) A. Lods, op - cit, p. 425

(٢) عدد ١٠ : ٢٥ - ٣٦ (٣) صموئيل أول ٤ : ٤ - ٨

(٤) صموئيل أول ٤ - ٦ ، صموئيل ثان ٦

وتماثيل بواسيرم ، فاستقامت البقرتان إلى بيت شمس ، وكانتا تسيران في سكة واحدة ، ولم تميلاً يمينا ولا شمالا ، وأقطاب الفلسطينيين يسرون وراهما إلى تخم بيت شمس ، (١) .

ومن أسف أن ما يحيط بالتابوت من معتقدات ، وماله من تاريخ ، ما يزال غامضا حتى الآن ، على الرغم من كل ما يحيط به من تخمينات ، وطبقا لرواية التوراة ، فإن التابوت إنما هو عرش يهوه الذي يجلس عليه (٢) ، أو على الأقل فقد نقش عليه اسم يهوه قائد الجيوش أو رب الجنود (٣) ، ومن ثم فإن التابوت إنما هو عرش يهوه الذي يجلس عليه كإله أعظم ، وهكذا كان التابوت عند بني إسرائيل امتدادا لفكرة المركبة التي ينتقل عليها الإله ، فهو المركب عند قدماء المصريين التي كان يسافر فيها إله الشمس في المحيطات السماوية ، وفي كل مسيرة دينية نجد هذه المركبة تسير ، وقد ركبت على عجل ، وفكرة المركب أو المركبة كوسيلة من وسائل النقل أو الإنقاذ ، نجدها متمثلة في قصة موسى (٤) .

على أن هناك من الباحثين من يذهب إلى أن التابوت إنما كان بمثابة عرش ، ومن الواضح أنه كان خاليا ، وأن يهوه هو الذي يجلس فيه محتفيا ، وبالمثل فقد كان في جيش الملك الفارسي د اكرزكسيس ، عربية حربية مقدسة للإله «زيوس» (إله الفرس المسيطر) تجرها ثمانية خيول بيضاء ، ويتبع السائق العربية مسكاباً

(١) صموئيل أول ٦ . ٧ - ١٢ (٢) صموئيل أول ٤ : ٤

(٣) صموئيل ثان ٦ : ٢

(٤) فواد حسنين : المرجع السابق ص ٢١٦

بأعنه الخيـل ، وماشيا على قدميه ، ذلك لأنه ليس هناك إنسان يقادر على أن
يعتلى العرش (١) .

ولعل ما يؤيد وجهة النظر هذه ، أن هناك فقرة في التوراة يفهم منها أن
الرب قد يأتي ويقف ، فجاء الرب ووقف ، ودعا كالمرات الأولى : صموئيل
صموئيل ، فقال صموئيل : تكلم لأن عبدك سامع (٢) ، وفي سفر المزامير تؤمر
بإبواب المعبد بأن ترفع رؤوسها ليدخل ملك المجد : « أرفعن أيتها الارتاج
رؤوسكن ، وارفعن أيتها الأبواب الدهريات ، فيدخل ملك المجد ، من هو هذا
ملك المجد ، الرب القدير الجبار ، الرب الجبار في القتال ، أرفعن أيتها الارتاج
رؤوسكن ، وارفعن أيتها الأبواب الدهريات ، فيدخل ملك المجد ، من هو هذا
ملك المجد ، رب الجنود هو ملك المجد (٣) ، وعندما وصل التابوت لكي يودع
في المعبد ، فقد أعطى إله التابوت لقب « الجالس فوق الكروبيم » .

وإنطلاقاً من هذا كله ، فإن يهوه إنما كان يسكن في التابوت ، وطبقاً لرواية
سفر حزقيال فقد كان عرش يهوه باقياً في مكانه الشرعي فوق الملاكين (الكروبيم)
- اللذين يصونانه - وليس تحتها ، ومن هنا فإن الفكرة الأصلية هي : أن يهوه إنما
قد سكن في التابوت ، وأن هذا لم يمنع أبداً من أن ينشر سلطانه من خلال
جدرانه ، شأنه في ذلك شأن هؤلاء الموتى المقدسين ، الذين كان السكتانيون
يعتقدون أنهم إنما كانوا يوجهون تواريخهم بعوهم بالإسراع أو الوقوف أو

(١) Herodotus, VII, 40 وكذا A. Lods, op—cit, p. 426

(٢) صموئيل أول ٣ : ١٠ (٣) مزموور ٢٤ : ٧ - ١٠

(٤) قارن : ملوك أول ٨ : ٦ - ٨ .

الدروان نحو اليمين أو نحو اليسار ، ومن ثم فالتابوت إذن، إنما هو صندوق مقدس ، مثله في ذلك مثل غيره من التوابيت ، التي كانت لآلهة المصريين ، والتي كانت تحمل بصفة خاصة في المواكب الدينية ، أو تلك التي في أضرحة القديسين الكاثوليك (١) .

وأما محتويات التابوت ، فهناك وجه للنظر يفترض وجود حجارة مقدسة بداخله ، وأنها ربما كانت من سبتاء ، ومن ثم فهو يفسر وجه النظر التثنوي الخاص بألواح الشريعة ، ومع ذلك فلا توجد أمثلة بين الإسرائيليين من هذه الأحجار المقدسة (٢) .

على أن هناك وجهاً آخر للنظر ، يفترض أن التابوت يحمل صورة يمكن أن يراها المؤمنون بيهوه ، وتمثل رب إسرائيل ، إما على هيئة ثور ، وإما على هيئة إنسان ، وهو الأكثر احتمالاً (٣) .

ولا شك أن المؤمنين بيهوه إنما كانوا يأتون إلى معبده ليروا وجهه ، ويشاهدوا جماله (٤) ، على أن النصوص القديمة إنما تفترض إلى حد كبير أن التابوت

- (١) Sigmund Mowinkel, le Decalogue, paris, 1927, p. 67—68
وكذا A. Lods, op—cit, p. 427
- (٢) A. Loisy, La Religion d'Israel, 1908, p. 109
وكذا A. Lods, op—cit, p. 427
- وكذا B. Stade, Biblische Theologie des Alten Testaments, 1905, p. 117,
- (٣) A. Lods, op—cit, p. 328
وكذا S. Mowinkel, RHP, 1929, p. 198—199, 209

إنما كان خزينة يتداولها الكهنة ويفتحونها في الأفراح (١) .

وهناك أساس للاعتقاد بأن يهوه لم يكن له تابوت واحد في فلسطين ، وإنما كان له عدة توابع ، وأن هناك كثيرا من الإشارات في التوراة تفترض أن الهدف من التابوت إنما هو حضور الإحتفالات ومصاحبة الجنود إلى ميادين القتال ، ومن هنا كان لابد أن يتبع التابوت معبدا بعينه ، وطبقا للتقاليد العبرية ، فإن التابوت الذي وجدته آخر الأمر ملجأ في معبد اورشليم ، إنما هو تابوت موسى (٢) .

وكان التابوت على رأس الإسرائيليين ، عندما دخلوا كنعان ، بقيادة يشوع ابن نون ، وتذهب التوراة إلى أن القوم عندما عبروا الأردن ، حملوا التابوت أمامهم ، فانشق تيار النهر فوق المياه المنحدرة ، وعبر الشعب على اليابسة (٣) ، ثم بقي مدة في الخيمة في الجلجال ، وبعد ذلك نقل إلى شيلوه (٤) ، حيث بقي هناك ما بين ثلاثة قرون وأربعة قرون (٥) ، ثم سقط في أيدي الفلسطينيين في موقعة « أفيق » (٦) ، وعندما أعاده الفلسطينيون (٧) وضع في « قرية

(١) صموئيل ثان ٦ : ٦ - ١٠

(٢) A. Lods, op-cit, p. 428

(٣) يشوع ٣ : ١٤ - ١٧

(٤) شيلوه : وتقع شمال بيت إيل بقسعة أميال ، في منتصف المسافة بين بيتين وشكيم ، ويرجح أنها هي المعينة الآن « سيلون » ، على مبعده ١٧ ميلا شمال اورشليم (قاموس الكتاب المقدس ١/٥٢٥)

(٥) إرميا ٧ : ١٣ - ٥

(٦) أفيق : ومكانها الآن « قل الخمر » الحديثة ، قرب رأس العين ، وعلى مبعده ١٥ كيلو مترا شرق مدينة حيفا

(٧) صموئيل أول ٤ : ١١ ، ٥ : ٢ ، ٦ : ١ - ٧ : ١٧

يعاريم (١) ، ، ثم نقل إلى اورشليم على أيام الملك داود ، حتى بنى سليمان هيكله المشهور ، فوضعه فيه (٢) ، وبقي هناك حتى أزاله منسى ، عن مكانه ليضع بدلا منه تمثالا (٣) ، غير أن يوشيا ، أعاده مرة أخرى وسماه تابوت القدس (٤) ، ومن المؤكد أن التابوت لم يكن موجودا في الهيكل الثاني ، الذي بنى بعد السبي البابلي ، ولا يعلم أحد مصيره ، وهل أخذه البابليون عندما دمروا اورشليم وهيكلها في عام ٥٨٧ ق.م ، أم أنه أخفى ثم فقد بعد ذلك ، وعلى أى حال ، فهناك تقايد أثيوبية غير مؤكدة تذهب إلى أن التابوت موجود بأكسوم في أثيوبيا (٥) .

(٣) الصور والتماثيل :-

يقول جوستاف لوبون : « إنك لا تجد شعبا عطل من النوق الفنى ، كما عطل اليهود ، والشريعة التى حرمت عليهم منحوت الصور ، لم تحرم العالم آثار

(١) قرية يعاريم : ويرجع أنها قرية العنب الحالية ، والتي تسمى كذلك د أباغوش ، على مبعدة تسعة أميال غربى القدس (قاموس الكتاب المقدس ٧٢٩/٢)

(٢) صموئيل ثان ١:٦-١٥ ، أخبار أيام أول ١٥:٢٥-٢٩ ، أخبار أيام ثان ٢:٥ - ١٠

(٣) أخبار أيام ثان ٧:٢٣ (٤) أخبار أيام ثان ٣:٣٥

(٥) قاموس الكتاب المقدس ٢١٠/١ ، مجلد ييوى مهران : إسرائيل الكتاب الثمناك - الحضارة - ص ١٨ - ٢٧ ، وأنظر : نجيب مينخائيل : المرجع السابق ص ٣٧٨-٣٨٥ ،

وكذا E. A. W. Budge, A History of Ethiopia, Nubia and

A byssinia, I, London, 1928 P. 193

تقيسة بذلك، وما وقع من مخالفة اليهود للوصية الثانية غير مرة، لم يؤد إلى ذير العجول النحاسية أو الذهبية، التي هي أصنام اليهود المفضلة، صبا رديتا على أوتاد غليظة عدت رموزا للرجولة، والمنصوبة تحت خياض عشتار (١).

وهكذا بدأ اليهود بعد استيطانهم فلسطين يقدون سكان البلاد في عمل صور لألهمهم، والتي اعتبرت مظهرا من مظاهر القوة الآلهية، وعرفت عند القوم باسم «مسكاة»، أي الصور المصبوبة من المعادن (٢)، أو «فسيل»، بمعنى صناعة الصور، أو نحتها من الخشب (٣)، كما عثر الآثريون على نوع منها مصنوع من العطين أو الحجر، وتستخدم التوراة أحيانا أحد اللفظين، أعني «مسكاة» أو «فسيل»، للتعبير عن صورة الله (٤).

هذا فضلا عن أن الإسرائيل إنما قد صنع بعضها من هذه الصور الذهبية أو الفضة (٥)، ولا يخلو عند الإسرائيل معبد من وجود صور لهذه المقدسات التي تمثل المعبود، وأحب هذه الصور إليه صورة «العجل الذهبي»، ولو أن سفر التثنية، وبعض الإسرائيليين المتأخرين، يعتبرون تقديس مثل هذه الصورة وثنية، كما أنه لم يخل معبد ملكي في إسرائيل، إلا وفيه صور الثور (٦).

وعلى أي حال، فلقد كشفت الحفريات في فلسطين عن تمثالين للإلهتين

(١) جوستاف لوبون: المرجع السابق ص ٤٥ - ٤٦

(٢) تثنية ٩: ١٢، ٢٧: ١٥، قضاة ١٧: ٣ - ٤

(٣) قضاة ١٧: ٣، إشعياء ٤٤: ١٥، ٤٥: ٢٠

(٤) خروج ٢٠: ٤، ٢٤: ١٧، إشعياء ٤٠: ١٩، ٤٢: ٨

(٥) خروج ٢٠: ٢٣، ٢٢: ٣١

(٦) ملوك أول ١٢: ٢٨-٢٩، قواد حسنين: المرجع السابق ص ٢٢١-٢٢٢

« عشتار » و « إيزة » ، ترجع إلى أيام العصر الإسرائيلي (١) ، والتي يبدو أن نساءه إنما كن يفضن هذه الآلهة الغريبة (٢) ، وطبقا لرواية التوراة ، فقد كان في منزل داود تمثالا ، ترافيم ، (Teraphim) ، وربما كان خاصا ييهوه (٣) - رب إسرائيل - وقد وضعت زوجته « ميكال » ، على فراشه ، ليقتله جنود داود ، بطريق العوض ، تقول التوراة « فأخذت ميكال الترافيم ووضعت في الفراش ، ووضعت لبيدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب ، وأرسل شاول رسلا لآخذ داود ، فقالت : هو مريض ، ثم أرسل شاول الرسل ليردوا داود قائلا : اصعدوا به إلى على الفراش لكي اقتله ، فجاء الرسل ، وإذا في الفراش الترافيم وليدة المعزى تحت رأسه ، فقال شاول لميكال : لماذا خدعتي فأطلقت عدوى حتى نجا ، فقالت ميكال لشاول : هو قال لي اطلقني ، لماذا اقتلك (٤) . »

هذا فضلا عن أن الإسرائيليين إنما كان يستخدم « الترافيم » للتعبير عن آلهة أجنبية لم يعبدوا قومه من قبل ، وإن وجدت عند نساء يعقوب (٥) .

وأيا ما كان الأمر ، فلقد أقام بنو إسرائيل صوراً للعبود في المعابد الرئيسية للإله القومي ، وكانت القرابين تقدم إلى حية النحاس (نحشتان = Noh ushtan) في معبد أورشليم ، حتى أيام « حزقيال » ، (٦) (٥٦٣ - ٥٧٢ ق.م) - أي في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد - وقد كانت « نحشتان » - فيما يرى بعض الباحثين -

(١) A. Bertholet, Histoire de la Civilisation d'Israel, Paris, (١)

1929, p. 383, No. 8

(٢) تكوين ٣١ : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ، وكذا A. Lods, op-cit, p. 429

(٣) A. Lods, op-cit, p. 429 (٤) صموئيل أول ١٩ : ١٣ - ١٧

(٥) تكوين ٣١ : ١٩ ، ٢٥ ، ٢٠ ، ٤ ، قضاة ١٧ : ٥ ، ٣ : ٤

(٦) ملوك ثان ١٨ : ٤

تمثل الإله « يهوه » ، وترمز إليه ، وإن رفض بض آخر وجهة النظر هذه (١) ، واعتبرها كعبود ثانوي ، تعزى إليه قوى الشفاء ، وإلى هذا تشير التوراة ، حيث تقول : « فقال الرب لموسى : اصنع لك حية محرقة ، وضعها على راية ، فكل من لدغ ونظر إليها يمينا ، فصنع موسى حية من نحاس ، ووضعها على الراية ، فكانت متى لدغت حية إنسانا ، ونظر إلى حية النحاس يمينا (٢) » .

وكان « يهوه » ، هو نفسه - دون شك - في الصورة الفضية التي أقامها الأفرامى « ميخا » ، في بيته على هيئة تمثالين ، الواحد مسبوك ، والآخر منحوت ، وكان للرجل ميخا بيت للآلهة ، فعمل أفودا وترفيم ، وملا يد واحد من بنيه فصار له كاهنا (٣) ، وقد أصبحت لها مكانة ممتازة ، بعد أن اعتصبها الدانيون (٤) .

والامر كذلك بالنسبة لارتباط « العجل الذهبي » ، بالإله « يهوه » ، عندما أقام « يربعام الأول » (٩٢٢ - ٩٠١ ق. م) عجولين ، الواحد في مكان عال في « دان » ، وقد أصبح بعد ذلك معبدا مسكيا ، والآخر في مكان عال كذلك في « بيت إيل » (٥) ، وقد كانت هذه الصور والتماثيل مقبولة من المؤمنين بيهوه (٦) .
بقي أن تشير هنا إلى أن هناك من يشك في أن كلمة « ترفيم » ، إنما تشير إلى شيء مقدس لشكل معين ، أو ذي معنى محدد ، كما أنه من الصعب أن نعطي معنى

(١) I. Benzinger, Hebraeische Archæologie, 1927, p. 227

وكذا A. Loisy, La Religion d'Israel, 1908, p. 81-82

وكذا A. Lods, op-cit, p. 429 (٢) عدد ٢١ : ٨ - ٩

(٣) تضاة ١٧ : ٥ (٤) A. Lods, op-cit, p. 429-430

(٥) ملوك أول ١٢ : ٢٨-٢٩ (٦) هوشع ١٣ : ٢

واحدًا للكلمة في كل النصوص ، فهي أحيانًا تشير إلى رب البيت (١) ، وأحيانًا استخدمت كهدف في عبادة يهوه (٢) ، وأحيانًا كوسيلة للتنجيم ، أدائها اليهوديون المتعصبون (٣) . وعلى أي حال ، فإن كثيرًا من النصوص التي جاءت فيها كلمة « ترافيم » ، كإشارة إلى عبادة الصورة ، إنما قد اعتبرت مباحة بتشريع عمل به لفترة طويلة (٤) .

وقد ظهرت أول حركة ضد هذه العبادة ، قبل حركة الأنبياء في القرن الثامن قبل الميلاد ، وفي دوائر معينة ، ودون شك بدرجة أساسية بين القبائل الجنوبية ، التي بقيت متمسكة بالتقاليد البدوية ، وكان هناك شعور عام بين القوم ، على أن الصور لم تكن جزءًا من عبادة يهوه الحقبة ، ولم تنسب الروايات اليهودية أو الإلهيمية للأخبار الأوائل ، إقامة تصويرات للإله « يهوه » .

ومع ذلك فقد كان الهدف الأول من المنع ، خاصًا بتلك الصور التي صنعت من المعدن ، تقول التوراة : « لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة » (٥) ، وهو إلزام جاء في المصدر اليهودي - والذي يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد - وجاء في المصدر الإلهيمي في الوصايا العشر : « لا تصنعوا معي آلهة فضة ، ولا تصنعوا معي آلهة ذهب » (٦) .

(١) تكوين ٣١ : ١٩ ، ٣٠ ، ٣٥ ، صموئيل أول ١٩ : ١٣ - ١٦

(٢) قضاة ١٧ - ١٨ ، هوشع ٢ : ٤

(٣) حزقيال ٢١ : ٢٦ - ٢٧ ، صفنيا ١٠ : ٢

(٤) A. Lods, op-cit, p. 431 (٥) خروج ٣٤ : ١٧

(٦) خروج ٢٠ : ٢٣

ولم يكن هناك في البداية اتجاه للمنع التام لعمل صور للرب ، فقد كان ما يزال مسموحاً بعمل صوو للرب من الخشب أو الحجر ، أما المنع التام فقد كان المراد به هو الطرز الأجنبية للتماثيل المصنوعة من المعادن الثمينة ، والتي تتعارض - بترفها وغناها - مع بساطة التقاليد الإسرائيلية ، وحتى هذه الصراحة فقد كانت تبدو غير مهمة نسبياً ، بالنسبة إلى المدافعين عن حقوق يهوه ، حتى أن النبيين د إيليا ، و د عاموس ، لم يدينا عبادة العجول الإلهية في دان وبيت إيل (١) ، وعلى قدر ما نعرف ، فإن النبي د هوشع ، (٧٥٠ - ٧٢٢ ق.م) إنما كان أول من اعترض على تمثيل د يهوه ، - رب يهود - وقد أذان أى شكل لتصوير الإله ، ينتمى إلى أى عصر مضى (٢) .

(٤) المذبح :

لم يكن المذبح (The Altar) - طبقاً للتقاليد الإسرائيلية القديمة - بالتأكيد مرتبطاً بتلك الأشياء المقدسة ، والتي منها - على سبيل المثال - صخرة يعالوها خشب أو حجر مرتفع أو قائم ، أو شجرة أو ينبوع ، وإنما كان مجرد كومة من التراب أو الحجارة غير المنحوتة ، مقامة على الأرض ، وتوضع عليها الضحايا أو تحرق ، ونقرأ في التوراة قول د يهوه ، رب إسرائيل د مذبحاً من تراب تصنع لى ، وتذبح عليه محرقاتك ، وذبائح سلامتك ، غنمك وبقرتك ، فى كل الأماكن ، التي فيها أصنع لإسمى ذكراً آتى إليك وأباركك ، وإن صنعت لى مذبحاً من حجارة ، فلائبته منها منحوتة ، إذا رفعت عليها إزميلك تدنسها ، ولا تصعد بدرجة إلى

(١) A. Lods, *op - cit*, P. 481 - 482

(٢) أنظر : خروج ٢٠ : ٢ - ٦ ، ثنية ٤ : ١٥ - ٢٤ ، إشعياء ١٨ : ٢ ، ١٨ : ١٨ .

مذبحي ، كيلا تنكشف هورتك عليه ، (١) .

وليس هناك من شك في أن هذه العادة ، إنما قد بقيت بعد استيطان
الإسرائيليين فلسطين ، ومعايشتهم لتلك المجتمعات المتمسكة بصفة خاصة بالوسائل
القديمة ، أو أماكن عبادة معينة ، حيث احتفظ الكنعانيون بذلك النوع من
المذابح ، وهكذا بقي الصخر ذو العشب ، مستخدما عند الإسرائيليين في
« غرة » (٢) ، وفي « بيت شمس » (٣) ، بل وحتى في « أورشليم » (٤) و« عجلون » (٥) ،
وربما في « جبعون » (٦) .

هذا وقد استخدم الحجر الكبير في إقامة المذابح ، وكان معبد الكرمل من
الحجارة غير المتحوتة (٧) ، وكان على مثال المعبد الذي بناه « يوشيا »
(٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م) ، ويعتقد « P. Tonneau » ، أنه قد اكتشف موقعه
طبقا للنص الماسوري (The masoretic Text) - على « جبل عيبال » (٨) ،
وإن كان الأكثر احتمالا - طبقا للبنتاتوك السامرية - أنه على « جبل جرزيم » (٩) .

ومع ذلك فإن المكان العالي ضد الإسرائيليين ، إنما كانت له طبيعة بدائية ،
ذلك لأن المذبح الذي أقامه داود (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) في قلعة أورشليم ،

(١) خروج ٢٠ : ٢٤ - ٢٦ .

(٢) قضاة ٩ : ١٩ - ٢٠ .

(٣) صموئيل أول ٦ : ١٤ - ١٥ .

(٤) ملوك أول ٨ : ٦٤ .

(٥) صموئيل أول ١٤ : ٢٣ - ٢٥ .

(٦) صموئيل ثان ٢٠ : ٨ .

(٧) ملوك أول ١٨ : ٣١ - ٢٢ .

(٨) تثنية ٢٧ : ٤ - ٧ ، وكذا

P. Tonneau, Revue Bib'ique, 1925, P.98 - 100

(٩) تثنية ٢٧ : ٤

أمام الخيمة التي أودع فيها التابوت ، كانت له في كل ركن قرون على شكل كورنيش ، ويقبض عليها أذرع متضرعة ، تبعث لها عن مأوى لها في حضرة يهوه (١) ، وأنه قد ارتفع بعد ذلك ، لأن « أدونيا » قد أنزل من فرقه على أيام سليمان (١٦٠ - ٩٢٢ ق. م) (٢) .

وكان المذبح الذي أقامه سليمان في معبد اورشليم من النحاس (٣) ، وطبقا لما جاء في التوراه (٤) ، فإن معبد بيت إيل ، قد أقيم على شكل مثلث ، وله قرون (٥) ، على مثال شبيهه الأكبر ، الذي أقامه الملك « آحاز » (٧٢٥ - ٧١٥ ق م) في معبد اورشليم في القرن الثامن قبل الميلاد (٦) وقد وصفه « حزقيال » ، في سفره ، بقوله : « هذه أقيسة المذبح بالأذرع ، والذراع هي ذراع وقرة ، الحضن ذراع ، والعرض ذراع ، وحاشيته إلى شفته حواليه شبر واحد ، هذا ظهر المذبح ، ومن الحضن عند الأرض إلى الخضم الأسفل ذراعان ، والعرض ذراع ، ومن الخضم الأصغر إلى الخضم الأكبر أربع أذرع والعرض ذراع ، والموقد أربع أذرع ، ومن الموقد إلى فوق أربعة قرون ، والموقد اثنتا عشرة عرضا ، مربعا على جوانبه الأربعة ، والخضم أربع عشرة طولا ، بأربع عشرة عرضا ، على جوانبه الأربعة ، والحاشته حواليه نصف ذراع حواليه ، ودرجاته تجاه المشرق » (٧) .

(١) ملوك أول ١ : ٥٠ - ٥١ ، ٢٨ - ٢٤

(٢) ملوك أول ١ : ٥٣ ، وكذا A. Lods, op-cit, P. 433

(٣) ملوك أول ٨ : ٦٤ ، ملوك ثان ١٦ : ١٤ - ١٥ ، حزقيال ٩ : ٢

(٤) ملوك أول ١٢ : ٣٣ (٥) عاموس ٣ : ١٤

(٦) ملوك ثان ١٦ : ١٠ - ١٦ (٧) حزقيال ٤٣ : ١٣ - ١٧

وأما أعظم المذابح فقد أقيمت في « المعبد الثاني » ، وفي معبد « هيرودوس » ، (٣٧ - ٤ ق. م) ، وكان مذبحه مبنيًا من حجارة مبيضة بالكلس ، وفيه ثقب ليلسيل منها دم الذبائح ، ثم غطى وجه المذبح بالذهب (٢) ، ويبدو أن هذا النوع من المذابح هو الذي ساد على أيام المنق ، لأن كتاب ذلك العصر قد صوروا الكليم ، عليه السلام ، وقد شيد مذبحًا على هذا الطراز ، ورفعته بالقرون البرونزية ، والتعليقات الغالية التكاليف ، وكان التجديد الآخر ، هو وضع « موقد » يمكن إزالته بعد ذلك ، ثم سرعان ما أدخل تعديل جديد ، هو الصعود إلى رصيف المذبح الأعلى بواسطة سطح منحدر ، الأمر الذي تم في معابد جيران إسرائيل ، كما في « بيت شان » ، و« بيلوس » ، ثم في « البراه » و« بعلبك » (١) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هناك ما يثار حول أصل القرون ، فليس هناك مثال واحد من المذابح الكنعانية ، التي ترجع إلى ما قبل أيام الإسرائيليين ، مماثل لهذا الشكل ، والمعبدان اللذان اكتشفا من هذا النوع في « شكيم » ، يبدو أنها يعودان إلى العصر الإسرائيلي ، والأمر كذلك بالنسبة إلى المعبد الذي اكتشف في « جازر » ، والذي يرجع إلى حوالي عام ٦٠٠ ق. م ، ومن ناحية أخرى ، فقد كان استخدام المذابح ذات القرون يجرى في العبادات غير السوروية الإسرائيلية المنتمية إلى عصور أقدم ، وربما استعارها القوم من الإيبين ، لأن قرون التكريس هذه إنما كانت ذات طابع ديني عام بينهم ، وكانت تلحق على الدوام بمذابحهم .

(١) قاموس الكتاب المقدس ٢/١٤٠٤ - ١٠١٥

وكذا A. Lods, op-cit, p. 433

(٢) A. Lods, op-cit, p. 433-434

هذا وقد افترض بعض الباحثين أن هذه القرون ، إنما كانت تصور أركان الهلال القمري ، غير أن هناك وجها آخر للنظر ، يذهب إلى أن الغرض من هذه القرون إنما هو تشابه المذبح مع العجل الإلهي ، وكانت الممارسات الأقدم تعليق قرون الضحايا في أركان المذبح ، وتأييدا لوجهة النظر هذه فقد اكتشف في تعنك (تاغاناخ) مذبحا ، يعتقد البعض أنه مذبح للبخور ، وقد حلل بعناصر مخروطية على شكل قرون الكباش .

وكانت توجد في بعض المعابد الإسرائيلية - كما في أورشليم ونوب - مواد توضع عليها أرغفة الخبز أمام يهوه ، كما كانت تتجدد في قرأت منتظمة .

ولعل من الجدير بالإشارة هنا ، أن الإسرائيليين لم يعرفوا - قبل القرن الخامس قبل الميلاد - عادة تخصيص معبد لحرق البخور ، ولم يعترف أقدم أجزاء القانون الكهنوتي - وكذا حزقيال - بهذه العادة ، فقد كانوا يعرفون مذبحا واحداً ليهوه ، هو مذبح القربان المقدس ، أما حرق البخور ، فقد كان يتم - كما كان الأمر في مصر وسورية - في أوان صغيرة ، على شكل ملعقة تمسك باليد ، وطبقا للأجزاء المتأخرة من القانون الكهنوتي ، كان يوجد - بالإضافة إلى الأساس المقدس - مذبحا لحرق البخور ، ومن هنا فرجما من المحتمل أن نصوص سفر الملوك التي تنسب إدخال مذبح البخور إلى سليمان قد عدلت أو أدخلت فيما بعد ، ومن المحتمل كذلك أن هذا الشيء الغريب الذي اكتشف في تعنك ، غير إسرائيلي ، هذا فضلا عن أنه ليس من المؤكد ، إن كان له استعمال مقدس أم لا ، وربما كان ببساطة مبخرة أو وعاء (منقذ) لجمع الفحم لواحد من أثرياء المدينة (١) .

(١) ملوك أول ٦ : ٢٠ - ٢٢ ، ملوك ثان ٧ : ٤٨ ،

وكذا

A. Lods, op-cit., p. 434, 435

(٥) الأشخاص المقدسون :-

(١) الكهنة :-

الكهنة - في اصطلاح الكتاب المقدس - هم الذين يتولون تقديم الذبائح ، ويتنبأون عن طريق الاستقسام بالأزلام ، وشخصية الكاهن معروفة عند عرب الجاهلية ، ولها ما يقابلها عند الجماعات البدائية ، كما في شخصية « صانع المطر ، (Rain maker) (١) .

وعلى أى حال ، فلقد كان الأفراد جميعا في بني إسرائيل - قبل النظام الموسوى - يقدمون الذبائح (٢) ، ومن ثم لم يصل الكاهن في هذه المرحلة إلى مكان الصدارة الاجتماعية ، ولم يصبح محور النفوذ السياسى (٣) ، ثم صدر رؤساء البيوت والقبائل الإسرائيلية ، هم الذين يتولون أعمال الكهنوت (٤) ، وبعد خروج بني إسرائيل من مصر في أخريات القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، كان الكهنوت مقصورا على عائلة هارون (٥) ، وبذا أصبحت الخدمات الدينية احتكارا لسدنة وراثيين من سبط اللاويين (٦) ، وهى القبيلة التى ينتسب إليها موسى وهارون (٧) ، ولم يحدث ذلك التطور في هدوء ، بل صحبته اضطرابات دامية وعصيان من القبائل ، وتروى التوراة أن أتباع موسى قتلوا في يوم واحد ثلاثة آلاف رجل من بني إسرائيل (٨)

(١) ثروت الأسيوطى : المرجع السابق ص ١٤٩ (٢) تكوين ٤: ٤

(٣) A. Lods, op-cit, p. 342 (٤) تكوين ٨: ٢٠ ، ٨: ١٢

(٥) خروج ١: ٢٨ ، ٤١-٤٥: ٢٩ (٦) عدد ١: ٤٧-٥٤

(٧) خروج ١: ٢ ، ١٤: ٤٠

(٨) خروج ٣: ٢٨ ، ثروت الأسيوطى : المرجع السابق ص ١٥٠

ولعل من اللافت للنظر ، أن التوراة إنما تذكر الكهنة قبل الأنبياء ، فيما عدا
المواضع التي يدور السياق فيها عن النبوة ، لأن الحديث فيها أكثر اتصالاً بالنبى
منه بالكاهن (١) ، وذلك لأن الكهنة إنما كانوا أكثر أهمية في المعبد ، وكانت
الانبياء تبعاً لهم ، وملحقين بهم ، ومن أجل هذا تقول التوراة : أنه عندما يتعثر
الكاهن بتعثر النبي تبعاً له (٢) ، وتتهم الانبياء الذين تنبأوا وكذبوا ، بأنهم آلهة في
أيدي الكهنة ، ليمدوا سلطانهم على الشعب (٣) ، كما أن تبعية النبي للكاهن ، وكونه
دونه منزلة ، يظهران في نص في التوراة ، جاء في سفر إرميا ، حيث يقول :
« لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم ، كل منهم مولع بالربح ، ومن النبي إلى الكاهن ،
كل منهم يعمل بالكذب (٤) » ، فجاء النص « بالنبي » في مقابل « صغيرهم » ،
و « بالكاهن » في مقابل « كبيرهم » (٥) .

هذا فضلاً عن أن بعض الانبياء ، كانوا في بادئ أمرهم من الكهنة (٦) ،
بل إن واحداً من كبار أنبياء بني إسرائيل إنما كان كاهناً قبل أن يكون نبياً ، بل
إن الارتباط الوثيق بين الكاهن والنبي في معابد إسرائيل ، معناه أن « الانبياء
الكهنة » لم يوجهوا أى نقد للعقيدة الكهنوتية (٧) ، كما أن التوراة إنما تربط بينها

(١) إرميا ٢٣ : ٣٣ - ٣٤ ، ٢٦ : ٧

(٢) هوشع ٤ : ٥ (٣) إرميا ٥ : ٣١

(٤) إرميا ٦ : ٣ ، ثم قارن - إشعياء ٩ : ١٤

(٥) م . ص . سيجال : حول تاريخ الانبياء عند بني إسرائيل ، ترجمة حسن

ظاظا - بيروت ١٩٦٧ ص ٣١

(٦) C. Sauerbrei, The Holy man in Israel, A Study in the

Development of the Prophecy, JNES, 6, 1947, p. 217

(٧) E. W. Heaton, The Old Testament Prophets (Penguin

Books), 1969, p. 40

في الاشراف (١) .

وكان الكهنة الإسرائيليون على ثلاث درجات : رؤساء كهنة ، وكهنة ، وكهنة ، ولاويين ، وكان رئيس الكهنة أعظم الأشراف بين الإسرائيليين ، لأن رب إسرائيل إنما كان يعلن إرادته لشعبه إسرائيل عن طريقه ، وكان البكر - إذا خلا من العيوب الجسمانية - هو الذى يتولى هذا المنصب ، وكان رئيس الكهنة يعين فى حفل كبير ، ويقوم بتقديم الذبيحة يوميا ، وكان يلبس الملابس الفاخرة ، ولا سيما فى « يوم الكفارة » ، وكان يضع فى هذا اليوم صدره مرصعة بالجواهر ، وقد نقشت على الجواهر أسماء أسباط بنى إسرائيل الإثني عشر ، وذلك يرمز إلى أن رئيس الكهنة يحمل مسئولية كل الشعب ، وهذه الزينة هى تذكار للشعب أمام الله (٢) .

وطبقا لرواية التوراة ، فإن هارون كان أول من تقلد منصب الكهانة ، ثم خلفه فيه ولده (٣) « العازار » ، ثم بقيت رئاسة الكهنوت فى بيته حتى أيام « على » فى عصر القضاة ، هذا وقد كانت وظيفة رئيس الكهنة تدوم مدة حياة صاحبها ، إلا أن سليمان قد عزل الكاهن « أيباتار » ، وأقام بدلا عنه « صادوق (٤) » ، وعلى أى حال ، فقد أصبحت وظيفة رئيس الكهنة ، قبل ميلاد المسيح ، آلة فى أيدي حكام البلاد ، ولا سيما « هيرودوس » (٢٧ - ٤ ق. م) وخلفاؤه ، حتى أن

(١) إشعياء ٢٨ : ٧ - ٩

(٢) لاويون ٢١ : ١٦ - ٢٤ ، قاموس الكتاب المقدس ٧٩١/٢ ، مراد

كامل : الكتب المقدسة فى العهد القديم - القاهرة ١٩٦٨ ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) خروج ٢٨ : ١ ، عدد ٣ : ٣٢ ، ٢٠ : ٢٨ ، تثنية ١٠ : ٦

(٤) ملوك أول ٢ : ٢٥

« هيرودوس » ، هذا ، قد عين خمسة رؤساء كهنة ، منهم « سيمون » ، الذي أعطاه
ابنته ، « نانا » لوظيفته (١) .

وكانت ملابس الكاهن قبيصا من كتان أبيض يمتد من العنق إلى الكاهلين منه ،
أحجام ضيقة ، وسروال من كتان ، ومنطقة مطرزة ، وكان يضع على رأسه عمامة ،
وبرجيج أن الكاهن كان يقوم بوظيفته الكهنوتية وهو حافي القدمين ، وكان
يلبس فرق القبيص رداء مطرورا بذهب وألوان ، وكان يشده الكاهن حول
خصره بزئار من نفس الألوان والنقوش ، ولم يكن يسمح للكاهن أن يحلق شعره ،
أو أن يمز لحيته ، أو أن يتزوج بمطلقة ، وبما أن وظيفته كانت التقرب إلى الله
بالنيابة عن شعب إسرائيل ، كان مطلوبا منه أن يبقى طاهرا في داخله ، وفي
مظاهره الخارجية (٢) .

وكانت الاحتفالات عند تنصيب الكاهن الأكبر ، تطول لمدة أيام سبعة ،
تذبح فيها الذبائح ، ويدهن الكاهن الأكبر بدهن المسحة ، ويرتدى ملابسه
الرسمية ، التي يرتديها دائما ، إلا في يوم الكفارة ، حيث يلبس ثيابا بسيطة من
كتان أبيض لانهقوش عليها (٣) .

وكانت وظائف الكهنوت الرئيسية رعاية المعبد ، واستشارة الرب الذي
يسكن فيه بوسائل المعرفة التي يقبضون على زمامها (٤) ، هذا فضلا عن أنهم

(١) قاموس الكتاب المقدس ٧٩٤/٢ (بيروت ١٩٦٧)

(٢) خروج ٢٨ : ٤٠ - ٤٣ ، ٢٩ : ٥ - ٩ .

(٣) خروج ٢٩ : ٣٥ ، ٣٠ : ٣٢ - ٣٣ ، لاويون ٢١ : ١٠ ، قاموس

الكتاب المقدس ٧٩٤/٢

(٤) A. Lods, op - cit, P. 440

كانوا يخدمون في الاحتفالات والتطهير، ويمتتون بالآنية المقدسة والنار المقدسة،
والمنارة الذهبية والآثاث المقدس، وكانون يطلقون الصوت في الأبواق المقدسة،
ويحملون تابوت العهد، ويقضون في دعاوى الغيرة، ويقدرون المال للاقتداء،
وينظرون في شأن البرص، ويفسرون الناموس للعب (١)، غير أن التوراة
تقول عنهم بأنهم كثيرا ما كانوا يحملون في واجباتهم الكهنوتية (٢).

ومن هنا يمكن استنباط الأهمية المتزايدة التي كانت للأمة الكهنوتية من
نسل لاوي (وكانت رتبهم الكهنوتية أقل من أولئك الذين هم من نسل هارون)،
وقبل القرن السابع قبل الميلاد، لم يكن من الضروري أن نسل لاوي هم وخدم
الذين كانوا يمارسون وظيفة الكاهن، ذلك لأن أولاد داود، وهزابود بن ثامان،
و داين ميخا، و داغاز بن أبينا داب، و صموئيل ويشوع (من أفرايم)
و داير الباليري، كانوا جميعا كهنة (٣)، بل إن هذا الوضع إنما قد استمر حتى
نهاية الدولة الشمالية في عام ٧٢٢ ق. م (٤).

ورغم ذلك، فقد كان الكهنة اللاويين - رهط موسى الأديين - امتياز خاص،
حتى أن الأفرايم، ميخا، إنما قد عد نفسه محظوظا، حيث كان لديه واحد من

(١) خروج ٢٨ : ٣٠ ، حزقيال ٧ : ٢٦ ، عدد ١٦ : ٤٠ ، ١٨ : ٥ ،
أخبار أيام ثان ١٥ : ٢ ، إرميا ١٨ : ١٨

(٢) أخبار أيام ثان ١٧ : ٧ - ١٠ ، ١٩ : ٨ - ١٠ ، حزقيال ٤٤ : ٢٤ ،
قاموس الكتاب المقدس ٧٩١/٢

(٣) أنظر : خروج ٣٣ : ١١ ، قضاة ١٧ : ٥ ، صموئيل أول ٧ : ١
صموئيل ثان ٨ : ١٨ ، ٢٠ : ٢٦ ، ملوك أول ٤ : ٥

(٤) ملوك أول ١٢ : ٣١ ، وكذا : J.A. Lods, op - cit, P.414-415,414

هؤلاء اللاويين - من نسل جرشوم بن موسى ، عليه السلام - للقيام بطقوس معبده الخاص ، إذ أن هذا اللاوي إنما كان في نظر القوم يمثل أسرة الكهانة ذات المكانة الرفيعة في « دان » ، حتى أن « مينخا » إنما يصرح - فيما قرئ في التوراة - « الآن علمت أن الرب يحسن إليّ » ، لأنه صار لي هذا اللاوي كاهنًا ، (١) ، ولا بد أن كهانة شيلوه كانت من اللاويين ، فقد كان أحدهم يحمل الاسم المميز « فينحاس » ، وكان حفيدا لهارون (٢) .

وفي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ، أصبحت رئاسة الكهنوت من نصيب اللاويين دون غيرهم من بني إسرائيل ، ويطالب شعر من هذه الفترة « رجال الرب المخلصين ليهوه » ، أي أن رجال موسى لهم وحدهم امتياز جمع النصوص المقدسة ، وحق تعليم التوراة لبني إسرائيل ، « وجعل دخان القرابين يرتفع أمام يهوه (٣) » ، ومع ذلك نستطيع أن نعرف أن ادعاءات « اللاويين » قد قوبلت بمعارضة شديدة ، لأن الشعر إنما يختم بهذا الدعاء « حطم متون مقاوميه ومبغضيه حتى لا يقوموا » ، وليس هناك من شك في أن الروايات إنما تحمل صدى لهذه المنافسات ، إذ هي تصور لنا دائان وإيرام - بل وحتى مريم وهارون - المنكرين على موسى حقه وامتيازاته الخاصة (٤) .

-
- (١) قضاة ١٧ : ٧ - ١٣ ، وأنظر نص القضاة ١٨ : ٣ ، حيث يذكر « جرشوم بن منسى » ، والصحيح أنه « ابن موسى » ،
(٢) صموئيل أول ١ : ٣ ، ٢ : ٣٤ ، وأنظر : خروج ٦ : ٢٥ ، عدد ٢٥ : ٧ ، ١١ ، وكذا A. Lods, op-cit, p. 441
(٣) تثنية ٣٣ : ٨ - ١١
(٤) عدد ١٢ ، ١٦ ، وأنظر A. Lods, op-cit, p. 441

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين أسرة اللاويين الكهنوتية وقبيلة « لاوى » القديمة المحاربة، فليست لدينا معلومات مؤكدة، وإن كانت هناك أسباب لنظن - وليس كل الظن إنما - بأن كلمة « لاوى » إنما كانت في السابق أسما شائعا بمعنى « كاهن »، وقد استخدمت بهذا المعنى في نص سفر التكوين (٤: ١٤)، وربما أمكن القول بأن قبيلة لاوى القديمة المحاربة، قد اتخذت هذا الاسم، لأنها كانت تمتلك أماكن قادش المقدسة، وتزودت من هذه المعابد بعدد مستمر من العسكرة، ونتيجة لهجومها المنكوب على « شكيم »، فقد اندثرت هذه القبيلة، وبقي الأحياء منهم كأثر لعظمتهم السابقة، الأمر الذي أسبغ عليهم امتيازاً مقدساً، بسبب إدراك القوم بأن آباء اللاويين إنما يرتبط وجودهم بمهد دين « يهوه »، (١).

(٢) الأنبياء :-

كان لدى الإسرائيليين - إلى جانب الكهنة الملحقين بالمعبد الخاص منذ استيطانهم فلسطين - كما كان لأسلافهم البدو، أفرادا ذوي قوة خاصة من التأثير، أو التنبؤ بالمستقبل، كالسحرة ورجال الله والدرأويش، وكان من بين الأنواع المختلفة لرجال الله، نوع كان له - على الأقل منذ عهد الملوك الأولين - السيادة على كل ما عداه من رجال الدين اليهودي، وكان هذا النوع هم « الأنبياء »، وقد قدمنا دراسة مستقلة عن الأنبياء، تحت عنوان « النبوة والأنبياء عند بني إسرائيل »، صدرت في عام ١٩٧٨ م.

Gaudefroy Demombynes, Contribution a L'étude du (١)
Pelerinage de la mekke, Paris, 1923, p. 171
A. Lods, op - cit, p. 154, 188, 331, 441-442 وكذا

(٣) الأشخاص المكرمون :-

اتجهت الأماكن العالية ، والمعابد الملكية الكبرى ، إلى اجتذاب عدد كبير من الرجال - وربما النساء كذلك - والذين أطلق عليهم جميعا لقب « مقدس عند يهوه » ، ومنهم :-

(١) النذيريون :-

كانت المرأة اليهودية المقلات تنذر لربها يهوه ، إن رزقت أطفالا وعاشوا ، فإنها إنما تهب أكبرهم للإله « يهوه » ، ومن ثم يصبح هذا الطفل خادما للكهنة ، وحارسا للعبد ، وربما يصبح كهانا ، كما يمكن اقتداء الطفل بدفع مبلغ من المال للعبد ، تقول التوراة : « وكلم الرب موسى قائلا : كلم بني إسرائيل وقل لهم : إذا أفرز إنسان نذرا حسب تقويمك نفوسا للرب ، فإن كان لتقويمك لذكر من ابن عشرين سنة إلى ابن ستين سنة ، يكون تقويمك خمسين شاقلا فضة على شاقل المقدس ، وإن كان أنثى يكون تقويمك ثلاثين شاقلا ، وإن كان من ابن خمس سنين إلى ابن عشرين سنة يكون تقويمك لذكر عشرين شاقلا ، ولأنثى عشرة شواقل ، وإن كان من ابن شهر إلى ابن خمس سنين ، يكون تقويمك لذكر خمسة شواقل فضة ، ولأنثى يكون تقويمك ثلاثة شواقل فضة ، وإن كان من ابن ستين سنة فصاعدا ، فإن كان ذكر يكون تقويمك خمسة عشر شاقلا ، وأما الأنثى فعشرة شواقل ، وإن كان فقيرا عن تقويمك ، يوقفه أمام الكاهن فيقومه الكاهن ، على قدر ما تنال يده لتأخذ يقومه الكاهن (١) . »

(١) لاويون ٢٧ : ١ - ٨

وطبقا لرواية التوراة - في سفرى الخروج وصموئيل الأول - فقد جندت بعض النساء للخدمة عند باب خيمة الاجتماع ، غير أن هذين النصين إنما هما تعديل لاحق ، كما أنها ليسا واضحين ، وإن كانت روايتها عن خدم المعبد والأشخاص المتدينين الذين يعيشون في داخله ، أو النساء المتدينات المشتركات في الأعياد (١) .

(ب) العبيد :

وهم الملاحقون بالمعبد ، سواء أكانوا من الأجانب أو الوثنيين ، ويقومون بأعمال الخدمة في المعبد (٢) ، ولا بد أن معظمهم كانوا من أسرى الحرب الذين وهبهم الملوك للمعبد ، وقد كانوا يعدون - حتى بعد العودة من المنفى ، وانتقال وظائفهم إلى اللاويين - من هيئة المعبد ، ويعطون لقب « التينيم » ، و « عبيد سليمان » (٣) .

(ج) الرجال المقدسون والنساء المقدسات :

وهم الرجال والنساء الذين كرسوا أنفسهم للدعارة المقدسة ، وكانوا يعرفون بلقب يحط من شأنهم كثيرا ، وهو « الكلاب » ، وقد رأينا من قبل ، أن هذه الممارسات قد استعيرت من الكنعانيين ، وكانت منتشرة بينهم بدرجة كبيرة (٤) .

(١) A. Lods, op-cit, p. 448-449 وكذا

Alfred Bertholet, Histoire de la Civilisation d'Israel, Paris, 1929, p. 356

(٢) حزقيال ٤٤ : ٧ - ١٤

(٣) عزرا ٢ : ٤٣-٥٨ ، ٧٠ ، ٨٠ : ٢٠ ، نحميا ٧ : ٤٦-٦٠ ، ١١٧٢ : ٢٠

(٤) A. Lods, op-cit, p. 449-450

وعلى الرغم من أن الدعارة المقدسة هذه لم تزل في إسرائيل ، حتى إصلاح الملك د يوشيا ، (٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م) (١) فقد هاجمها الملكان د آسا ، (٩١٣ - ٨٧٣ ق.م) و د يوشافط ، (٨٧٣ - ٨٤٩ ق.م) (٢) ، ثم الأنبياء د عاموس ، (٣) (٧٦٠ - ٧٤٦ ق.م) ، و د هوشع ، (٤) (٧٥٠ - ٧٢٢ ق.م) .

(د) الرقيق المقدس :

وهم السكان الكنعانيون في مدن معينة مثل د جبعون ، و د قرية يماريم ، وغيرهما ، وكانوا يجبرون على تزويد مذبح بيت الله بكتل الخشب والمياه في أورشليم ، وربما لمكان يهوذا العالى في جبعون (٥) .

(١) ملوك ثان ٢٣ : ٧ ، ثنية ٢٣ : ١٨ - ١٩

(٢) ملوك أول ١٥ : ٢٢ ، ٢٢ : ٤٦ (٣) عاموس ٢ : ٧

(٤) هوشع ٤ : ١٤ (٥) يشوع ٩ : ٢٣ ، ٢٧ ، وكذا :

A. Lods, op - cit, p.

الفصل الخامس

الأعياد اليهودية

(١) التقويم العبري :

لعل من الأفضل - قبل الحديث عن الأعياد اليهودية - أن نشير - بادية ذي بدء - إلى التقويم العبري لارتباط الأعياد اليهودية به .

كان اليهود يتبعون دورة القمر في حساب الشهور ، ودورة الشمس في حساب السنين ، ولذلك فقد كان لزاما على اليهود ، حتى يتطابق الحسابان - القمري والشمسي - أن يكون هناك نسيم يكمل الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية ، التي تقل بنحو عشرة أيام ، وذلك بإضافة شهر كل ثلاث سنين ، بحيث تكون سنتهم الكبيسة التي تأتي مرة كل ثلاثة أهوام ، مؤلفة من ثلاثة عشر شهرا ، وشهر النسيم يقم عندم بعد شهر « آذار » اليهودي ، الذي يأتي في فصل الربيع ، جزء منه في أواخر فبراير ، وبقية في شهر مارس ، وهكذا يكون في السنة الكبيسة شهران ، هما « آذار » و « آذار الثاني » .

وأما شهور السنة العبرية فهي : -

- ١ - تشرى = .
- ٢ - حشوان = ٢٩ أو ٣٠ يوما (آخر أكتوبر - نوفمبر)
- ٣ - كسلو = ٢٩ أو ٣٠ يوما (آخر نوفمبر - ديسمبر)
- ٤ - طيبث = ٢٩ يوما (آخر ديسمبر - يناير)
- ٥ - شباط = ٣٠ يوما (آخر يناير - فبراير)

- ٦ - آذار = ٢٩ يوما (آخر فبراير - مارس)
٧ - نيسان = ٣٠ يوما (آخر مارس - أبريل)
٨ - أيار = ٢٩ يوما (آخر أبريل - مايو)
٩ - سيوان = ٣٠ يوما (آخر مايو - يونيو)
١٠ - تموز = ٢٩ يوما (آخر يونيو - يوليو)
١١ - آب = ٣٠ يوما (آخر يوليو - أغسطس)
١٢ - أيلول = ٢٩ يوما (آخر أغسطس - سبتمبر)

وكانت الطريقة القديمة للتقويم العبرى - فيما يبدو - تجعل بدء السنة في فصل الربيع ، بل ربما كان بدء التاريخ إذ ذاك هو : قصة خروج بني إسرائيل من مصر ، في الفترة التي يقع فيها عيد الفصح ، وهو شهر نيسان (أبريل) ، ومن عمادة اليهود حتى اليوم ، عندما يمردون شهور السنة ، أن يبدأوا بشهر نيسان ، وليس شهر تشرى ، أى يقولون : (نيسان - أيار - سيوان - تموز - آب - أيلول - تشرى - حشوان - كسلو - طبيت - شباط - آذار) .
وتنقسم السنة اليهودية إلى أربعة فصول ، كل فصل منها طوله ، واحد وتسعون يوما ، وسبع ساعات ونصف ساعة ، وهى : -

- ١ - فصل الخريف (تقوفت تشرى) ، ويبدأ في ٢٤ أو ٢٥ سبتمبر .
- ٢ - فصل الشتاء (تقوفت طبيت) ، ويبدأ في ٢٤ أو ٢٥ ديسمبر .
- ٣ - فصل الربيع (تقوفت نيسان) ، ويبدأ في ٢٥ أو ٢٦ مارس .
- ٤ - فصل الصيف (تقوفت تموز) ، ويبدأ في ٢٤ أو ٢٥ يونيو (١) .

(١) أنظر : حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٩٤ - ١٩٧ ، مراد كامل :
المرجع السابق ص ٣١ - ٣٢ .

الأعياد اليهودية وأهمها :

(٢) عيد الحصاد

وتطلق التوراة على هذا العيد اليهودي ، عيد الحصاد ، مرة (١) ، و عيد الأسابيع ، (شبعوت) مرة أخرى (٢) ، و يوم الباكورة ، أو البواكير ، (بكوريم) مرة ثالثة (٣) ، وعلى أى حال ، فهو يقع فى نهاية الحصاد ، كما أن عيد الفطير ، هو بداية الحصاد ، أو ابتداء المنجى فى الميدان ، على حد تعبير التوراة (٤) .

ومن هنا سمي عيد الحصاد ، ويقع بعد خمسين يوما من عيد الفطير ، الذى يبدأ فى ١٥ نيسان (أبريل) - أى أن عيد الحصاد إنما يقع فى السادس من شهر سيوان ، (آخر مايو - يونية) ، ومن هنا فقد سمي باليوم والحسين .

وأما سبب تسميته بعد الأسابيع ، فذلك لأنه يقع بعد يوم عيد الفطير ، (تانى يوم عيد الفصح) بسبعة أسابيع ، وهى مدة حصاد الشعير ، ومن ثم فقد كان عيد الفطير احتفالا يبدء حصاد الشعير ، وكان عيد الأسابيع احتفالا بختام حصاد الحنطة .

وأما مدة هذا العيد ، فهى يومان - أى السادس والسابع من شهر سيوان -

(١) خروج ٢٣ : ١٦ .

(٢) خروج ٢٤ : ٢٢ ، تثنية ١٦ : ١٠ ، ١٦ ، أختيار أيام ثان ٨ : ١٣ .

(٣) عدد ٢٨ : ٢٦ .

(٤) تثنية ١٦ : ٩ .

وأهم ما يتميز به عند يهود ، أنهم يجعلون وصول بنى إسرائيل إلى جبل سيناء بعد خروجهم من مصر ونزول الوصايا العشر على موسى ، في هذا التاريخ ، ومن ثم يقومون بحفلة زفاف للتوراة في داخل المعبد ، كأنها عروس ، ويبالغ بعضهم فيتمون قراءتها في يومى هذا العيد (١) .

(٢) عيد الفصح

يطلق بعض المستعربين من علماء اليهود على « عيد الفصح » ، هذا ، اسم « الفسح » ، وأصل معنى الكلمة القديم ، الخطو والمرور والعبور ، وطبقا لما جاء في سفر الخروج ، فإن اليهود إنما كانوا يحتفلون بفصحهم هذا في الرابع عشر من شهر نيسان (أبريل) بين العشاءين (أى بين المغرب والعقمة) ، وفي اليوم التالى (أى الخامس عشر) يبدأ « عيد الفطير » (أى الخبز بدون خميرة) ، ويمتد سبعة أيام ، وفي هذه الصورة نجد أن عيد الفصح والفطير ، منفصلين بعضها عن البعض الآخر ، يأتى ثانيهما في أعقاب الأول (٢) .

وإذا تأملنا الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج ، لوجدنا أن الآيات التى

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٢٨ ، وكذا .

L. Benzinger, Pentecost, in Encyclopaedia Biblica, III, col, 3651

T. H. Gaster, Festivals of the Jewish year, N .Y 1953, 59-79

(٢) لاويون ٢٣ : ٥ - ٦ ، عدد ٢٨ : ١٦ - ١٧ ، سبتينو موسكاتى :

المرجع السابق ص ٣٠٩ ، وكذا

O. Eissfeldt, Einleitung in das Alte Testamen', Tubingen,

1956, P, 343, 346

تتناول الفصح وعيد الفطير ، وإنما ترجع إلى مصدرين مستقلين - الواحد هو المصدر اليهودي ، والآخر هو المصدر الإلهيمي - فالآيات التي تتناول الفصح (١٢ : ١ - ١٣ ، ٤٣ - ٥٠) ، والتي تتناول عيد الفطير (١٢ : ١٤ - ٢٠) إنما ترجع إلى مصدر قديم ، له أقدم المصادر ، ومصدر متأخر ، هو قطعا أحدث المصادر .

ويشترك المصدران - اليهودي والإلهيمي - في أمرين جوهريين ، الواحد : أن الفصح احتفال عائلي ، تقيمه كل أسرة داخل بيتها ، ويشرف عليه رب هذه الأسرة ، والثاني : الفصح وعيد الفطير منفصلان ، ومدة عيد الفطير سبعة أيام تعقب ليلة الفصح .

غير أن المصدر القديم إنما يهتم كثيرا بما يعقب الذبح من تلطيخ الباب بدمها ، بواسطة حزمة من نبات الزوفا ، تغمس في الدم الذي في الطاسي ، كما يتفرد بالنص على تحريم الخروج من البيت حتى الصباح ، وأما المصدر المتأخر (أو الأحدث) ، فيهتم بالتحديد الزمني للذبح (في الرابع عشر بين العشاءين) ، وبتحديد قواعد الأكل ، حيث يحرم أكل اللحم نيئا أو مطبوخا بالماء ، وليسكن مشويا بالنار ، كما يفرض شوى الحمل بأكله ، دون أن تزال رأسه وأكارعه أو أحشاؤه ، ولا يكسر العظم أثناء الأكل ، وعلى أن يؤكل اللحم من فطير وأعشاب مرة ، ولا يبق من اللحم شيء إلى الصباح ، فأى بقى شوى ، فليحرق بالنار ، وأن يلبس الآلون لباس السفر ، وأن يكون الأكل على عجل ، وفي داخل البيت ، كما اشترط هذا المصدر أن تكون الذبيحة حمل سليم ابن سنة ، وأن يكون ذكرا من الخراف أو الماعز (١) .

(١) سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ص ٣١٤ - ٣١٦ ، وكذا

وهناك مصدر ثالث ، هو سفر التثنية (١٢ - ٢٦) ، يتحدث عن عيد الفصح ، كذلك ، ويختلف عن المصدرين الأولين - اليهودي والإلهيمي - في عدة أمور ، منها (أولا) أن عيد الفصح لا ينفصل عن عيد الفطير في التثنية ، فها معا سبعة أيام ، أولها للفصح ، ولكنها في المصدرين الآخرين مستقلان بعضها عن بعض ، وهما معا ثمانية أيام ، يوم الفصح وسبعة أيام تليه لعيد الفطير ، ومنها (ثانيا) أن عيد الفصح في التثنية يحتفل به في معبد اورشليم ، لاقى بيوت الأسر المختلفة ، كما في المصدرين الآخرين ، وتذهب الأسرة بقرابيتها إلى المعبد ، فيتولى الكهنة هناك ذبحها مساء ، وتأكل كل أسرة ذبيحتها ، ثم تعود إلى بيتها في صباح اليوم التالي ، لتكمل الاحتفال بعيد الفطير .

ومنها (ثالثا) أن الذبيحة في سفر التثنية من الغنم أو البقر ، ولكنها في المصدر القديم من الغنم ، وفي المصدر المتأخر (الأحداث) حمل صحيح ذكر ، ابن سنة من الغنم أو المعز ، ومنها (رابعا) أن الذبيحة في مصدر التثنية تؤكل مطبوخة ، أي مسلوقة في الماء ، ولكنها في المصدر المتأخر ، إنما تؤكل مشوية ، ويحرم أكلها نيئة أو مسلوقة ، تقول التوراة : لا يؤكل اللحم نيئا اجتنابا لما فيه من دم ، فأكل اللحم حرام ، وعقاب أكل اللحم هو القلع من شعب إسرائيل ، ، وأما سبب تحريم اندم هو الاعتقاد بأن نفس كل جسد هي دمه ، تقول التوراة : وغير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه ، ، أما المصدر القديم فهو لا يشير إلى طريقة الأكل (١) .

O. Eissfeldt, op-cit, P. 224, 231, 237.

٤. R. Driver, An Introduction to the Literature of the Old Testament, Edinburgh, 1950, P. 28-29.

(١) تكوين ٩ : ٤ ، خروج ١١ : ٥ ، ٨ - ٦ ، ٢١ ؛ لا يون ٣ : ١٧ ، ٧ : ٣

وأيا ما كان الأمر، فالفصح احتفال ليل، تنفرد ذبيحته بين كافة القرايين، بأنها تذبح مساء، ويقع هذا الاحتفال بين الغروب والشروق، من ليلة البدر من الشهر التالي للإحتفال الربيعي (وهو الوقت الذي يتساوى فيه الليل والنهار في ٢١ مارس)، أي في ليلة الرابع عشر من شهر أبريل، فهو إذن احتفال يقام في مستهل الربيع، وله علاقة بالقمر، لاريب فيها لأنه يقام في ليلة البدر حين يكون القمر في تمامه، حيث تجتمع الأسرة العبرية حول ذبيحة من الغنم أو المعز، سليمة من العيوب، مضى عليها حول، تؤخذ في العاشر من الشهر، وتحفظ في البيت حتى الرابع عشر، فيذبحها رب الأسرة بين العشاءين عند باب البيت، ويوضع الدم في طست، وتؤخذ حزمة من « الزوقا »، وتغمس في الدم لتطبخ به عتبة الباب العليا وقائمته، ثم تشوى الذبيحة بتمامها، ويأكلها أفراد الأسرة ومن ينزل عندهم (أي العبد المشتري، والغريب المقيم، إذا اختتتا) دون أن يكسروا منها عظما، يأكلونها داخل البيت، فلا يخرج شيء من اللحم إلى الخارج، بل لا يخرج أحد من البيت حتى الصباح، وأكلهم على عجل، لكي يأتوا على الذبيحة قبل أن يشرق الصباح، فإن بقي منها شيء فليحرق بالنار، ويؤكل اللحم مع فطير وأعشاب مرة.

٢٦٣-٢٧، ١٧، ١٠-١٤، ثلثية ١٢ : ١٦، ٢٢، ١٥ : ٢٢، سبتينوموسكاتي:
المرجع السابق ص ٢١٦-٢١٩، وكذا:

I. Benzinger, *Passover and Feast of Unleavened Bread*, EB, III, 1902, Col. 3597-3598.

وكذا
W. J. Moulton, *Passover*, in *Hasting's Dictionary of The Bible*, III, .q 685-686.

وتمثل ذبيحة الفصح باكورة قطع الراعى من الغنم والمعز ، يقدمها الراعى قربانا إلى القمر ، وهو من آلهة الخصب ، ليبارك قطيعه ، ويكفل تكاثره في العام التالى ، يقدمها الراعى إلى إله القمر ، ليلة البدر ، حين يكون في أوج مجده ، فولية الفصح وليلة قربان مقدم إلى إله القمر ، والمشاركون فيها من أهل البيت ضيوف على الإله صاحب القربان ، يشاركونه في طعامه ، ويمجدون بذلك ما بينه وبينهم من عهد وميثاق ، وما داموا يأكلون في حضرة القمر ، فلا بد أن يفرغوا قبل أن يمتحب ، ولهذا يأكلون على صجل ، لكي يأتوا على الذبيحة قبل أن يشرق الصبح ، فإن بقى منها شيء فليحرق بالنار ، لأنه طعام مقدس لا يجوز أن يصيبه الفساد ، ولا يجوز كسر عظم من عظام الذبيحة عند أكلها ، حتى لا يكون ذلك تذكيرا بكسر أو ضرر يصيب القطيع خلال العام الجديد ، وإنما يجب أن يبقى هيكل الذبيحة سليما عند الأكل ، كما حفظ سنيا حين شوى بتامة في النار ، ويؤكل مع اللحم فطير ، أى لا يؤكل خمير ، لأن الاختيار ضرب من التعفن والفساد ، لا يجوز في هذه الولية المقدسة ، هذا فضلا عن أن خبز الرعاة هو في العادة بدون خمير لتقليل الدائم من مرعى إلى مرعى ، وتؤكل مع اللحم أيضا أعشاب مرة ، لطرد الأرواح الشريرة من البيت ، هذا إلى أن الأعشاب المرة نبات الصحراء (١).

(١) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٢٠ - ٢٢٢ ، وأنظر :

I. Benzinger, op-cit, Col. 3598

وكذا W. O. E. Oesterly and T. H. Robinson, Hebrew Religion,

London, 1937, p. 129 - 132

وكذا W. J. moulton, op - cit, p. 689 - 690 ، ثم قارن :

T. H. Gaster, op - cit, p. 33 - 35

A Lods, op - cit, p. 292 - 294

وكذا

والخلاصة- فيما يرى الدكتور السيد يعقوب بكر- أن الفصح عيد بدوى قديم من أعياد الرعاة ، كانت كل أسرة من أسر العبريين ، تحتفل به ليلا في بيتها ، فتقدم باكورة قطيعها ويكفل تكاثره ، وكان موعد الفصح في مستهل الربيع (١٤ أبريل) ، ولهذا ارتبط به عيد آخر من أعياد الربيع ، هو عيد الفطير ، (بداية الحصاد) ، وجده العبريون في كنعان ، فجعلوه لاحقا للفصح ، وكان الغرض من خروج العبريين من مصر - لما يفهم من التوراة - الاحتفال بعيد الفصح في الصحراء ، ولهذا ارتبط عيد الفصح بقصة الخروج ، مع أنه أقدم منها ، ففسرت بعض أحكامه ببعض أحداثها ، بل عدّ « عيد الفصح » ذكرى ليوم الخروج ، ولما كان عيد الفطير لاحقا للفصح ، فقد ارتبط هو أيضا بقصة الخروج ، مع أن العبريين لم يعرفوه إلا بعد استقرارهم في كنعان (١) .

وعلى أى حال ، فعيد الفصح عند اليهود ، إنما هو عيد الضحية ، كما أنه عيد خبز الفطير ، ولا يستطیع باحث في الفكر الإسرائيلي أن يذكر عجينة الفطير المفروضة في عيد الفصح ، دون أن يقف عند تهمة توجه إلى اليهود من كثير من أعدائهم في هذا العيد بالذات ، هي التي اشتهرت في العالم باسم « تهمة الدم » ، وخلاصتها أن خبز الفطير المفروض على اليهود في فصحهم قد جرت العادة أن يدخلوا في عجيفته دما بشريا يأخذونه من ضحية يقتلون من أمة أخرى غير اليهود ، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين ، والظاهر أن هذه التهمة التي يوصم بها اليهود بدأت منذ عهد مبكر في التاريخ ، ويبدو أنها جلبت على أماكن التجمع اليهودى في الشرق والغرب مشاكل كثيرة ، فقد كان الحى الذى يسكنون فيه يهاجم وينشر فيه القتل والتكيل ، بمجرد اختفاء طفل

(١) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٢٥ - ٢٢٦

أو شخص، من مجتمع غير يهودى مجاور في فترة عيد الفصح، ونحن نحس بذلك في المرسوم البابوي الذى أصدره البابا « أنوسنت الرابع »، فى الخامس والعشرين من سبتمبر سنة ١٢٥٢ م، وفيه يجرم لإتهام اليهود باستعمال الدم البشرى فى طقوسهم (١).

ومع ذلك، فقد بقيت هذه التهمة تلاحق اليهود فى كل زمان ومكان، ومن ذلك حادث دمشق المشهور فى ١٥ فبراير عام ١٨٤٠ م، والذى راح ضحيته الأب « توما، الكيوشى، وخادمه إبراهيم عمارة، وقد اتهم اليهود بذبح الأب توما بقصد استنزاف دمه، لكي يستخدم دم الضحية البشرية فى صنع خبز الفطير اليهودى، بدلا من تضحية خروف الفصح، واستعمال دمه للأغراض الدينية.

وفى الواقع أن حادث دمشق هذا، لم يكن هو الوحيد من نوعه، فهناك حادث طفل فى مدينة الاسكندرية ذبحه اليهود فى نفس العام، وقد وجدت جثته فى اسطبل مجاور لحارة اليهود، بعد أن استنزف اليهود دمه، وهناك حادث ذبح امرأة نصرانية فى حلب فى نفس العام (أى عام ١٨٤٠ م)، وهناك ذبح ولدين فى جزيرة كورفو عام ١٨١٢ م، وهناك ذبح المدعو « فتح الله الصائغ » فى بيروت عام ١٨٢٤ م، وهناك حادث حماة فى عام ١٨٢٩ م، وخلاصته استنزاف دم فتاة مسلمة وجدت جثتها مطروحة فى حديقة بجانب نهر العاصى، وقد قطعت أجزاء من جسمها بالآت حادة.

وهناك مذكرته الفتاة اليهودية « بنود »، من حوادث ذبح لبعض الغلمان فى حلب فى عامى ١٨٢٠، ١٨٣٤ م، وتروى هذه الفتاة اليهودية أن اليهود فى «حلب»

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٢٢ - ٢٢٢، وكذا

Albret monnio, Le Crime Rituel chez les Juifs, Paris, 1914, p.7

كانوا يصنعون نوعين من الفطير ، الواحد ممزوجا بالدم ، والآخر لا دم فيه ، أما الممزوج بالدم فهو ما يصنع قبل عيد العصح ، فإذا بذل اليهود جهدهم ، ولم يتمكنوا من الحصول على دم بشرى ، يأتون بديك أبيض ويصلبونه ويوخزونه بالمسامير والمناخس حتى يسيل دمه ، وأن أحد الحاخامات الذي جاء إلى اللاذقية سنة ١٨٣٩ م ، صنع بمثل ذلك أمام عينها (١) .

(٣) عيد المظال

وكان يسمى في الأصل « عيد الجمع » (٢) (أسيف) ، ثم غلب عليه اسم « عيد المظال » (٣) (سكوت) ، فقد كان القوم يقيمون في بساتين العنب أثناء جمع المحصول ، « مظال » من فروع الأشجار المورقة ، ليستظلوا بها من الشمس أو يأووا إليها في الليل . هذا ولا تحدد التوراة في سفر التثنية بداية عيد المظال (إذ المعول في ذلك أصلا على موعد نضج محصول العنب) ، ولكنها في سفر اللاويين تحدد بدايته باليوم الخامس عشر من شهر « قشري » (أكتوبر) ، ويكون الاحتفال به منذ غروب شمس اليوم الرابع عشر ، بحيث تكون هذه ليلة العيد ، ومدته التقليدية - في سفرى التثنية واللاويين - سبعة أيام ، وإن أضاف سفر اللاويين يوما ثامنا ، يعتقدون فيه اجتماع عبادة ، لا يعملون فيه شيئا ، على

(١) أنظر : حبيب فارس : صراخ البرية في بوق الحرية والذبايح البشرية - مصر ١٨٩١ م ، الذبايح البشرية التلمودية ، تحقيق وشرح عبد العاطى جلال - القاهرة ١٩٦٢ ، أسعد رزوق : التلمود والصهيونية ، بيروت ١٩٧٠

(٢) خروج ١٢ : ١٦ ، ٣٤ : ٢٢

(٣) تثنية ١٦ : ٣ ، لاويون ٢٣ : ٤٣

أن هناك من يرى أن المدة التقليدية لعيد المظال تسعة أيام، منها سبعة أيام هي عيد المظال بذاته، ويومان آخران - هما الثاني والعشرون والثالث والعشرون من تشرى - ولهما لون خاص، فالأول منهما يسمى «الثامن الختامى» (شميني عصيرت) لأنه يختم عيد المظال بأيامه السبعة، بل يختم كل الأعياد المكتملة في الشهر الأول من السنة العبرية، وهو شهر «تشرى»، وأما اليوم الثاني من هذين اليومين الأخيرين، فإنه يفتح دورة جديدة من قراءة التوراة، ولذا يسمى عيد فرحة التوراة (سمعت توراة) (١).

هذا ولا تحدد التوراة في سفر التثنية القرابين التي تقدم للرب في هذا العيد، وإنما ترك هذا للناس، كل حسب قدرته واختياره، وأما سفر اللاويين فإنه، وإن لم يحدد هذه القرابين، فإنه يقضى بأن يقدم قربان في كل يوم من الأيام السبعة، فضلا عن قربان في اليوم الثامن، وأما سفر العدد، فهو يقضى بقرابين كثيرة للأيام الثمانية كلها (٢).

هذا وقد أحدث «يربعام الأول» (٩٢٢ - ٩٠١ ق.م) تغيير في عيد المظال، واحتفالات الحصاد الدينية، من الشهر السابع إلى الشهر الثامن، وإن كان هناك من يرى أن هذا التغيير إنما قد حدث في يهوذا - وليس في إسرائيل -

(١) لاويون ٢٢ : ٢٣ - ٢٦ ، ٣٩ - ٤٣ ، تثنية ١٦ : ١٣ - ١٧ ، حسن
ظاظا : المرجع السابق ص ٢٠٤ ، سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ص ٢٣ - ٢٣١
(٢) لاويون ٢٢ : ٣٦ ، عدد ٢٩ : ١٢ - ٢٨ ، وكذا

T. H. Gaster, op-cit, p. 80-98

I. Benzinger, Feast of Tabernacles, Encyclopaedia, Biblica, 4, 1904, Col. 4875-4881

ذلك لأن عيد المظال إنما كان يتم بمجرد أن تجمع آخر ثمرة من محصول العام في إسرائيل ويهوذا ، على أيام الوحدة بينها ، وعندما تم الانفصال ، فقد كان من الطبيعي أن يعقد هذا الإحتفال في يهوذا قبله في إسرائيل ، لأن الثمار إنما تنضج في يهوذا ، قبل أن تنضج في إسرائيل ، أي في الجنوب قبل الشمال (١) .

وكان المحتفلون بعيد المظال ، يأوون إلى مظال تقيهم حرارة مس أو برودة الليل - كما أشرنا آنفا - ولكن التوراة سرعان ما تحاول في سفر اللاويين أن تفسر هذه العادة تفسيراً تاريخياً ، ومن ثم فإنها تذهب إلى أن المحتفلين يجب أن يسكنوا في المظال ، الأمر الذي فعله أسلافهم من قبائل بني إسرائيل ، عندما أخرجتهم من أرض مصر ، أنا الرب الهكم (٢) ، غير أن هذا - فيما يرى بعض الباحثين - إنما هو تفسير خيالي ، ذلك لأن الذين يجوبون الصحراء ، إنما يعيشون في خيام ، وليس في مظال ، فإن الخشب والأغصان الخضراء ، لا تأتي إلا في حالات قليلة متناثرة (٣) .

وعلى أي حال ، فالتقليد عند اليهود في هذا العيد أن يقيموا في أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر ، التي لا تحجب عنها رؤية السماء تماماً ، وهذه الأكواخ النباتية التي تشبه ما نسميه في مصر « الخُص » ، أو ما يسمى في الأقطار الشامية « العريشة » ، لا بد أن ترجع إلى أعياد زراعية ورعوية بدائية ،

(١) ملوك أول ١٢ : ٣١ - ٢٣ ، وكذا A. Lods, op-cit, p. 416

(٢) لاويين ٢٣ : ٤٣

(٣) سبتيونوموسكاني : المرجع السابق ص ٦٣٠ ، وكذا

إذ بعدد من الجفاف الطويل، طوال مدة شهور الصيف، ينتظر الفلاحون والرعاة مع الحريف بواكير المطر، ويحتفلون به احتفالا خاصا، ولذلك فإن اليوم السابع والأخير من عيد المظال (عيد الظل) يسمى عند اليهود « اليوم الكبير لطلب النجدة »، (هوشعناريا)، ويبدو أنها في الأصل كانت صلاة استسقاء عندما يتأخر المطر، وقد جرى عرف اليهود على أنهم في هذا اليوم يدخلون المعبد لهذه الصلاة، وفي يد كل واحد منهم غصن من الأغصان التي تستعمل في تهيئة هذه الظل، فيضربون على الكراسي بهذه الأغصان حتى تساقط أوراقها كلها، ويستقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم ذنوبهم التي ارتكبوها في هذه السنة (١).

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن عيد المظال هذا، إنما يتبر أهم الأعياد الزراعية الثلاثة التي عرفها بنو إسرائيل في كنعان (عيد الفطير The Feast of unleavened Bread)، (وعيد الحصاد The Feast of Harvest) حتى أصبح (عيد المظال The Feast of Ingathering or Tabernacle) حتى أصبح « عيد يوه »، (Feast of Jahweh)، وسمى « العيد » إطلاقا (٢)، و« عيد الرب » (٣)، ولا بد أنه كان « عيد رأس السنة الجديدة »، لأنه كان يعقد في الدورة السنوية (٤)، والتي تقع في الحريف وقت ذاك، وفي الواقع أن « عيد

(١) حسن ظا : المرجع السابق ص ٢٠٤ - ٢٠٤

(٢) ملوك أولاد ٨ : ٢، ٦٥، أخبار أيام ثان ٥ : ٣، ٧، ٨، نحميا

٨ : ١٤، حزقيال ٤٥ : ٢٥ .

(٣) لاويون ٢٣ : ٣٩، قضاة ٢١ : ١٩

(٤) خروج ٣٤ : ٢٢

بداية السنة ، لم يذكر بهذا التعبير حتى عصر السبي البابلي ، وكان يقام في بداية الامر لمدة خمسة ايام ، ثم أصبح فيما بعد خمسة عشر يوما (١) .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن عيد السنة الجديدة ، إتمام كان يقام - على الأقل في معبد اورشليم - على هيئة احتفالات رسمية بصمود « يهوه » ، إلى العرش ، وبإبتهالات جديدة لافتتاح حكم رب إسرائيل (حكم يهوه) ، وقد كان « عيد المظال » (The Feast of Tabernacles) - شأنه في ذلك شأن احتفالات التتويج - يتميز بموكب عظيم ، وبهتافات الفرج ، بينما كان « عيد رأس السنة الجديدة » (The New Year Feast) يصحبه صوت الآلات النحاسية (٢) .

وما زالت حتى اليوم تشير شعائر اليهودية ، بقراء النصوص الخاصة بسيادة وحكم يهوه في رأس السنة الجديدة ، فضلا عن تلاوة دعاء « يا والدنا وملكتنا » ، وربما كان يحمل التابوت (أي يهوه) أثناء الموكب ، وهو يأخذ طريقه إلى قصره الملكي (٣) ، والامر كذلك في « بابل » حيث كان يحمل تمثال الرب في عيد رأس السنة إلى معبده بموكب عظيم ، أما في مصر فقد كان ينفذ في عيد الرب في أيدوس ، ما سبقت الإشارة إليه من طقوس ، وهناك أساس الافتراض بأن الإسرائيليين حينما اقتبسوا هذه العادات على غرار معابد الشرق الكبيرة ، فإنهم قد اقتنوا أثر الكنعانيين في هذا المجال ، وعلى أي حال ، فإن هذا قد تم بعد دخولهم فلسطين ، ذلك لأن العبريين الذين كان يحكمهم المشايخ أو كبار السن ، قد

(١) A. Lods, op - cit, P. 436

Otto Eissfeldt, ZAWT, 1928, p. 81-105

A. Lods, op.cit, P. 436

(٢)

وكذا

(٣) مزموور ٢٤

اسبغوا على رءسهم لقيت د الملك ، وغيره من الالاقاب التي كانت تفضى على العواهل من حكام الشرق الادنى القديم (١) .

(٤) عيد السبت

هو العيد الاسبوعى عند اليهود ، ومدته من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت ، وأهم شعائر الكف عن أى عمل ، طبقا لنصوص التوراة ، التي تقول : « ستة أيام تعمل ، وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع فيه سبت للرب إلهك ، لا تصنع عملا ما ، أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمنتك وتربيلك الذي داخل أبوابك ، لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، واستراح في اليوم السابع ، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدمه (٢) » .

على أن هناك تعارضا في التوراة في أسباب راحة يوم « السبت » (وأصل الكلمة سباتو او شباط ، وهي كلمة عبرية ربما بمعنى راحة) ، فهي في سفر الخروج لسبب كهنوت ، إذ فيه « سبت للرب إلهك (٣) » ، وهي في سفر التثنية لراحة الناس من المجهود الذي يبذلونه طوال أيام ستة (٤) ، وهذا يعني أن سفر الخروج ، إنما يجعل « راحة السبت » ، لأن الله (يوه) نفسه ، قد استراح في هذا اليوم ، بعد انتهائه من تكوين الخليقة ، وأما سفر التثنية ، فيذهب إلى أن الحكمة في تقديس يوم السبت ، هي بكل بساطة تمكين الإنسان والحيوان من الراحة بعد أسبوع من العناء ، ولا يرتبط هنا بأن الله استراح في اليوم السابع ، بل ربما كان

(١) A. Lods, op - cit, p. 436-437 (٢) خروج ٢٠ : ٩ - ١١

(٣) خروج ٢٠ : ١٠ (٤) تثنية ٥ : ١٤

المفهوم من السياق هو ربط هذه الراحة بالتححرر من السخرة والعبودية ، عندما كان قوم موسى مايزالون في مصر عبيدا لفرعون يعملون بأمره ، ولا يحق لهم أن يستريحوا يوما واحدا في الاسبوع (١) ، وهكذا نقرأ في سفر التثنية : «أحفظ يوم السبت لتقدسه ، كما أوصاك الرب إلهك ، لاتعمل فيه عملا ما ، أنت وابنتك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيرك الذي في أبوابك ، لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك واذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر ، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وقراع مدودة ، لاجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت (٢) .»

على أن هناك وجها ثالثا للنظر ، يذهب إلى أن راحة يوم السبت ، إنما ترجع إلى الزمن الذي كان الإسرائيليون فيه بدوا ، وأن هذا اليوم إنما كان يوم راحة عند «القينيين» الحدادين ، خوفا من تأثيرات خطيرة غير مضمونة الواقب ، ومن هنا كان تحريم إشعال نيران في ذلك اليوم (٣) ، واستعار الإسرائيليون هذا الأمر المقدس من القيين ، غير أنه من المشكوك فيه أن الإسرائيليين كان لهم في حياتهم البدوية يوما للراحة ، ذلك لأن عمل الرعاة إنما يتم يوميا لرعى وإرواء قطعانهم ، كما أن العلاقة بين أيام الاسبوع والكواكب لم تظهر إلا في فترة لاحقة (٤) .

ولكن - من ناحية أخرى - فإنه من المؤكد أن الإسرائيليين قد احتفظوا بيوم السبت (The Sabbath) في فلسطين حتى القرن الثامن قبل الميلاد ، غير أن

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ١٩٩

(٢) تثنية ١٢:٥-١٥ (٣) خروج ٣:٣٥ ، عدد ١٥:١٥

(٤) A. Lods, op cit, P. 437-438

معنى هذا الاصطلاح القديم ، إنما يبدو مختلفا عما أضافه الإسرائيليون فيما بعد على هذا الاسم ، فكلمة شباط ، (Shabbath) مشتقة بجلاء من الكلمة البابلية و شباطو ، (Shabattu or Shapattu) ، التي تشير إلى « عيد تكامل القمر » ، ويبدو أن المعنى الأصلي للكلمة العبرية ، هو نفس معناها البابلي ، ولا بد أن الإسرائيليون قد اقتبسوا هذا الاصطلاح عند قدومهم إلى كنعان ، ليشيروا إلى احتفال رآوه دون شك منذ أيام البداوة (١) عند تكريم الكوكب (القمر) ، ويفسر هذا التقارب الوثيق الذي نجده في النصوص القديمة بين السبت والقمر الجديد ، واختفاء هذا الاصطلاح من التشريع اليهودي القديم ، وما قام به بعض الأنبياء من عداة تجاه هذا العيد (٢) .

ومن ناحية أخرى ، فلقد اعتاد الإسرائيليون - حوالي القرن التاسع قبل الميلاد - أن يطلبوا يوما للراحة كل سبعة أيام من عمل الحرث والحصاد و ستة أيام تعمل ، وأما اليوم السابع فتستريح فيه ، في الفلاحة وفي الحصاد تستريح (٣) ، ومن هناك و عيد الأسابيع ، يرمز إلى الأفراح التي يختم بها جمع المحاصيل ، وهكذا تعرفوا على الأسبوع ، كما يبدو ذلك واضحا ، في أيام الحداد السبعة ، وفي أيام احتفالات الزواج السبعة (٤) ، ولكن ليس هناك ما يدل على أن الفترات الأسبوعية في هذا الزمن ، قد شكلت ترتيب متعده للشهور والسنوات .

أضف إلى ذلك أن أيام الأسبوع التي لا عمل فيها ، والتي تطلع إليها الإسرائيليون ، إنما كانت مرتبطة مع أيام النحر ، التي كانت سائدة بين البابليين

(١) ملوك ثان ٤: ٢٢ ، عاموس ٧: ٥ ، هوشع ٢: ١٣ ، إشعيا ١: ١٣

(٢) هوشع ٢: ١٣ ، إشعيا ١: ١٣ (٢) خروج ٢٤: ٢١

(٤) تكوين ٢٩: ٢٧

- وهى السابع والرابع عشر والحادى والعشرون والثامن والعشرون من شهر أيلول الثانى ومارشسون - وربما فى كل الشهور - وهى أيام كان الملك والكاهن والطبيب يجبرون فيها على الامتناع عن أعمال معينة، كما اعتبرت أوجه القمر السبعة بوضوح، أياما خطيرة مقرونة بشر مستطير (١) .

ومن هذا يبدو أن أنظمة يوم السبت ، من ناحية ، وأيام الأسبوع من ناحية أخرى ، لها علاقة بالنجوم ، وأنها من أصل اجنبى ، ولكنها تحملت جميعا تغييرات عميقة ، يبدو أنها كانت غريبة على بنى إسرائيل ، وتعزى دون شك إلى حقيقة أنها كانت مثل كثير من عادات الشعوب الأخرى التى صاغها وحددها الدين القومى ، فى أمور كثيرة (٢) ، منها (أولا) أصبحت أيام شباط (عيد تكامل القمر) من ناحية ، وأيام السبت من ناحية أخرى ، أيام راحة ، فضلا عن أنها أيام يهود ، التى يذهب فيها القوم إلى دجل الله ، لاستشارته (٣) ، بل ربما كان اجتماع المبد يتم فى يوم السبت (٤) ، وقد فرضت أوامر يهود الكف عن العمل فى هذا اليوم (٥) .

ومنها (ثانيا) أن الكهنة إنما قد فسروا الامتناع عن العمل فى اليوم السابع ، وفقا لاتجاه معين فى الدين القومى ، ولم يعد يضور كعمل طارىء ضد

(١) A. Lods, op - cit, P. 439

A Jeremias, op - cit, P. 90

وكذا Paul Dhorme, Choix de Textes Religieux Assyre —

Babyloniens, Paris, 1907, P. 380 - 381

(٢) A. Lods, op - cit, p. 439 (٣) ملوك ثان ٤ : ٢٣ .

(٤) ملوك ثان ١١ : ٥ - ٨ (٥) خروج ٣٤ : ٢١ ، ٢٣ : ١٢

أخطار القوي الحارقة للطبيعة ، والمتصلة بأيام النخس ، وإنما يهدف السباح للعبيد
والمماشية يوم راحة من عناء العمل الشاق (١) .

ومنها (ثالثا) أن أيام الراحة الأسبوعية إنما اقتبست من أوجه القمر ، ثم
أدت الأسابيع لتؤلف التلاحق المستمر طوال العام ، ولا بد أن ملامح العرف القديم
قد ساهمت في هذا التغيير ، حيث كان البابليون يعتبرون أن يوم التاسع عشر من
شهور معينة إنما هو يوم نخس ، أي اليوم التاسع والأربعين من بداية الشهر
السابق ، بينما حسب الإسرائيليين من جانبهم ، أن سبعة أسابيع الحصاد فترة
مستمرة ، فقد كان يوجد منذ فترة مبكرة جدا ، فترات لمدة شهرين ، تعتبر أيام
الراحة في الثاني منها مقررة ، ومستقلة عن الدورة القمرية ، وتنتهي أقدم
النصوص - التي نجد فيها إشارات عن الإستعارة الوقتية لسابع يوم للراحة باسم
شباط - إلى نهاية فترة ما قبل السبي ، أو إلى بداية عصر السبي البابلي ، ولم يكن
حتى ذلك الوقت قد أصبح هذا اليوم أكثر الأيام أهمية وتمييزا في الفصول المقدسة
في دين يهوه (٢) .

وعلى أي حال ، فلقد تفنن فقهاء اليهود في تفسير السكف عن العمل يوم
السبت ، ، فحرموا فيه كل ما من شأنه أن يشعر بالاسعى في الرزق ، أو الانشغال
بمحرقة أو صناعة أو بذل جهد في تحقيق هدف معين ، لذلك حرموا إيقاد نار في

(١) خروج ٢٢ : ١٢ ، تثنية ٥ : ١٤

(٢) لاويون ٢٣ : ٣ ، حزقيال ٤٦ : ١ ، وكذا

A. Lods, op - cit, P. 439 - 440

وكذا H. Zimmern et H. Winckler, Die Keilinschriften und Alte Testament, Berlin, 1902, p. 593

يوم السبت ، وإن كان أكثرهم أباح بقاء النار التي اشعلت قبل الدخول في السبت، والإنتفاع بها يوم السبت نفسه ، كان توقد النيران والشموع والقناديل والأفران ونيران المطابخ والمدافئ والمواقد بعد ظهر الجمعة لاستخدامها ليلة السبت، كذلك حرموا السفر يوم السبت لتحريم ركوب الدواب قديما ، وتحريم إيقاد النار التي تنطبق الوصية بها على وسائل المواصلات الحديثة ، كالقطار والسيارة والباخرة والطيارة ، التي تعتمد كلها في سيرها على النار، وجعلوا من السفر عبور الجداول والأنهار أو الإنتقال بحرا ، كذلك يحرم السبت إنفاق النقود أو تسلمها ، فهذا كله عمل أساسه البيع والشراء ، أو أنواع مشابهة من الأكتساب والأخذ والعطاء بين الناس .

هذا وقد حرم فقهاء اليهود كذلك الكتابة في يوم السبت ، لأنها في عرفهم تكون لإبرام العقود ، وعقد الاتفاقيات ونحوها ، مما يدخل في مفهوم الشغل ، لذلك جرى العرف على ألا يخرج اليهودي المتمسك بتعاليم السبت من بيته ، إلا وقد تأكد أن جيوبه عالية من الأقلام والأوراق والنقود والكبريت ، وأكثرهم يخرج إلى المعبد ، وليس معه إلا التوراة أو كتاب الصلوات (السدور) ، وبطبيعة الحال ، يحرم عقد الزواج يوم السبت ، لاحتياج ذلك إلى الكتابة ، ودفع الأموال وقبضها ، والعمل في إعداد الزفاف ونحو ذلك (١) .

وحرم فقهاء اليهود الحرب الهجومية يوم السبت ، ومن ثم فإننا نقرأ في سفر المكابيين أن القوم على أيام حروبهم ضد الملك ، أعطيو خمس الرابع لإيفانس ، (١٧٥ - ١٦٤ ق.م) - إبان الثورة المكابية (١٦٦ - ١٦٠ ق.م) - نادى فريق من الأتقياء (حاسيديم) بعدم تدنيس يوم السبت والقيام بأعمال حربية ،

(١) حسن ملاحظا : المرجع السابق ص ٢٠٠

بما سبب لهم هزيمة منكرة ، اضطروا بعدها إلى التخلي عن السبت والقتال فيه (١). وعلى أي حال ، فلقد أباح اليهود بعد ذلك الحرب في يوم السبت ، حتى الهجومية منها ، وذلك إذا ما أعلن الكاهن اليهودي أن العسكر الإسرائيلي ، أو أن أهل هذه الملة ، في خطر ، اعتبرت الحرب دفاعية ، وجاز دورانها يوم السبت ، ولذلك نلاحظ أن قادة إسرائيل في الوقت الحاضر حريصون جدا على إظهار حروبهم - أمام الرأي العام اليهودي والعالمي - بشكل حروب دفاعية ، حتى يتخلصوا من مشاكل السبت وغيرها من مشاكل الحرب الهجومية ، كضرورة الحصول في حالة التعبئة للحرب الهجومية ، على إذن باستنفار من يصلحون للقتال من المجلس الهيني الأعلى (٢) .

(٥) أعياد رؤوس الشهور والآلهة

يحتفل اليهود ببداية الشهور القمرية ، ويقوم الكهنة بالنفخ في أبواق من فضة (٣) ، وعلى القوم أن يقوموا بذبائح معينة ، تقول التوراة : « وفي رؤوس شهوركم تقربون محرقة للرب ، ثورين ابني بقر ، وكبشا واحدا ، وسبعة خراف حولية صحيحة ، وثلاثة أعشار من دقيق ملتوت بزيت مقدمة لكل ثور ، وشرين من دقيق ملتوت بزيت مقدمة للكبش الواحد ، وعشرا واحدا من دقيق ملتوت بزيت مقدمة لكل خروف ، محرقة ، رائحة سرور وقودا للرب ، وسكائبهن تكون نصف إلهين للثور ، وثلاث إلهين للكبش ، وربيع إلهين للخروف من خمر ، هذه محرقة كل شهر من أشهر السنة ، وتذبا واحدا من المعزى ذبيحة خطية للرب ،

(١) سفر المكابيين الأول ١ : ٦٢ - ٦٣ ، ٢ : ١ - ٤٨

(٢) حسن ظا : المرجع السابق ص ٢٠١ (٣) عدد ١٠ : ١

فضلا عن المحرقة الدائمة يقرب مع سكببة (١) .

(٦) عيد رأس السنة العبرية

يسمى هذا العيد عند اليهود «روش هشانا» ، وتستغرق طقوسه ثلاثة أيام ، منها اليوم الأول والثاني من شهر تشرى (في أوائل أكتوبر) ، ثم يستمر الاحتفال في اليوم الثالث بطريقة شعبية ، أما اليوم الرابع من تشرى فهو يوم صيام اسمه «صوم جداليا» وهو يوم حزن وحداد - ككل أيام الصوم عند اليهود - ومناسبته هو ذكرى قتل «جداليا» ، ذلك أن الملك البابلي «نبوخذ نصر» (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) بعد أن استولى على أورشليم وأحرق القصر الملكي والمعبد ، وأدمج دويلة يهوذا في التنظيم الإداري للإمبراطورية البابلية ، وأبعد الطبقة العليا الحاكمة من اليهودية ، ترك الإدارة لواحد من يهود ، وهكذا عين «جداليا بن أحيقام بن شاقان» حاكما على يهوذا من قبل البابليين .

غير أن الآمال الكاذبة سرعان ما داعت بعضا من أفراد البيت الملكي القديم ، وعلى رأسهم «إسماعيل بن نثانيا» ، فقاموا بقتل «جداليا» أثناء وليمة عامة ، وأصبح هذا اليوم كارثة قومية رئيسية ، واعتبر من أيام الصيام الرئيسية عند اليهود (٢) .

(١) عدد ٢٨ : ١١ - ١٥

(٢) إرميا ٤٠ : ٧ - ١٦ - ٤١ : ١٨ ، زكريا ٧ : ٥٦ ، وكذا

[Martin Noth, The History of Israel, London, 1965, p. 288

[S. A. Cook, in CAH, III, Cambridge, 1965, p. 403 وكذا

(٧) عيد الغفران

يقع عيد الغفران (يوم الكفارة) هذا في اليوم العاشر من شهر «تشرى»^(١) (أكتوبر) ، ويبدأ هذا العيد قبيل غروب الشمس من اليوم التاسع من تشرى ، ويستمر إلى ما بعد غروب شمس اليوم التالي ، فمدته ٢٧ ساعة يجب فيه الصيام ليلا ونهار ، وعدم الإشتغال بأى شيء ، ما خلا العبادة ، واسمه بالعبرية «يوم كبور» .

وتتحدث التوراة عن يوم الكفارة (Day of Atonement) بالتفصيل في الإصحاح السادس عشر من سفر اللاويين، ومنه يتضح أن الهدف من طقوس التكفير تطهر الشعب والمبكل تطهيرا كاملا ، فذبايح الخطيئة التي تقدم طول العام قد ترك خطايا مجهولة أو خفية، والخطيئة نجس للشعب والأرض والمبكل قبل كل شيء ، ولهذا أقيم يوم الكفارة، حتى يكفر بنى إسرائيل عن خطاياهم مرة كل عام تكفيرا كاملا^(٢) ، فضلا عن تطهير المعبد نفسه^(٣) .

(١) سمي العبريون المتأخرون هذا الشهر «تشرى» (بكلمة فسكون فكسرة طويلة) نقلا عن اسمه البابلي «تشريت» (Tashritu) .

(٢) لاويون ١٥ : ٣١ ، عدد ١٩ : ١٣ - ٢٠ ، سبتينوموسكاتى : المرجع السابق ص ٣٣٢ ، وكذا S. R. Driver and H. A. White, Day of Atonement, in Hasting 'S Dictionary of the Bible. I, p. 201
و I. Benzinger and T. K. Cheyne, Day of Atonement, in
E B, I, 1899, Cal. 384 - 384

وكذا A. Lods, The Prophets and the Rise of Judaism, London, 1937, p. 314

(٣) دما حزقيال إلى تطهير المعبد في اليومين الأول والسابع من الشهر الأول

(حزقيال ٤٥ : ١٨ - ٢٠)

هذا ويذهب بعض الباحثين إلى أن بداية شعائر الكفارة ، إنما ترجع إلى
عصور العبريين الأولى ، بل إن صاحب هذا الاتجاه إنما يرجح أن الشريعة
الموسوية نفسها قد قررت يوماً في السنة لحساب النفس ، والندم على ما بدر من
المؤمن من خطايا ، والتكفير عنها لا بالصوم فقط ، بل بالذبائح والصلوات
والأموال ورد المظالم إلى أهلها ، وطلب الصفح من المعتدى عليهم ، وكان اسمه
قديمًا ديوم هكيبوريم ، (أي يوم الكفارات) ، ولكن حدث صدقة أن اقترن هذا
اليوم بتدمير ديبوخد نصر ، (٦٥ - ٥٦٢ ق.م) لمدينة أورشليم وعيها ،
فأصبح عندهم أكبر أيام الحداد (١) .

على أن هناك اتجاهًا آخر يذهب إلى أن يوم الكفارة (يوم الغفران) هذا ،
لم يكن موجودًا عند اليهود على أيام عزرا ، الكاتب ، ذلك لأن سفر نحميا يذكر
في الإصحاح الثامن تلاوة عزرا للتوراة على الشعب في اليوم الأول من الشهر
السابع (أكتوبر = تشرى) ، واحتفال الشعب بعيد رأس السنة في ذلك اليوم
نفسه ، ثم بعيد المظالم في اليوم الخامس عشر ، ولكنه لا يشير إلى أي عيد في
اليوم العاشر ، ومن ثم فهناك احتمالان ، الواحد : أن يوم التكفير لم يكن قد قرر
بعد ، والثاني : أنه كان موجودًا ، دون أن يكون له تاريخ معين ، ثم وضع له
موعد محدد ، بعد أيام عزرا ، (٢) .

وأيا ما كان الأمر ، قلعل بما تجدر الإشارة إليه هنا ، أن اليهود قد جعلوا
من يوم الغفران أو الكفارة هذا ، يوماً يعلنون فيه تقصيرهم للمهود والمواثيق

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٠٢

(٢) سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ص ٣٣٢ ، وكذا

التي قطعوها لغير اليهود ، وأفتى فقهاؤهم بأن الاماعى إلى ذلك كان إكراه اليهود على تغيير دينهم ، وشاع بين عوام اليهود أن يوم الغفران هذا ، يجوز فيه أكل الديون التي على اليهودى وعدم أدائها ، كما يجوز فيه الرجوع في كل عهد أو تعهد قطعه على نفسه طوال العام ، معتمدين في ذلك على نص أراى يتبعون به ، وينتهى بأن النذور والتحريمات والإيمان ملغاة، وبلغ من انتشار ذلك أن كثيرا من رجال الدين اليهودى المعاصرين قاموا في وجه هذه البسدة منادين ، بأن هذا النص التعبدى لا يمكن أن يلغى قول التوراة : « وأما ماخرج من شفقتك فحافظ عليه » (١) .

(٨) عيد التدشين

وعيد التدشين (أو الحانوكا) له طبيعة سياسية وصهيونية وتاريخية ، ويقع في الخامس والعشرين من شهر د كسلو ، (ديسمبر) ، ومن ثم فهو يمكن أطفال اليهود من الإحتفال بعيد إسرائيلى ، في نفس الفترة التي يحتفل فيها المسيحيون بعيد الميلاد ، وأما مناسبة هذا العيد ، فترجع إلى عام ١٦٥ قبل الميلاد ، حيث كانت فلسطين وكل البلاد الشامية تحت الحكم اليونانى ، وكان « أنطيوخس الرابع أيفانس » (١٧٥ - ١٦٤ ق.م) هو المتصرف في الأقطار الشامية ، وقد حاول إرغام اليهود - بعد استيلائه على أورشليم - على ترك التقاليد الهيفية والاجتماعية اليهودية إلى التقاليد اليونانية ، وقد وجد تجاوبا لآرائه هذه من الارستقراطية اليهودية ، فضلا عن الأثنياء والطبقة المتطورة بين اليهود في أورشليم ، والذين تبنا العادات واللغة اليونانية ، ومن ثم فقد أصبح اللباس اليونانى شائعا بين اليهود

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٠٣ ، ثانية ٢٣ : ٢٤ ، وكذا

David Bertman, Initiation au Judaïsme, Paris, 1937, p. 148 F

بل إن القسوم حتى لم يعترضوا على تسميتهم «أنطاكيين» ، مما دفع أنطيوخس إلى التماهى في سياسته ضد اليهود واليهودية ، فأمر بأن ينصب تمثالا للإله «زفس» ، في معبد أورشليم ، وأن يقام له مذبح هناك - على أساس أنه مساو ليهوه رب إسرائيل - بل إن الملك السلوقى إنما أمر كذلك بأن تقدم للإله اليونانى القرابين ، وأن يدعى اليهود إلى المشاركة فى الطقوس اليونانية ، وأن يشتد ضد المتمردين على دعوته هذه (١) .

وقد أدى ذلك كله إلى انفجار الثورة المكابية (١٦٦-١٦٠ ق.م) ، والتي انتهت بانتصار «يهوذا» المكابى (١٦٥-١٦٠ ق.م) ، واحتلال أورشليم ، وتطهير الهيكل من الأوثان ، وإطاعة الذبائح اليومية ، وإقامة «عيد هنوك» ، (حنوك) ، والذي يسمى كذلك «عيد التدشين» (٢) ، ويتميز الاحتفال بهذا العيد بإشعال الشموع الكثيرة والأنوار المختلفة لمدة أسبوع كامل ، وبقراءة قصائد وأناشيد كثيرة تفاخر بالأعمال الجليلة التي تمت فى هذه الفترة .

(٩) عيد البوريم

يطلق الكتاب العرب على «عيد البوريم» (عيد الفوريم أو عيد النصيب) هذا ، «عيد المسخرة» أو «عيد المساخر» بسبب ماجرت عليه التقاليد اليهودية

(١) داينال ، ٣١:١ ، مكابيون ثان ٤:٩ ، فيلب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - الجزء الأول - ترجمة جورج حداد ، وعبد الكريم رافق - بيروت ١٩٥٨ ص ٢٦٧

(٢) مكابيون أول ١:٢١-٦٣ ، مكابيون ثان ٤:٩ ، ١٠٥-٦٣ ، عهد ييوى مهران : إسرائيل - الكتاب الثانى - التاريخ ص ١١١٧-١١٢٦

الشعبية في هذا العيد من إسراف في شرب الخمر والسكر ، ولبس الأقمعة والملابس
التنكرية على طريقة المهرجان الكرنفال ، كما يسمى هذا العيد في سفر المكابيين الثاني
« يوم مردخاي (١) » .

ويبدأ الإحتفال بهذا العيد من ليلة الثالث عشر من شهر « آذار » (مارس)
على أن يكون نفس هذا اليوم (١٣ آذار) يوم صيام يسمى « صيام أستير » ،
أما اليوم الرابع عشر ، فهو العيد الذي يستمر طيلة هذا اليوم ، ويطلق عليه « يوم
بوريم » ، وفي مساء اليوم يجتمع اليهود في المجمع ، وبعد الصلاة المسائية تبدأ
قراءة سفر أستير ، وعند ذكر اسم « هامان » كان جمهور المصلين يصرخون
« ليمح اسمه » أو « سيبل اسم الشرير » ، بينما يخشخش الأحداث بالخشخشات ،
وكانت أسماء أبناء هامان قتل بسرعة وعلى نفس واحد ، إشارة إلى أنهم صلبوا في
وقت واحد ، وفي التالي كان الشعب يعود إلى المجمع لإتمام فرائض العيد الدينية ،
ثم يصفرون النهار بالابتهاج والأفراح أمام الرب ، ذلك لأن هذا اليوم - وهو
الخامس عشر من شهر آذار - هو اليوم الصاخب (يوم الكرنفال) ، ويسمونه
« بوريم شوشان » نسبة إلى مدينة « شوشان » أو « سوسة » الإيرانية ، وبالرغم
من وضوح مناسبة هذا العيد من الناحية السياسية والتاريخية ، فإن التلمود يزعم
أنه كان معروفًا ومحتفلًا به منذ أيام « بشوع بن قون » لأسباب - مماثلة كما يقول -
للأحداث التي وقعت لليهود في السبي البابلي (٥٨٧-٥٣٩ ق.م) (٢) .

وخلاصة هذه الأحداث - طبقا لرواية سفر أستير - أنه كان في بلاد الفرس

(١) سفر المكابيين الثاني ١٥: ٣٧

(٢) أستير ٩: ٣٠-٣٢ ، قاموس الكتاب المقدس ٦٩٩/٢ (بيروت ١٩٦٧) ،

حسن فاظا : المرجع السابق ص ٨ ٢٠٩-٢

وزير يدعى « هامان » ، اشتهر باضطهاد اليهود ، فأتمر اليهود بالوزير الفارسي وأرسلوا إلى ملكه « أكزر كسيس الأول » (٤٦٥-٤٢٤ ق.م) فتساءلوا لعوبا من بناتهم اسمها « أستير » سلبته ليه ، فاستخذى لها وقتك بوزيره « هامان » ابتغاء مرضاتها ، وخف اليهود إلى العمل ففتكوا به ، وبأبنائه العشرة والآلاف من أنصاره (٧٥ ألفا ، فيما يقال) ، ذبحوا ذبح الضياع ، ثم استراحوا في اليوم الرابع عشر (من شهر آذار) وجعلوه يوم شرب وفرح ، وما يزال يوم الشرب والفرح هذا حتى اليوم (١) .

(١٠) عيد صوم تموز

وهو يوم واحد يصومه اليهود في الثامن عشر من شهر تموز اليهودي (يولييه) ، ويجعلون هذا الصيام حدادا من أجل حوادث مختلفة أهمها : تحطيم ألواح التوراة ، وإبطال قربان اليوم صباحا ومساء ، وإحراق التوراة في أورشليم على يد القائد الروماني « بوستوموس » - كما جاء في التلمود - وأخيرا فهو ذكرى بداية هجوم « تيتوس » الروماني على أورشليم ، ثم دخولها في سبتمبر من عام ٧٠ م ، وإحترام النار فيها ، ثم هدم المعبد وإشعال النار في «قدس الأقداس» بقصد إبادة اليهود من فلسطين (٢) .

(١) أستير ٦٩-١٠-١٧ ، وكذا: ISidore. Epstein. Judaism, A Historical

presentation. (Penguin Books). 1970 P. 176

(٢) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٠٩ ، محمد يسوي مهران : المرجع

السابق ص ١١٥٠-١١٥٥

(١١) صوم التاسع من آب

وهو ذكرى سقوط اورشليم في يد «تيتوس» ، وتخریب الهيكل الثاني (هيكل هيرودوس) ، الذي كان قد أقيم بعد العودة من السبي البابلي ، تخریباً بلغ من جسامته وقسوة تدمره ، أن ضاعت آثاره تماماً ، حتى أن الناس قد نسوا فيما بعد إن كان المعبد قد بنى على التل الشرقى أو الغربى من اورشليم .

(١٢) عيد اليوبيل

هو عيد السنة السابعة التي حرم فيها على اليهود الزرع والحصاد ، ذلك أنه كان في كل سبع سنين ، تكون السنة السابعة سبتاً (أى راحة) كما أن اليوم السابع من الاسبوع العبرى (أى يوم السبت) راحة ، وبعد كل سبع سنين سبع مرات (٧ × ٧) ، أى بعد كل ٤٩ سنة ، تكون السنة الخمسون يوبيلاً (١) ، وتقضى بأن يعتق فيها العبيد من العبريين ، وألا يزرع فيها أحد أو يحصد ، وأن تعود فيها كل أرض إلى صاحبها الاصلى .

على أن قوانين اليوبيل - فيما يرى بعض الباحثين - يبدو أنها لم تطبق قط ، وما كان يمكن أن تطبق ، وإلا لكان من نتائجها مثلاً ألا يجنى العبريون محصولاً

(١) كلمة « يوبيل » فى العبرية معناها « الكباش » ، وقد سميت السنة الخمسون سنة اليوبيل ، لأن إعلان بدئها كان بالنفخ فى بوق مصنوع من قرن الكبش ، ويوبيل الكباش فى العبرية على زنة اسم الفاعل من مادة « وبل » ، فهى مرتبطة اشتقاقاً ومعنى بالوابلة فى العبرية « نسل الإبل والغنم » (لاويون ٢٥ : ٩ ، سبتينو موسكاني : المرجع السابق ص ٢٤ ، الفيروز آبادى : القاموس المحيط

سنتين متعاقبتين : السنة التاسعة والأربعين (لأنها سنة سابعة) والسنة الخمسين
(سنة اليريبيل) (١) .

(٢) لاويون ١:٢٥-٥٥ ، سبتينومؤسكاتي : المرجع السابق ص ، ٣٤ ، وكذا
S. R. Driver, An Introduction to the Literature of the Old
Testament, Edinburgh, 1950, p. 57
A. Lods, The Prophets and the Rise of Judaism, London,
1937, p. 289

الفصل السادس

الهيئات والفرق اليهودية

(١) الهيئات اليهودية

(١) السنهدرين :

هو المجلس الأعلى أو الهيئة الحاكمة لليهود، وكان له سلطان كامل على الشؤون الدينية، وإلى حد ما على الأمور المدنية، ولفظ « سنهدرين » (Sanhedrin) منقول عن اللفظ اليوناني « سوندريون » (Synedrion) - أي مجلس - وتحدث مصادر الأحبار عن « سنهدرين » كبير، من واحد وسبعين عضواً، وعن « سنهدرينات » صغيرة، أو محاكم، يضم الواحد منها ٢٣ عضواً، وتنتظر في القضايا الجنائية أو قضايا انتهاك الشريعة اليهودية، وكانت اجتماعات السنهدرين الكبير تعقد على جبل المجد في قاعة الحجارة المنحوتة أو قاعة القرارات (لشكت هجازيك)، وتصور الرواية التلمودية السنهدرين الكبير، على أنه أعلى محكمة تشريعية قضائية تعمل بقانون الأحبار (هلاك)، ويرأسه اثنان : « ناسي » (رئيس) و « أب بيت دين » (أبو المحكمة)، ولكن مصادر غير الأحبار تصف السنهدرين بأنه مجلس سياسي - تنفيذي وقضائي يرأسه كبير الكهنة - واختلاف المصادر يمكن تفسيره في يسر، إذا سلمنا بوجود مجلسين متعاصرين، أحدهما ديني على وجه قاطع، والآخر دنيوي تماماً، يمثل السلطة المدنية .

والسنهدرين - كما تصوره المشنا - يتكون من كتبة (سوفريم = Soferim) .

يفسر قانون الأحبار ، أما السنهدين الذي يصفه المؤرخ اليهودي د يوسف بن متى ، - وكذا الأناجيل - فإنه يتكون من الطبقة الأرستقراطية في الدولة ، ومنهم « الفريسيون ، و « الصدوقيون » ، وتتنحصر مهمته في أنه مجلس الدولة الدينى الذى يرأسه كبير الكهنة (١) .

وأيا ما كان الأمر ، فيبدو أن السنهدين إنما هو المجلس الذى حل في عصر المكابيين (١٦٨ - ٦٣ ق.م) ، محل الهيئة التى كان قد أنشأها د نحميا ، (٤٤٥ - ٤٢٣ ق.م) و « عزرا » ، (الذى وصل إلى اورشليم حوالى عام ٣٩٨ ق.م) (٢) ، اللذان وضعا نظاما للحكومة منظمة تتمتع بالحكم الذاتى فى فلسطين ، ولها رئيس يتولى السلطة الإدارية العليا فى البلاد ، ويساعده مجلس مكون من الكهنة ومجلس للشيوخ (جروسيا = Gerousia) (٣) .

وفى عام ١٤١ ق.م ، عين د سحمان المكابى ، (١٤١ - ١٣٥ ق.م) ملكا على اليهود ، وبدأت به - فيما يرى البعض - جمهورية يهودية ، دامت حتى مجيء الرومان بعد حوالى ثمانين عاما (٤) ، فأنشئ « السنهدين » الكبير ، لتفسير الشريعة اليهودية ، وتركت أمور الطقوس الخاصة بالمعبد لمجلس الكهنة ، وهكذا كانت من وظائف السنهدين الكبير تشريع القوانين الخاصة بالعبادات ، ومحاكمة من ينتهك هذه القوانين والنظر فى قضايا الاستئناف ، والإشراف على المحاكم الصغرى ، والهيمنة

(١) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٤١

(٢) أنظر : محمد بيوى مهران : المرجع السابق ص ١٠٥٩ - ١٠٦١

(٣) أنظر : نحميا ٨ : ١٠ ، ٩ : ٢ وكذا

J. Finegan, Light from The Ancient Past, I, 1969, p. 238

(٤) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٦٩ .

على الإحتفالات الكهنوتية في المعبد ، والمحافظة على قداسة الشريعة المتوارثة وتفسيراتها الشفوية المبنية على الشريعة المكتوبة في التوراة (١) .

وفي عام ٥٧ قبل الميلاد ، عين « أولوس جايننيوس » حاكما على سورية (٥٧ - ٥٥ ق.م) فأعاد تنظيم الأمور في اليهودية ، وقسم الدولة إلى خمسة أقسام صغيرة ، يحكم كل منها « سنهدين » ، وذلك عقب ثورة فاشلة قام بها « الكسندر أرسطوبولس » ابن « أرسطوبولس » (٦٧ - ٦٣ ق.م) ، الذي كان يحكم اليهودية حتى الفتح الروماني في عام ٦٣ قبل الميلاد (٢) .

(٢) المجمع :

تعذر على اليهود الذين كانوا في الشتات أن يقيموا العبادة في هيكل اورشليم ، ودرجوا على الإجتاع في أماكن معينة للصلاة ، حيث كانوا يقرأون الأسفار المقدسة ، وأدت هذه الظروف إلى إقامة « مجمع » في كل مدينة ، وكانت أمكنة الإجتاع تبنى على نمط بسيط ، عبارة عن قاعة قبلتها اورشليم ، وكانت القاعة تشتمل على تابوت بداخلها ، وفيه نسخة من أسفار العهد القديم وخطت عبادة المجمع من الطقوس والمراسم ، وكان القارئ يتلو الأسفار المقدسة على مسامع الشعب ، ثم يترك المجال لآي حبر من الأجيال الحاضرين ليتولى شرح ما قرئ ، ثم يطلق عليه (٣) .

(١) سبقينوموسكاني : المرجع السابق ص ٣٤٢

(٢) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٣١٠ ، وكذا

Josephus, Antiquities, XIV, 5,3

M. Noth, op—cit, p. 405—405

C. Roth, op - cit, p. 84 - 85

(٣) مراد كامل : المرجع السابق ص ٢٩ - ٣٠

وكذا

وكذا

(٢) الفرق اليهودية

قامت بين اليهود بعد رجوعهم من العبي البابلي فرق ثلاث كبيرة (الفريسيون والصدوقيون والسامريون) ، و فرق أخرى صغيرة ، تدهى كل فرقة منها أنها أمثل طريقة ، وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودى وروحه ، من الفرق الأخرى ، وقد ظهرت هذه الفرق بعد ختام أسفار العهد القديم وتقنينها - أى فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد - ومن هنا كان أهم موضوع يدور حوله اختلاف هذه الفرق ، هو الاعتراف بأسفار العهد القديم ، والأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وأسفار التلمود ، أو إنكار بعض هذه الأصول ، ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام وتعاليم ، وقد انقضت معظم فرقهم ، ولم يبق منها فى الوقت الحاضر إلا القليل ، وأما أهم هذه الفرق فهى :-

• (١) الفريسيون

الفريسيون (Pharisees) هم طائفة من علماء الشريعة من الريانيين قديما ، وأوسع الفرق اليهودية انتشارا ، وأكثرها عددا ، وأقدمها نشأة واسمها بالعبرية « فروشيم » ، يعنى « المفروضين » ، أى الذين امتازوا عن الجمهور ، وعزلوا عنه ، وأصبحوا لورعهم واتصالهم بأسرار الشريعة ، من الصفوة المختارة ، فالعامة من اليهود الريانيين كانوا يوصفون على ألسنة زعمائهم الروحانيين بالصفة العبرية « عام ها آرص » (أى عوام الأرض) ، وهى صفة ذم ، تتضمن الجهل والبيهيمية والحاجة المستمرة إلى رقابة المتشددين والمتمسكين من رجال الدين ، وهم « الفيرييون » (الفريسيون) .

وكانوا يلقبون أنفسهم قيما بينهم بلقب «حاسيديم» (أى الاتقياء) ، وكذلك

« حبريم » ، أى الرفقاء والزملاء ، ولعلها أصل استعمال العرب لكلمة « أحبار » ، أى علماء اليهود ، ومفردهما فى اللغة العربية « حبر » ، (بفتح الحاء) ، والفريسيون - فيما يرى بعض الباحثين - لم يكونوا طائفة أو فرقة دينية منفصلة ، وإنما جماعة تدعى لنفسها معرفة أدق من أى إنسان آخر بشريعة الله فى نصوصها المقدسة ومأثوراتها ، وهى بهذه الصفة تنظم نفسها بما يتفق مع تطبيق فى متبى الدقة لأحكام الشريعة ، يسمح لها بأن تفرض كلمتها فى ذلك على الآخرين (١) .

وكان للفريسيين الكلمة العليا فى توجيه المجتمع اليهودى على أيام المسيح ، عليه السلام ، كما كانوا من أشد خصوم المسيح - حظرا عليه ، لتبحرهم فى العلم ، وزطامتهم بين الناس ، ومزلتهم عند الولاة الرومان التى اكتسبوها من تعاونهم مع الظلم والطغيان والإستعمار ، وتذهب أناجيل النصارى إلى أنهم هم الذين حاولوا أن يظهروا المسيح بمظهر الداعى إلى شق عصا الطاعة على «قيصر» ، وكانوا على رأس المتآمرين به ، ولم ينفكوا يدبرون له الكيد حتى حكم عليه بالصلب (٢) .

وتتضمن هذه الأناجيل فصولا طويلة يوجه فيها المسيح ، عليه السلام ، تقريرا شديدا إلى الفريسيين ، ويكشف عن كفرهم ونفاقهم والتوائهم ، وابتداعهم تعاليم وأحكام فاسدة ، ما أنزل الله بها من سلطان ، ولهذا كان المسيح يصفهم بالرياء ، ويدلل على أنهم أبعد عن الجنة من العشار والزناة ، لأنهم « يصفون عن البعوضة ،

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٤٢-٢٥٢ ، وكذا أنظر : -

C. Guignobert, Le Monde Juif au Temps Jesus, Paris. 1935, p. 213

P. M. J. Lagrange, Le Judaisme avant Jesus - Christ, Paris, وكذا
1931, p. 267

(٢) أنظر على سبيل المثال : إنجيل متى ٢٢-٢٨

وييامون الجمل ، ، ود ينقون خارج الكأس والصفحة ، وهما من داخل علوآن
اختطافا ودعارة ، ، ولذا فهم د من خارج يظهران للناس أبراراه وهم من الداخل
مشحونون رياء وإثما ، (١) .

وانطلاقا من هذا ، فإن المراجع الاوربية إنماتميل إلى كثير من التنديد
بهؤلاء الناس ، والتشنيح عليهم ، بسبب الأوصاف التي وصفوا بها في الإنجيل ،
نتيجة لما أشرنا إليه من مناهضتهم للسيح ، ووقوفهم في وجهه بصلاية وعناد ،
لقد وصفوا بأنهم مزمتون عن جهل وتقطع في الدين ، وبأنهم يفرقون
النصوص في تفاصيل تافهة ، ويخرجون منها بنتائج جافة وتافهة أيضا ، وبأنهم
حرفيون شكليون ، وبأنهم جدليون كذابون مناقون ، وبأنهم يمثلون انحطاطا
بالنسبة لاسلافهم ، ومسحاوتشويها ، لما كان لهؤلاء الاسلاف من فضائل (٢) .

على أن هذا كله ، لا يمنع من القول ، بأن هناك - من وجهة النظر المسيحية
نفسها - من كان منهم يبحث مخلصا عن الحقائق الدينية ، بدليل أن الإنجيل إنما
يشير في الرسالة إلى أهل فيلي ، أن د بولس ، (٣) الرسول ، إنما كان يهوديا

(١) أنظر : متى ٢٣ - ٢٩

(٢) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٥٣ - ٢٥٤

(٣) بولس الرسول : كان يهوديا فريسيا قبل أن ينتصر ، وكان اسمه وشاؤل ،
(أعمال الرسل ٩/١٢) ، وقد ولد في د طرسوس ، في ولاية كليكية الرومانية ،
وفال حقوق المواطن الروماني (الجنسية الرومانية) ، كما كان ذا مكانة في د السنهدرين ،
وبين القادة اليهود ، كما كان أبو فريسيا من سبط بنيامين ، وقد ربي على الناموس
الضيق (أعمال الرسل ٦/٢٣) ، وقد تلقى بولس تعليمه في أورشليم ، ثم اشتهر
بعد ذلك بإضطهاد المسيحيين ، ولكنه انضم إليهم بعد ذلك ، وأصبح من أخلص
دعاتهم ، ومن كبار مبشريهم (قاموس الكتاب المقدس ١/١٩٥)

فريسيا ، فقد جاء في الرسالة : « من جهة الحتان محتون في اليوم الثامن ، من جنس إسرائيل ، من سبط بنيامين ، عبراني من العبرانيين ، من جهة التاموس فريسي ، (١) ، وجاء في محاكمة بولس الرسول - طبقا لما جاء في سفر أعمال الرسل - ولما علم بولس أن قسما منهم صدقيون ، والآخر فريسيون ، صرخ في المجمع : أيها الرجال الأخوة ، أنا فريسي ابن فريسي ، على رجاء قيامه الأموات ، أنا أحاكم ، ولما قال هذا حدثت مناوذة بين الفريسيين والصدوقيين ، وانشقت الجماعة لأن الصدوقيين يقولون : إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح ، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك ، فحدث صياح عظيم ، ونهض كتبه قسم الفريسيين وطقفوا يخاصمون قائلين : اسنا نجد شيئا رديا في هذا الإنسان ، وإن كان روح وأملاك قد كلمه فلا تخاربن الله ، (٢) .

وهكذا رأينا الباحث الفرنسي « شارل جنبير » يذهب إلى أن الفريسيين الذين آمنوا بالتوراة ، ثم بكل الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى ، وبجميع الأسفار اليهودية المقدسة ، ثم بالمشنا والتلمود والمدراش ، إنما كانوا من غير عمد - وربما من غير معرفة أيضا - يؤكدون بمسلكهم هذا يقينا عقويا عميقا بضرورة الإستمرار مع التطور ، إذ بذلك - وبذلك فقط - تستطيع الأديان أن تعيش وأن تستمر .

لكن يبدو من جهة أخرى أن هذه التطورية التي يؤمن بها الفريسيون كانت في حسابهم أيضا محدودة بسياج من التقاليد والمقدسات التي لا يسمحون باقتحامها لأحد ، ولو كان السيد المسيح نفسه ، فن مظاهر تطور الفكر الديني عندهم بروز

(١) الرسالة إلى أهل فيلبي ٣ : ٥ (٢) أعمال الرسل ٢٣ : ٦ - ٩

فكرة الإيمان بالله مع الاعتقاد الواضح في وجود الشيطان ، وهي عقيدة لم يكن
البرانيون القدامى قد أدخلوها في نصوص التوراة، وتبعاً لذلك توسع الفريسيون
في الكلام عن الملائكة ، على أنهم المؤتمرون بأمر الله القائمون في خدمته ، كما
توسعوا في الكلام عن الأبالسة والجن والعفاريت ، على أنهم المؤتمرون بأمر
الشيطان القائمون في خدمته ، وكان هذا أمراً جديداً ، بالإضافة إلى الوضوح في
الاعتقاد في مجيء المسيح ، وإقامة ملكة الله على الأرض ، وفي اليوم الآخر (١) .

(٢) الصدوقيون :

يكنون الصدوقيون (Sadducees) الفرقة التي كانت تالية في الأهمية لفرقة
الفريسيين طوال القرنين السابقين لميلاد المسيح ، عليه السلام ، وفي المرحلة الأولى
اللاحقة للميلاد ، وكان الصدوقيون أقل عدداً من الفريسيين ، ولكنهم كانوا أكثر
منهم ثراء وأعظم جاهاً ، وقد امتلأت صفحات التاريخ اليهودي في هاتين
المرحلتين بحوادث الخلاف والمشادات بين الفريسيين والصدوقيين ، والتي تدور
حول أمور ، لعل أهمها (أولاً) أن الصدوقيين لا يعترفون بغير العهد القديم ،
وبالتالي فهم ينكرون الأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى ، عليه السلام ،
و (ثانياً) أن الصدوقيين لا يؤمنون ببعث ولا نشور . وإنما يعتقدون أن عقاب
العصاة وإثابة المحسنين ، إنما يحصلان في حياتهم ، بينما يعتقد الفريسيون في
البعث ، وأن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض ، ليشاركوا في
ملك المسيح المنتظر ، الذي يزعمون أنه سيأتي لينقذ الناس ، ويدخلهم في ديانة
موسى ، عليه السلام (٢) .

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٥٥ ، وكذا

Gh Guignebert, Le Monde Juif au Temps Jesus. Paris, 1935, p. 213

(٢) علي عبد الواحد وافى : اليهودية واليهود - القاهرة ١٩٧٠ ص ٨٤، ٨٦

هذا وينكر الصدوقيون كذلك الثواب والعقاب في الآخرة ، كما ينكرون وجود الملائكة والشياطين ، والقضاء والقدر ، وما كتب للإنسان أو عليه في الروح المحفوظ ، ومن ثم فهم يقولون أن الإنسان خالق أفعال نفسه ، حر التصرف ، وبذلك فهو مسئول عن أعماله ، وأنهم يخدمون الله بدافع المحبة والشكر لله ، لا ابتغاء مشوية مرجوة ، ولا ابتغاء عقوبة متوقعة .

واعتق الصدوقيون بعض الآراء الفلسفية القديمة مثل مذهب أبيقور، (١) ، والتي تنادى بأن أسى أهداف الحياة هي «الذعة» ، والذعة - في رأيهم - لا تقتصر على الشهوة الجسدية ، بل تشمل أيضا لذة الحياة الاجتماعية والاجتهاد العقلي ، ويقول الأبيقوريون : إن الإنسان إذا وجه جهده نحو بلوغ الذعة والابتعاد عن الألم ، فقد جعل الذعة أسى الأهداف ، واعتبر الألم شر الأمور ، وقد جذبت تعاليم أبيقور الكثير من الشعب اليهودي ومن المثقفين فيه ، واتخذها الشعب وسيلة للإنغماس في حياة الفسق والفجور (٢) .

ونقرأ في الإنجيل أن الصدوقيين حاولوا أن يستدرجوا المسيح ، عليه السلام ، حتى يوافقهم على إنكار البعث واليوم الآخر ، ويضمن إليهم في ذلك ضد الفريسيين ، ولسكنهم أخفقوا في ذلك ، وبئس لهم المسيح فساد ما يعتمدون

(١) أبيقور (٣٤١ - ٢٧٠ ق.م) فيلسوف يوناني ، عرف الفلسفة بأنها فن إسعاد الذات بالمتعة العقلية ، وهي الخير الأوحى ، استقر في أثينا حيث اشترى الحديقة التي ارتبطت في تاريخ الفلسفة بأكاديمية أفلاطون ولوقيون وأرسطو ، فلسفته أخلاقية أساسها لذة التأمل التي لا يعقبها ألم ، وقد أسى فهمه ، فقيل إنه يدعو إلى الملاذ ، على نقيض مذهبه (الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٣)

(٢) مراد كامل : المرجع السابق ص ٢٤

عليه من أدلة في هذا الموضوع ، يقول إنجيل متى : « في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسالوه : يا معلم ، قال موسى : إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويتم نسلا لأخيه ، فكان عندنا سبعة أخوة ، وتزوج الأول ومات ، وإذا لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه ، وكذلك الثاني والثالث إلى السبعة ، وآخر الكل ماتت المرأة أيضا ، ففي القيامة لمن من السبعة تكون زوجة ، فإنها كانت للجميع ، فأجاب يسوع وقال لهم : تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله ، لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ، بل يكونون كلائكة الله في السماء ، وأما من جهة قيامة الأموات ، أفأقرأتم ما قيل لكم من قبل ، الله القائل : أنا إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب ، ليس الله إله أموات ، بل إله أحياء ، فلما سمع الجميع بهتوا من تعليمه (١) ، وسر الفريسيون بذلك .

ويذهب العلامة « ابن حزم » (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٤ م) إلى أن الصدوقيين هم الذين كانوا ينادون بأن « عزيز » هو « ابن الله » (٢) ، و« عزيز » (أو العزيز) هو الذي تسميه أسفار التوراة « عزرا » وله سفر باسمه في العهد القديم ، ولعل هذه الفرقة هي التي يعنىها القرآن الكريم بقوله تعالى « وقالت اليهود عزيز ابن الله (٣) » .

(١) متى ٢٢ : ٢٣ - ٢٣

(٢) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل - الجزء الأول - ص ٨٢ -

القاهرة ١٩٦٤ (٣) سورة التوبة : آية ٣٠ ، وأنظر : تفسير المنار

١٠ / ٢٨٢ - ٢٨٨ ، تفسير الطبري ١٤ / ٢٠١ - ٢٠٦ ، معاني القرآن للفراء

١ / ٤٣١ - ٤٢٣ ، تفسير القرطبي ص ٢٩٥ - ٢٩٨ ، تفسير ابن كثير ٤ / ٧٦ - ٧٧

وعلى أى حال ، فرغم شهرة الصدوقيين ، فإن أمرهم لا يخلو من غموض ، بل إن الغموض إنما وصل إلى اسم فرقتهم نفسه ، ذلك أن الروايات الفريسية القديمة إنما تذهب إلى أن « أنطيوخس السرخى » الذى كان من كبار كهنة الهيكل الثانى (١) ، و« حاش حوالى عام ٣٠٠ ق.م » ، كان له تلميذان أحدهما « صدوق » ، والآخر « يتوس » ، وإلى الأول منهما تنسب هذه الفرقة ، على أن الصدوقيين أنفسهم إنما ينسبون أنفسهم إلى « صدوق » أقدم من هذا بكثير ، هو - فيما يقال - الكاهن الأعظم لداود (١٠٠٠-٩٦٠ ق م) ، الذى تولى أخذ البيعة لابنه سليمان وتنصيبه على العرش ، فعينه سليمان كاهنا أعظم ليهيكله (٢) .

(٣) السامريون :

ظهر السامريون كقوة لها تأثير خطير فى الديانة اليهودية ، ومعادية لسكان أورشليم ، بعد العودة من السب البابلى فى عام ٥٣٩ ق.م ، حتى انتهى الأمر إلى انفصال دينى تام بينهم وبين مجتمع أورشليم ، بعد قيام شعائر عبادة سامرية على جبل « جرزيم » المقدس ، على مقربة من شكيم ، فى أثناء حكم « أنطيوخس الرابع » (١٧٥-١٤٠ ق.م) ومنفصلة عن معبد أورشليم (٣) .

(١) أنظر : عن الهيكل الثانى : محمد بيومى مهران : إسرائيل - الكتاب الثانى

التاريخ ص ١٠٣٦-١٠٥٩

(٢) ملوك ثان ١: ٣٢-٣٥ ، محمد بيرى مهران : المرجع السابق ص ٧٤٤ -

٧٤٥-٧٤٧ ، حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٥٧

(٣) قدمنا دراسة مفصلة عن « السامريين » فى كتابنا « إسرائيل - الكتاب

الثانى - التاريخ - ص ١٠٦٨-١٠٧٥

(٤) الآسنيون :

كانت هذه الفرقة على أيام المسيح ، عليه السلام ، من أم الفرق اليهودية ، وأكثرها نشاطا ، وأشدّها احتراماً ، ومع ذلك لم يرد لها ذكر في أقوال المسيح ، ربما لأنها كانت بعيدة عن أورشليم ، فلم يأتوا إلى الهيكل ليقيموا الذبائح ، ويسجدوا للرب ، وعلى أي حال ، فالمعلومات عن هذه الفرقة نادرة ، إذ لا تعدو فقرات قليلة في كتب المؤرخ اليهودي د يوسف بن متى ، (٢٧-٩٨ أو ١٠٠ م) ، والمؤرخ الروماني د بليسي الأكبر ، (٣٢-٧٩ ق م) ، والفياسوف اليهودي السكندري د فيلون ، ، وأما أقدم ما عرف عنها ، فيرجع إلى عصر المسكانيين ، وطبقاً لرواية د يوسف بن متى ، فقد كانوا موجودين على أيام الأمير المسكاني د يونانان ، (١٦٠-١٤٦ ق م) ، ولم تعمر فرقة الآسنيين طويلاً ، فقد انقرضت في آخريات القرن الأول الميلادي ، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن د يوحنا المعمدان ، (سيدنا يحيى عليه السلام) كان من هذه الفرقة ، إلا أن أصحاب هذا الإتجاه لم يقدموا دليلاً يعتمد عليه في إثبات رأيهم هذا (١) .

وكانت فلسفة الآسنيين خليطاً من اليهودية وغيرها ، ذلك لأن القوم إنما كانوا يعتقدون فلسفة دينية وأخلاقية ، عملت فيها تيارات أجنبية كثيرة ، منها الفلسفة النيشاثورية اليونانية ، ومنها التنظيم الديني المجوسي القائم على تقديس النور وربطه بالخير ، ومنها رواسب وبقايا من العقائد المصرية الفرعونية ، لاسيما ما يتصل منها بتقديس الشمس ، إلى جانب المعتقدات النابعة من كتب اليهود المقدسة بطبيعة الحال (٢) .

(١) على عبد الواحد وافي : المرجع السابق ص ٩٣

(٢) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٦٩

وكان الآسينيون يؤمنون بالسعادة بعد الموت ، ولسكنهم كانوا يشكون في قيامة الجسد ، وكانوا يمتنعون عن الزواج - بتأثير من الفلسفة الفيثاغورية ، وربما بتأثير من نصوص معينة في التوراة (١) ، وهم في هذا يخالفون الفرق اليهودية الأخرى التي ترى أن الزواج واجب ديني لكل قادر عليه ، وأن من يحجم عن الزواج - مع القدرة عليه - لا يقل جرمه عن جرم القاتل ، لأن كليهما « يطفىء نور الله ، وينتقص ظله في أرضه ، ويبعد رحمة عن إسرائيل » ، ومن هنا ذهب بعض فقائهم أن من بلغ العشرين ، وهو أعزب ، يحوز للقضاء أن يرغمه على الزواج (٢) .

على أن الآسنيين إنما كانوا في نفس الوقت الذي يمتنعون فيه عن الزواج ، يتبنون أولاد الفقراء . ليعلمهم عقائدهم ويفقهوهم في مذهبهم ، وإذا أراد أحدهم أن ينضم إلى مذهبهم وضعوه ثلاث سنين تحت التجربة ، فإذا أمضى التجربة بنجاح ، قبلوه في جماعتهم ، بعد أن يتعهد بعبادة الله ، وأن يعامل الناس بالعدل ، ولا يخفي أسراؤه عن الجماعة ، ولا يبوح بها لغيرهم ، ولو عرض نفسه بذلك لقتل (٣) .

وكان للآسنيين تنظيم دقيق ، ففي كل دار من دورهم التي يعيشون فيها حياتهم الجماعية ، رئيس يعظموه ويطيعونه ، ومن تحته كان كل فرد من أفراد الطائفة له مكان في الترتيب الهرمي لمجتمعهم ، لا يجوز له أن يتعداه ، حتى بالكلام ، فعند المحادثات والمناقشات تعطى الأولوية لكل فرد منهم بحسب منزلته في هذا الترتيب .

(١) خروج ١٥:٩ ، صموئيل أول ٢١:٤-٥

(٢) علي عبد الواحد وافي : قصة الزواج والعزوبة في العالم ص ٥ ، ٦ ، ٥٠

(٣) مراد كامل : المرجع السابق ص ٢٥

وكانوا يعيشون على طريقة المعيشة الجماعية في دار عامة للطائفة بعيدة عن الناس ، يتولى كل واحد منهم فيها مهمة من مهام الحياة اليومية من زراعة أو صناعة أو طبخ أو تنظيف أو تعليم أو تأليف ، وكانوا في هذه الدار يعيشون حياة شبيهة بحياة الأديرة المسيحية .

وكانوا يحتفرون المال ، ومن ثم فقد حرموا الإشتغال بالتجارة ، لما تبعثه في النفوس من جشع وحرص على جمع المال ، وجنوح إلى ابتزاز الناس ، كما حرموا صناعة الأسلحة والذخيرة وسائر الآت الحربية لتنافر الغاية التي تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبادئهم ، وهو أن يعيش الناس في سلام دائم ، كما كانوا يميلون إلى التشفي ، ومن ثم فقد حرموا استخدام الذهب والفضة والتعامل بهما ، لما يبعثانه في النفوس من زهو ، وما يحملان عليه من جشع وشح ، ولذلك اقتصرت أعمالهم على الزراعة والصيد وما يحتاجان إليه ، وما يتصل بهما من صناعات ، وهم في ذلك يختلفون اختلافا جوهريا عن بقية فرق اليهود ، فقد كان من أهم مظاهر النشاط الإقتصادي لهذه الفرق شئون التجارة وصناعة السلاح والتعامل بالذهب والفضة ، بل لقد كانت هذه الفرق تنظر إلى هذين المعدنين نظرة تقرب من التقديس .

وكانوا يلبسون ملابس بيضاء ، يحرصون على نظافتها ونظافة أجسامهم ، والظهور بمظهر طيب وقور ، ويهتمون بتهديب شعر الرأس والحية ، وكان القسم الوحيد في حياتهم عند دخول الجماعة ، ثم لا يحلفون يمينا بعده أبدا ، وكانت « لا ، أو د نعم ، تغنيان عن البمين ، وكانوا يهتمون بشروق الشمس ، فيقومون من نومهم قبل الفجر ، ويقفون جماعة في لحظة الشروق حيث يؤدون صلاة معينة يسمونها « صلاة الأسلاف » ، وقد لمس بعض الباحثين في هذه النقطة

أقربا من الشرائع القديمة المصرية والمجوسية .

وقد عرف الآسنيون بين اليهود بالعمل الشاق والإحسان إلى الفقراء ، والإبتعاد عن الشر ، والصدق في القول ، وطاعة الحكام ، وعدم الإلتجاء إلى العنف ، وكانوا يحرمون الأضحية والقرايين ، مع أنهما عند الفرق الأخرى من أهم العبادات ، بل إن هناك من يذهب إلى أنهم لم يحرموا ذبيحة قربان فقط ، بل كانوا يمتنعون بتاتا عن أكل اللحم ، وعن إسالة الدماء ، وكانوا نباتيين ملتزمين بذلك في حياتهم اليومية ، كما كانوا يمتنعون عن متع الجسم ويحرمون شرب الخمر (١) .

(٥) الهيروديون :-

الهيروديون طائفة سياسية ، أكثر منهم فرقة دينية ، وقد اتخذوا كثيرا من العادات الوثنية ، إرضاء للملك «هيرودوس» (٣٧-٤ ق م) والحكام الرومان ، فقد كان الرومان يبغون نشر مبادئهم في اليهودية ، فوجدوا ضالتهم في «هيرودوس» ، الذي حكم أورشليم لمدة ثلاث وثلاثين سنة ، كان أثناءها أداة طيعة في أيدي الرومان ، حتى جعل اليهودية بالقوة أشبه بمملكة هيلنستية .

وكان الهيروديون يناصرون الأسرة الهيرودية ويتزلفون إلى الرومان ، وقد اتفقوا مع الفريسيين في عدائهم للمسيح ، عليه السلام ، وفي هذا يقول الإنجيل

(١) - حين ظا . المرجع السابق ص ٢٦٩-٢٧٣ ، على عبد الواحد وافي :

اليهودية واليهود ص ٩٠ - ٩٣ ، وكذا

V. L. G. Rylands, EVolution of Christianity, p. 55]

C. Guignebest, op-cit, p. 213 F

« فخرج الفريسيون مع الهيرودين ، وتشاوروا عليه لكي يهلكوه ، (١) ، ويقول
« حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة ، فأرسلوا إليه
تلاميذهم مع الهيروديسين سبعين قائلين : يا معلم ، نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق
الله بالحق ولا تبالي بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس ، فقل لنا : ماذا تظن ،
أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا ، فعلم يسوع خبتهم وقال : لماذا تجربونني
يا سراقون ، أروني معاملة الجزية ، فقدموا له ديناراً ، فقال لهم : لمن هذه
الصورة والكتابة ، فقالوا له : لقيصر ، فقال لهم : اعطوا إذا ما لقيصر لقيصر ،
وما لله لله (٢) .

(٦) القراءون :

ترجع تسمية « القرائين » إلى أن العهد القديم (التوراة والأنبياء والكتب)
إنما كان يسمى عند اليهود « المقراء » أي « المقروء » ، وقد رفض القراءون المنعجات
الجبزية ، والمرويات الصفوية التي تناقلها « التناون » ، في « المشناه » ، و« الأهورام » ،
في التلمود ، وجملة المرجع الأول والآخر لها في الدين إنما هو النص المقدس
المكتوب المنزل ، والمسعى « المقراء » فأصبح أتباعها يسمون لهذا السبب « القرائين » .
وفي عام ٧٦١ م ، اختير « عنان بن داود » حاكماً أكبر لليهود في العراق ،
على أيام الخليفة العباسي « المنصور » (٧٥٤ - ٧٧٥ م) ، وكان « عنان » هذا ،
مشهوراً بميوله التحررية ، وبخاصة إزاء التلمود ، فعارض اختياره أكبر رجلين
على رأس اليهود في الدولة الإسلامية ، وهما « الجاؤون الأهمى يوداي » ، رئيس
أكاديمية « سور » ، في الفترة (٧٥٩ - ٧٦٢ م) ، و« الجاؤون داودي » ، رئيس

أكاديمية « فومبيديثا » في الفترة (٩٦١ - ٧٦٤ م) ، وأختار الزعيم اليهودي « إنا » ، « عنان » ، الأصغر ، وهو « حنايا » ، لزمامة يهود العراق .

وقامت الفتن بين يهود ، مما أدى إلى فرار « عنان بن داود » إلى فلسطين ، والقيام بحملة شعواء ضد التلمود وأصحابه ، بسبب الأذى الذي لحق به منهم ، ولحقه عليهم ، بسبب عدم قبولهم إياه رئيساً لهم ، وأخذ يدعو إلى التمسك فقط بما جاء في العهد القديم ، ثم سرعان ما ألغى جميع التشريعات التي قررها الربانيون اعتماداً على أسفار التلمود ، وجاء بتشريعات جديدة تخالف تشريعاتهم ، ومنها أنه حرم زواج العم من ابنة أخيه ، وزواج الخال من ابنة أخته ، بل أنه قد جاء بتشريعات خالف فيها نصوصاً صريحة في التوراة نفسها ، ومنها مساواته في الميراث بين الابن والبنت ، ومنع الزوج من أن يرث شيئاً من قرابة امرأته .

وتظهر خطورة حركة القرائين - في نظر اليهود - في أن صاحبها - وهو يهودي - قد نادى بأن « عيسى بن مريم » ، ليس زنديقاً - كما يدعى الفريسيون - وأنه لم يشوه التوراة ، ولم يكذبها أو ينسخها ، وأنه كان رجلاً من البشر ، من بني إسرائيل ، تقياً صالحاً ، لم يفكر قط في النبوة أو الألوهية ، بل كان معاصراً ، يريد أن يخلص شريعة موسى من المفاسد المنحرفة التي ألصقها الناس بها ، كما نادى كذلك بأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) نبي حقا ، وأنه كعيسى بن مريم ، لم يفكر قط في مخالفة التوراة ، أو التعدي عليها ، أو نسخ شرائعها ، وقد أدى هذا كله إلى أن يشتد الصراع بين الربانيين والقرائين ، فأعلن رؤساء كل طائفة تكفير الطائفة الأخرى ونجاستها وحرمانها من رحمة الله ، ومنعوا الصلاة ، كل منهم في معابد الآخر ، وحرموا كل مشاركة دينية أو شعبية من قبل أية طائفة من الطائفتين مع الأخرى ونجاستها وحرمانها من رحمة الله ، ومنعوا الصلاة ، كل منهم ، في معابد الطائفة الأخرى ، وحرموا كل مشاركة دينية أو شعبية ، من قبل أية طائفة من الطائفتين مع الأخرى ، من الأكل على مائدة السبت أو الأعياد ، أو الزواج

الذي حرم نساء بين الطائفتين ، وإذا حدث زواج ، فإنه إنما يعتبر زنا ، ويعتبر الأولاد المولودين منه غير شرعيين ، ولا ينتمون إلى شعب الله المختار (١) .

(٧) الجليليون :

الجليليون فرقة دينية وسياسية عند اليهود ، كان رائدهم الأول د يهوذا الجليلي ، الذي ظهر حوالي عام ١١ م ، وخالف أوامر وأغسطس قيصر ، (٢٧ ق.م - ١٤ م) في إحصاء اليهود ، ونادى بأنه ليس لليهود ملك إلا الله ، وتقرأ في الإنجيل: « بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتاب ، وأزاع وراءه شعبا غفيرا ، فذلك أيضا هلك ، وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا » (٢) .

(٨) الليبرتيون :

يظن أنهم كانوا طائفة قوامها أرقاء اليهود ، الذين اعتنقهم سادتهم الرومان ، وكان لهم - فيما يبدو - مجمع خاص بهم في اورشليم ، ونقرأ عنهم في الإنجيل « فتمض قوم من المجمع الذي يقال له مجمع الليبرتيين والفيروانيين والإسكندريين ، ومن الذين من كيليكية وآسيا ، يحاورون استفانوس » (٣) .

(٩) الغيورون :

وقد عدم المؤرخ اليهودي « يوسف بن متى » فرقة رابعة مكملة للفريسيين والصدوقيين والآسينيين ، وكانوا حزبا سياسيا هدفه مقاومة سياسة هيرودوس

(١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٩٥ - ٢٠٦ ، على عبد الواحد وافي :

المرجع السابق ص ٩٤ - ١٠٠

(٢) أعمال الرسل ٦ : ٩

(٣) أعمال الرسل ٥ : ٢٧

والرومان ، فقاموا بثورة مسلحة ، لم يكتب لها النصر ، ويفهم من أناجيل
النصارى أن « سيمان ، أحد حوارى المسيح ، إنما كان منهم (١) .

وأخيرا ، فليست هذه كل فرق اليهود الدينية ، وإنما هناك غيرها الكثير ،
فهناك القنامون والايوثيين والغنوصية (الصائبة) واليودجانية والمارانوس
والدوثة (الدوثة) والإصلاحيون أو المجددون والفلاشة وبنو إسرائيل (٢) .

(١) متى ١٠ : ٤ (حيث يسمى بالقانونى ، وهو اللفظ العبرى المقابل للفظ
خيور) ، (لوقا ٦ : ١٥ ، أعمال الرسل ١ : ١٣ ، مراد كامل : المرجع السابق ص ٢٨)
(٢) أنظر : عن هذه الفرق : حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٦٠ -

الفصل السابع

اليهود : بين الإنفلاق والتبشير

تمتلئ صفحات الكتب بزعم كذب مؤداه، أن اليهود ما كانوا يميلون إلى نشر دينهم بين الأمم ، ذلك لأن نشر الدعوة الدينية من بعض الوجوه محظور على اليهود (١) ، هذا فضلا عن أن القسوم إنما كانوا يعتبرون أنفسهم « شعب الله المختار (٢) » ، ذلك لأنهم - فيما يزعمون - شعب مقدس اختاره ربهم « يهوه » ، ليكون شعبه المصطفى دون بقية شعوب الأرض ، ومن ثم فقد خاطبهم في التوراة « واتخذكم لي شعبا وأكون لكم إلهيا » (٣) ، « وأتم تكونون لي ملكة كهنة ، وأمة مقدسة » (٤) ، بل إنه يقول لهم « إنك شعب مقدس للرب إلهك ، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا ، فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض (٥) ».

وهكذا نظر الإسرائيليون إلى أنفسهم على أنهم الشعب الذي اصطفاه الله وفضلته على العالمين ، وأن من عداهم من الشعوب أقل منهم مكانة في سلم الإنسانية ومن ثم فلا تسمح نفوسهم أن تكون هذه الميزة لغيرهم من الشعوب الأخرى ، بل إن « يهوه » - رب يهود - لم يكن إلها عالميا ، وإنما كان إلها قوميا ، وربما لليهود دون سواهم من العالمين (٦) ، إلا أن ذلك شيء ، وما قام به اليهود من نشر دينهم

(١) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ص ٧٢

(٢) خروج ٦:١٩ ، عدد ٢:١٤ ، تثنية ١٠:١٥

(٣) خروج ٦:٧ ، (٤) خروج ٦:١٩

(٥) تثنية ١٤ : ٢ ، وأنظر : تثنية ١٠ : ١٥

(٦) خروج ٦:٧ ، ١١:١٥ ، ١١:١٨ ، أخبار أيام ثان ٥:٢

بين الشعوب الأخرى شيء آخر .

هذا فضلا عن أننا نرى في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، النبيين
« عاموس » (٧٦٠-٧٤٦ ق.م) و « إشعياء الأول » (٧٢٤ - ٦٨٠ ق.م)
يعتقدان فكرة جديدة خلاصتها ، أن « يهوه » إنما هو إله للعالم كله ، والديان
العادل لكل شعوب الأرض ، وإن كان هذا التطور في اليهودية لم يكن دائما سيرا
إلى الأمام في كافة الأحوال ، بل كانت هناك الردة قارة ، والقهرى إلى الوراء
تارة أخرى ، حتى أن أسفار التوراة الأخيرة ، حين تخرج من دائرة بنى إسرائيل
إلى غيرهم من الشعوب ، فقد ظل المعنى المتضمن لمفهوم « الله » في التوراة على أنه
إله إسرائيل في المقام الأول .

وهكذا يبدو بوضوح أن إله إسرائيل - كما تصوره التوراة - لم يكن الله ، كما
تفهمه البشرية في الديانات المعاصرة (١) ، وهذه الفكرة تتناسق تناسقا كاملا مع
سياق النظام الإسرائيلي عامة ، لأنه الدين الخاص لشعب خاص ، لا بد أن يكون
له إله خاص ، وهذه الخصوصية مهمة جدا في عقيدة هذا الشعب اليهودي (٢) .

وعودا على بدء ، على موقف اليهود إزاء التبشير بدينهم .

يحدثنا التاريخ الديني أن يهود قد اتبع كل ما أمكنها اتباعه من وسائل
لتنشر دينها بين الأقوام من غير اليهود ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها (أولا)
أن هناك من غير اليهود من اعتنق اليهودية ، منذ مرحلتها الأولى ، وعلى رأس
هؤلاء جميعا ، السحرة المصريون ، والذين تكاد تجمع الكتب المقدسة من قبل
- المؤرخون من بعد - على أنهم هم الذين آمنوا بدعوة موسى الحكيم ، عليه
السلام ، عن عقيدة وإيمان ، ولعمري إن الذين هددهم فرعون ، « فلا تظن

(١) صبرى جرجس : المرجع السابق ص ٥٢

(٢) عبده الراجحي : الشخصية الإسرائيلية - الإسكندرية ١٩٦٨ ص ٤٧

أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولا صلبنكم في جذوع النخل (١) ، ، فكان ردهم ، لن
تؤترك على ما جاءنا من البيئات ، والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى
هذه الحياة الدنيا ، إنا آمننا بربنا ليفر لنا خطايانا ، وما أكرهتنا عليه من السحر
والله خير وأبني (٢) ، ، إن هؤلاء - لأشد إيمانا من بنى إسرائيل أنفسهم ، الذين
ما أن رأوا فرعون وجنوده ، حتى تملكهم الذعر والخوف ، وصاحوا بموسى
قائلين : أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا (٣) ، ، أو كما نقول توراةهم :
« ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ، أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به
في مصر ، قائلين : كف عنا فنخدم المصريين ، لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من
أن نموت في البرية (٤) ، .

ومن هنا فإن العلماء - ومنهم يهود ، كالحاخام الدكتور أبشتين (٥) ، والدكتور
سيسل روث (٦) - يكادون يجمعون على أن أتباع موسى الخارجين في ركابه من

(١) سورة طه : آية ٧١

(٢) سورة طه : آية ٧٢-٧٣ ، وأنظر تفسير القرطبي ص ٤٢٦٥ - ٤٢٦٦

(٣) سورة الأعراف : آية ١٢٩ ، وأنظر : تفسير ابن كثير ٤/٤٥٦-٤٥٧

(دار الشعب - القاهرة ١٩٧١) ، تفسير القرطبي ص ٢٦٩٩ (دار الشعب -

القاهرة ١٩٨٠) ، تفسير الطبري ١٣/٤٣-٤٤ (دار المعارف - القاهرة ١٩٥٨)

تفسير المنار ٩/٦٩-٧٢ (الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٤) .

(٤) خروج ١٤: ٨-١٢ .

(٥) Isidore Epstein, Judaism, (Penguin Books). 1970 p. 16

(٦) C. Roth. A Short History of the Jewish People London. (٦)

1969, p.6

وكذا L. Woolley, The Beginnings of Civilization, N.Y 1965, p. 496

مصر ، لم يكونوا كلهم من سلالة بني إسرائيل ، وإنما كانوا خليطا من الإسرائيليين وغير الإسرائيليين ، يفتخرون إلى فكرة وعقيدة ، لا إلى جنس وعنصر بعينه ، كما يزعم اليهود ، بل إن التوراة نفسها إنما تصرح في وضوح — لا لبس فيه — ولا غموض — بذلك كله ، وذلك حيث تقول : وصعد معهم لقيف كثير أيضا (١) ، يتكونون — فيما يرى جوستاف لوبون (٢) — من المصريين الساخطين ، ومن العبيد المتمردين ، فضلا عن السحرة المصريين ، الذين آمنوا بديانة الحكيم عن عقيدة وإيمان .

ومنها (ثانيا) أن التوراة تمتلئ بالنصوص التي تتحدث عن تهويد أناس من غير اليهود ، كما في أسفار: الخروج والقضاة وراعوث وصموئيل الثاني ، وأخبار الأيام الأول وغيرها (٣) ، ومنها (ثالثا) أن التوراة تقدم لنا اليهود في عصر القضاة — وعلى أيام دبورة بالذات — على أنهم أربعون ألفا من المحاربين (٤) ، ثم هم على أيام داود ، (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) مليون وثلاثمائة ألف (٥) ، مما يدل على أنهم كانوا أيام الملكية ، خليطا من الإسرائيليين والكنعانيين ، وإن كانت

(١) خروج ١٢ : ٣٨

(٢) جوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعير - القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٣

(٣) خروج ١٢ : ٣٨ ، قضاة ١ : ١٦ ، ١ : ١١ ، ١٤ : ١ - ٢٠ ، راعوث ١ : ١ - ٤ ، ٤ : ١٢ - ١٣ ، صموئيل ثان ١١ : ٢ - ٢٤ ، أخبار أيام أول ٢ : ٩ ، ١٨ - ٢٠ ، ٢٥ - ٢٧ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٥٥ ، ١١ : ٣٢ ، ٢٧ : ٣٠

وكذا A. Lods, op—cit, p. 391 وكذا J. Hastings. op—cit, p. 3

(٤) قضاة ٥ : ٨ (٥) صموئيل ثان ٢٤ : ٩

الأرقام تدل على أن الغالبية العظمى ، إنما كانت من الكنعانيين (١) .

ومنها (رابعا) أن السبي البابلي - والاشوري من قبل - كانا سببا في تهجير الآف من اليهود إلى العراق ، واستبدالهم بآخرين ، فضلا عما حدث أثناء ذلك من اختلاط جنسى بين الغزاة واليهود - راضين كانوا أم مكرهين - حتى أن سفر عزرا ، الذى كتب أثناء السبي البابلي ، لا يتحدث إلا عن هذا الإختلاط (٢) ، ويدهى أن من نتيجة ذلك أن نشأ جيل يعتقد اليهودية ، ولكنه ليس يهوديا من ناحية الجنس ، أو على الأقل ، ليس يهوديا نقيا .

ومنها (خامسا) أن الملك اليهودى د يوحنا هيركانوس الأول ، (١٣٥ - ١٠٤ ق م) ، كان قد أجبر الآدميين فى حوالى عام ١٢٦ ق م ، على الإختتان واعتناق اليهودية ، رغبة منه فى إزالة الفوارق الدينية بين يهود وأدوم ، وحبا فى نشر اليهودية بينهم ، ومن ثم فقد انضم بنو عيسو إلى الإسرائيليين (٣) .

ومنها (سادسا) ما حدث فى اليمن على أيام الدولة الحميرية (حوالى ٣٠٠ - ٥٢٥ م) وتهورد العرب هناك ، ذلك أن اليهودية إنما كانت قد بدأت تأخذ طريقها إلى اليمن منذ فترة طويلة ، وإن إزدادت منذ تدمير بيت المقدس على يد

(١) A. Lods, op - cit, p. 333

(٢) عزرا ١:٩ - ١٠:٤٤ ، ثروت الأسيوطى : نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين - الجماعات البدائية - بنو إسرائيل - ص ١٨٠

(٣) سفر المكابيين الأول ٤ : ٢٩ ، ٥ : ٦٥ ، إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب - القاهرة ١٩٢٧ ص ٧٢ ، تاريخ اللغات السامية - القاهرة ١٩٢٩ ص ١٠٥ ، فيليب حتى : المرجع السابق ص ٢٦٩ ، وكذا

Josephus, Antiquities of the Jews, X III, q. 1

القائد الروماني د تيتوس ، في عام ٧٠ م ، ومن ثم فإن أصحاب هـ - ذا الاتجاه
الآخر يرون أننا لو تفحصنا أسماء اليهود المقيمين في بلاد العرب ، لرأينا ، أن
معظمهم أراميون ، وعرب متهودون ، وليسوا من ذرية إبراهيم الخليل من ولده
إسحاق - عليها السلام (١) - أو منذ تهود داب كرب أسعد ، (٤٠٠-٤١٥ م) ، (٢)
وفرضها على الحميرين بالقوة - فيما ترى المصادر العربية (٣) - أو منذ تهود د ذى

(١) R. K. Hitti, History of the Arabs, London, 1960, p. 61

(٢) يختلف الباحثون في فترة حكم داب كرب أسعد ، فذهب فريق إلى
أنها في الفترة (٤٠٠-٤١٥ أو ٤٢٠ م) ، وذهب آخرون إلى أنها في الفترة
(٢٨٥-٤٢٠ م) واتجه فريق ثالث إلى أنها في الفترة (٣٧٨-٤١٥ م) ،
بينما اتجه فريق رابع إلى أنها استمرت حتى عام ٤٣٠ م (أنظر : فريزر هرمل :
التاريخ العربي القديم ص ١٠٨ ، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل
الإسلام - الجزء الثاني - ص ٥٧١ ، وكذا :

J. B. Philby, Note on the Last Kings of Saba, in Le Museon,
LX 111, 1950, p.269,

وكذا J. B. Philby, The Background of Islam, Alexandria. 1947,
p. 116, 143

(٣) أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ١٦٤/٢ - ١٦٧ ، تاريخ
اليعقوبي ١٩٨/١ ، تاريخ ابن خلدون ٥٢/٢ - ٥٤ ، تاريخ الطبري ١٠٧/٢ -
١١١ ، ابن هشام : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ٢٧/١ - ٣٠ ، الأزرقى :
أخبار مكة ٣٤٩/١ ، السهودي : وفاة الوفا بأخبار دار المصطفى ١٣٤/١ ،
الفاشي : العقد الثمين ١/١٠ ، تفسير الطبري ١٥٤/٢٧ ، تفسير الخازن ١١٥/٤ ،
١٧٥ ، ثم قارن : ابن قتيبة : المعارف ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، المسعودي : مروج
الذهب ٥١/٢ ، نشوان بن سعيد الحميري : ملوك حمير وأقبال اليمن ص ١٢٢

نواس (١) ، (٥١٥ - ٥٢٥ م) ، سواء أكان ذلك بناء على رغبة من الملك الحميري في أن يقاوم دين سماوى بدين سماوى آخر ، ومن ثم فهو يمثل الروح القومية في اليمن ، حين رأى في النصرارى من مواطنيه ما يذكره بحكم الأحباش المسيحيين البغيض (٢) ، بخاصة وأن المسيحية قد أصبحت وقت ذاك تستند إلى قوة الدولة الرومانية الشرفية الطامعة في غزو اليمن (٣) ، أو لأنه كان في الاصل - طبقا لرواية ابن العبري - من أهل الحيرة ، وأن أمه يهودية من نصيبين ، وقعت في الأسر ، فزوجها والد يوسف ، هذا ، فأولده منها ، ومن ثم فهو يهودى وفد على اليمن من الحيرة (٤) .

ومنها (سابعا) أننا نرى في القرن الثامن الميلادى شعبا بأسره يعتنق اليهودية ، وذلك حين اعتنق « بولان » ملك قبائل « الحزور المنغولية » في ٧٤٠م .

(١) ذونواس : هورزعة ذونواس بن تبان أسعد أب كرب ، وقد سمي « يوسف » بعد تهوده ، وإن ذهب البعض إلى أنه من غير الأسرة المالكة ، وأن السبب في تسميته بذى نواس ، أن كانت له ذواتان تتوسان على عاتقه (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٤٢٥/١ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٣١١ ، ٢٧٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٥٢/٢ ، تاريخ اليعقوبى ١٩٩/١)

P. K. Hitti, op—cit, p. 62

(٢)

وكذا Bont—Maury, L'ISlamisme et le Christianisme en Afrique, Paris, 1906, p. 47

(٣) عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب - القاهرة ١٩٤٧ ص ٤٥

(٤) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٣ ، ثم قارن : الحمداني : الإكليل

٦٣/٢ ، وأنظر :

F. Altheim and R. Stiehl, Die Araber in der Alten Welt, Berlin, I, 1964, p. 360

اليهودية ، ثم اتخذها ديناً رسمياً لقبائل الخزر ، ذلك أن هذه القبائل قد طبعتها طبائع القسوة المنطشة إلى إراقة الدماء ، التي كانت تتميز بها القبائل المنغولية ، وقد رغب مسلموا الشرق في أن يرشدوا هؤلاء الخزر ، إلى سماحة الدين الإسلامي ، كما رغب مسيحيوا الغرب بدورهم ، في أن ينشروا السلام في أرجاء هذه المملكة الدموية ، فكان ذلك ترغيباً لحاكم هذه القبائل في الإطلاع على الدين اليهودي ، وصادف هذا الدين من نفس « بولان » هوى ، إذ وجد فيه - بما يحتويه من طقوس دموية ، وبما يشتمل عليه من شرائع تبيح كل أنواع القسوة - تفسيراً لأصول دينه الوثني ، فاعتنق اليهودية ديناً في عام ٧٤٠م ، ثم تبعته حاشيته ، فشعبه ، ثم أعلنه ديناً رسمياً لقبائل الخزر (١) .

ومنها (ثامناً) أن القرآن الكريم يكذب هذا الإدعاء - الذي تصرب للأسف حتى إلى كتابات المؤرخين الإسلاميين - وذلك حين يشير صراحة إلى انتشار اليهودية في اليمن في القرن العاشر قبل الميلاد ، وعلى أيام سليمان ، (٩٦٠ - ٩٢٢ ق.م) ، حيث يروى في سورة النمل قصة ملكة سبأ مع سليمان ، وكيف بدأت بدعوة النبي الكريم ملكة سبأ إلى الإسلام ، ثم انتهت - بعد أن تأكدت الملكة العربية أن سليمان إنما يطلب لها ولقومها الهداية إلى سواء السبيل - إلى أن قالت :
« رب أنى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » (٢) .

(١) أبكار السقاف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة - القاهرة

١٩٦٧ ص ٤٩

(٢) أنظر : سورة النمل : آية ٢٠ - ٤٤ ، وكذا : تفسير الطبري ١٩ / ١٤٣

- ١٧٠ ، تفسير الطبري ١٩ / ٢٠٨ - ٢٣٠ ، تفسير القرطبي ١٤ / ١٧٦ - ٢١٣ ، تفسير ابن كثير ٣ / ٢٦٠ - ٢٦٦ تفسير الكشاف ٢ / ١٤٢ - ١٥١ ، تفسير روح

ومنها (تاسعا) أن هناك فريقا من المؤرخين ، إنما يذهب إلى أن د بنى النضير ، و د بنى قريظة ، - وهما فرعان من قبيلة جذام العربية - قد تهودوا ، وسموا بالمكان الذى نزلوا فيه (١) ، وطبقا لرواية الإخباريين ، فإن د جبل بن جوال ، من د بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، قد تهود هو وقومه ، وعاش مع بنى قريظة ، حتى ظهور الإسلام ، ثم هداه الله إلى الدين الحق ، فأسلم وحسن إسلامه (٢) ، ثم هناك د كعب بن الأشرف ، اليهودى ، وكان من بنى طى ، ثم أحد بنى نهبان ، ولسكن أمه من د بنى النضير ، ، وقد قتله المسلمون بسبب تشبيهه بنساء المسلمين ، وشعره فى التحريض على الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فضلا عن تحريض قريش على محاربة المسلمين فى المدينة ، والثار لقتلها فى بدر (٣) .

ومنها (عاشر) هناك الكثير من العرب المتهودين ، ولاسيما القبائل اليهودية المسماة بأسماء عربية أصيلة ، لما صلة بالوثنية ، مما يدل على أنها إنما كانت وثنية

المعاني ١٨٢/١٩ - ٢١٠ ، فى ظلال القرآن ١٩/٢٦٣١-٢٦٤٣ ، تفسير البيضاوى ١٧٢/٢ - ١٧٨ ، تفسير أبو السعود ١٢٧/٤ - ١٣٤ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٢٢٤/١ - ٢٣٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢/ قصص الأنبياء ١/٢٢٣ - ٢٣٩ محمد بيومى مهران : إسرائيل - الكتاب الثانى - التاريخ ص ٧٦٢ - ٧٨٠ (١) اليعقوبى (أحمد ابن أبى يعقوب بن جعفر) : تاريخ اليعقوبى - الجزء

الثانى - بيروت ١٩٦٠ ص ٣٦ ، ٣٩

(٢) ابن حجر العسقلانى : الإصابة فى تمييز الصحابة ١/٢٢٣ (رقم ١٠٧١) -

القاهرة ١٩٣٩

(٣) ابن كثير : السيرة النبوية ٩/٣ - ١٥ (القاهرة ١٩٦٥) ، ابن هشام :

سيرة النبى ﷺ ٥١/٢ - ٥٨ (القاهرة ١٩٥٥) ، عماد الدين خليل : دراسة فى

قبل أن تهود ، ومن ثم فهناك الكثير من البطون العربية التي تهودت (١) ، فقد
تهود قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود
خيبر وقريظة والنضير ، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب ، وقوم من
« غسان » ، وقوم من « بلي » (٢) .

ومنها (حادى عشر) أن هناك ما يشير إلى أن المرأة المقلات في الجاهلية ،
كانت تنذر إن عاش لها ولد أن تهوده ، ومن ثم فقد تهود بعض منهم ، فلما جاء
الإسلام أراد الانتصار لإكراه أبنائهم عليه ، فنهاهم الله عن ذلك (٣) ، حيث
يقول سبحانه وتعالى : لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، (٤) .

السيرة - القاهرة ١٩٧٤ ص ٣٣٦ - ص ٣٣٨ ، تاريخ الطبرى ٢/٤٨٦-٤٩١ ،
صحيح البخارى ٢/٧٩ - ٨ ، ابن حزم : جوامع السيرة ص ١٥٤ - ١٥٦ ،
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٢/١٤٣ - ١٤٤ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى
٢١/١ - ٢٣

(١) D. Noldeke, EB, 24, 1911, P.

وكذا D. S. Margoliouth, The Relations between Arabs and
Israelites Prior to the Rise of Islam, London, 1924, P. 60

(٢) تاريخ يعقوب ١/٢٥٧ ، جواد على : ٥٢٥/٦ وكذا

H. Graetz, History of The Jews, II, Philadelphia, 1956, P. 408
وكذا Islamic Culture, III, 2^o p. 177

(٣) سنن أبى داود ٣/٧٨ - ٧٩ ، البيهقى : السنن الكبرى ٩/١٨٦ ،
إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب ص ٨٨ ، أديان العرب فى
الجاهلية ص ٢٠١

(٤) سورة البقرة : آية ٢٥٦ ، وأنظر : تفسير المنار ٣/٣٥ - ٤٠ ، تفسير
أبو السعود ١/١٨٩ - ١٩٠ ، تفسير ابن كثير ١/٤٥٩ - ٤٦٢ ، مسند الإمام

وعلى أى حال ، فإن فريقا من المؤرخين إنما يذهب إلى أن يهود بلاد العرب ، إنما هم عرب تهودوا ، وإن لم يكونوا مزودين بمعلومات كافية عن التوحيد ، وأنهم لم يكونوا خاضعين لقانون التلود كله ، حتى أن بعضا من يهود دمشق وحلب ، في القرن الثالث الميلادي ، أنكروا عليهم يهوديتهم ، وإن كانوا مع ذلك شديدي التمسك بدينهم (١) .

وهكذا يبدو بوضوح أن اعتناق اليهودية لم يكن أمر مقصورا على اليهود فحسب ، وإنما اعتنقها آخرون من غير اليهود ، وأن هؤلاء اليهود من غير بني إسرائيل - أو هؤلاء المتهودون من غير أبناء يعقوب - إنما كان منهم من اعتنق اليهودية لإيمانها بها - كدين سماوي - كما أشار القرآن الكريم إلى السحرة المصريين على أيام موسى (٢) ، وإلى ملكة سبأ على أيام سليمان ، ومنهم من سار في ركابها ،

أحمد ١٨١/٣ ، ٤٦/٥ ، ٤٥٢ ، ١٦٠/٧ ، تفسير القرطبي ٢٧٩/٣ - ٢٨٢ ، تفسير الطبري ٣٠٤/٣ - ٣٠٧ ، تفسير الطبري ٤٠٧/٥ - ٤٢٤ ، تفسير روح المعاني ١٣/٣ - ١٥ ، في ظلال القرآن ٢٩٣/٢ - ٢٩٦ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣٢٩/١ - ٣٣١ ، تفسير النسفي ١٢٩/١ ، تفسير الكشاف ٣٨٧/١

(١) إسرائيل ولغسبون : المرجع السابق ص ١٢ ، ٧٣ ، وكذا

D. S. Margoliouh; op-cit, p. 60

H. Graetz, op-cit, III, p. 51, 75

وكذا

(٢) أنظر : سورة الأعراف : آية ١٠٩ - ١٢٦ ، وكذا : تفسير المحيط ٣٥٥/٤ - ٣٦٨ ، تفسير روح المعاني ٢١/٩ - ٢٨ ، تفسير المنار ٤٥/٩ - ٧٨ ، في ظلال القرآن ١٣٤٢/٩ - ١٣٥٣ ، تفسير القرطبي ٢٥٦/٧ - ٢٦٢ ، تفسير الطبري ١٨/١٣ - ٣٦ ، تفسير ابن كثير ٢٠٥/٣ - ٢٠٩ .

كما فعل العبيد والأسارى ، الذين لحقوا بموكب الخروج من مصر ، في أخريات القرن الثالث عشر قبل الميلاد - كما تشير التوراة إلى ذلك (١) .

هذا إلى جانب من فرضت عليهم اليهودية بقوة الدولة وسلطانها ، على أيام دولة بني إسرائيل في فلسطين ، كما حدث بالنسبة إلى الكنعانيين على أيام الملكية ، ومنهم من فرضت اليهودية عليه بحد السيف ، كما حدث بالنسبة إلى الأدوميين في القرن الثاني قبل الميلاد ، ومنهم من ولدوا من أمهات يهوديات تزوجن من جنود الرومان ، بعد قضاء الإمبراطورية الرومانية على ثورة « باركوخبا » (١٣٢ - ١٣٥ م) ، في أغسطس من عام ١٣٥ م ، وتدمير مدينة أورشليم ، والقيام بمذبحة مروعة ختمت حياة اليهود في فلسطين - كدولة وكقومية - وتشريد البقية الباقية من يهود في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، ثم زواج كثير من بنات يهود من جنود الرومان ، الذين تركوهم بعد حين من الدهر ، فشب أبناءهم يهودا كأماهم (٢) .

= وانظر : سورة طه . آية ٥٧ - ٧٦ ، وكذا : تفسير البيضاوى ٥٢/٢ - ٥٦ ، في ظلال القرآن ١١ / ٢٣٤٠ - ٢٣٤٤ ، تفسير الطبرى ١٦ / ١٧٥ - ١٩٢ ، تفسير الطبرى ١٦ / ١١٩ - ١٢٤ ، تفسير ابن كثير ٤ / ٥٢٢ ، تفسير الكشاف ٣ / ٥٤٢ - ٥٤٦ ، تفسير القرطبي ١١ / ٢١١ - ٢٢٧ ، تفسير أبي السعود ٣ / ٣١١ - ٣١٦ .

(١) خروج ١٢ : ٣٨ ، وكذا L. Woolley, op-cit, p. 49

وكذا C. Roth, op-cit, p. 6

(٢) جمال حمدان : اليهود أنثروبولوجيا - القاهرة ١٩٦٧ - ٧٨ ، وكذا

Martin Noth, The History of Israel, London, 1965, d. 453-454

وكذا H. Strathmann , PJB, 23, 1927, p. 92 F

A. Schulten, ZDPV, 56, 1933, p. 180

وهناك من اعتنقوا اليهودية لأن طقوسها الدموية، تتفق وطباعهم المتعطشة إلى الدماء ، كقبائل الخزر المنغولية ، وهناك من اعتنقوا اليهودية لأسباب قومية ، ونكائية في المسيحية كالمجريين ، الذين كانوا يخشون على بلادهم من أطباع الرومان . وحكم الأحباش البغيض ، وهناك من اعتنقوا اليهودية لأن الأممات المقلات في الجاهلية العربية وهبهم لليهودية - إن عاشوا - كما حدث في « يثرب » العربية ، حتى أن الأنصار حين أرادوا إكراه هؤلاء الأبناء على ترك اليهودية ، واعتناق الإسلام ، نهام الله - سبحانه وتعالى - عن ذلك .

وهناك من اعتنقوا اليهودية تبهيرا بها من يهود ، أو لأنهم كانوا مطالبين بثأر ، فهجروا مواطن قبائلهم إلى مواطن أخرى تصكتمها يهود ، أبت عليهم مجاوراتها إلا أن يتهودوا ، كما حدث مع « بنى حمنة بن عكرمة » ، وهم بطن من قبيلة « بلي » العربية .

وأخيرا لا أريد أن أتحدث عن اليهود في العصر الحديث ، حيث تتوافر الأدلة في أمريكا الوسطى والجنوبية على تحول كثير من الهنود الحمر إلى اليهودية ولا علاقة لهم جنسيا ودمويا باليهود أصلا ، وكل هذا يمنع أى شك في أن اليهودية لم تكن مقصورة على بنى إسرائيل وحدهم ، بل إن هناك شعوبا أخرى قد اعتنقت الدين اليهودي (١)

(١) أنظر : محمد عوض محمد : الإستعمار والمذاهب الإستعمارية - القاهرة

١٩٥٧ ص ١٣٨ - ١٥٥ ، جمال حمدان : المرجع السابق ص ٧٧ - ٧٨ ، وكذا

E. Pittard, Les Races et L'Histoire, p. 313, 330

وكذا W. Z. Ripley. Races of Europe. Loundon, 1900, p. 392

ولست أدري بعد هذا كله ، أية وسيلة بقيت لم يتبعها اليهود لنشر دينهم ؟
ومن ثم فإن انتشار الدين اليهودي قد أوجد أجيالا وطوائف من اليهود
لا تمت إل بني إسرائيل بشيء ، سوى صلة الدين ، أو بعبارة أخرى ، فإن
انتشار اليهودية قد قضى على بني إسرائيل كسلالة بشرية متميزة (١) .

(١) جمال حمدان : المرجع السابق ص ٨٠ - ٩٣ .

الباب الثالث
الحياة الاجتماعية

الفصل الأول

التطور الإجتماعى فى المجتمع الإسرائيلى

(١) طبقات المجتمع الإسرائيلى :

إن التمييز بين الأشراف والعامه الأذى يتميز به مجتمع الرافدين - مثلا - يتفق وأحوالا اجتماعية أكثر تطوراً إلى حد بعيد ، من أحوال العبرانيين . الذين لا نجد عندهم فى الواقع أى تمييز بين المدنيين الأحرار ، فهؤلاء جميعاً كانوا ينعمون بنفس الحقوق بعد وصولهم إلى سن البلوغ ، التى حددتها التوراة بالعشرين ، وكانت أيضاً أدنى سن للإنتخاط فى الجيش (١) ومن ثم ، فطبقاً لعادات البدو ، فإن أراضى المرعى والبنابيع - وهى أساس الحياة البدوية - إنما هى ملكية - شائعة بين القوم جميعاً (٢) .

وإلى جانب المدنيين الأحرار ، كان هناك العبيد من أجنب وإسرائيليين ، وكان أغلب العبيد من الأجنب ، وأكثر هؤلاء أسرى حرب ، ولكن كان يمكن أيضاً شراء العبيد ، وقد كانت تجارة الرقيق فى أيدي الفينيقيين ، وقد كان العبرانيون ينظرون إلى العبد على أنه مجرد ملك منقول لسيده ، وإن كانت قوانين التوراة تحمى العبد - فى أحوال معينة - من سيده ، ومن ثم فالسيد الذى يتلف عين عبده أو سنه ، عليه فك رقبتة ، والسبت يوم راحة للعبيد ، كما هو

(١) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ١٦٧

(٢) A. Lods, Israel, From its Beginnings to the middle of

the Eithth Century, London, 1962. p. 396

للدنيين الأحرار، والعبد الآبق يجب إيوؤه وحمايته ، ولا يصح رده إلى سيده، باعتبار أن الفرار إنما هو دليل سوء معاملة السيد لعبده (١) .

هذا وقد كانت معاملة العبيد العبرانيين تختلف عن معاملة أمثالهم من الأجانب، فقد كان لهم حق استعادة حريتهم بعد سبع سنين من الخدمة ، كما كان صاحب الدين بقادر على استرقاق أخيه العبري إن لم يدفع دينه في الموعد المعلوم ، بل إن آباء الأسر ، إنما كان في استطاعتهم بيع أبنائهم كرفيق ، بل إنه إنما كان يملك عليهم حق الحياة والموت ، فيقتلهم إذا شاء (٢) .

وهناك طبقة ثالثة في المجتمع العبري ، هي طبقة الأجانب ، وهم قسيان : الواحد : يرتبط بالقبائل العبرية ، وهم « الجيريم » ، أو الجيران ، الذين يستجرون بأحد أعضاء العشيرة ، ويلوذون بحمايته ، ولم يكن لهم حقوق ، وكانوا يلتزمون بعبادة آلهة العشيرة ، وأما القسم الآخر من الأجانب ، فلم يكن يتمتع بهذا الحق (٣) .

(٢) التطور الاجتماعي في إسرائيل :

في الواقع ، إن حياة البدارة لا تعرف فوارق اجتماعية ، فالنروة لا تعنى

(١) خروج ٢١ : ٢٦ - ٢٧ ، تثنية ٢٣ : ١٥ - ١٦

(٢) خروج ٢١ : ١ - ٧ ، تكوين ٤٢ : ٢٧ ، سبتينو موسكاتي : المرجع

السابق ص ١٦٨

L. G. Levy, la Famille dans L'Antiquite Israelite, Paris, (٣)

1905, p. 83 F

A. Lods, op-cit, p. 221 F

جاءا أو قوة - وإن كانت تمكن الفنى من أن يكون أكثر كرما من الآخرين -
لأن الأقر بين البدو ، هو فعلا مساو للأغنى ، والكل يشترك بدون تمييز في
نفس الطعام البسيط ، ويرتدى نفس الملابس الخشنة ، ويقوم بنفس العمل ،
ويعتلى صهوة الجواد ، ويسكن نفس الخيمة. البدائية في أثارها ، هذا فضلا عن
أن الفنى قد يفقد ثروته ، حين تستولى قبيلة معادية على كل قطيعه ، وبالعكس ،
فقد يجد الفقير نفسه قد اغتنى من تجارة المقايضة (١) .

وعندما نزع العبرانيون إلى كنعان ، فوجدوا أنفسهم أمام بلد ذى حضارة
رفيمة ، وثقافة عالية ، ومفارقات اجتماعية ، وسواء نزلوا فاتحين ، أو ماجورين
لأمير من أمراء البلاد ، أو متلصقين ، فالنتيجة واحدة ، وهى أن الحضارة
الكنعانية ظلت هى المتصرة ، واستعمرت العقلية الإسرائيلية استعمارا لم تتحرر
منه (٢) ، رغم محاولة بني إسرائيل الاحتفاظ بعاداتهم البدوية . ولكن لم يبق
منها - بمرور الزمن - إلا آثارا ، كادت أن تختفى تماما .

وكانت هناك في فلسطين أرض شاسعة خصصت لأسباط معينة ، تقرر بعد
العودة من السبي البابلي أن تعود إلى أصحابها الأصليين ، وكان من حق أقرب
الأقارب أن يخلص ملكية قريبه الأجير ، الذى اضطر إلى أن يبيع إرث الجدود ،
والأمر كذلك بالنسبة إلى العرف الذى يتطلب من الوارثة أن تزوج في إطار
عشيرتها الخاصة ، والمهدف من ذلك كله هو منع الأرض من الانتقال إلى خارج

(١) Alfred Bertholet, Histoire de la Civilisation d' Israel,

Paris, 1929, p. 138

(٢) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١١٨

دائرة الأقارب (١) ، ولكن الحقائق التي أثارها الإستياء الشديد من اغتصاب
بساتين كروم ، قابوت ، اليزرعيل (٢) ، تبين كيف تأصل مبدأ الملكية الفردية
بمقتضى أذهان الناس ، ذلك لأن مالك الأرض وحده ، هو الذى كان له الحق
فى أن يكون مواطناً (٣) .

وأصبح الإسرائيلابون - بمرور الزمن - مزارعين مستقلين ، بفضل أمان
الحيازة الذى ساد فى البلاد ، كما كان المزارعون المهرة قادرين على توفير أرباحهم ،
واستخدامها فى توسيع ملكيتهم ، ومن ناحية أخرى ، فلقد نمت - بعد نظام
الملكية - ارستقراطية عسكرية ، أثمرت كثيراً من غنائم الحرب ، أو عن طريق
الرعاية الملكية ، وكانت ممارسة السلطة مصدر ربح للشيوخ والموظفين الملكيين ،
لأن الشخص الذى يبحث عن رعاية ، لا يجب أن يظهر أمام من هو أدنى منه
خاوى الوفاض (٤) .

هذا وقد تشبع الإسرائيليين بالحضارة الكنعانية فى تقسيم المجتمع
الإسرائيلى إلى درجات أو طبقات ، وفى اقتباس قصر سليمان لأسلوب من الحياة
يتزايد تدريجياً فى الابتعاد عن البساطة البدوية ، وفى تطلع الأغنياء إلى قصور
تشبه تلك التى كان يسكنها الملوك ، فضلاً عن منازل للصيف ، وأخرى للشتاء ،

(١) لاويون ٢٥ : ٢٣ - ٢٥ ، عدد ٣٦ ، راعوث ٤ : ٣ - ١٢ ، إرميا

٣٢ : ٧ - ١٦ ، ٣٧ : ١٢

(٢) ملوك أول ٢١ : ١ - ١٦

(٣) A. Lods, op - cit, p. 397

(٤) أنظر : تكوين ٣٢ : ١٤ - ٢٢ ، ٣٣ : ٨ - ١١ ، صموئيل أول ١٠ :

٢٧ ، ١٧ : ١٨ ، ٢٥ : ١٨ - ١٩

وهذا نوع من الترف يبدو أنه بدأ في القرن الثامن قبل الميلاد (١) ، ونقرأ في التوراة عن المقر الملكي - الشتوى والصيفى - فى منازل من عاج ، وأخرى من أبنوس ، وعن قصور فخمة ، جاورتها أخصاص خشنة (٢) :

وكانت اللحوم هى الطبق الرئيسى فى المآدب ، كما كان القوم يشربون النبيذ فى كؤوس ، على نفقات الموسيقى ، ويتكثرون حل أرائك ، بدلا من الجلوس على الأرض ، كمادة أسلافهم ، وإلى هذا تشير التوراة ، المضطجعون على أسرة من العاج ، والتمددون على فرشهم ، والآكلون خرافا من الغنم ، وعجولا من وسط الصبيرة ، الماخذون مع صوت الرباب ، المخترعون لأنفسهم الآن الغناء كداود ، الشاربون من كؤوس الخمر ، والذين يدهنون بأفضل الأدهان (٣) .

وبالفت النساء فى استخدام العديد من أنواع التجميل ، ومواد الزينة ، كشيء ضرورى ، لا يمكن لنساء أورشليم أن يستغنين عنه ، وقد حفظت التوراة لنا وصفا لهذا كله فى سفر إشعياء ، حيث تقول : « وقال الرب : من أجل أن بنات صهيون يتشاحنن ويمشين بمدودات الأعناق ، وقامرات بعيونهن ، وخاطرات فى مشيهن ، ويخشنن بأرجلهن ، يصلع السيد هامة بنات صهيون ، ويعرى الرب عورتهم ، ينزع السيد فى ذلك اليوم زينة الخلاخل والصفائر والآهة ، والحلق

(١) عاموس ٣ : ١٥ ، وكذا

M. J. Lagrange, *Études Sur les Religions Semitiques*, Paris, 1905, p. 498

A. Lods, *op - cit*, p. 28—29, 397

وكذا

(٢) عاموس ٣ : ١٥ ، وكذا

Cicel Roth, *A Short History of the Jewish People*, London, 1969, p.27

(٣) عاموس ٦ : ٤ - ٦

والأساور والبراقع ، والعصائب والسلاسل والمناطق وحنـاجر الشامات
والأحراز ، والخواتم وخزائم الأنف ، والثياب المزخرقة والعطف والأردية
والأكياس ، والمراني والقمصان والعمائم والأزر ، فيكون عوض الطيب
عقونة ، وعوض المنطقة حبل ، وعوض الجداول قرعة ، رجالك يسقطون
بالسيف ، وأبطالك في الحرب ، فتن وتنوح أبوابها ، وهي فارغة تجلس على
الأرض (١) .

وقد أدى الحفاظ على هذه الحياة الجديدة المفاجئة ، إلى أن استغل الأغنياء
الفقراء ، الذين كانوا يباعون - كما تباع السائمة - وفاء لحقوق دائنين ، لا تعرف
الرحمة إلى قلوبهم سيلا ، وإقرار الفس في التجارة والموازن الباطلة ، والسلع
التافهة ، وأخذ الهدايا والرشوة ، وهكذا اضمحلت الفضائل في الحياة العامة
والخاصة ، وحتى العدل قد اعوج في المحاكم والقضاء ، وكانت البنات والأرامل ،
الذين ليس لهم حام ضحية لأطماع المستغلين والمنحرفين ، ومن هنا يصرخ
« عاموس ، النبي (٧٦٠ - ٧٤٦ ق.م) صرخته الداوية : رؤساء متمردون ،
وشركاء اللصوص ، كل واحد منهم يحب الرشوة ، ويتبع العطايا ، لا يقضون
اليتيم ، ودعوى الأرملة لا تصل إليهم » ،

هذا وقد بلغت الإباحية ، والتحلل الإجتماعي ، حدا شنيعا مخزيا ، حتى
ليذهب « رجل وأبوه إلى صبية واحدة ، فيدنسوا اسم قدس » ، ولم يخف التجار
خياتهم وأطاعهم ، لكي « يبيدوا بائس الأرض » ، وتجاهل القوم كل الشرائع
الإنسانية ، فتمددوا على ثياب مرهونة ، وشربوا « خمر المفرمين في بيت

آلهم (١) ، ،

وهكذا اختفت بالتدريج الثروات الصغيرة ، وامتلات البلاد بالضياع
الواسعة ، وفي هذا يصبح « إشعياء » النبي (٧٣٤ - ٦٨٠ ق.م) : « ويل للذين
يصلون بيتنا بيت ، ويقرون حقلا بحقل ، حتى لم يبق موضع ، فصرتم تسكنون
وحدكم في وسط الأرض (٢) ، ،

وهكذا تعرض أساس المجتمع الإقتصادي والاجتماعي لثورة صامتة ، إبان
القرن السابق ، فلم تعد الأرض يملكها ويفلحها « النوابيت » ، وهم فلاحون
أحرار ، يتوارثون حقول أجدادهم ، ويكفلون بمعلمهم المتواصل عيشا شريفا
لأنفسهم وأسرم ، بل تحولت الملكيات الصغيرة إلى ضياع واسعة ، وكان معظم
من يفلحونها من العبيد ، وهي صورة تبدو لنا واضحة بعد ذلك بجيل ، من
أقوال النبيين « إشعياء الأول » (٧٣٤ - ٦٨٠ ق.م) ، و « ميخا » (٧٤٠ -
٧٠١ ق.م) .

هذا فضلا عن أن هناك إشارات ، تعرض لنا بين حين وآخر ، وتدل في
الوقت نفسه ، على الوسائل التي حدث بها هذا التحول ، ويلوح لنا أن ما فعلته
الأميرة السورية « إيزابيل » - زوج الملك الإسرائيلي « أخاب » (٦٩ -
٨٥٩ ق.م) - مع « نابوت » ، اليزرعيل (٣) ، إنما قد حدث بعد ذلك مرارا

-
- (١) عاموس ٢ : ٦ - ٨ ، ٣ : ١٠ ، ٤ : ٦ - ٨ ، حبيب سعيد :
الأنبياء الأقدمون يتكلمون - القاهرة ص ١٥ - ١٧ ، القس عاموس عبد المسيح :
دراسات في عاموس ، ترجمة عاموس عبد المسيح - القاهرة ١٩٦٦ ص ٦٦ - ٧٣
(٢) إشعياء ٥ : ٨
(٣) تتلخص القصة في أن رجلا عبرانيا يدعى « نابوت » ، من بلدة يزرعيل ، =

وتكرارا ، ومن ثم فقد أصبح المالك - وقد أثرت فيه الحروب القاسية التي تشبت على الحدود، فأفقرته وأقلسته - أصبح فلاحا يستأجر الأرض من مالكيها، ثم أصبح آخر الأمر مسترقا ، وارتفع مستوى الترف بين الأغنياء ، وهبط مستوى المعيشة بين الفقراء ، وأخذت الفجوة بين هاتين الطبقتين تتسع على مر السنين (١) .

وقد أدى ذلك كله ، إلى ردود فعل في الكيان الإسرائيلي ، ومن ثم فقد أدرك مشرعوها إسرائيل - سواء أكان ملوكا ، أو كهنة في أكثر الأحيان - أن

== كان يملك كرما بجانب قصر الملك ، أخاب ، فطمع أخاب في كرم نابوت ، ولكن الرجل رفض أن يبيع ميراث أجداده (الكرم) لملك إسرائيل ، فحزن أخاب لذلك ، وعلبت زوجته إيزابيل ، بذلك ، فدبرت مكيده للاستيلاء على كرم نابوت ، ومن ثم فقد أرسلت لشيوخ يورغيل وطلبت منهم أن يتهموا نابوت بالتجديف على الله والملك ويرجموه عقابا له على ذلك ، هو وأولاده ، ونفذ شيوخ يورجيل ما أرادت منهم إيزابيل ، وتم رجم نابوت وأولاده ، وهكذا استولى أخاب ، على الكرم ، لأن العادة عند بني إسرائيل وقت ذلك ، أن يستولى الملك على ميراث الأموات ، الذين لا ورثة لهم ، وقد أدى ذلك إلى أن يغضب رب إسرائيل على أخاب وزوجه ، وأن يطلب من النبي إيليا ، (حوالي عام ٨٥٠ ق.م) إلى أن يذهب إلى أخاب ، وأن يقول له : « في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت ، تلحس الكلاب دمك أنت أيضا ، (انظر : ملوك أول ٢١ : ١ - ٢٢ : ٣٤ - ٣٨ ، ملوك ثان ٩ : ٣٠ - ٣٧ ، قاموس الكتاب المقدس ١/٢ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - بيروت ١٩٦٧)

(١) ملوك أول ٢١ : ١ - ١١ ، قيود ووبنسون : تاريخ العالم - إسرائيل

في ضوء التاريخ ، ترجمة عبد الحميد يونس - القاهرة - ص ١٢١

واجبهم إنما يقتضى التدخل فى النزاع الاجتماعى الذى يقسم الشعب الإسرائيلى إلى فرق وأحزاب ، وهكذا اتجهت مجموعة القوانين المدنية المجسدة فى التوراة أو العهد القديم - التى كتبت على ما يبدو، فى القرن التاسع قبل الميلاد - إلى تحرير العبرانى الذى أصبح عبدا فى تضيية دين بعد ست سنوات ، تقول التوراة : « هذه هى الأحكام التى تضع أمامهم : إذا اشترى عبدا هبرانيا ، فست سنين يخدم ، وفى السابعة يخرج حرا مجانا ، إن دخل وحده يخرج ، وإن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه ، إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنتين أو بنات ، فالمرأة وأولادها يكونون لسيده ، وهو يخرج وحده ، ولكن إن قال العبد : أحب سيدى وامراتى وأولادى لا أخرج حرا ، يقدمه سيده إلى الله ، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ، ويشقب سيده أذنه بالثقب ، فيخدمه إلى الأبد ، (١) .

ويحث المشرع العبرانى صاحب الدين ألا يكون قاسيا ، وألا يحتفظ بالرهن الذى أخذه كضمان لمدة ليلة واحدة ، إن كان هذا الرهن غطاء أخيه العبرانى ، تقول التوراة : « إن أقرضت فضة لشعبى الفقير الذى عندك ، فلا تكن له كالرأبى ، لا تضعوا عليه ربا ، إن ارتهنت ثوب صاحبك ، فإلى غروب الشمس ترده له ، لأنه وحده غطاؤه ، هو ثوبه لجلده ، فى ماذا ينام ، فيكون إذا صرخ إلى أبى أسمع ، لأنى رؤوف (٢) ، ثم يقرر بعد ذلك إعطاء الأرض التى لا تستغل مدة أقصاها سبع سنوات للفقراء الصالحين .

وبدهى أن صدور مثل هذه التشريعات إنما يشير إلى الحال الذى بلغه المجتمع فى ذلك العصر ، فهنا ترى الفوارق بين طبقات المجتمع ، فضلا عن المصير

(٢) خروج ٢٢ : ٢٥ - ٢٧ .

(١) خروج ٢١ : ١ - ٦ .

المحتوم للكثرة المطلقة من أبناء المجتمع ، على الرغم من الإصلاحات العقائدية والاجتماعية ، حتى صدور تشريع يقرر سقوط الدين بعد سبع سنوات (١) .

غير أن هذا التطرف في التشريع ، ومحاولة كسب منافع لطبقة من الشعب ، على حساب طبقة أخرى ، لم يأت بالفائدة المرجوة للإصلاح الاجتماعي (٢) ، ذلك لأن هذه الخطوات - فيما يرى بعض الباحثين - لم تكن إلا « مسكنات ، لفكرة أعمق جذورا ، وأكثر ضرورة ، لإعادة أسلوب الحياة البدوية ، ذلك لأن إسرائيل إنما كانت قد ضلت الطريق منذ أن استوطنت فلسطين ، وكان أملها الوحيد هو الرفض التام لهذه الحضارة ، التي اقتبست من الأجانب ، وهكذا كان اعتقاد « يهوئاداب بن وكاب ، القيني ، الذي فرض على قومه في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ، واجبا دينيا ، وذلك بمراعاة العادات البدوية التي كانوا يسرون عليها من قبل ، كمادة مرعية ، ومن ثم فقد أصد « يهوئاداب ، على أيام الملك الإسرائيلي « ياهو ، (٨٤٢ - ٨١٥ ق.م) دستورا يحتم عليهم الإقامة في الصحراء ، وفي خيام ، وأن تعتمد حياتهم على تربية الماشية ، فلا يبنون بيوتا ، ولا يزرعون زراعا ، ولا يشربون خمرا (٣) - كما أشرنا من قبل -

ولكن معظم الإسرائيليين لم يأخذوا بوجوه نظر « الركابيين ، في أسلوب

(١) تثنية ١٥ : ٢ ، ٢٢ : ٢٠ .

(٢) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٢٠

(٣) ملوك ثان ١٠ : ١٥ - ١٦ ، إرميا ٣٥ : ١ - ١٩ ، فؤاد حسنين :

المرجع السابق ص ١٢٠ ، وهكذا

Adolphe Lods, Israel, From its Beginnings to the Middle of the Eighth Century, London, 1962, p. 399

الحياة ، ذلك لأن القوم إنما كانوا قد تشبعوا بعبادات وسبل الحياة المنتظمة ، ولم يعودوا بقادرين على التخلي عنها ، ورغم ذلك فقد شعر الكثيرون من بسطاء العامة ، بضرورة التمسك بحياة الآداب الصادقة ، وهكذا عاودت القوم ذكريات الأعوام السالفة ، أيام الحياة الصحراوية غير المعقدة ، وأخذوا يلعنون الحضارة المزيفة ، والثراء الفاحش ، على حساب العدالة والمساواة ، لأن متاعب إسرائيل - فيما يعتقدون - إنما تعزى ، في الدرجة الأولى ، إلى انتهاجها نهج الثقافة والحضارة الأجنبية - والكنعانية بوجه خاص - وأن هذه الحضارة الأخيرة قد جلبت على إسرائيل من المضار ، أكثر مما قدمت من خير (١) .

ومع ذلك ، فقد بقيت هذه الأوضاع التي تردى فيها المجتمع الإسرائيلي ، وانتهت إلى سببه المقسم - ور إلى بابل في عام ٥٧٨ ق. م ، وهناك استغل النبي د حزقيال ، (٥٩٣ - ٥٧٢ ق. م) التغيير الجذرى الذى أحدثه السبي البابلي (٥٨٧ - ٥٢٩ ق. م) في نفوس قومه من بني إسرائيل ، وأخذ ينظم المجتمع الإسرائيلى تنظيمًا جديدًا ، قائمًا على توزيع الأراضى بين البطون والعائلات ، دون إعطائها الحق فى امتلاكها ، ومن ثم فقد أصبحت الأراضى ملكًا للدولة ، وأن استثنى ابن الأمير ، إذ أبيع له أن يرث ما كان فى حوزة أبيه .

واعتمد د حزقيال ، فى إصلاحه هذا ، على أن الأرض وما عليها ملك لله ، وأن الإسرائيليين ليسوا مواطنين متمتعين بكافة الحقوق القومية ، بل هم مستأجرون فقط ، وكانت النتيجة المرجوة لهذا التشريع وقف عماليات البيع والشراء ، ورد

(١) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٢٠ ، وكذا

A. Lods, op - cit, P. 400

الأرض التي بيعت بسبب أزمة ، إلى صاحبها ثانية في سنة التحرير التي تجيء كل نصف سنة ، إلا أن هذا القانون لم ينفذ (١) .

وفي عام ٥٣٩ ق. م أصدر العاهل الفارسي د كيروش الثاني ، (٥٥٨ - ٥٣٠ ق. م) ، أمره بالسماح للنفقين من اليهود في بابل بالعودة إلى أورشليم ، إن رغبوا في ذلك ، ربما لأن الجمالية اليهودية في بابل قد ساعدته على احتلال المدينة ، وربما لأن العاهل قد رأى في وجود جمالية يهودية في فلسطين تدين بوجودها إلى إحسانه سيشكل توازنا فعالا ، تجاه الحزب الموالي للمصريين ، الذي طالما برز في شئون فلسطين (٢) .

وأيا كان السبب الذي دفع د كيروش ، إلى السماح لليهود بالعودة ، فإن د نحميا ، (٤٤٥ - ٤٣٣ ق م) قد وصل إلى أورشليم في نيسان (أبريل) من عام ٤٤٥ ق. م ، مفوضا من الحكومة الفارسية ، ثم اتجه - بعد إعادة أسوار أورشليم ، وتجديد الحصون (٣) - إلى إعادة بناء المجتمع اليهودي الجديد بحماس شديد ، وكانت هذه الفترة من أكثر فترات الضغط الاقتصادي والمعاناة ، ومن ثم فقد اضطر كثير من أفراد الطبقة الكادحة - رغبة في الوفاء بالتزاماتهم - إلى رهن أملاكهم إلى من يملكون المال ، وتعرض المعسرون منهم لمصادرة أملاكهم

(١) حزقيال ٤٥ - ٤٦ ، فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٢١

(٢) عزرا ١ : ١ - ١١ ، فيليب حتى : المرجع السابق ص ٢٤٢ ، وكذا

S. A. Cook, CAH, III, Cambridge, 1965, P. 409

وكذا C. Roth, op - cit, P. 53

(٣) أنظر : محمد بيومي مهران : إسرائيل - الكتاب الثاني - التاريخ -

الإسكندرية ١٩٧٨ ص ١٠٥٠ - ١٠٥٩

وفاء لديونهم ، بينما لجأ المعدمون إلى بيع أبنائهم كعبيد ، للحصول على ثمن يبعثهم لسداد ما عليهم من التزامات (١) ، غير أن هذا كله ، إن كان فيه شبهة من شرعية دينية عند يهود (٢) ، فإن هناك أمرا آخر لجأ إليه القوم في هذه الفترة ، تحريمه شرعية يهود ، وهو « الربا » الذي انتشر بين الطبقات اليهودية المختلفة (٣) .

وقد دفع ذلك كله « نحميا » إلى أن يعقد اجتماعا عاما من الأغنياء ، وبخبرهم فيه على جشعهم هذا ، بما أدى إلى أن يقبل معظمهم إعادة الأراضي التي كانوا قد استولوا عليها ، والأموال التي كانوا قد تقاضونها من المعسرين ، في مقابل تأخير سداد الديون ، وكامل من عوامل تحسين ظروف المعيشة في البلاد ، فقد تنازل « نحميا » عن حقوقه في الجزية التي فرضها الحكام السابقون (٤) .

ومع ذلك ، فإن إصلاحات « نحميا » الاجتماعية هذه لم تأت بثمارها المرجوة ، بسبب موقف الكهنة الذين جمعوا في أيديهم جميع السلطات السياسية ، كما أنهم كانوا الإقطاعيين الحقيقيين ، وقد اشتركوا مع آخرين - لم يكونوا أقل منهم ثراء - في توجيه الشعب ، وتكليف المجتمع الإسرائيلي (٥) .

كانت أورشليم بعد العودة من السبي البابلي جمهورية ثيوقراطية ، يحكمها الكهنة الشيوخ (٦) ، ثم انحرفت الساطة تدريجيا بأصحابها ، فأصبحت الكهنوت

(١) C. Roth, op—cit, p. 60

(٢) خروج ٢١ : ٧ - ١١ ، تثنية ١٥ : ١٢ - ١٨

(٣) خروج ٢٢ : ٢٤ ، تثنية ٢٣ : ٩ - ٢٠ ، ٢٤ : ١٠ - ١٢

(٤) C. Roth, op—cit, p. 60

(٥) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٢١

(٦) Ernest Renan, Histoire du Peuple d'Israel, 5, Paris, 1887, p. 40

وسيلة للإثراء ، وغدا السكاهن (كوهين) أسرع الناس إلى جمع المال ، وتحول إلى أرسطوقراطي محافظ يعيش وسط الحرير والنعم ، وينشبت بالأوضاع القائمة ليحافظ على امتيازاته الخاصة ، وينتق العقائد الجديدة الآخذة في الانتشار عن البعث بعد الوفاة ، وعن الثواب والعقاب (١) ، فهو يستمتع بتخيرات الدنيا ،

(١) كانت الديانة الإسرائيلية تجعل الآخرة والحياة بعد الموت - شأنها في ذلك شأن ديانة إخناتون - إذ لم يرد في أى موضع في التوراة ، لإسكان حياة بعد الموت ، وهو أمر يزيد غرابة ، إذا ما علمنا أن الإيمان بالآخرة يمكن أن يتفق تماما مع عقيدة التوحيد، ذلك أن الإسرائيليين إنما كانوا يعتقدون أن الفرد يخدم الرب ، ويتلقى بركاته في الدنيا ، أو ببساطة ، فإنهم ما كانوا يعتقدون أن له روح ، يمكن أن يخلصها من هذا العالم ، وأنها سوف تلتقى البركات في العالم الآخر ، وإنما هو - فيما يعتقدون - إنما يعيش حياته هذه ، وعندما يأتي إلى قبره بعد الموت ، وبعد عمر طويل مديد خصيب ، فإنما هي « النهاية » ، ومن هنا اقتصر دين إسرائيل على الإهتمام بهذه الحياة الدنيا ، وإن اعتقدوا أن الروح عندما تخرج من الجسد ، تحوم حول الميت ، وتتأثر بما يحدث لجثته ، وهذا ما يفسر التنكيل بالقتلى وحرق جثثهم لتعذيب أرواحهم .

وهكذا اعتقد الإسرائيليون أنه من غير الممكن للإنسان أن يتلقى البركات وحكم الرب ، إلا في هذه الأرض فقط ، وبجسده فقط ، وأن العودة إلى الأرض إنما هي البعث ، ذلك لأن الروح تنزل عند الموت إلى عالم سفلى تحت الأرض ، يسمى « شبول » (Sheol) ، وكانت شبول هذه - أو العالم السفلى - تعنى تقيض ما تعنى به الضوء والحياة ، وهى منطقة تكاد تقرب من العدم والنسيان ، تنظر إلى البشر كوحوش ، وتغاق عليهم أبوابها ، دونما أى احتمال للهروب ، إن ساكنها من الأموات مجرد ظلال ، يتميزون بالضعف الشديد ، وهم منقطعون عن تبعية الرب ، ولأنه ليس في الموت ذكرك ، ليس في الهاوية من يحمذك ، وأن

== هناك ووجه آخر للنظر ، يذهب إلى أن الإسرائيليين إنما نظروا إلى الموتى
« الرقايم » ، على أنهم إنما كانوا يملكون قدرات ومعارف فوق طاقة البشر ،
تماما مثل « الإلهيم » ، وأنهم يتحكمون في خصوبة الأرض ، ومن ثم في أعشاب
المرعى ، وقطعان الماعز .

وظل الأمر كذلك ، بل إن أنبياء اليهود إنما قد اشتركوا - مع كتبة
التوراة الآخرين - في عدم الإيمان بأى نوع من الحياة بعد الموت ، إلا أن هناك
نصين في العهد القديم ، يعبران بوضوح عن الإيمان بحياة أخرى ، وأن كلا من
النصين إنما يرجع إلى فترة متأخرة جدا - ربما إلى القرن الثالث والثاني قبل
الميلاد - وليس لواحد منها تأثير على العقيدة في العهد القديم ، وأما أول هذين
النصين ففي جزء ملحق بسفر إشعياء ، وقد جاء فيه : « تحيا أمواتك تقوم الجثث ،
استيقظوا ، قنموا ياسكان التراب ، لأن تلك ظل أعشاب ، والأرض تسقط
الأخيلة » ، وأما الثاني ، ففي سفر دانيال ، وقد جاء فيه « وكثير من الرافدين في
تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار ، إلى
الأذراء الأبدية » .

وأما أسباب هذا التطور ، فيرجع - فيما يرى بعض الباحثين - إلى غدة
عوامل ، منها (أولا) الإحساس بمدالة الله ، وذلك لأن الاختيار البشرى أقوم
على العقول نتيجة منطقية ، مؤداها أنه لا بد أن يكون لله مجال أوسع من هذا
العالم يركى فيه عدله ، « وبعد أن يفنى جلدى هذا ، ويدوى جسدى أرى الله » ،
وقد رسخت هذه العقيدة في عصر المسكابين (١٦٦ - ٦٣ ق.م) ، ومنها
(ثانيا) الرقى المضطرد في الدين الشخصى وعلاقة الإنسان بالله ، كما نرى ذلك
في سفر المزامير ، « الله ليس إله أموات ، بل إله أحياء ، لأن الكل يحبون الله » ،
وليس مستساغا ولا مقبولا أن أنفس البشر التى تستمتع بمثل هذه الصلة مع الله
تنحدر إلى « اللاشيئية » عند الموت ، « أما أنا فالبر ، أنظر وجهك ، اشبع إذا
استيقظت بشبهك » ، ومنها (ثالثا) توقع مجيء ملكوت الرب ، بعد كل أسباب ==

ولا يؤمن بالحياة الآخرة ، ظاهره التدين والاستقامة ، وجوهره الشك
والإنحراف (١) .

وكان هؤلاء الكهنة الإرسطراطيون يخالطون عليه القوم من غير اليهود ، مما
أثار سخط عامة اليهود ، الذين كانوا يعتقدون أن اليهودى الحق ، هو الذى يعزل
غير الأطهار من الأجناس الأخرى ، وبالتالي فقد تكونت فى الظلام جماعات من
« البرجوازية ، الصغيرة ، قليلة المال ، كثيرة التدين ، وهكذا أصبح المجتمع
الإسرائيلى آخر الأمر ، يتكون من أغنياء زنادقة ظالمين ، وفقراء متدينين ،
ويصور الإنجيل هذا الوضع ، بقوله : « طوباكم أيها المساكين ، لأن لكم ملكوت
الله ، طوباكم أيها الجياع الآن ، لأنكم تشبعون ، طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم

= الفشل والحياة التى طانتها الأمة ، فلا يعقل أن الذين جاهدوا وكافحوا
وحاربوا وماتوا فى سبيل قضية الأمة وتحقيق آمالها ، لا يكون لهم نصيب فى
ذلك اليوم المجيد ، (أيوب ١٩ : ٢٦ ، ٢٦ : ٥ ، إشعياء ١٤ : ٩ - ١١ ، ٢٦ :
١٤ ، ١٩ ، جامعة ٩ : ١٠ ، مزمور ١٧ : ١٥ ، ٨٨ : ١٠ ، أمثال ٢ : ١٨ ،
حبيب سعيد : أديان العالم ص ١٨٢-١٨٣ ، محمد بيومى مهران : النبوة والأنبياء -
الإسكندرية ١٩٧٨ ص ١٠٢ - ١٠٥ ، وكذا

Sigmund Freud, *Moses and Monotheism*, N. Y, 1939, p. 18-29

E. W. Heaton, *The Old Testament Prophets*, (Penguin Books), 1969, p. 134-137

Ernest Renan, *Histoire du Peuple d'Israel*, I, p. 128 F

L. G. Levy, *la Famille dans L'Antiquite ISraelite*, Paris, 1905, p. 33 F

(١) ثروت الأسيوطى : المرجع السابق ص ١٩٧ - ١٩٨

ستضحكون ، و د ويل لكم ايها الاغنياء ، لانكم قد نلتم عزائكم ، ويل لكم ايها
الشباعى لانكم ستجوعون ، ويل لكم ايها الضاحكون الآن ، لانكم ستحزنون
وتبكون (١) .

ومن البدى أن يجذب عامة اليهود إلى البرجوازية الفقيرة ، وتأزم الموقف
بين الفقراء (ويمثلهم الفريسيون) والاغنياء (ويمثلهم الصدوقيون) ، أى بين
الكنهنة الاثرياء والبرجوازية الفقيرة ، وكالعادة تمكنت هذه الاخيرة من إثارة
الشعب على الاغنياء ، ولما هُدم د تيتوس ، معبد اورشليم فى عام ٧٠ م ، انتهى
حكم الكهنة الاثرياء (الصدوقيين) ، وانتقلت الزعامة إلى البرجوازية الصغيرة
(الفريسيين) ، وهى التى سيطرت على اليهود حينما خرجوا إلى الهجرة منذ العصر
الملىنى ، بينما تحول الصدوقيون إلى طائفة من الخوارج (٢) .

(١) لوقا ١ : ٢٠ - ٢١ ، ٢٤ - ٢٥

(٢) ثروت الاسيوطى : المرجع السابق ص ١٩٨

الفصل الثاني

الأسرة

(٢) النظام الأبوي

كانت الأسرة النواة الحقيقية للحياة الاجتماعية العبرية ، وذلك إلى حد أبعد مما كانت عليه الحال في المجتمع البدوي القديم ، وكانت سلطة الأب هي السلطة العليا في المجتمع العبري ، وإن لم نعلم آثارا من سلطة الأم (Matriachy) إذ نجد بعضا من النساء ، مثل « ليثة » التي كانت أما لقبائل « راثيين وشعمون ولاوي (ليني) ويهوذا وزبولون ويساكر ، وكذا « راحيل ، أم يوسف وبنيامين ، ومنهما انحدرت بطون كثيرة ، والأمر كذلك بالنسبة إلى « زلفة ، و « بلهة ، وغيرهن .

هذا ويعمل بعض الباحثين بإباحة زواج الأخت ، وامرأة الأب ، وامرأة الابن (١) ، بعدم الاعتراف بصحة النسب إلى الأب ، مع الجزم بصحة نسبه إلى الأم ، وقد ظل الاعتراف باثبات صحة النسب عن طريق الأم قويا تردده الأسفار المقدسة (٢) ، كحق الأم في التبني ، ومنح الاسم ، وكذا الميراث حسب نسبها (٣) ، فكل هذه الظواهر وغيرها دليل على أن الأسرة الإسرائيلية مرت بطور سيادة الأم وهيمنتها عليها ، ومن هنا نفهم نص سفر التكوين الذي يقول: « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويكونان جسدا واحدا (٤) ،

(١) حوقيال ٢٢ : ١٠ - ١١ (٢) تكوين ٤٢ : ٢٨ ، ٤٣ : ٢٩ ، ٤٤ : ٢٠

(٣) تكوين ٢١ : ١٠ ، ٣١ : ٣٠ (٤) تكوين ٢ : ٢٤

وإن كان الأبناء حين يتزوجون ، إنما يبقون - في غالب الأحيان - مع الأسرة ، الأمر الذي أدى بطبيعة الحال ، إلى أن يتسع بيت الأب (١) .

وعلى أى حال ، فإن سلطة الأب إنما ترجع إلى أن الرجل في مجتمعات الرعى والزراعة ، هو الذى يهيمن على الثروة الاقتصادية ، حيث يسود النظام الأبوى ، وتظهر الأسرة البطريركية ، (Patriarcat) ، فينحدر النسب عن طريق الأب ، ويتمتع هذا الأخير بسلطة كبيرة داخل الأسرة ، فهو رأس الأسرة (Paterfamilias) ، وزعيمها الدينى المشرف على طقوسها ، ورسخت مع الأسرة البطريركية « عبادة الأسلاف » ، تدعياً لمركز الأب ، فارتفع الرجل بعد وفاته إلى مصاف الآلهة ، بينما هبط مركز المرأة إلى مستوى الماشية ، يملك عليها الرجل حق الحياة والموت ، فهى وأولاده فى مصاف رقيقه وأمواله ، ولا أدل على ذلك من أن كلمة « Familia » ، عند قدامى الرومان ، وكانت تعنى الحقل والبيت والنقود والعميد - أى التركة التى تنتقل إلى الورثة - كانت المرأة جزءاً من « الفمبليا » ، أى من ثروة الرجل (٢) .

هذا ولم تخرج أنظمة بنى إسرائيل عن الأنظمة السائدة لدى قبائل الرعى ، وفى مقدمتها « النظام الأبوى » ، فالولد ينسب إلى الأب ويلتحق بشيرة الأب ،

(١) محمد جمعة : النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية ص ١٠ ، وكذا

W. R. Smith, Lectures on the Religion on the Semites, London, 1925, p. 88

(٢) ثروت الأسيوطى : المرجع السابق ص ١١٥ ، على بدوى : أبحاث فى

تاريخ الشرائع - مجلة القانون والاقتصاد - القاهرة ١٩٣١ م ص ٧٢١ ، ٧٤٦

و « البيت » العبرى ليس الاسرة الزوجية الحديثة التى تقتصر على الرجل وزوجته وأولادهما المباشرين ، بل هى الاسرة البطركية المعروفة عند قدامى الرومان ، إذ يتكون « بيت » بنى إسرائيل ، من ارجل ، وعدد من الزوجات والسرارى (الإماء) والأولاد من الزوجات والسرارى وزوجات الأولاد والأحفاد ، بالإضافة إلى العبيد و « الجيريم » (الجيران) (١) .

ويرأس الاسرة العبرية الأب ، ويسمى « روش » (أى رأسا) (٢) ، ويتمتع بسلطات قضائية مطلقة (٣) ، ويختار وريثه فى حرية تامة (٤) ، ويستطيع التصرف فى أبنائه كما يشاء . « فله أن يبيع ابنته أمة لمن يرغب فى شرائها (٥) ، بل كان يملك عليهم حق الحياة والموت ، يقتلهم إذا شاء (٦) ، أو يقدمهم قربانا للرب (٧) ، ويمتد هذا الحق إلى كل من يعيش فى سكتف الأب ، فله أن يحرق زوجة ابنه المتوفى إذا زنت (٨) .

وكان الرجل « بعل » المرأة ، أى سيدها ، وهى تخاطبه بعبارة « سيدى » ،

(١) ثروت الأسيوطى : المرجع السابق ص ١٥٣ ، وكذا

A. Lods, op-cit, p. 217 F وكذا L. G. Levy, op-cit, p. 79, 131 F

(٢) أخبار أيام أول ٧ : ٧ (٢) تكوين ٢٨ : ٢٤

(٤) تكوين ١ : ٢٧-٤٥ ، وأنظر : محمد بيوى مهران : إسرائيل - الكتاب

الأول - التاريخ ص ١٨٩-١٩٥ ، وأنظر : تكوين ١٤ : ٤٨ وما بعدها .

(٥) تكوين ٢١ : ٧-١١ (٦) تكوين ٤٢ : ٢٧

(٧) تكوين ٢٢ : ١٠

(٨) تكوين ٢٤ : ٢٨ ، ثروت الأسيوطى : المرجع السابق ص ١٥٣-١٥٤

وكذا A. Lods le Culte des Ancetres dans L'Antiquite Hebraique. p.6

والفرحة بمولد الابن ، أعظم منها عند مولد البنت (١) . شأنهم في ذلك شأن بقية الساميين ، والعرب (٢) بصفة خاصة . لأن سلالة الذكور هي التي تحفظ لإسرائيل ،

(١) تكوين ٣٥ : ١٧ ، خروج ٢١ : وكذا

A bdal — Aziz Bourham, De La Condition De La

Femme dans L' Antiquite Hebraique, Alexandria, 1959, p. 19

(٢) كان العرب يفضلون الذكور على الإناث ، ومن ثم فإذا ولدت المرأة ولدا ، هنا ما أفراد القبيلة وذبحوا الذبائح ، لذلك كان يقال « بالرفاء والبنين ، ، لا البنات ، ، وكان الأب — في الغالب — يسمى باسم ابنه ، ومن هنا كانت « التكنية ، بـ « أبي ، وعلى العكس من ذلك ، كان العرب — وبخاصة البدو — يتفرون من نسل الإناث خوف العار ، أو السبي ، أو خشية الإملاق ، وكانوا إذا متوا بنت قالوا : « آمنكم الله عارها ، وكفاكم مؤقتها ، وصاهرتم القبرة ، (نهاية الأرب للـسويدي ١٢٦/٣ ، ١٩٦ ، الميداني : جمع الأمتال ١/٦٦ ، محاضرة الأدباء ١/٢٠٤ ، أحمد محمد الحوني : المرأة في الشعر الجاهلي ص ٢٣٠)

ويصور القرآن الكريم كراهية العرب للبنات في قوله تعالى « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ، أم يدسه في التراب ، الأساء ما يحكون » (سورة النحل : آية ٥٨ - ٥٩ وأنظر : تفسير روح المعاني ١٤/١٦٠ - ١٦٨ ، تفسير الكشاف ٢/٤١٤ ، تفسير ابن كثير ٤/٢٠٠ - ٢٠٢ ، تفسير القرطبي ١٠/١١٦ - ١١٨ ، في ظلال القرآن ١٤/٢١٧٤ ، ٢١٧٨ - ٢١٧٩ ، تفسير الطبري ١٤/٨٣ - ٨٤) .

وهكذا يصور القرآن الكريم حال الرجل في الجاهلية ، إذا بشره بولادة بنت له ، فيحزن ويسود وجهه من الحزن ، ويحتل بنفسه ، ويفكر في الاحتفاظ =

وتنخذ ذكراها ، بل إن شريعة الطهارة من النفاس عند يهود ، إنما تختلف بالنسبة إلى المولود الذكر ، عنها بالنسبة إلى الأنثى ، فالمرأة الإسرائيلية تكون نجسة لمدة سبعة أيام ، إذا ولدت ذكرا ، ولا بد أن تقدم تضحية الطهارة لمدة ٣٣ يوما ، وأما إذا كان المولود أنثى ، فإن نجاستها تستمر ١٤ يوما ، وتضحية طهارتها ٦٦ يوما ، تقول التوراة : « وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى إسرائيل قائلا : إذا حملت امرأة وولدت ذكرا ، تكون نجسة سبعة أيام ، كما في أيام طمث عنتها تكون نجسة ، وفي اليوم الثامن يخنن لحم غرلتها ، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما في دم تطهيرها ، كل شيء مقدس لا تمس ، وإلى المقدس لا تجيء ، حتى تكمل أيام تطهيرها ، وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما في طمثها ، ثم تقيم ستة وستين يوما في دم تطهيرها ، ومضى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتي بخروف حولى محرقة ، وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية ، إلى باب خيمة الاجتماع ، إلى الكاهن ، فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها ، فتطهر من يفتوح دمها ، هذه شريعة التي تلد ذكرا أو أنثى (١) . »

ومع ذلك فهناك رواسب من نظام أموى سابق ، فكلمة « البطن » ولفظ « الأمة » (من أم) يستخدمان للدلالة على فروع العشيرة ، وقد ظلت الأم مدة طويلة تحتفظ بالحق في تسمية أولادها ، كما كانت الزوجة تبقى أحيانا مع أهلها ،

== هذه البنت مع احتمال المذلة والهوان في ذلك ، أو دفنها حية (محمد بيومى مهران : مركز المرأة في الحضارة العربية القديمة - مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - العدد الأول - الرياض ١٩٧٧ ص ٢٣٢ - ٢٣٥) .

(١) لاويون ١٢ : ١ - ٧

ويتردد الزوج عليها من وقت لآخر (١) ، والخيمة كانت ملك المرأة لا الرجل ، باعتبار أن الزوج ينتقل إلى زوجته (٢) ، وموانع الزواج تأتي من ناحية الأم لا الأب (٣) ، وإن كان هناك من يذهب إلى أن أحدا لم يستطع أن يجمد آثارا لسيطرة الأم في التاريخ الإسرائيلي القديم (٤) .

على أن الزوج ، رغم استمراره ، بعلا ، للمرأة (٥) (أي سيدها) ، ورغم استمراره في التمتع بقدر كبير من السلطة داخل بيته ، حتى أنه يستطيع أن يلغى عقود زوجته وابنته (٦) ، إلا أن جانباً كبيراً من سلطة الرجل ، سرعان ما تنتقل بالتدريج إلى شيوخ المدينة ، نتيجة لتنظيم السياسي بعد سيطرة الإقطاع ، فلم يمسد الأب يملك حق الحياة والموت على أولاده ، وأصبح ملزماً بأن يعرض الأمر على شيوخ المدينة يشكو لهم ابنه المارد ، فيصدرون ثم القرار بالرجم حتى الموت .

ورأى الإقطاع ضرورة المحافظة على الملكيات الكبيرة ، فتحدد للإبن الأكبر نصيب اثنين ، وامتنع على الأب تجريدته من الميراث ، فإن لم يوجد ولد ، ورثت

(١) قضاة ٣١:٨ ، ١٠:١٥ ، خروج ١٨:٤-٢٠ ، وكذا

A.A. Bourham op-cit. p. 25-34 ثم قارن A. Lods, op-cit, p. 218 F

(٢) تكوين ٦٧:٢٤ ، ٣٣:٣١ ، قضاة ١٧:٤

(٣) ثروت الأسيوطى : المرجع السابق ص ١٥٤-١٥٥

Abdul - Aziz Bourham, (٤)

De La Condition De Le Femme dans L' Antiquite Hebraique,
Alexandrie, 1959. p. 19

(٦) عدد ٣ : ٤ - ٤

(٥) تثنية ٢٢ : ٢٢

البنات ، وإن لم توجد خلفه ورثت الزوجة ، مع تقرير حق استرداد الأرض
بالشراء لأقارب المتوفى من الذكور ، كما أدت ثورة الأنبياء إلى منع الأب من
عرض ابنته للزنا (١) .

وقد حلت - نتيجة لتلاشي الملكية الجماعية - الأسرة محل العشيرة ، وزال
التضامن بين الأعضاء ، ولم تعد تز وازرة ووزر أخرى ، فبعد أن كان «يهوه»
- رب إسرائيل ، « يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع (٢) »
وبعد أن كان « الآباء يأكلون الحصرم ، والأبناء يضرسون (٣) » ، أمسى لا يقتل
الآباء عن الأبناء ، ولا الأبناء عن الآباء ، وإنما يهازي «يهوه» كل امرئ
وفقا لما آتاه (٤) ، وأن كل الأرواح من يهوه ، وكل من يموت فن أجل
خطيئته (٥) ، وأن أحدا ليس يتقادر على إنقاذ الآخرين ، وأن ما يعمل الفرد
لا يقع وزره على جماعة هذا الفرد أو نسله ، وأن كل إنسان مسئول
عن عمله (٦) .

(١) تثنية ٢١ : ١٥-٢١ ، راعوث ٤ : ٢-٥ ، لاويون ١٩ : ٢٩ ، ثروت
الأسبوطى : المرجع السابق ص ١٧٦

(٢) خروج ١٥ : ٢٠ (٣) حزقيال ١٠ : ١٨ (٤) تثنية ١٦ : ٢٤

(٥) حزقيال ١٠ : ١٨-٤ ، ٢٩ : ٢٥ ، إرميا ١٧ : ١٠ ، ٣١ : ٢٩ ، ٣٠

(٦) حزقيال ٨ : ١٤ وكذا

ثانيا : الزواج

كان الزواج عند الإسرائيليين تحضيقا لرغبة إلهية - فضلا عن إشباع حاجة الرجل والمرأة الطبيعية - فإله، أو يهوه - فيما يرون - عند ما خلق الإنسان ذكرا وأنثى ، قال لهم : « اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض (١) » ، هذا إلى جانب أن الرجل منهم ، إنما كان لا يرى سعادته في كثرة بهائم أو في إزدهار محصوله ، وإنما كان يجد السعادة في زوجته وأولاده ، « هوذا البنون ميراث من عند الرب ، ثمرة البطن أجرة ، كسهم بيد جبار ، هكذا أبناء الشيبعة ، طوبى للذي ملأ جعبته منهم لا ينجزون ، بل يكلمون الأعداء في الباب (٢) » .

هذا فضلا عن أن الرجل إنما كان يجد في زوجته عونًا له في الحقل ، وفي البيت ، ومن ثم فالزواج - عند القوم - لا يقوم في الغالب على الحب ، لأنهم كانوا يختطون لأطفالهم ، كما كان الواحد منهم ، هو الذي يختار زوجة ولده (٣) .

وإنطلاقًا من هذا ، فإن الإسرائيليين ، إنما يعتبرون أن بقاء اليهودي أو اليهودية في العزوبة أمرًا منافيًا للدين ، ذلك لأن شريعة يهود تفرض الزواج على كل يهودي ، وأن الذين يبقون عزابا يتسببون في أن يتخلى الله عن شعبه إسرائيل ومن ثم فالزواج فرض على كل إسرائيل (٤) ، وهكذا تفرض التوراة على كل يهودي أن ينشئ بيتًا (٥) ، وترى في الامتناع عمدا عن الإنجاب خطيئة كبرى

(٢) مزمو ١٢٧: ٣-٥

(١) تكوين ١: ٢٨

A. Bourham, op - cit, P. 68-68

(٣)

وكذا C. N. Starcke. la Famille primitive. paris, 1891. p. 262

(٤) م. حاي بن شمعون : كتاب الأحوال الشرعية في الأحكام الشخصية

للإسرائيليين - مطبعة كوهين وروزنتال بمصر - ١٩١١ م ص ٧ (مادة ١٦٦) ، وكذا

Jean de Pauly. Code Civil et penal du Judaïsme. paris, 1896. no. 393

(٥) تثنية ١٤: ٢٦ ، وأنظر : حزقيال ٤٤: ٣٠

عقابها إلهي ، يصل إلى حد الموت (١) .

ويشايح التلمود الإتجاه نفسه ، حينما يقول : إن بيت كل رجل هو امرأته ، غير أن مجتمع التجارة لم يعد في حاجة إلى كثرة الأولاد ، مثل مجتمع الرعي أو الزراعة ، فالتجارة دخلها من ربح الصفقات التجارية ، لا من الأيدي العاملة ، لذلك لم يلق التلمود على عاتق كل يهودي سوى واجب الإنسال بما لا يقل عن ولدين ، على أن يكونا صبيين - قياسا على ما فعل موسى إذ أنجب ولدين ، هما جرشوم واليعازر - ، أو صبيا وصبية - وفقا لمدرسة هلال ، قياسا على أن الله خلق الناس ، ذكرا وأنثى - (٢) .

(١) الزواج من الداخل :

اتبع الإسرائيليون قاعدة الزواج من الداخل بإطراد ، بالنسبة إلى الرجل والمرأة على السواء ، اتباعا لأوامر ربهم د يهوه ، الذي حرم على شعبه إسرائيل أن يتزوجوا من غير بنات يهود ، أي د من الأمم الذين قال عنهم الرب ليفي إسرائيل ، لا تدخلون إليهم ، وهم لا يدخلون إليكم ، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم (٣) ، ، ومن ثم د فلا تصاهرهم ، بنتك لا تعط لابنه ، وابنته لا تأخذ ابنك (٤) ، ، وهكذا فالرجل منهم إنما يختار زوجته من داخل عشيرته ، هكذا فعل الخليل - عليه السلام - حينما بحث عن قرينة لولده إسحاق ، إذ أمر خادمه

(١) تكوين ٢٨ : ٩ - ١٠

(٢) تكوين ١ : ٢٧ ، خروج ١٨ : ٣ - ٤ ، ثروت الآسيوطي : المرجع

السابق ص ٢٠٤

(٤) تثنية ٧ : ٣

(٣) ملوك أول ١١ : ٢

« أليعازر الدمشقي ، ألا يسمى إلى بنات كنعان ، وإنما يذهب إلى عشيرة إبراهيم ، وإلى أرض آباته في « فدان أرام ، ليأتي لإسحاق بزوجة من هناك (١) ، ، وقد قام جدل طويل بين العلماء حول هذا الزواج الداخلي (٢) - الأمر الذي سبق أن ناقشناه في هذه الدراسة (٣) .

هذا وقد أوصى إسحاق بدوره ولده يعقوب ، ألا يتزوج من بنات كنعان ، بل يرحل إلى بنات خاله « لابان » (٤) ونقرأ في التوراة أن « عيسو ، عندما ارتبط بامراتين من الحيثيين ، فاضت نفس أبيه بالمرارة ، ومن ثم فقد ذهب إلى ديار عمه « إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، ، عليها السلام ، وتزوج من ابنته « حلة » (٥) .

غير أن قارىء التوراة ، إنما يجد فيها أدلة تكاد لا تحصى على مخالفة يهود لمبدأ الزواج من الداخل ، بل إن القوم إنما قد استمروا يخالفون شريعة التوراة هذه ، ويتزوجون من جيرانهم ، على مدى تاريخهم القديم كله ، وسواء أكانوا

(١) تكوين ٢٤ : ١ - ٦٦

(٢) كان العربي - كاليهودى - يفضل أن تكون زوجته من نفس قبيلته ، فقرة التقاليد والرغبة في نقاء الجنس - وهما أمران لها أهمية كبيرة في الحياة القبلية - تجعلان من اتخاذ الزوجات الأجنبية أمرا بنحيضا ، هذا فضلا عن اعتقاد البعض منهم أن ابنة العم أصبر على ريب الزمان ، ومنهم بنو عيس (المبدائي : مجمع الأمثال ٢/٢٧٠ ، الملاحظ : البيان والتبيين ٢/٦٨ ، ابن قتيبة : عيون الأخبار ١٩٧/١)

(٣) محمد بيوى مهران : إسرائيل - الكتاب الأول - التاريخ ص ١٨٥-١٨٩

(٤) تكوين ٢٨ : ١ - ٨ . (٥) تكوين ٢٨ : ٩ - ١٠

يقيمون في مصر أو في فلسطين أو في بابل ، أو حتى بعد ذلك حين تشتتوا في كل أرجاء الأرض ، بعد نهاية دولتهم في فلسطين .

وهكذا نقرأ في التوراة أن « يهوذا - الابن الرابع ليعقوب - إنما قد تزوج من امرأة كنعانية ، دونما أى تريب (١) ، وأن « شمعون ، - الابن الثاني ليعقوب - قد تزوج من كنعانية كذلك ، ورزق منها بولده « شاول ، (٢) وأن « يوسف الصديق ، قد تزوج من « أسنات ، بنت « فوطى فارح كاهن أون ، المصرية ، وأنجب يوسف الإسرائيل من « أسنات ، المصرية ، ولديه « منسى وأفرام ، (٣) ، وأن موسى - صاحب التوراة نفسه - إنما قد تزوج من امرأة عريية من « مدين ، ، هي « صفورة ، ، وقد رزق منها بولديه « جرشوم واليعازر (٤) .

وفي عصر القضاة نرى « جدعون ، يتزوج امرأة كنعانية من « شكيم ، أنجبت له ولده « أيبالك ، (٥) ، ثم هناك « يفتاح الجلعادي ، (٦) ، فضلا عن « شمشون الذى تزوج بامرأة من « تمنه ، (٧) ، بل إن التوراة لتشير إلى أن الزواج من الداخل في عصر القضاة هذا ، لم يقتصر على قضاة إسرائيل الكبار ، وإنما بدأ وكان الإسرائيليين قد نسوه تماما ، تقول التوراة : « وسكن بنو إسرائيل وسط الكنعانيين والحيتيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء ، وأعطوا بناتهم لبناتهم ، وغبدوا آلهم (٨) .

(١) تكوين ٢ : ٣٨ (٢) تكوين ٤٦ : ١٠

(٣) تكوين ٤١ : ٤٥ - ٥٢ (٤) خروج ٢ : ٢١-٢٢ ، ١٨ : ٢ - ٤

(٥) قضاة ٨ : ٣١ (٦) قضاة ١١ : ١

(٧) قضاة ١٤ : ١ - ٢٠ (٨) قضاة ٣ : ٥ - ٦

وعلى أى حال ، فلم يكن الإسرائيليون يزوجون بناتهم من الأجانب ، ومن ثم فإننا نقرأ فى التوراة - وعلى مدى إصباح كامل من سفر التكوين - عن ابنة يعقوب ودينة ، ، وقد شغف بها شكيم بن حمور الحوى ، حبسا ، ونال منها وطره ، ثم عرض على أبيها أن يزوجها له ، فقبل الأب ، واشترط أخواها - شمعون ولاوى - أن يخبثن قوم شكيم قبل الزواج ، ثم سرعان ما يخبثل الأخوان الفرصة ، ويجندلان بسيفهما كل ذكور المدينة ، ويسبيان نساءها وأطفالها ، ويستوليان على غنم القوم وحميرهم ، وكل ما فى المدينة وما فى الحقل (١) .

وقد يظن البعض أن ولدى يعقوب قد فعلا بينى شكيم مافعلا ، انتقاما للعرض المستباح ، ولكن الحقيقة غير ذلك تماما ، لأنها فعلا ذلك إيمانا منها بعدم كفاءة ابن الرئيس الحوى للزواج من اختها ، فضلا عن أن بنى إسرائيل ما كانت بناتهم تزوج من الأجانب ، بدليل أن التوراة لا تحرم زواج الفتاة بمن يفتض بكارها قبل أن يكون بعلا لها ، غير أنها تفرض عليه ألا يطلقها بعد ذلك أبدا ، تقول التوراة : « إذا وجد رجل فتاة هنراء غير غطوية فأمسكها واضطجع معها فوجد ، يعطى الرجل الذى اضطجع معها لأبى الفتاة خمسين من الفضة ، وتكون هى له زوجة من أجل أنه قد أذلها ، لا يقدر أن يطلقها كل أيامه (٢) . »

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أنه من الأسباب الرئيسية للزواج من الداخل عند بنى إسرائيل ، الاحتفاظ بثروة العشيرة داخل العشيرة نفسها ، حتى يأمن أبناؤها مورد الرزق ، ويعلمتوا على لقمة الغد ، لذلك حرم على البنات الزواج من خارج العشيرة ، وتروى التوراة فى هذا المعنى ، أن رؤساء الآباء من

(١) تكوين ٣٤ : ١ - ٣١ (٢) تثنية ٢٢ : ٢٨ - ٢٩

عشيرة جلعاد من سبط منسى ، تقدموا إلى موسى ، وقالوا : « قد أمر الرب سيدى أن يعطى نصيب صلفحاد أخينا لبناته ، فإن صرنا نساء لأحد من أسباط بنى إسرائيل ، يؤخذ نصيبهن من نصيب آبائنا ويضاف إلى نصيب السبط الذى صرن له ، فن قرعة نصيبنا يؤخذ ، فأمر موسى بنى إسرائيل حسب قول الرب قائلا : « بحق تكلم سبط بنى يوسف ، هذا ما أمر به الرب عن بنات صلفحاد ، من حسن فى أهبنهن يكن له نساء ، فلا يتحول نصيب لبنى إسرائيل من سبط إلى سبط ، بل يلزم بنو إسرائيل كل واحد نصيب سبط آبائه ، وكما أمر الرب موسى ، كذلك فعلت بنات صلفحاد ، فصارت محلة وترصة وحيلة وملكة ونوعة ، بنات صلفحاد ، نساء لبنى أعمامهن ، صرن نساء من هشائر بنى منسى بن يوسف ، فبقى نصيبهن فى سبط عشيرة أيهن (١) . »

وهكذا انتشرت عادة الزواج من بنات العم ، حتى لا يتحول نصيب لبنى إسرائيل من سبط إلى سبط ، وحين عاد اليهود من السبي البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد ، وأقاموا الدولة الشيوقراطية ، وغدت الأرض ملك الله ، لا يتمتع مستغلبا إلا بحق حيازتها ، زالت أهمية الأروة كدافع إلى الزواج من الداخل ، وهكذا صدر سفر اللاويين من التوراة يوسع من نطاق المحارم ، حتى شملت زوجة العم ، وامرأة الابن ، والجمع بين الاختين ، أو بين الام وابنتها ، وغير ذلك (٢) .

ولعل ما تجدر الإشارة إليه هنا ، أن عادة الزواج من الداخل ، إنما قد وصلت عند اليهود إلى حد غير مقبول فى آية شريعة صهاوية - أو حتى فى أى

(٢) لاويون ١٨ : ٦ - ١٨

(١) عدد ٣٦ : ١ - ١٢

بجتمع متحضر - ومن هنا لم تكن عند الإسرائيليين محارم من جهة الأب ، فكان الزواج بالعمة وابنة الأخ ، بل والأخت لأب ، فقد تزوج د عيرام ، عمته د يوكابد ، وولدت له هارون وموسى (١) ، وتزوج د ناحور ، ابنة أخيه د هارون (٢) ، ويقول إبراهيم الخليل عن امرأته د سارة ، - كما جاء في التوراة - وبالْحَقِيقَةُ أَيضاً هِيَ أُخْتِي ابْنَةُ أَبِي ، غير أنها ليست ابنة أمي ، فصارت لي زوجة (٣) .

بل إن هناك ما يدل على أن الزواج بالأخت لأب ، إنما ظل مباحاً حتى عهد الملكية الإسرائيلية ، فعندما هام دأمنون بن داود ، بأخته غير الشقيقة دتامار ، وأراد أن يقضى منها وطره ، استمهلتها واقترحت عرض الأمر على الملك (أى أيهما داود ، عليه السلام) ، فهو لن يمانع في زواجهما (٤) .

وفي الواقع أنه لم يصدر النهي عن الاتصال بالأقارب والأصهار ، إلا في سفر التثنية - وهو الذي قيل أن الكاهن حلقيا ، وجده في المعبد عام ٦٢٢ ق.م - أثناء الإصلاح الديني في يهوذا ، ومن خلال ثورة إرميا النبي (٦٢٦-٥٨٠ ق.م) ، فانطبع سفر التثنية بذلك كله ، ومن ثم فقد صدر يحرم الاتصال بزوجة الأب ، والأخت لأب ، والأخت لأم ، والحماة ، والبيمة (٥) .

وفي حوالي عام ٢٩٨ ق م ، عاد د عزرا ، من السبي البابلي (٦) ، وكانت

(١) خروج ٦ : ٢٠ (٢) تكوين ١١ : ٢٩ (٣) تكوين ٢٠ : ١٢
(٤) صموئيل ثان ١٣ : ١٢ ، حيث تقول الآية : د والآن كلم الملك ، لأنه لا ينبغي منك .
(٥) تثنية ٧ : ٢٠ - ٢٣
(٦) أنظر عن هذا التاريخ : محمد يوسى مهران : إسرائيل - الكتاب الثاني - التاريخ ص ١٠٥٩ - ١٠٦١

مشكلته الرئيسية - بعد إعلان الشريعة التي احضرها معه من بابل - هي « الزواج المختلط ، بين يهود وجيرانهم ، والتي أصبحت - كما تشير نصوص التوراة - مشكلة خطيرة ، تقول التوراة - على لسان عزرا - « لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الارض حسب رجاساتهم ، من الكنعانيين والحيتيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والمؤابيين والمصريين والاموريين ، لانهم اتخذوا من بناتهم لانفسهم ولبنيتهم ، واختلط الروح المقدس بشعوب الاراضى ، وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الحياة أولا (١) .

ويستمر « عزرا » فى روايته معلنا الله من هذه الحياة لرب إسرائيل ، فيقول « اللهم انى اخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهى وجهى نحوك ، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤسنا ، وآثامنا تعاضمت إلى السماء ، منذ أيام آبائنا ، نحن فى إثم عظيم إلى هذا اليوم (٢) ، ذلك لأن ربهم « يهوه » ، إنما قد حذرهم من مصاهرة الأمم الأخرى ، ولسكنهم كانوا دائماً وأبداً ، يصاهرون هذه الأمم (٣) .

ويجتمع « عزرا » برؤساء بيوت إسرائيل ، لعمل إحصاء لكل من صاهر قوماً من غير الإسرائيليين ، فوجد من بين الكهنة الكثير من اتخذوا نساء غريبة ، والأمر كذلك بالنسبة إلى اللاويين والمنفيين ، « كل هؤلاء قد اتخذوا نساء غريبة ، ومنهن نساء قد وضعن بنين (٤) » .

ويرى بعض الباحثين أن « عزرا » قد استصدر أمراً من ملك الفرس ، أسبغ

(١) عزرا ٩ : ١ - ٤
(٢) عزرا ٩ : ٦ - ٧
(٣) عزرا ٩ : ١٤
(٤) عزرا ١٠ : ١ - ٤٤

به على تشريعه صفة الإلزام ، ومن ثم فقد استخدم القوة في هدم الزوجات المختلطة القائمة ، وشتت الأسر بالعنف ، وشرد الأطفال الأبرياء ، وتم كل ذلك باسم الدين ، ، لاستئصال الرجز من بني إسرائيل ، وفي ذلك نرى « عزرا » يفوق « نحميا » (٤١٥ - ٤٢٣ ق.م) الذي اكتفى بلعن هؤلاء الأزواج وجلدهم ونزع شعورهم ، ثم استحلقتهم بالله قائلاً : « لا تعطوا بناتكم لبنينهم ، ولا تأخذوا من بناتهم لبنينكم ولا لأنفسكم (١) . »

(٢) حرية اختيار الزوج :

كان الأب العبراني هو صاحب الكلمة الأخيرة في زواج أبنائه وبناته ، بل إنه إما كان في استطاعته أن يبيع ابنته لمن يعرض الثمن (٢) ، أو يدفع بها زوجة لمن يعاين الرجال ، وكان من حقه كذلك أن يختار زوجة لابنته دون استشارة (٣) ، إذ كان من غير المقبول لدى القوم أن يختار الابن عروسه بنفسه (٤) ، وهكذا كان رضا الطرفين عند بني إسرائيل - شأنهم في ذلك شأن الكثير من القبائل البدائية - ليس أمراً لازماً لانعقاد الزواج ، ومع ذلك فقد كان يؤخذ أحياناً رأى الزوجين (٥) ، وطبقاً لرواية التوراة ، فقد أخذ «لابان» رأى أخته «رفقة»

(١) نحميا ١٣ : ٢٣ - ٢٨ ، عزرا ١٠ : ١٠ - ١٢ ، ثروت الآسيوطي : المرجع السابق ص ١٨١

(٢) خروج ٢١ : ٧ (٣) تكوين ٢٤ : ٢ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٢٣ : ٢٣٨ ، ٦

(٤) تكوين ٢٦ : ٢٤ - ٣٥ ، ٢٧ : ٤٦

(٥) كانت المرأة البدوية في الجاهلية العربية ، تتمتع بخط وافر من الحرية ، ربما لم تعرفه أختها الحضرية ، ومع أنها كانت تعيش في بيئة تفر تعدد الزوجات ، وتخضع لنظام يجعل الرجل «بعلاً» ، أي سيداً لها ، فقد كان مركز المرأة العربية =

قبل أن يدفع بها إلى إسحاق^(١)، وقد ارتبط «عيسو» بامرأة حبشية ، بالرغم من معارضة أبيه «إسحاق»^(٢) .

واستمرت سلطة الأب في عصر «التلود» ، ومن ثم فإن «المشنا» إنما تصرف للرجل - دون المرأة - بالحق في أن يبيع ابنته القاصر أمة ، كما تسمح للرجل - دون المرأة - بأن يزوج ابنته لمن يشاء ، معتمدة في ذلك على نصوص في التوراة ، في سفرى الخروج والتثنية^(٣) ، وهكذا اعتبر التلود أن تزويج الأب لابنته غير البالغة زواجا صحيحا ، سواء رضيت الفتاة أو لم ترض ، بيد أنها تسترد حريتها إذا ما طلقها زوجها ، فتتقاضى ولاية الأب عليها ، وتصبح حرة في قبول الزواج أو رفضه متدئا ، ذلك أن الزواج إنما قد أدخلها في سلطة الزوج ، وأسقط ولاية الأب عنها ، والساقط لا يعود .

على أن الصنية القيمة ، إذا ما زوجتها أمها - أو زوجها أخوها - دون رغبتها ، كان الزواج باطلا ، ولم يعتد به ، فإذا تم برضاها ، جاز لها - مع ذلك - طلب فسخ الزواج ، وذلك بأن تعلن أمام المحكمة رفضها البقاء مع

قبل الإسلام عظيما ، ومن ثم فقد استتمعت بحق الحرية في اختيار زوجها ، فلم تكن تقصر على زوج لا ترضيه ، أو تزوج بغير مشورة ، بل إنها كانت في بعض الأحيان تزوج نفسها بنفسها ، كما كانت تستطيع هجر زوجها والعودة إلى أهلها ، إذا لم يحسن هذا الزوج معاملتها (الأغانى ١١/١٠٤ ، ١٦٠/١٠٠ ، ١٨٤/٢١٧ ، مجمع الأمثال ١/٤٤٠ ، أعلام النساء ١/٣٧٦ - ٣٧٧ ، ١٣/٥٤ - ١٧ ، وكذا

P. K. Hitti, History of the Arabs, London, 1960, P. 29

وكذا R. A. Nicholson, A Literary History of the Arabs, Cambridge, 1962, P. 47.

(١) تكوين ٢٤ : ٥٧ - ٥٨ (٢) ٤٦ : ٢٤ - ٢٥

(٣) خروج ٢١ : ٧ ، تثنية ٢٢ : ١٦ .

زوجها^(١) .

(٣) إنعقاد الزواج :-

لم يعرف العبريون نظام الخطبة في عصر الآباء ، وإنما كان الزواج يتم فجأة من غير تمهيد ، ونقرأ في التوراة أن إسحاق رأى زوجته - لأول مرة - وكذا زوجة نفسها - بعد أن أحضرها « اليعازار ، الدمشقي - خادم إبراهيم - من « فدان آرام » ، جاء في التوراة أن « رفقة قامت وفتياتها ، ركبن على الجمال وتبعن الرجل ، فأخذ العبد (اليعازار الدمشقي) رفقة ومعنى ، وكان إسحاق قد أتى من ورود « بئر الحى رث » ، إذ كان ساكنا في أرض الجنوب ، وخرج إسحاق ليتأمل في الحقل عند إقبال المساء ، فرفع عينيه ونظر ، وإذا جمال مقبل ، ورفعت رفقة عينها ، فرأت إسحاق ، فزلت عن الجمال ، وقالت للعبد : من هذا الرجل الماشى في الحقل للقائنا ، فقال العبد : هو سيدى ، فأخذت البرقع وتغطت ، ثم حدث العبد إسحاق بكل الأمور التي صنع ، فأدخلها إسحاق إلى خباء سارة أمه ، وأخذ رفقة فصارت له زوجة وأحبها ، فتفرى إسحاق بعد موت أمه^(٢) .

غير أن هذه الأمور سرعان ما تتغير على أيام الملكية ، إذ بدأ العبريون - نتيجة الإقامة في المدن - يأخذون بنظام الخطبة ، التي قد تطول أو تقصر ، طبقا لظروف المحيطة بالزوجين^(٣) ، هذا وقد اعتبرت الخطبة الخطوة الأولى نحو الارتباط النهائي ، بمعنى أن تلزم الفتاة المخطوبة بحبس نفسها على ذمة زوجها ، فإذا عاشرت

(١) ثروت الأسيوطى : المرجع السابق ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) تكوين ٢٤ : ٦١ - ٦٧ .

L. G. Levy, op-cit, P. 157-158

(٣)

رجال آخر عومتك معاملة الزانية وزجعت بالحجارة حتى الموت ، إلا أن يكون الزنا حدث في الحقل ، لا في المدينة ، فيفترض في الفتاة أنها صرخت لتتجو ، لكن أحدا لم ينقذها (١).

ولم تكن هناك مراسم معينة لإتمام الزواج ، وإنما كان مسألة مدنية يحتمه لا يتدخل الكاهن فيها ، وربما السبب إنما كان ضعف الكهانة على أيام مرحلة الرعي (٢) ، وقد يتم الزواج بأن يصحب الرجل امرأته إلى الخيمة (٣) ، وقد تقام وليمة يحضرها أهل المكان ، ثم يأخذ الرجل ابنته ويأتي بها إلى زوجها (٤) ، وقد يأتي خلفها جمهور المهنتين ، يهللون ويصبحون ويحيون العروس (٥) ، كما ترافق العروس صويحاتها (٦) ، ويسير للموكب حتى بيت الزوجية (٧) ، وكانت العروس تحتفظ بالحجاب حتى دار العريس (٨) ، حيث تقام هناك الحفلة الكبرى ، والتي تستمر حوالي سبعة أيام ، وربما أربعة عشر يوما (٩) ، ولكن قد يتم الزفاف في بيت العروس - الأمر الذي رأيناه في زواج يعقوب (١٠) وشمشون (١١) - وفي هذه الحالة ، فإن حفلة الزفاف تتم في بيت العروس ، وليس في بيت العريس (١٢) .

(١) تثنية ١٢ : ٢٣ - ٢٧ ، ثروت الأسيوطي : المرجع السابق ص ١٨١ .

(٢) L. G. Levy, *Le Famille dans l'Antiquite Israelite*, Paris, 1905, p. 156.

(٣) تكوين ٢٤ : ٦٧ .

(٤) تكوين ٢٩ : ٢١ - ٢٣ (٥) إشعياء ٤٩ : ١٨ ، إرميا ٢ : ٢٢

(٦) مزمور ٤٥ : ١٥ (٧) إرميا ٧ : ٣٤ ، ١٦ : ٩

(٨) تكوين ٢٩ : ٢٥ (٩) تكوين ٢٩ : ٢٧ ، قضاة ١٤ : ١٢

(١٠) تكوين ١ : ٢١ - ٢٦ (١١) قضاة ١٤ : ١٠

(١٢) تكوين ٢٩ : ٢٢ ، قضاة ١٤ : ١٠

وتعنى الأيام ، ويبدأ نفوذ الكهنة - وخاصة بعد السبي البابلي - يتغلغل في شئون الزواج ، الذي نظر إليه القوم « كرابطة مقدسة ، يكون الله فيها شاهداً بين الرجل وامراته (١) ، وإن بقي الأب - دون أية مراسم كهنوتية - يأخذ ابنته من يدها ، ويسلمها إلى زوجها ، ودرج ثراة القوم على إقامة عرس كبير ، يتلى بالرقص والغناء والخطور (٢) .

(٤) نظام المهر :-

كان الإسرائيليون يعتبرون المهر ركنا في الزواج لا ينعقد بدونه ، وكان يعد في بادىء الامر - من حق الأب ، وهكذا رأينا وشكيم بن حمور ، عند ما تقدم لخطبة «دينه» ابنة يعقوب ، طلب من أبيها أن يحدد المهر الذي يريد لابنته (٣) ، «كثروا على جدا مهرا وعطية ، فأعطى كما تقولون لى ، وأعطوني الفتاة زوجة» (٤) .

(١) ملاخى ٢ : ١٤ (٢) L. G. Levy, op-cit, P. 158F
(٣) كان الاصل في المهر عند عرب الجاهلية دفعه للمرأة ، غير أن ولى أمرها هو الذى يأخذه ، لينفق منه على ما يشتري لتأخذه المرأة معها إلى بيت الزوجية ، وقد يأخذولى الامرالمهر لنفسه ، ولا يعطى الزوجة منه شيئا ، لا اعتقاده أن ذلك حق يعود إليه ، ومن ثم فقد نهى الإسلام عن ذلك ، يقول سبحانه وتعالى « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيئا منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » (سورة النساء : آية ٤ ، وأنظر : تفسير الفخر الرازى ١٧٩/٩ - ١٨٢ ، تفسير الكشاف ٤٦٩/١ - ٤٧١ ، تفسير روح المعانى ١٩٨/٩ - ٢٠٠ ، فى ظلال القرآن ٢/٣ - ٢٠٩ - ٢١٠ ، تفسير الطبرسى ١٢/٤ - ١٦ ، تفسير الطبرى ٥٥٢/٧ - ٥٦٠ ، الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ٧/٣ - ١٠) .

(٤) تكوين ٣٤ : ١٢

ونقرأ في التوراة أن يعقوب إنما قد ذهب إلى دFDان آرام ، وأقام هناك فترة عند خاله «لابان» ، عرض عليه بعدما أن ينكحه ابنته «راحيل» ، على أن يأجره سبع حجج، وهكذا بدأ يعقوب يرعى لخاله سبع سنين ، فلما وفى له شرطه، وأقبل الليل قدخل خيمته ، فألقى فيها زوجته ، فلما أصبح وجد أن خاله قد زوجه من ابنته الكبرى «ليئة» بدلا من «راحيل» بحجة «ألا تعطى الصغيرة قبل البكر» ، ويبتلع يعقوب الخدعة ، ويتفق مع خاله على أن يخدمه سبع حجج أخرى ، في مقابل أن يتزوج هذه المرة من «راحيل» ، فلما قضى يعقوب الأجل، نال ما كان يبغي ، وتزوج من «راحيل» (١) .

ونقرأ في كتاب الله الحكيم أن موسى - عليه السلام - عندما خرج من مصر فارا مستوحشا - بعد أن سمع أن الملا يأنمرون به ليقتلوه - حتى وصل إلى «مدين» عند خليج العقبة ، عرض عليه شيخها، «إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين، على أن تأجرني ثمانى حجج ، فإن أتممت عشرا فمن عندك ، وما أريد أن أشق عليك ، ستجدنى إن شاء الله من الصالحين» (٢) .

وبقى نظام المهر معمولا به في عصر الملكية الإسرائيلية ، كما أصبح له حد معلوم ، نحسون من الفضة ، وذلك في حالة الإتصال بالفتاة قبل الزواج ، وإرغام الفتى على الزواج منها (٣) ، بل إن وفرة المال ، وأهمية الأرض في مجتمع الإقطاع، ربما كانا سببا في ظهور عادة جديدة ، ذلك أن أهل الزوجة إنما بدأوا يقدمون هدية الزوج (درطة) ، وقد تكون حقلا ، حتى يربط المال بالمال، والحقل بالحقل.

(١) تكوين ٢٩ : ١ - ٣٥

(٢) سورة القصص : آية ٢٧ ، وانظر : تفسير القرطبي ص ٤٩٨٧ - ٤٩٩٥ .

(٣) قسبة ٢٢ : ٢٨ - ٢٩

ونقرأ في التوراة أن الجيش المصرى خرج من مصر ، واستولى على «جازر»
التي قدمها فرعون (كدوطة) لابنته امرأة سليمان ، تقول التوراة « وصعد فرعون
ملك مصر ، وأخذ جازر وأحرقها بالنار ، وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة ،
وأعطاهما مهرا لابنته امرأة سليمان (١) ،

وقد أبقى التلود على هدية الزواج ، التي أصبحت في مجتمع التجارة مبلغا من
التقود يعاون الزوج على شئون التجارة ، ويلتزم الزوج في العقد بأن يرد المبلغ
نصف مضاعف ، نظرا لاستثماره في التجارة وتزايد مع الزمن ، فإذا قدمت
الزوجة عند انعقاد الزواج ألف دينار ، رد لها الزوج عند انحلال الزوجية
١٥٠٠ دينارا ، وهكذا ، بل لقد أصبحت هدية الزواج لدى مجتمع التجارة
إجبارية ، فالتاجر في حاجة إلى رأس مال ليقم تجارته ، وهو ملزم بصداق
مؤخر ، فيتوقع هدية معجلة ، ومن ثم فقد نص التلود على حد أدنى للدوطة هو
(٥٠ زوز) ، يلتزم به والد الزوجة ، ولو لم يذكر في العقد (٢) .

(٥) الطلاق :

عرف العبريون الطلاق ، كما عرفوا الزواج ، والذي كانت رابطة في عصر
الآباء رخوة ، يمكن فصمها في أى وقت ، ينشأ بلا مراسم ولا مقدمات ، وينتهي
بنفس الطريقة التي بدأ بها ، وبدعى أن الطلاق إنما كان بيد الرجل ، لأن المرأة
لم تكن في هذه الفترة ، غير جزء من بيت الرجل ، اشترأها بماله ، وأضافها إلى
ثروته ، وأمسك في مستوى العبد والأمة والثور والحمار والأشياء الأخرى ، فهي

(١) ملوك أول ٩ : ١٦ -

(٢) ثروت الأسيوطى : المرجع السابق ص ٢٢٥-٢٢٦

كالسبعة لاتستطيع الخلاص من حازمها(١) .

وظل الامر كذلك ، طوال عصر القضاة وبداية عصر الملكية ، غير أن حركة الانبياء قد أدخلت بعضا من قيود على الطلاق ، فقد اشترط سفر التثنية - (الذي يرجع إلى الربع الاخير من القرن السابع قبل الميلاد) - أن يعطى الرجل امرأته المطلقة وثيقة تمريح ، ثم لها بعد ذلك أن تزوج من غيره ، ولصحتها لا تعود إلى زوجها الاول ، إذا طلقت من زوجها الثاني ، أو حتى في حالة وفاة هذا الزوج الثاني ، تقول التوراة : « إذا أخذ الرجل امرأة وتزوج بها ، فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ، ومتى خرجت من بيته وصارت لرجل آخر ، فإن أبغضها الرجل الآخر ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها ، وأطلقها من بيته ، أو مات الرجل الأخير ، الذي اتخذها له زوجة ، لا يقدر زوجها الاول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة ، بعد أن تنجست(٢) ، ، وهناك إشارة أخرى إلى الطلاق في التوراة ، حيث تقول : « إذا طلق رجل امرأته ، فانطلقت من عنده ، وصارت لرجل آخر ، فهل يرجع إليها بعد ؟(٣) » .

هذا وتحرم المرأة على مطلقها ، إذا كان سبب الطلاق عقم مضمون ، أو إشاعة كاذبة حول سوء سلوك المرأة ، لئلا يجرى الرجل على التريث ، وذلك عن طريق التهديد بأنه إذا وقع الطلاق فسوف يكون بائنا ، لا رجعة فيه .

ولعل من الجدير بالإشارة هنا إلى أن قوانين يهود ، إنما تحرم على الرجل أن

(١) تروت الأسيوطي : المرجع السابق ص ١٦١ - ١٦٢

(٢) تثنية ٢٤ : ١-٤ (٣) إرميا ٣ : ١

يطلق زوجته في حالتين : الواحدة : إذا ادعى الرجل أن زوجته ليست بكرًا ،
فعل أبيها وأمها أن يأخذا علامة بكارتهما ، ويبسطا الثوب أمام شيوخ المدينة ،
الذين عليهم أن يتولوا تأديب الزوج وتغريمه مائة من الفضة تعطى لوالد الفتاة ،
باعتبار الزوج قد « أشاع اسما رديا عن عذراء من إسرائيل » ، فتكون لهزوجة
ويمنع عليه أن يطلقها كل أيامه (١) ، وأما الحالة الثانية : إذا كانت الفتاة عذراء
ومأثرها الرجل قبل الزواج ، يلتزم بأن يسلم أباهما خمسين من الفضة ، وأن يتزوجها
والا يطلقها كل أيامه (٢) .

وهكذا يبدو بوضوح - من نصوص التوراة - أن الإسرائيليين قد عرفوا
الطلاق ، وأن قوانينهم إنما قد خوات الرجل حق طلاق زوجته ، ولصحتها لم
تخول المرأة هذا الحق - أو حتى طلبه - وإن أباح لها القراءون ذلك فيما بعد ،
على أن قبولها للطلاق لم يكن شرطا لوقوعه (٣) ، على أن هناك حادثا غريبا طلقت
فيه المرأة العبرية زوجها (٤) ، ذلك أن « سالوى ، ابنة أخ « هيرودوس ، قد

(١) تلمية ٢٢: ١٢-١٩ (٢) تلمية ٢٢: ٢٨ - ٢٩

(٣) م. حاي بن شمعون : الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية
للإسرائيليين - القاهرة ١٩١٢ ص ٩٧ ، أحمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي -
القاهرة ١٩٥٤ ص ٢٠٦-٢٠٧

(٤) كان من حق المرأة العربية في الجاهلية أن تطلب الطلاق ، وأن تجاب إلى
طلبها ، بل كان من حقها أن تشتراط على أن تكون العصمة بيدها ، وهكذا كانت
هناك نسوة من العرب يهترطن على أزواجهن أن يكون أمرهن بيدهن ، إن شئن
أقن ، وإن شئن تركن معاشرتهم وأوقعن الطلاق ، وذلك لشرفهن وقدرهن ،
وهذا حق لم تغفر به أية امرأة من الأمم التي عاصرت العرب .

أرسلت وثيقة طلاق إلى زوجها «كوستاباروس»، غير أن هذه الحالة تعتبر غريبة
وليست إسرائيلية (١) .

بقيت كلمة أخيرة تتصل بـ «المرأة المشتبه في زناها» ، الأمر الذي يتصل
إلى حد كبير بنفوذ الكهنة ، أو ما أسماه «شريعة الغيرة» ، فإذا استراب رجل
بامراته وهجس في صدره أنها قد خانته مع رجل آخر ، «يأتي الرجل بامراته
إلى الكاهن ، ويأتي بقربانها معها ... فيقدمها الكاهن ويوقفها أمام الرب ، ويأخذ
ماء مقدسا في إناء خزف ، ويأخذ الكاهن من الغبار الذي في أرض المسكن ،
ويجعل في الماء (٢) ، ثم يخلو الكاهن بالمرأة الظنينة ويشرح في تلاوة بعض
الألفاظ ، ويستحلف المرأة أن تقر بما كان منها ، ثم يجرعها الماء المشوب بالغبار.
«ومتى سقاها الماء ، فإن كانت قد تنجست وخانت رجلا ، يدخل فيها ماء
اللعنة للبرارة ، فيرم بطنها ، وتسقط فخذها ، فتصير المرأة لعنة في وسط شعبها
وإن لم تكن المرأة قد تنجست ، بل كانت طاهرة ، تتبرأ وتقبل بزور (٣)» .

== وجاء الإسلام ، فأبقى على حق المرأة في الطلاق ، إذا اشترطته على الزوج ،
كما أباح لها أن تحتلع وأن تطلب التفريق لئيب في الزوج ، أو لامتناعه عن الإنفاق
أو لسوء عشرته ، أو لغيبته الطويلة ، وأباح للتي زوجت صغيرة أن تفسخ العقد
أو تمضيه عند بلوغها (ابن حبيب : المحبر - حيدر أباد الدكن ١٩٤٢ ص ٢٩٨ -
٣٩٩ ، جواد على ٥/٥٥٤ ، أحمد الحوفي : المرجع السابق ص ٢١٥ ، وأنظر :
عيون المسائل ص ٧٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٥)

(١) فؤاد حسنين : إسرائيل عبر التاريخ - الجزء الأول - ص ١٠٣

(٢) عدد ١٥:٥-١٧ (٣) عدد ٥:٢٧-٢٨

ومن المعلوم أن الماء لا يدخل المرارة ، وأن وظائف الأعضاء لا تمت إلى المسالك الخلقى بسبب وثيق ، ولكنها إجراءات خادعة تتخذ لتميز سلطان الكاهن على المرأة ، فهو ينفرد بها في خلوة ، ثم يخرج راضيا أو ساخطا ، وينطلق بالقول الفصل حسبما يحوى ، فيدنها بالموت مجللة بالعار ، أو يدها تنعم بالحياة مرفوعة الرأس ناصعة الجبين (١) .

(٦) زواج ييوم :-

تشتق كلمة « ييوم » العبرية من كلمة « ديم » ، وهو أخو الزوج ، و « ديامه » وهي زوجة الأخ المتوفى - أي المرأة التي تقول إلى أخي زوجها المتوفى - ويعرف زواج « ييوم » في اللغة الانجليزية باسم « Lovirate » ، وهي كلمة مشتقة من الأصل اللاتيني « Lovir » - أي أخى الزوج - والمقصود أن أرملة اليهودى الذى مات ولم ينجب ، يجب تزويجها لأخيه الأعمى على وجه الإيجاب فإذا أنجب منها فإن المولود لا يحمل اسمه ، وإنما يحمل اسم أخيه الميت وينسب إليه (٢) .

ولعل السبب في هذا الزواج، أن المرأة إنما كانت تعتبر جزءا من ثروة الرجل ومالا ينتقل بالميراث ، خاصة عند القبائل التي تعرف نظام المهر نتيجة لتوافر

(١) عصام الدين حفى ناصف : محنة التوراة على أيدي اليهود - القاهرة

١٩٦٥ ص ٣٢-٣٤

(٢) The Universal Jewish Encyclopaedia, 6, N.Y 1948, p. 638

وكذا L.G. Levy, La Famille dans L'Antiquite Israelite, paris, 1905, p. 193

المال ، إذ تتكاتف عادة أسرة الزوج في جمع المهر وتسليمه إلى أهل الزوجة ، فيغلب الإحساس بأن المرأة دفع من أجلها ثمن ، وأمسك جزءا من الثروة يعود إلى أسرة الزوج بعد وفاته ، سواء إلى إخوته أو أبنائه أو أقاربه الآخرين (١) .

ولعل هذا النوع من الزواج العبري ؛ إنما هو قريب الشبه من نكاح «الضيزن» (نكاح المقت) عند العرب الجاهليين ، وهو أن المرأة حين يموت زوجها ، فإن أكبر أبنائه يكون أولى بها من غيرها ، بل ومنها من نفسها ، فيلقى ثوبه عليها ، ويرث نكاحها ، ومن ثم فهو حر فيها ، إن شاء نكحها ، وإن شاء عضلها فتمتعا من غيره ، ولا يزوجه حتى تموت ، فيرث مالها ، إلا أن تقتدى نفسها منه بفدية ترضيه ، أو يتزوجها بعض إخوته بمهر جديد ، فإن لم يكن للتوفى ابن اقتتل الحق إلى الأخ ، ولأن هذا الزواج كان عموقا عند العرب ، سمي «زواج المقت» (٢) ، ومع ذلك فقد بقي هذا الأمر عند بعض العرب الجاهليين حتى جاء الإسلام ونزل الوحي بتحريمه

(١) ثروت الأسيوطي : المرجع السابق ص ١٦٣ ، وكذا

James Frazer. Folklore of the Old Testament, II, London,

1919, p. 339-340

Westermarck, History of Human Marriage, III, London,

1921, p. 210 F

(٢) ابن حبيب : كتاب المحبر ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، النويري : نهاية الأرب

٤٣/٢ ، عمر فروج : تاريخ الجاهلية ، بيروت ١٩٦٤ ص ١٥٦ ، جواد علي

٥٣٤/٥ ، وأنظر : السنن الكبرى ١٦١/٧ ، سنن أبي داود ٢٣٠/٢ ، النهاية في

غريب الحديث ١٠٤/١ ، وكذا

W. R. Smith, Kinship and Marriage in Early Arabia, p. 104

يقول سبحانه وتعالى « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ، إلا ما قد سلف ، إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا (١) » ، وهكذا فرق الإسلام بين كثير من الرجال ونساء آباؤهم ، ومنهم « منصور بن زبان الفزارى » و « مليكة بنت خارجة » المربية ، ومنهم كذلك « تميم بن أبي مقبل » و « دهماء » امرأة أبيه (٢) .

وكان « زواج يوم » (Levirate Marriage) إجباريا عند بني إسرائيل في مرحلة الرعي ، ونقرأ في التوراة أن « يهوذا قد أخذ زوجة لعير بكره ، اسمها « ثامارا » وكان عير بكر يهوذا شريرا في عينى الرب ، فأماته الرب ، فقال يهوذا لارثان : أدخل على امرأة أخيك وتزوج بها ، وأقم نسلا لأخيك (٣) » :

وإذا لم يسكن للمتوفى إخوة بالغون ، انتقلت الأرملة إلى بيت أبيها ، واحتسبت حتى يكبر الإخوة الصغار (٤) ، وهي تعتبر في تلك الأثناء موقوفة على ذمتهم ، ويمتنع عليها الإتصال بالرجال ، فإن فعلت عدت زانية وعوقبت بالحرق (٥) ، وإن لم يكن للمتوفى أخوة على الإطلاق ، ذهبت الأرملة إلى أقرب قريب لزوجها المتوفى ، وهناك قصة « راعوث » مع حماتها « نعمى » ، فقد مات زوج راعوث ، دون أولاد ، ولم يكن له أخوة ، فلازمت راعوث حماتها ولم

(١) سورة النساء : آية ٢٢ ، وأنظر : تفسير الطبرى ١٣٢/٨ - ١٤٠ ، تفسير الطبرى ٥٩/٥ - ٦٢ ، تفسير الفخر الرازى ١٧/٩ - ٢٣ ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم ٢٩/٣ - ٣٠ ، فى ظلال القرآن ٢٨٢/٤ - ٢٨٣

(٢) ابن حبيب : المحبر ص ٢٢٦ ، عمر رضا : أعلام النساء ١٠٧/٥ ، وأنظر أمثلة أخرى فى : تفسير الطبرى ١٣٣/٨

(٣) تكوين ٢٨ : ٦ - ٧

(٤) تكوين ٢٨ : ١١

(٥) تكوين ٢٨ : ٢٤

ترغب في فراقها ، خير أن نسمى ، كانت أرملة كذلك ، ولم يسكن لها أولاد يصلحون للزواج من راعوث ، ، ومن ثم فقد ذهبت الأخيرة إلى بوعز ، - قريب زوجها - ودخلت سرا إلى مضجعه ليلا ، وكشفت عن قدميه ، ونامت حتى الصباح ، ثم طلبت منه أن يطرح ذيل ثوبه عليها ، فتزوجها الرجل ، وأخذ التركة معها ، وأنجب منها ولدا ، هو عبيد ، جد داود ، ذلك لأن عبيد ولديسى ، ويسى ولد داود (١) .

هذا وقد أبقى عهد مرحلة الزراعة على زواج ييوم ، ، إذ تم في هذه المرحلة توزيع الأراضى على الأسباط ، وامتنع نقل نصيب سبط إلى سبط آخر ، ومن ثم فقد أصبح الذى يموت دون ذرية ، إنما يرثه إخوته ، فيأخذون أرضه ، ويدخلون بزوجته .

وسرعان ما تغير الأحوال في عهد الإقطاع ، وسكنى المدن المفتوحة ، ويصبح ، زواج ييوم ، غير ملائم لهؤلاء الذين أصبح الواحد منهم ، وقد انفرد بزوجته أو زوجاته ، واستقل بمعيشته عن سائر إخوته ، ولم يجد الأخ الحمى أى معنى للزواج من أرملة أخيه ، وأسمى هذا الزواج عبثا ماليا لا تقابله أية ميزة اقتصادية ، ومن ثم فقد اشترطت التوراة لإتمام زواج اليوم هذا ، أن يكون الأخوان - الحمى والميت - إنما كانا يقمان تحت سقف واحد ، ويشتركان فى مائدة واحدة ، وفى هذه الحالة ينسب الولد البكر من هذا الزواج إلى الأخ المتوفى ، تقول التوراة : د إذا سكن إخوة معا ومات واحد منهم وليس له ابن ، فلا

(١) راعوث ٣ : ١ - ٤ : ٢٢ ، ثروت الأسيوطى المرجع السابق

تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي ، أخو زوجها يدخل عليها ، ويتخذها
لنفسه زوجة ، ويقوم لها بواجب أخى الزوج ، والبكر الذى تلهه ، يقوم باسم
أخيه الميت ، لتلايمحى اسمه من إسرائيل (١) .

وتمضى الايام ، وتتغير الاحوال ، ويصبح « زواج يوم ، اختيساريا ، إن
شاء الاخ تزوج من أرمة أخيه ، وإن شاء تنازل عنها ، وفى هذه الحالة الأخيرة ،
يصبح من حق أرمة المتوفى أن تشكو أعا زوجها إلى شيوخ بنى إسرائيل ، فإذا
أصر على موقفه خلعت نعله من رجله أمامهم ، وبصقت فى وجهه ، قائلة : « هكذا
يفعل بالرجل الذى لا يبني بيت أخيه » فيسمى « مخلوع النعل » ، وتصبح أرمة
أخيه حرة تزوج من تشاء ، فكان خلع النعل طلاق (٢) .

وإلى هذا تشير التوراة فى سفر التثنية حيث تقول : « وإن لم يرض الرجل
أن يأخذ امرأة أخيه ، تصعد امرأة أخيه إلى البساب إلى الشيوخ ، وتقول : قد
أبى أخو زوجى أن يقيم لأخيه اسما فى إسرائيل ، لم يشأ أن يقوم لى بواجب
أخى الزوج ، فیدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه ، فإن أصر وقال : لا أرضى
أن اتخذها ، تتقدم امرأة أخيه إليه أمام الشيوخ ، وتمخلع نعله من رجله ،
وتبصق فى وجهه ، وتصرخ وتقول : هكذا يفعل بالرجل الذى لا يبني بيت أخيه ،
فیدعى اسمه فى إسرائيل بيت مخلوع النعل (٣) . »

وهكذا أصبح جزاء التنكر لزواج اليوم استهجان الجماعة لا غير ، ولم يعد

(١) تثنية ٢٥ : ٥ - ٦ ، جواد على ٥٤١/٥ ، وكذا : EB, 13, p. 979

(٢) أحمد الحوفى : المرأة فى الشعر الجاهلى - القاهرة ١٩٥٤ - ص ٢٥٥ -

٢٠٦ ، محمد محمود جمعة : النظم الإجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والامم

السامية - القاهرة ١٩٤٩ ص ٦٥ .

(٣) تثنية ٢٥ : ٧ - ١٠

من يرفضه يصاب بالعقاب الإلهي ويموت (١) .

وعلى أى حال ، فقد استمر « زواج ييوم » في عهد التلمود ، وإن أضاف التلمود إباحة تطوع الأخ الثاني للقيام بهذا الزواج ، ويبدأ التخيير بالأخ الأكبر ، فإن رفض يؤخذ رأى الأخوة الآخرين على التوالي ، فإن أبوا جميعا ، يطرح الأمر من جديد على الأخ الأكبر ، ويخير بين الزواج بأرملة أخيه ، أو إجراء « خلع النعل » (الجاليساه) ، هذا وقد اشترط التلمود أن تلازم أرملة الأخ المتوفى بعدة ، مدتها ثلاثة أشهر ، من يوم وفاة زوجها ، ثم تشرع بعد ذلك في الزواج من أخيه أو خلع نعله (٢) .

هذا وقد أعطى التلمود فرصة ثلاثين يوما ، للأخ الذى قبل زواج أرملة أخيه ، له بعدها أن يعاشرها معاشرمة الزوج لزوجته ، أو يجبر على « خلع النعل » ، كما أعفاه من دفع صداق جديد ، اكتفاء بما للزوجة من مؤخر صداق على أموال زوجها الراحل ، فإن الأخوة يدفعون في المرأة مهرا واحدا لا يتجدد ، بموجبه تنتقل المرأة من يد إلى يد ، كما هي الحال لدى قبائل الرعى في الشعوب البدائية .

وإذا اختار الأخ الحى « خلع النعل » ، ورث من تركة أخيه المتوفى حصة مساوية لحصص سائر إخوته ، أما إذا تزوج أرملة أخيه استقل دون سائر إخوته بميراث المتوفى ، وإن كان الربى « يهوذا » يفسح الأولوية في هذا العرض للأب الحى ، ويفضله في تركة الابن الميت دون خوية ، على الأخ ولو تزوج الأرملة ، وهذا يعنى أن الأخ قد يتلقى أرملة أخيه ، دون أن يرث تركته ، فيتحمل عبئا ماليا ،

(١) تكوين ٣٨ : ٨ - ١٠

(٢) تروت الأسبوطى : المرجع السابق ص ٢١٢

لاتقابلة أية ميزة اقتصادية(١).

وهل أى حال ، فلقد تجرأ أحبار يهود غلى «زواج ييوم ، فى القرن التاسع عشر الميلادى ، ومن ثم فقد أصدر الربانيون الأحرار فى مدينة « فيلادلفيا ، بالولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٦٩م ، ومدينة «أوجسبورج ، بالمانيا فى عام ١٩٧١م ، قرار بتحرير زواج ييوم ، والمحاليصاه (خلع النعل) لعدم ملامتها للحياة العصرية (٢) ، هذا وقد عرضت قضية زواج ييوم على المحاكم المصرية فى عام ١٩٥٦ ، فقضت المحكمة برفضها لتعارضها مع النظام العام وهو الرضا الواجب توافره من الطرفين لانهقاد كافة العقود ، وهو فى عقد الزواج الذى يجمع بين الأدميين الرزم ، لما لهذا العقد من عظيم الأثر والشأن(٣) .

(٧) تعدد الزوجات :-

من المعروف أن الشعوب جميعا - أو تكاد - قد مارست تعدد الزوجات ، مارسة المصريون والفرس والعرب واليهود وغيرهم ، ومارسة أصحاب الديانات السماوية الثلاثة الكبرى - اليهودية والمسيحية والإسلام(٤) .

(١) ثروت الأسيوطى : المرجع السابق ص ٢١٢ - ٢١٣

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢١٦ .

(٣) إهاب حسن إسماعيل : شرح مبادئ الأحوال الشخصية للطوائف الملية-

القاهرة ١٩٥٧ ص ٦٣ - ٦٤ (القضية رقم ١٠١٢/١٩٥٦ بتاريخ ١٩٥٦/٦/٢٥)

(٤) أنظر : محمد بيومى مهران : مركز المرأة فى الحضارة العربية - مجلة كلية

العلوم الاجتماعية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- العدد الأول - الرياض

١٩٧٧ ص ١٦٢ - ١٧٠

وهناك من يعتبر نظام تعدد الزوجات ، نظام بدائي ، ومن يعتبره تابعا لحال المرأة ، انحطاطا ورقيا - وأن تحريرها منه^(١) ، إنما هو خطوة في سبيل تقدمها وفي الواقع ، إن موقف المرأة نفسها إزاء تعدد الزوجات ، إنما هو موقف مضطرب ، بل إن الإنسان كثيرا ما تأخذه الحيرة ، إزاء العواطف المتضاربة للنساء بشأن تعدد الزوجات ، هذه زوجة عاقر تطلب من زوجها الزواج عليها ، وتلك تلحن ضرائرها ، وثالثة تفضل لزوجها أن يتزوج عليها ، بدلا من أن يفرق في علاقات غير مشروعة مع نساء أخريات ، يتفق عليهن في بذخ ، ويطلب لها ولأولادها العار ، ورابعة تحلم بالزواج من رجل متزوج بأخرى^(٢) ، وهكذا .

وعلى أي حال ، فإن تعدد الزوجات إنما كانت له - دون شك - دوافعه القوية ، والتي منها : أنه يحفظ للمرأة حريتها التي يتشدد بها أعداء تعدد الزوجات ، ذلك لأن إباحة التعدد لا يحرم المرأة حريتها ، ولا يكرهها على قبول من لا ترضيه زوجها لها ، ولكن تحريم التعدد يكرهها على حالة واحدة لا تملك غيرها ، حين تلجئها الضرورة إلى الاختيار بين الزواج بصاحب زوجة ، وبين عروبة لا يعولها أحد ، وقد يعجزها أن تعول نفسها^(٣) .

ومنها أن المرأة قد تعجز عن الوفاء باحتياجات الحياة الزوجية ، وذلك بسبب عقمها فلا يتحقق التناسل ، وهو من المقاصد الرئيسية للزواج ، أو بسبب عيبها الجنسي ، مما يؤدي إلى منع الإتصال الجنسي بين الزوجين ، أو يحول دون

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ١٢٩

(٢) عبد الناصر توفيق العطار : تعدد الزوجات - القاهرة ١٩٧٢ ص ٢٤-٢٥

(٣) عباس العقاد : المرأة في القرآن - بيروت ١٩٦٩ ص ١١٨ - ١١٩

كأله، أو بسبب مرض عضال يصيب الزوجة فيشل، حركتها عن القيام بما تتطلبه الحياة الزوجية من أعباء .

ومنها عودة المطلقة إلى عصمة زوجها السابق ، فقد يقترن الزوجان بطلاق أو تطليق ، ثم يرى الزوج بعد زواجه بأخرى أن يضم إلى عصمته زوجته السابقة وتبادل هذه الأخيرة تلك الرغبة ، بعد أن عفى الزمان على أسباب الخلاف بينهما أو بدافع رعاية أبنائهما ، أو لغير ذلك من الأسباب ، وتعدد الزوجات في هذه الحالة هو الحل الاجتماعي الوحيد ، الذي يبقى على الزوجة الجديدة دون فراق ، ويعيد المطلقة إلى زوجها السابق ويكفل لأولاد المطلقة العودة إلى البيت الذي كان يجمع والدم ووالدتهم معا (١) .

وقد تنسع الدائرة ، فيهدف الرجل من زواجه الجديد على امرأته إلى توثيق صلة القرى ، فيعمد إلى الزواج بإحدى قريباته في حالات تبرز فيها حاجة هذه القرية إلى الزواج من قريبها ، كأن يكون لها أولاد لا يرعاهم زوج غريب عنهم، مثلاً يرعاهم زوج قريب لهم، كما لو كانت المرأة أرملة لأخ قريب توفي أو استشهد، ويكون الأخ أو أحد أقرباء المتوفى أصلح من يتولى رعاية الأولاد، وقد يكون هناك حرج على مثل هذا القريب إذا دخل بيت هذه المرأة لرعاية الأولاد ، فيعمد إلى الزواج بوالدتهم على امرأته، حتى لا يلوك المتطفلون أو الطامعون سمته بالقول السوء ، أو حتى يحفظ لهذه المرأة شبابها ، أو حتى يحول بينها وبين الإنحراف الاجتماعي أو الإنحراف الخلقى ، أو حتى يحفظ مثل هذا القريب نفسه من أن تحدته بالسوء ، وقد تكون هذه القرية عائسا يرى الزوج أن يضمها إلى

(١) عبد الناصر توفيق الطائر : المرجع السابق ص ٣٥ - ٣٦ .

رعايته ، أو سريضة لا يرعاها غير هذا الزوج ، فيتزوجها حتى لا تكون أقل من مستوى من زوجته ، إلى غير ذلك من الأسباب التي تتحقق بها حاجات الناس ومصالحهم ، أضف إلى ذلك كله أن تعدد الزوجات إنما يبتلع في أوقات الحروب مشاكل خطيرة ، تنشأ من الزيادة المذهلة في عدد الأراامل من النساء ، فضلا عن أنه قد يعوض الأمة ، أو بعض أفرادها ، عما فقد من الأولاد ، ويمنعها الأمل في استعادة قوتها ، ومتابعة النضال (١) .

وعلى أي حال ، فلقد مارس بنو إسرائيل تعدد الزوجات ، وكان عندهم ذمومة وثيقة بالرغبة في كثرة الأولاد ليعاونوا سيد البيت في رعى الغنم ، وقد بلغت أهمية الخلفة عند بني إسرائيل شأوا كبيرا ، حتى أن المرأة العاقر إنما كانت تدفع بجاريتها لتحمل منه ، وتلد في حجر سيدتها ، فيفترض في المولود أنه من نسل الزوجة ، لا الجارية ، هكذا فعلت « راحيل » حين قالت لزوجها يعقوب : « هوذا جاريتي بلهة ، أدخل عليها فتلد علي ركبتي ، وأرزق أنا أيضا منها بين ، وهكذا رزق يعقوب بولدين من « بلهة جارية راحيل » ، هما « دان ونفتالي » ، والامر كذلك بالنسبة إلى زوجه الأخرى « ليئة » ، حيث « أخذت زلفة جاريتها وأعطتها ليعقوب زوجة ، فولدت زلفة جارية ليئة ليعقوب ، ولدين ، هما « جاد وأشير » (٢) .

وهكذا عرف الإسرائيليون تعدد الزوجات منذ عصر الآباء الأوائل ، فأبراهيم الخليل — عليه السلام — يجمع بين سارة وهاجر ، وبين قطورة

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٦ - ٤٩

(٢) تكوين ١٠ : ٣٠ - ١٣

وسجورة (١) ، ويعقوب أو إسرائيل - عليه السلام - يجمع بين ، ليشة ، و
دراجيل ، ، فضلا عن جاريتيهما د بلهة ، و ذاقمة ، (٢) ، ولعل مما تجدر
ملاحظته هنا أن يعقوب إنما قد جمع بين المرأة وأختها الشقيقة ، رغم أن هناك
نصوصا في التوراة تحرم الجمع بين الأختين، تقول التوراة : د لاتأخذ امرأة على
أختها للضر ، لتكشف عورتها معها في حياتها (٣) ، ، ولعل التفسير المقبول أن
هذه نصوصا متأخرة ، وأن تحريم الجمع بين الأختين تحت رجل واحد ، إنما جاء
على أيام الملكية ، وربما بعدها .

وعلى أي حال ، فإن نصوص التوراة إنما تميز تعدد الزوجات ، بشرط ألا
تكون بين الزوجات أختان في عصمة رجل واحد ، مما يدل على أن الأسرة
الإسرائيلية إنما كانت تقوم على تعدد الزوجات ، كما كانت تساوى بينهن في الحقوق
والواجبات ، وإن كان عددهن يتفاوت قلة وكثرة حسب ثروة الزوج ومكانته .

غير أن بعض الإسرائيليين قد امتثلوا هذا الحق فبالغوا فيه ، حتى كان
د لجدعون سبعون ولدا خارجون من صلبه ، لأنه كانت له نساء كثيرات (٤) ، ،
وطبقا لرواية التوراة ، فقد تزوج د داود ، (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) نساء كثيرات
عدا الإماء المراري (٥) ، واقترن د رجمام ، (٩٢٢ - ٩١٥ ق.م) د بثاني عشرة
امراة ، وستين سرية . ولدن له ثمانية وعشرين ابنا ، وستين بنتا ، (٦) ، وتزوج

(١) تكوين ١١: ٢٩-٣١ ، ١٦: ١-٣ ، ٢٥: ١-٣ ، وأنظر : تاريخ العاصي

١٦٠/١ ، ٢٤٤ ، ٣٠٩-٣١١ ، ابن الأثير ١/١٠٠ ، ابن كثير ١/١٥٠

(٢) تكوين ٢٩: ١-٣٥ ، ١٢: ١٣-٢٦

(٣) لاويون ١٨: ١٨ (٤) قضاة ٨: ١٣

(٥) صموئيل أول ٢٨: ٢٧ ، ٢٥: ٣٩ ، ٤٣ ، صموئيل ثان ٢: ٣ ، ٤ ، ٥: ١٣

(٦) أخبار أيام ثان ١١ : ٢١

« أيبا ، (٩١٥ - ٩١٣ ق.م) أربع عشرة امرأة ، وخلف اثنين وعشرين ابنا ، وست عشرة بنتا (١) ، وفاق سليمان ، (٩٦٠ - ٩٢٢ ق.م) كل أقرانه ، فقد كانت له سبع مائة من الذبائح السيدات ، وثلاث مائة من السراري (٢) .

وهكذا يبدو لنا بوضوح أن مبدأ تعدد الزوجات - كما يقول جوستاف لوبون (٣) - كان شائعا كثيرا لدى بني إسرائيل على العوام وما كان القانون المدني أو الشرعي ليعارضه ، سواء أكان ذلك للأنبياء أو غير الأنبياء ، وسواء أكان ذلك في عصر الآباء الأول ، أو في عصر القضاة ، أو في عصر الملكية (٤) .

وتصور أمثال بني إسرائيل الأهمية الاقتصادية للمرأة في مجتمع الزراعة ، حيث تقوم بكثير من الأعمال في الحقل والبيت ، هي وأولادها ، دون مقابل ، وذلك في عبارات تخرج بين عقلية التاجر ، وإعجاب الزوج ، تقول التوراة : « امرأة فاضلة ، من يحمدها لأن نمنها يفوق الكليل ، بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة ، تصنع له خيرا لا شرا كل أيام حياتها ، تطلب صوفا وكتانا ، وتشتغل بيدين راضيتين ، هي كسفن التاجر ، تطلب طعامها من بعيد ، وتقوم إذ الليل بعد ، وتعطي أكلا لزوجها ، وفريضة لفتياتها ، تأمل حقا فتأخذه ، وبشر يديها كرما ، تنطق حقوبها بالقوة وتشدد ذراعيها ، تشعر أن تجارتها جيدة ، سراجها لا ينطفئ في الليل ، تمد يديها إلى المنزل ، وتمسك كفاها بالقلعة ، تبسط كفيها للفقير ، وتمد يديها إلى المسكين ، لا تخشى على بيتها من الثلج ، لأن كل أهل بيتها لا يسون حلا . »

(١) أخبار أيام ثان ١٣ : ٢١ (٢) ملوك ١١ : ٣

(٣) جوستاف لوبون : المرجع السابق ص ٥٠

(٤) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ١٦٤ - ١٦٥

« تعمل لنفسها موشبات ، لبسها يوص وأرجوان ، زوجها معروف في الأبواب حين يجلس بين مشايخ الأرض، تصنع قصانا وتبيمها، وتعرض مناطق على الكتماني ، العزو البهاء لباسها ، وتضحك على الزمن الآتي، تفتح فيها بالحكمة، وفي لسانها سنة المعروف ، تراقب طرق أهل بيتها ، ولا تأكل خبز الكسل ، يقوم أولادها ويعطوبونها ، زوجها أيضا يمدحها ، بنات كثيرات عملن فضلا ، أما أنت ففتت عليهن جميعا ، الحسن غش ، والجمال باطل، أما المرأة المتقية للرب فهي تمدح ، اعطوها من ثمرة يديها ، ولتمدحها أعمالا في الأبواب (١) . »

واستمر تعدد الزوجات على عصر التلود ، ولكن أحبار اليهود إنما قد حددوه للرجل بأربع زوجات ، وقد أصدر أحد أحبار اليهود فتوى صريحة بذلك ، وذهب حاخام آخر إلى عدم وجود حدود ، بينما اتجه حبره ثالث إلى إلزام الرجل بطلاق الزوجة الأولى ، بنساء على طلبها ، في حالة زواجه بامرأة أخرى .

وأما الملك فقد أباح له التلود الزواج من ثمانى عشرة امرأة ، قياسا على ما في كتبهم بصدد الملك داود ، وإن ذهب «ربي سيمون» إلى حرمان ولي الأمر من الزواج بنساء كثيرات ، ولو كن متدينات ، على أساس أن قانون الملوك يمنعهم من المبالغة في اقتناء الزوجات ، وقد استغل الإسرائيلي هذا الحق فبالغ فيه ، هذا إلى أن «ربي يهوذا» قد أباح للملوك تعدد الزوجات بغير حدود ، على ألا تكن نساء فاسدات ، هذا وقد أصدر الحاخام «جيرشوم بن يهوذا» (٩٦٠ - ١٠٤٠ م) قرار حوالى عام ١٠٠٠ م ، بتحريم تعدد الزوجات بالنسبة إلى اليهود «الإشكناريين» ، لكن هذا التحريم لم يمتد إلى اليهود «السفرديين» ،

وربما الذى دفع الحاخام هـ جيرشوم ، على إصدار هذه الفتوى ما كانت تلاقية
الجماليات اليهودية في أوروبا من احتقار المسيحيين لليهود بسبب تعدد الزوجات (١).

وأما في مصر ، فقد حاول الربانيون أن يحصروا تعدد الزوجات في أضيق
نطاق ، فجاء في مجموعة أحكامهم : « لا ينبغي للرجل أن يكون له أكثر من
زوجة ، وعليه أن يحلف يمينا على هذا حين العقد ، وإن كان لا حجر ولا حصر
في متن التوراة ، وجاء أيضا « إذا كان الرجل في سعة من العيش ، ويقدر أن
يعدل ، أو كان له مسوغ شرعى جاز له أن يتزوج بأخرى ، » .

وهكذا يبدو واضحا أن التعدد هنا مباح ، ولكن الربانيين في مصر ، اشترطوا
القدرة على الإنفاق ، والقدرة على العدل بين الزوجات ، أو وجود مبرر شرعى
لتعدد الزوجات ، على أن عقم الزوجة عشر سنين (إن كانت بكرا) أو خمسا
(إن كانت ثيبا) ، يوجب على الرجل شرعا (عند الربانيين) أن يطلقها ، ولها
مالها من الحقوق في العقد ، ولكن للرجل أن يتزوج عليها ، إذا قبلت ، وكان
ذا ميسرة ، هذا إلى جانب أن جنون الزوجة من الأسباب التي تبيح عند الربانيين
الزواج عليها ، بشرط موافقة السلطة التشريعية على ذلك (٢) .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه هنا بالنسبة إلى رأى احبار اليهود في تعدد

(١) تثنية ١٧ : ١٧ ، قضاة ٨ : ٣٠ ، ٩ : ٢ ، صموئيل ثان ٥ : ١٣ ،
م . حاي بن شمعون : المرجع السابق - مواد ٥٤ ، ٥٥ ، ثروت الأسيوطى :
المرجع السابق ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، وكذا

The Universal Jewish Encyclopaedia, 8, 1948, p. 584 - 585

(٢) م . حاي بن شمعون : المرجع السابق - مواد ١٢٢ ، ١٦٤ ، عبد الناصر

توفيق العطار : المرجع السابق ص ٨٩

الزوجات ، أن واحدا منهم لم يكن يهوديا تورانيا في تفسيراته وأحكامه ، وإنما كانوا يحاولون تلوين الشريعة اليهودية بالشرائع التي كان يعيدون بين أصحابها ، فالخام «جرشوم» مثلا ، إنما يبدو مسيحيا في اتجاهه نحو تحريم تعدد الزوجات تحريما تاما ، بحكم معيشته في أوروبا الكاثوليكية ، بينما نرى الخام «م. حاي بن شعون» - يتأثر بالشريعة الإسلامية ، بحكم معيشته في القاهرة - لا يتشدد في التحريم برأى الخام جرشوم ، بالرغم من مضي تسعة قرون على فتوى الأخير بالتحريم التام (١) .

(٨) المحرمات :

لم يعرف بنو إسرائيل في مرحلة الرعي نظام المحارم من جهة الأب، فزوج إبراهيم أخته سارة (٢) ، واقترن «عمرام» بعمته «يوكابد» (٣) - كما أشرنا من قبل - وحقق الزواج من الداخل غرضا اقتصاديا ، هو حفظ الثروة داخل العشيرة ، ولما وزعت الأراضي بيد غزو فلسطين ، حظر على البنات الزواج من الخارج ، وشاع الاقتران بابنة العم .

وعندما تغيرت الظروف ، صدر سفر اللاويين يوسع نظام المحرمات ، حيث

(١) حسن ملاحظا : المرجع السابق ص ٢٣٤

(٢) تكوين ٢٠ : ١٢ وأما المصادر العربية فتختلف بشأنها ، فهي ابنة أخي إبراهيم (هاران) على رأى ، وهي ابنة عمه على رأى آخر ، وهي ابنة ملك حاران على رأى ثالث (تاريخ الطبري ١/٢٤٤ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١/١٠٠ ، ابن كثير : قصص الأنبياء ١/١٩٢ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ١/٣)

(٣) خروج ٦ : ٥

حرم الزواج من الام والبنت وبنت البنت ، وبنت الابن ، وامرأة العم لاب ،
وبنت الزوجة ، وبنت بنتها ، وبنت ابنتها ، والحماة وأمهات ، والاخت والعمة ،
والخاله ، وامرأة الاب ، وامرأة الابن ، وامرأة الاخ ، وأخت الزوجة ، تقول
التوراة في سفر اللاويين : « لا يقترب إنسان إلى قريب جسده ليكشف العورة ،
أنا الرب ، عورة أهلك ، وعورة أمك ، لا تكشف ، إنها أمك لا تكشف عورتها ،
عورة امرأة أهلك لا تكشف ، إنها عورة أهلك ، عورة أختك بنت أهلك أو
بنت أمك ، المولودة في البيت أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها ، عورة
ابنة ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها ، إنها عورتك ، عورة بنت امرأة
أهلك ، المولودة من أهلك ، لا تكشف عورتها ، إنها أختك ، عورة أخت أهلك
لا تكشف ، إنها قريبة أهلك ، عورة أخت أمك لا تكشف ، إنها قريبة أمك ،
عورة أختي أهلك لا تكشف ، إلى امرأته لا تقترب ، إنها عمتك ، عورة كنتك
لا تكشف ، إنها امرأة ابنك ، لا تكشف عورتها ، عورة امرأة أخيك لا تكشف ،
إنها عورة أخيك ، عورة امرأة وبنتها لا تكشف ، ولا تأخذ ابنة ابنها ، أو
ابنة بنتها لتكشف عورتها ، إنها قريباتها ، إنه وذيلة ، ولا تأخذ امرأة على أختها
للضر ، لتكشف عورتها معها في حياتها (١) .

وقد اعتمد التلمود على ما جاء في سفر اللاويين وتوسع العلماء الربانيون في
مخالات التحريم ، يفيد أن ذلك ملكية الأرض ، واشتغل اليهود بالتجارة ،
واختفى نظام العشائر ، ولجأ المخاضات إلى القياس ، فمثلا حرمت التوراة على
الرجل أن يتزوج حفيده ، فاستنتج التلمود شمول التحريم للأجدة ، باعتبار أن
النزول من الرجل إلى حفيده يكون درجتين ، فيقاس الصعور درجتين إلى جدته .

(١) لاويون ١٨ : ٦ - ١٨

ولسكن من ناحية أخرى ، فلقد أجاز الربانيون المصريون الزواج بأخت الزوجة إذا توفيت ، ذلك أن يحرم الجمع بين الأختين في التوراة والتلود على السواء ، إنما يستند إلى دفع الحرج بينها حال حياتها ، وهذا لا يتحقق متى توفيت الأخت الأولى (١) .

(٩) مكانة المرأة اليهودية :

لم تكن مكانة المرأة هزيلة ، كما قد يبدو ، على الرغم من أثر البداوة في النظم الاجتماعية العبرية القديمة ، فالزوجة كانت تتبع زوجها ، ولكن المرأة كانت تبجل كثيرا ، ولا سيما إذا كانت أما ، وفي الوصايا العشر « أكرم أباك وامك ، لكي تطول أيامك على الأرض (٢) » دون تمييز بين الوالدين .

ومن هنا ، فرغم أن المرأة كان ينظر - في وقت ما - على أنها جزء من المال الموروث ، وأن الرجل هو « بعل » المرأة (أى سيدها) ، ورب الأسرة ، ومن حق الرجل أن يطلقها في أى وقت ، وأن يقترن بنيرها ، بينما كانت المرأة لا تستطيع أن تهجر بيت الزوجية ، وهي مطالبة بالإخلاص للرجل ، وليس لها حق وراثته ، ورغم ذلك كله ، فكانت المرأة الإسرائيلية تختلف عن مكانة الأمة ، وذلك لأن حق الرجل لا ينصرف إلى المرأة ذاتها - إلى شخصية المرأة - وإنما ينصرف إلى حيازتها ، لكي تضع له أطفالا ، والرجل لا يستطيع أن يبيع امرأته ، كما يبيع أمته وابنته ، بل إن الرجل لا يستطيع أن يبيع أمته نفسها ، أو سبية الحرب ،

(١) لاويون ١٨ : ١٠ ، ١٨ ، ١٠ ، ثروت الأسبوطى : المرجع السابق

ص ٢٢٨ - ٢٢٩

(٢) خروج ٢٠ : ١٢

إذا ما اتخذها سرية له ، غير أن المرأة ملزمة بالذهاب مع زوجها ، والعمل معه كعبدین سداداً لدين ، وذلك لمدة ست سنوات (١) .

وكان للمرأة الإسرائيلية حق الملكية ، وبخاصة أشياءها الخاصة ، فهي تاتي إلى بيت الزوجية ، ومعها المنحة التي قد تمنحها لها أسرتها ، فضلا عن أمتها أو إمامتها (٢) ، وهكذا لم يكن مركز المرأة الإسرائيلية سيئا جدا ، فكون المرأة ملك الرجل ، ليس تقيصا لها كزوجة ، وإنما كأنثى ، لأنها كانت قبل الزواج ملكا لبيها ، وكان له الحق في بيعها كأمة لمن يرغب في شرائها (٣) ، والطاعة العمياء لرب الأسرة إنما كانت مفروضة أيضا على الأطفال ، إذ كان الأب يملك على أولاده حق الحياة والموت ، يقتلهم إذا شاء (٤) ، أو يقدمهم قربانا للرب (٥) ، بل إن هذا الحق إنما كان يمتد إلى كل من يعيش في كنف الأب ، فله - مثلا - أن يحرق زوجة ابنه إذا زنت (٦) ، وأما المرأة (الزوجة) فقد كان لها - دون بقية أفراد أسرة الرجل - في أهلها وأقاربها دوج يقيها شرعاديات الزمن .

وعلى أي حال ، فقد بلغت المرأة - رغم ذلك كله - مكانة جعلت قيسائلها باكلها ، تنسب إلى أمهاتها ، ومن ثم فهناك الكثير من الشواهد القديمة التي تذكر سلالات من بني إسرائيل نسبت إلى الام ، وهذا فضلا عن أن الام الإسرائيلية

(١) تثنية ٢١ : ١٤ ، خروج ٢٢ : ٢ - ٣ ، لاويون ٢٥ : ٢٩ ، ٤٧ ،

فؤاد حسنين : المرجع السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٤

(٢) تكوين ١٦ : ١ - ٢ ، ٢٦ ، ٢٤ : ٢٩ ، ٥٩ ، ٢٤ : ٣٠ ، ٤ : ٩

(٣) خروج ٢١ : ٧ (٤) تكوين ٤٢ : ٣٧

(٥) تكوين ٢٢ : ١٠ (٦) تكوين ٣٨ : ٢٤

إنما ظلت قرونا تحتفظ بنسبة بنينا إليها (١) .

وهكذا وصلت المرأة اليهودية - في بعض الأحيان ، وإن كانت قليلة ، بل ربما نادرة - إلى أعظم المناصب في التاريخ اليهودي - الدينى والسياسى - وطبقا لرواية التوراة ، فإن النبوة الإسرائيلية لم تكن أبدا مقصورة على الرجال ، دون النساء ، فلقد تنبأت المرأة ، كما تنبأ الرجل ، بل إن ظهور النبيات الإسرائيليات إنما قد بدأ ، حتى قبل أن يصل اليهود إلى فلسطين ، ومع أكبر نبوات اليهود وأعظمها - وأعلى بها نبوة السكيم ، عليه السلام ، كما استمرت المرأة تنبأ في إسرائيل ، حتى قبيل السبي البابلى بقليل (٢) .

ولعل « مريم » - أخت هارون وموسى - كانت أول نبيهة في ديانة يهود ، تقول التوراة : « فأخذت مريم النبية - أخت هارون - الهدف بيدها ، وخرجت بجميع النساء وراءها بدفوف ورقص ، وأجابتهن مريم رنموا للرب ، فإنه قد تعظم (٣) » .

وهناك من عصر القضاة « دبورة » ، النبية ، وربما كانت « حنة » أم صموئيل النبي ، نبيهة كذلك ، وأما « خلدة » امرأة « شلوم بن تقوة بن حرحس » ، فقد كانت نبيهة مشهورة على أيام الملك « يوشيا » (٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م) بل إن الملك اليهودى نفسه - حينما كان إرميا النبي (٦٢٦ - ٥٨٠ ق.م) ، غارقا في أحزانه ،

(١) A. Lods, ISrael, From its Beginnings to the Middle of

the Eighth Century; London, 1962, p. 192

(٢) أنظر : محمد بيومى مهران : النبوة والانبياء عند بني إسرائيل -

الإسكندرية ١٩٧٨ ص ٧١ - ٧٧

(٣) خروج ١٥ : ٢٠ ، عدد ١٢ : ٢ ، ٦٠٢

ولا يتنبأ إلا بالمصائب التي سوف تحمل باليهود - لم يجلد أمامه إلا «خلدة» النبية، لتنبأ له، وذلك لأنها كانت - فيما يرى - أكثر استعدادا - بفضل طبيعتها الانثوية - على كشف رحمة الله (١)، وهناك «حنة بنت قنويل»، - من سبط أشير (٢) - كما كانت زوجات الأنبياء، يدعون أحيانا نبيات (٣).

هذا إلى أن المرأة الإسرائيلية قد أخذت مكانها كذلك بين أنبياء إسرائيل الكذبة، ومن ثم فقد كان هناك نبيات كاذبات - كما أن هناك أنبياء كذبة - مثل «بوعدي» النبية (٤).

وأما من الناحية السياسية، فالتاريخ اليهودي يحدثنا أن المرأة قد بلغت فيه - في بعض الأحيان - شأوا عظيما، حتى أصبحت زعيمة قومها تارة، بل وقد جلست على عرش إسرائيل، تارة أخرى، ونقرأ في التوراة عن شخصية ظهرت في عصر القضاة، تعد - دون شك - من أقوى شخصيات ذلك العصر، وأعنى بها «دبورة»، زوجة «فيدوت»، من قبيلة أفرايم، والتي نالت ولاء قومها وزعامتهم، حتى أنها أصبحت «قاضية إسرائيل»، متخذة لها مركزا عند «مخلة دبورة»، - بين الزامة وبيت إيل في جبل أفرايم - (٥).

-
- (١) ملوك ثان ٢٣ : ١٤ ، أخبار أيام ثان ٢٤ : ٢٠ - ٢٨ ، قاموس الكتاب المقدس ١/٣٤٤ ، باروخ سبينوزا : المرجع السابق ص ١٥٣ ، حسن ظاننا : المرجع السابق ص ٢٦ ، وكذا C. Roth, op - cit, p. 45
- (٢) لوقا ٢ : ٣٦ - ٣٨ ، قاموس الكتاب المقدس ١/٣٢٤
- (٣) إشعياء ٨ : ٣ (٤) نحميا ٦ : ١٤ ، قاموس الكتاب المقدس ٣/٩٥٢
- (٥) قضاة ٤ : ٤ ، ٩ ، قاموس الكتاب المقدس ١/٢٦٨ ، حسن ظاننا : المرجع السابق ص ٢٨ - ٢٩

وقد قامت «دبورة» بالدعوة إلى العمل الموحد ضد السكنعانيين ، وكان «باراق» أول من لبى نداءها ، وجمع القوات الإسرائيلية عند جبل «تابور» في أرض الجليل ، حيث دارت رحى الحرب بين «تعاك» و «مجدو» على ضفاف نهر «قيشون» ، وأنجز الإسرائيليون نصرا كاملا على عدوهم ، سجلته دبورة في سفر القضاة من التوراة (١) .

ونقرأ في التوراة عن نساء كانت لهن مكانة عظيمة عند أزواجهن ، فقد استطاعت «بتشبع» الجميلة ، والأثيرة عند زوجها داود ، أن تنقل عرش إسرائيل من «أدونيا» - الابن الرابع لداود - إلى ولدها سليمان - الابن العاشر (٢) - وكانت «إيزابيل» بنت ملك صور ، ذات شخصية قوية ، ومن ثم فقد استطاعت أن تسيطر على زوجها الملك اليهودي «أخاب» ، (١٦٦-١٨٥ ق.م) ، بل إنها إنما قد فرضت - أو كادت - على إسرائيل نظام الحكم الفينيقى ، كما أنها جعلت ربه «بعل» يحل محل «يهوه» رب يهود في مملكة إسرائيل ، حتى أن زوجها «أخاب» نفسه ، إنما قد عبد البعل وسجد له ، كما أنشأ له معبدا في السامرة ، عاصمة إسرائيل ، كما أقامت «إيزابيل» لنفسها حاشية من أنبياء السواري ، بلغ عددها ٤٠٠ نبييا (٢) .

(١) قضاة ٤ : ١ - ٥ : ٣١ ، وكذا

W. F. Albright, The Biblical Period, 1963, p. 122

(٢) ملوك أول ١ : ١ - ٥٢ . محمد بيومي مهران : إسرائيل - الكتاب الثاني -

التاريخ - ص ٧٤٠ - ٧٤١ ، ٧٤٤ - ٧٤٥

(٣) ملوك أول ١٦ : ٣٠ - ٣٤ ، ١٨ : ١٩ ، ج كورتنو : الحضارة الفينيقية

ص ٧٤ ، وكذا

=

وليت الأمر اقتصر على ذلك ، فإن « عثليا » - ابنة إيزابيل وأخاب - إنما قد تزوجت من « يهورام » ملك يهوذا (٨٤٩ - ٨٤٢ ق.م) (١) ، ثم سرعان ما انتهزت قتل ولدها « أخزيا » (٨٤٣ ق.م) في حملة ضد « حزائيل » ملك آرام في « راموت جلعاد » (٢) ، حتى قتلت أبناء الأسرة المالكة في يهوذا ، وأعلنت نفسها ملكة في أورشليم ، كما أعلنت عبادة «بعل» كديانة رسمية في دويلة يهوذا (٣) ، بل إن « سيسل روث » ، إنما يذهب إلى أن هذه المرأة القوية ، إنما كانت تخطط لإقامة أسرة ملكية جديدة في أورشليم من موطن أمها (صور) (٤) ، فهي - كما نعرف - من أم صوريّة ، وأب إسرائيلي ، ثم هي في نفس الوقت زوج ملك يهوذي ، وأم ملك يهوذي كذلك .

وعلى أي حال ، فلقد استمرت « عثليا » تجلس على عرش يهوذا ست سنوات (٨٤٣ - ٨٣٧ ق.م) (٥) ، ثم انتهت حياتها إما بمؤامرة من الجيش ، أو بتمرد عام ضد عبادة البعل (٦) .

= Cecil Roth, A Short History of the Jewish People, London, 1969, p. 25

Martin Noth, The History of Israel, London, 1965, p. 242

(١) ملوك ثان ٨ : ١٨ ، أخبار أيام ثان ٢١ : ٦

(٢) ملوك ثان ٩ : ١٧ - ٢٩ ، أخبار أيام ثان ٢٢ : ٥ - ٩

(٣) ملوك ثان ١١ : ١ ، أخبار أيام ثان ٢٢ : ١٠ ، وكذا :

I. Epstein, Judaism, 1970, p. 47

(٤) C. Roth, op - cit, P. 32

(٥) William Foxwell Albright, The Biblical Period : وقارن :

From Abraham to Ezra, N. Y. 1963, p. 116

(٦) ملوك ثان ١١ : ١ - ٢١ ، أخبار أيام ثان ٣٣ : ١ - ١٥ ، وكذا

A. Lods, op—cit, P. 348—385

وفي عهد المكابيين جاءت « سالومي الكسندرا » لتتجاس على عرش اليهودية ،
ولمدة سنوات تسع (٦٧-٦٧ ق م) بعد زوجها «الكسندرجاني» (١٠٣-٧٦ ق م)،
وبدمن أن اعتلاء « سالومي » العرش ، إنما يشير إلى مكانة المرأة الممتازة في
حياة اليهود في تلك الفترة، إذ أن كلا من «ميركانوس» و «أرسطوبولس»
إنما كان صغيرا ، وفي حاجة إلى وصي يدير شؤون الدولة نيابة عنه ، وهكذا
أصبحت « سالومي » ملكة على يهوذا (١) .

(١) M. Noth, op-cit, p. 387—388

C. Roth, op-cit, p. 82—83 وكذا

الباب الرابع
التنظيم السياسي والاقتصادي
والقضائي والعسكري

الفصل الأول

التنظيم السياسي

(١) ما قبل الملكية :-

كان العبرانيون - عندما وصلوا إلى فلسطين - قد انخرطوا في قبائل وعشائر وأمر ، شأنهم في ذلك شأن بقية الساميين ، ومن ثم فالتاريخ يحدثنا عن اثني عشر سبطا ينتسبون إلى أبناء يعقوب الإثني عشر (١) من زوجاته الأربع (٢) .

وكان عدد أعضاء العشيرة يصل إلى ثلاثمائة شخص (٣) ، ويتساوى أعضاؤها في الحقوق والواجبات ، ويلتزمون بالأخذ بالتأثر ، ويتعرضون لثأر الغير (٤) ، فالعشيرة هي الوحدة الاجتماعية ، [ويعتقد أعضاؤها أنهم من دم واحد ، ويعتبرون أنفسهم أخوة ، وتقوم الرابطة بينهم على أساس من التضامن الاجتماعي ، ويمتثل لها عن طريق الختان ، الذي يولد رابطة الدم بين العضو والعشيرة ،

(١) هناك ما يشير إلى أن العدد اثني عشر، ربما كان أمر نظريا ، أكثر منه حقيقة تاريخية ، ومن ثم رأينا التوراة ، إما أنها تذكر بعد ذلك « لاوى » ، ومن ثم يذكر « بيت يوسف » كسبط واحد فقط ، ومرة لا يذكر « لاوى » وهنا يقسم بيت يوسف إلى سطين : أفريم ومنسى (عدد ١ / ٢٠) .

(٢) بنو لاوى : راويين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزيولون) وبنو راحيل (يوسف وبنيامين) وبنو بلهة (دان ونفتالي) وبنو زلفة (جاد وأشير) (تكوين ٣٥ : ٢٢ - ٢٦) .

(٣) تكوين ١٤ : ٤ : . (٤) تكوين ٤ : ١٤ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٤ .

وتضم العشيرة الأعضاء من أحرار وعبيد (وهم عادة أسرى حرب) ثم الجيران (الجيريم) . الذين يستجيرون بأحد أعضاء العشيرة ، ويلوذون بحمايته (١) .

ولم تكن هناك سلطة عليا فوق العشيرة ، تؤدي إلى تماسك القبائل ، بل كانت كل عشيرة تهتم على وجهها ، وفقا لهواها ، ولم تنشأ مثل هذه السلطة إلا في عهد موسى ، عليه السلام ، بعد أن أقام بنوا إسرائيل في «أرض جاسان» ، واجتمعوا في صعيد واحد مدة طويلة ، تزيد عن أربعة قرون ، واحتاجوا إلى قدر من التنظيم السياسي ، لتنفيذ خطة الخروج من مصر ، واغتصاب كنعان ، فعدا يشرف على القبائل والمشار الشيوخ (٢) (الزكائم) ، كما عاون موسى مجلس من سبعين (٣) ، بناء على نصيحة من « شعيب » - النبي العربي - في نظر القضايا الثانوية ، ويبقى هو المرجع الأعلى ، مما يدل على النبي العربي إنما قد تقدم موسى في عقيدته الإلهية ،

(١) ثروت الأسيوطي : المرجع السابق ص ١٥١ - ١٥٢ وكذا : خروج

٤ : ٢٥ - ٢٦ ، تكوين ٣٤ : ١٥ وما بعدها

L. G. Levy, op-cit, p. 67 F

وكذا

A, Loda, op-cit, p. 221 F

وكذا

(٢) خروج ٣ : ١٨ ، ٢٤ : ١٤ ، عدد ١١ : ١٦ ، ٢٤ ، ثروت الأسيوطي :

المرجع السابق ص ١٥٢ .

(٣) ينسب الأحبار إلى موسى خطأ تأسيس ما يسمى عادة بالمحكمة العليا أو

السندرين ، صحيح أن موسى اختار سبعين مساعدا له من شيوخ إسرائيل ، ليساعده في تنظيم شؤون الدولة ، ولكنه لم يقع قاتونا بتأسيس جماعة من سبعين عضوا ، بل على العكس ، فلقد أمر أن يقوم كل سبط في المدينة التي عينها له ، بتعيين قضاة للفصل في المنازعات ، طبقا للقوانين التي وضعها هو نفسه (باروخ سيتوزا : المرجع السابق ص ٥٥ ، ٤) .

وعليه تبليغ الشريعة ، وتنظيم القضاء في قومه (١) .

على أن « باروخ سينوزا » ، (١٦٣٢ - ١٦٧٧م) ، إنما يذهب إلى أن موسى لم يكن له الحق في انتخاب خليفة له ، وأن المفسرين إنما يسيثون ترجمة الآيات (عدد ٢٧ : ٢٩ ، ٢٣) ، والى لاتعنيان أن موسى قد أوصى يشوع أو أمده بتعليمات ، وإنما تعنيان أنه لصبه قائدا أعلى ، وهذا شائع دائما في الكتاب المقدس (٢) ، ومن ثم يذهب « سينوزا » بعد ذلك إلى أن موسى لو كان قد اختار له خليفة ، لأخذ على عاتقه مهمة إدارة شئون الدولة ، أى كان له وحده حق مخاطبة يوه (الله) في خبائه ، وبالتالي كانت له سلطة سن القوانين وإلغائها وإعلان الحرب ، وإقرار السلام ، وتعيين القضاة ، واختيار خليفة له ، أى له بوجه عام ، القيام بجميع وظائف السطة العليا ، ومن ثم يصبح الحكم في إسرائيل ملكيا ، مع فارق يسير ، هو أن الملكية العادية تقوم على تنفيذ مشيئة إلهية خافية على الملك نفسه على حين تقوم دولة العبرانيين - أو يجب أن تقوم - طبقا لمشيئة إلهية أو حيث إلى الملك وحده ، وهو فارق يزيد من سلطة الملك ، ولا يقلل منها شيئا .

أما الشعب فإنه يكون في كلا النوعين من النظام الملكي خاضعا ، جاهلا بالمشيئة الإلهية ، ذلك لأنه إنما يعتمد في كليها على كلمة الملك ، ويعلم منه وحده ، ما هو مشروع ، وما هو غير مشروع ذلك لأن اعتقاد الشعب بأن جميع أوامر الملك إنما لإلهام إلهي من شأنه أن يزيد من خضوعه له ، لا أن يقلله .

(١) خروج ٢٤ : ١ ، عباس العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين - القاهرة ١٩٦٠ ص ٨٠ ، باروخ سينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة حسن حنفي - القاهرة ١٩٧١ ص ٤٠٠ .

(٢) أنظر : خروج ١٨ : ٢٣ ، صموئيل أول ١٣ : ١٥ ، يشوع ١ : ٩ ، صموئيل أول ٢٥ : ٣٠ .

على أن موسى - عليه السلام - لم يختر خليفة له على هذا النحو ، وترك خلفائه دولة تدار شئونها بطريقة لا يمكن وصفها بأنها نظام شعبي ، أو اوستقراطي ، أو ملكي ، بل هي نظام ديموقراطي ، (١) .

وأيا ما كان الأمر ، فلقد استقر الإسرائيليون في فلسطين بعد حين من الدهر ، وقد أدى هذا الاستقرار إلى إحداث تغييرات جذرية في تنظيمات هؤلاء البدو الغزاة ، ومن ثم فلم تكن القبائل المكونة من مجموعة من عشائر ، بقادرة على الاستقرار كجماعة مترابطة في جهة واحدة - كما فعلت قبائل مذى ودان (٢) ، - بينما تشدت قبائل أخرى ، مثل سمعون ولاوي ، وتضامات قبائل مثل «راووين» (٣) وهبطت ماكير وجلعاد من قبائل - على أيام دبورة (٤) - فأضحت بطون ، بل مجرد عشيرة (مشباحة = Mishpahoth) في تاريخ الأنساب التقليدي (٥) .

ومن ناحية أخرى ، فقد ازدادت أهمية قبيلة «يهوذا» ، بسبب امتصاص هذه القبيلة اليهودية لعناصر كنعانية ، كالكينيين والقزوين والبرحميليين (٦) ، والقبائل شبه البدوية التي امتصتها يهوذا على أيام داود (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) ، وقد صورت هذه القبائل في تاريخ الأنساب ، وكأنها قد تحدرت من يهوذا (٧) .

(١) باروخ سينوزا : المرجع السابق ص ٤٠١

(٢) يشوع ١٧ : ١٤ - ١٨ ، عدد ٣٣ : ٢٩ ، ٤١ - ٤٢ ، قضاة ١٧ - ١٨ ،

(٣) تثنية ٣٣ : ٦ (٤) قضاة ٥ : ١٤ - ١٧

(٥) يشوع ١٧ : ١ - ١٢ ، وكذا A. Lods, op—cit, p. 391

(٦) أنظر : عن هذه القبائل : محمد بيومي مهران : إسرائيل - الكتاب الثاني

ص ٥٧٢ - ٥٧٨

(٧) أخبار أيام أول ٢ : ٩ ، ١٨ ، ٢٠ - ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٣ - ٢٥ ، وكذا :

A. Lods, op—cit, p. 391

ونمت قبيلة د بيت يوسف ، إلى درجة أنها قد انقسمت إلى قسمين وبرزت منها قبائل أفرايم ومنسى ، و د بنيامين ، (ابن اليد اليمنى) بمعنى الجنوب (وهو اسم له نفس معنى اليمن - أي جنوب شبه الجزيرة العربية) ، وهو دون شك المنطلق الجنوبي د لبيت يوسف ، القوي ، وإن كان هذا التقسيم - فيما يبدو - لم يتم إلا بعد الاستيطان في فلسطين بفترة طويلة ، ذلك لأن الجدد الأكبر (بنيامين) إنما قد صور - في التقاليد - كواقف لاحق في كنعان (١) .

ومن ثم فهناك افتراض بأن بعض القبائل الإسرائيلية التي جاءت في قوائم التوراة ، لم تظهر في الوجود حتى لحظة استيطان كنعان ، ومن ثم فقد سميت بأسماء الأماكن التي احتلتها ، ومنها - على سبيل المثال - جلعاد وبنيامين وأفرايم ، هذا فضلا عن أسماء أشير وبيت يوسف ، وفيما بعد شمعون ودان ، قد صورت فيما بعد على أنها إنما كانت موجودة في البلاد على أيام تحوتمس الثالث وسيتى الأول ورعمسيس الثاني ، ومن ثم فربما كانت هذه أسماء لقوم من الكنعانيين ، أو حتى أسماء لأماكن كنعانية (٢) .

وأيا ما كان الأمر ، فلقد اغتصب العبرانيون أرض د اللبن والعسل ، التي مهدتها السواعد الكنعانية بالجد والعرق والكفاح ، وتم تقسيم هذه الأرض التي

(١) تكوين ٢٥ : ١٦ - ٢٠ ، وكذا A. Lods, op-cit, p. 391
(٢) أنظر : تيودور روبنسون : المرجع السابق ص ١٠٨ ، كمد بيومي
مهران : إسرائيل - الكتاب الأول - التاريخ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، فيلب حتى :
المرجع السابق ص ١٩٣ ، وكذا Stanley Arthur Cook, op-cit, p. 360
وكذا W M. F. Petrie, Egypt and Israel 'London, 1925, p. 34
وكذا A Lods, op-cit, p. 46, 49-51, 392

استولت عليها القبائل الإسرائيلية بحق الغزو ، والامر كذلك بالنسبة للأرض التي يهزمون غزوها .

واستقر بنو إسرائيل في ربوع كنعان، وبقي بعضهم على ولائه لخرقة الرعي في الهضاب الجنوبية ، في حين نحوت غالبيتهم إلى فلاحية الأرض وزراعة الحبوب ، وشرع هؤلاء الرعاة في تطبيق أنظمتهم المتعلقة بالملكية الجماعية للأرض (١) ، ونقرأ في التوراة أن الأرض المفتوحة إنما كانت تقسم على إحدى عشرة قبيلة من قبائلهم الاثني عشر ، بينما وزعت القبيلة الثانية عشرة - وهي قبيلة لاوي - على القبائل الأخرى للخدمة الدينية ، وهذه القبائل إنما كانت بدورها تقسم إلى عشائر ، ولكنها تتجمع حول هيكل مركزي في « شيلوه » (٢).

وبدأت الأسباط المتميزة - بعد تقسيم الأرض - أقرب إلى الدولة الخليفة ، منها إلى الدولة الواحدة ، صحيح أنه بالنسبة إلى الدين ، كان يجب النظر إلى العبرانيين على أنهم أمة واحدة ، أما بالنسبة لعلاقة كل سبط بالآخر ، وحقوقه تجاهه ، فقد كانوا أسباطا متحالفة (٣) .

وهكذا ظل بنو إسرائيل يتبعون في بداية استقرارهم في فلسطين يتبعون التقسيم القبلي، واستمرت العشائر السابقة محور الحياة الاجتماعية، غير أن الحروب

(١) دد ٢٦ : ٥٢ - ٥٦ ، ٣٣ : ٥٤ ، ٢٤ : ١٣ ، ثروت الأسيوطي :

المرجع السابق ص ١٦٨ - ١٦٩

(٢) سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ص ١٤٠ وكذا

M. Noth, Das System des Zwölf Stammes Israel, 1930, p. 39-60

(٣) باروخ سينوزا : المرجع السابق ص ٤٠٤

M. F. Ungor, op—cit, p. 1015

وكذا

المتكررة ضد الفلسطينيين إنما قد اضطرتهم إلى أن يسندوا - من وقت لآخر -
الرياسة إلى شخص واحد ، أشبه بالقائد الحربي والزعيم الديني ، أطلق عليه لقب
« القاضي » ، حتى عرفت هذه الفترة بعصر القضاة (١) .

ولعل من الأهمية بمكان أن بعض العلماء - إنما قارن هذا النظام القبلي العبراني
بمجلس « الامفكتيون » (Amphictyony) اليوناني ، والذي يقوم على مبدأ
عائل من المركزية الدينية ، وكانت سلطة الكاهن الأكبر عظيمة ، ولكن من
المبالغة أن تزعم وجود حكومة « ثيوقراطية » ، فإن سلطة القضاة لم تكن سياسية ،
إذ كان القاضي يتصدر القوم في أثناء الأزمات ، وقد ظل هؤلاء القضاة يحكمون
العبرانيين طوال القرن ونصف القرن (٢) التاليين لدخولهم فلسطين ، وكانت سلطة
القضاة عارضة محدودة المدى والمدة ، وهي في هذا النظام تذكرنا بسلطة زعماء
النظام البدوي الذي تتميز به الحياة السامية في مراحلها الأقدم عهداً ، وكانت سلطة
القضاة تعتمد أساساً على رضا الله عنهم وتأيدهم لهم ، ومن ثم فقد سميت هذه
الفترة « عصر الرضا الرباني » (Chsismatic Age) (٣) .

ولم يكن القضاة قضاة بالمعنى المفهوم ، ولم يكونوا مشرعين بالمعنى القديم ،
وإنما كانوا طليقة من الأبطال المحاربين والمنقذين ، أقامهم الرب « ليخاطبهم من

Ernest Renan, Histoire du Peuple d'Israel, Paris, 1887, (١)
p. 293

وكذا A. Lods, op - cit, p. 386 F

(٢) أنظر الآراء المختلفة عن هذه الفترة : (محمد ييوى مهران : المرجع

السابق ص ٦٢٥

(٣) سبتيانو روسكاني : المرجع السابق ص ١٤٠ - ١٤١

يد ناهيهم ، ، ولم يكونوا خلفاء لبعضهم البعض ، بل إننا نشهد أكثر من واحد في وقت واحد ، ، ولم يكن في بني إسرائيل ملوك في تلك الايام ، حتى إذا كانوا من الكهنة ، ، وكان الواحد منهم يطلق عليه أحيانا لقب « ملك » ، أو « قاضى » (١) ، ذلك لأن لفظ « قاضى » (شوفط) إنما يستخدم في سفر « راعوث » بمعنى « وال » أو « حاكم » ، لكنه يرد في أسفار أخرى - مثل عاموس - بمعنى « ملك » (٢) .

هذا ويقوم من مقدمة سفر القضاة أن القاضى كان يتمتع بحق مقدس يمنحه إياه « يهوه » - رب إسرائيل - بهدف تحرير الشعب من معصية ارتكابها ، فعاقبه يهوه لهذه الخطيئة ، وأسله إلى طاغية مستبد ، ثم تاب الشعب ، فغفر له ، وقد تكرر هذا الصنيع أربعة عشرة مرة (٣) ، فيما بين موت يشوع ، وتولية شاول عرش إسرائيل ، فحكّم المجتمع الإسرائيلي في تلك الاعوام كانوا يسمون « القضاة » ، لأن كلا منهم إنما كان يصدر حكما على الحاكم المستبد المذل للمجتمع الإسرائيلي ، وذلك بتحرير هذا المجتمع من ظلم الظالمين (٤) .

والحق أنك لا تجد واحدا من القضاة استطاع أن يبسط سلطانه على جميع

(١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٥

(٢) عاموس ٢ : ٢ ، تثنية ١٧ : ٩ ، ١٢ ،

(٣) وأما هؤلاء القضاة فهم : عثنيل بن قناز واهود بن جيرا ، وشمير بن عناة ، ودبورة ، وجدعون ، وإيبالك ، وتولع ، ويائير الجلمادى ، ويفتاح الجلمادى ، وعبدون بن هليل الرعتونى ، وشمشون ، وعالى (أنظر : محمديومى

مهران : إسرائيل - الكتاب الثانى - التاريخ - ص ٦٣٠ - ٦٥٧)

(٤) فؤاد حسنين : إسرائيل عبر التاريخ - الجزء الاول ص ١٧٠

بنى إسرائيل ، فكل واحد من هؤلاء الحكام والشيوخ إنما كان يتسلم قيادة زمرة واحدة ، عندما تهدد هذه الزمرة تهديدا مباشرا ، وهو إذا ما كتب له النصر ، لم يحتفظ حتى بقيادة تلك الزمرة (١) .

وهكذا يبدو واضحا أنه لم يتم أحد - بعد وفاة موسى ، عليه السلام - بكل مهام السلطة العليا ، ومن ثم فلم يكن تصريف الأمور في دولة العبرانيين يعتمد على مشيئة إنسان واحد ، أو حتى مجلس واحد ، وكان بعض منها من اختصاص سبط ما ، والبعض الآخر من اختصاص بقية الأسباط ، وكان لجميع الأسباط نفس الحقوق ، مما يدل بوضوح على أن نظام الحكم بعد وفاة موسى لم يكن ملكيا ، ولا ارسقراطيا ، ولا شعيبا ، وإنما كان ديموقراطيا (٢) .

ومن هنا لم يتألف من الفزاة في يوم من الأيام أمة واحدة ، بل ظلوا زمنا طويلا ، يؤلفون إلى عشر سبطا ، مستقلين استقلالاً واسعاً أو ضيقاً ، نظامهم وحكمهم لا يقومان على أساس الدولة ، بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة ، فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكهنة ، هو الحكم الفصل في شئون القبيلة ، وهو الذي يتعاون مع القبائل الأخرى ، إذا جاءتهم إلى هذا التعاون الظروف القاهرة ، التي لا مفر من التعاون فيها (٣) .

-
- (١) جوستاف. لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى - ترجمة عادل زعير - القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٥
(٢) بادوخ سبينوزا : المرجع السابق ص ٤٠٧
(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة - الجزء الثاني - ترجمة محمد بدران .
القاهرة ١٩٦١ ص ٣١٧

(٢) الملكية الإسرائيلية :

وتمر الأيام ويدرك الإسرائيليون ، أن الظروف المحيطة بهم إنما تحتم عليهم الوحدة ، والإلتفات حول شخصية واحدة ، وإلا ذهبت ريمهم ، وطردهوا من فلسطين ، فقد كان الكنعانيون من ناحية ، والفلسطينيون من ناحية أخرى ، يضعون بني إسرائيل بين شقي الرحى ، كذلك كان المديانيون والمؤابيون والعمونيون والآراميون ، لا يكفون عن الإغارة على حدود إسرائيل ، فضلا عن الفرقة التي كانت تمزق بني إسرائيل من الداخل (١) .

وهكذا تجمعت الظروف الضرورية لقيام الملكية الإسرائيلية ، وقد كان ضغط الفلسطينيين على الإسرائيليين واحدا من أقوى العوامل الكثيرة لتجميع قوى بني إسرائيل ، وإنشاء مملكة ، وتنصيب ملك عليهم ، ومن ثم فقد اهتبل الإسرائيليون فرصة اشتداد الحرب بينهم وبين الفلسطينيين فأنهضوا لهم مملكة ، وربما كان الأصح أن تهديد الفلسطينيين للسكان الإسرائيليين من أساسه ، إنما كان هو السبب في قيام الملكية الإسرائيلية (٢) .

وتتجه التقاليد العبرية القديمة إلى أن الملكية ، إنما كانت خيرا وبركة على الشعب الإسرائيلي ، بينما ترى التقاليد المتأخرة (الأحدث) في الملكية اعنة حات بالمجتمع الإسرائيلي ، فباعدت بينه وبين الله ، وتقاسمت المصائب والنكبات ،

(١) سبتيانو موسكاني : المرجع السابق ص ١٤١ ، وكذا

O. Eissfeldt, op-cit, p. 570

(٢) عن قيام الملكية الإسرائيلية : أنظر : محمد بيوى مهران : المرجع السابق

وبدهى أن أصحاب الاتجاه الأخير ، إنما هم أصحاب السلطان الكهنوتي ، من رجال الدين ، الذين يعرضون بنظام الحكم في إسرائيل ، ويحاولون توجيهه إلى الوجهة التي تروق لهم ، ومن ثم فإن وجهة النظر الأخيرة هذه ، إنما تذهب إلى أن إسرائيل ما كانت في حاجة إلى النظام الملكي ، ذلك لأن كل ما كانت إسرائيل في حاجة إليه لإقرار النظام وسلامة الحكم ، إنما كان متوفرا لديها قبل قيام الملكية ، فقد كان على رأس المجتمع الإسرائيلي ربه يهوه ، الذي يحكم عن طريق خدامه من رجال الكهنوت - أو بالأحرى عن طريق كبير الكهنة - ولما كان القاضي يقوم بشئون إسرائيل المدنية - وبخاصة الحروب - ومن ثم فإن الكهانة إنما كانت ترى أن اختيار إسرائيل للنظام الملكي ، إنما هو رفض لسلطان « يهوه » - رب إسرائيل - وتقليدا للشعوب الوثنية المجاورة التي شاءت أن تستبدل الملك ، بالقاضي (١) .

وهكذا ترى « صموئيل » النبي يتردد كثيرا في إجابة شيوخ إسرائيل ، عندما ما أتوا إليه في « الرامة » ، يطلبون منه ، أن « اجعل لنا ملكا يقضى لنا كسائر الشعوب » ، بل « لقد ساء الأمر في عيني صموئيل ، وهنا تحدثنا التوراة أن الرب إنما قد خاطبه قائلا : « اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك ، لأنهم لم يرفضوك ، بل إياي رفضوا ، حتى لا أملك عليهم (٢) » .

على أن هناك اتجاها آخر ، يؤيد قيام الملكية الإسرائيلية ، بل ويذهب إلى أن « يهوه » هو الذي اختار الملك ، وهو الذي يمدد بالسلطان والعدالة ، وهو يحكم بفضل الله ، والملك أكثر من هذا ، إنما هو يمثل الرب على وجه الأرض

(١) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٦٩ - ١٧٠

(٢) صموئيل أول ٨ : ١ - ٨

وهو صدرته ، فالمجتمع الإسرائيلي كان يعتقد أن الله هو ملك الملوك ، ونقرأ في التوراة : « أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون ، و « يامن بيتك وملكك إلى الابد أمامك ، كرسيك يكون ثابتا إلى الابد ، و « قطعت عهدي مع مختاري حلفت لعارد عبيدي الى الدهر ، أثبت نساك (١) . »

وعلى أي حال ، فالملك - في نظر التوراة - هو الشخص المكرس ليهوه (نذير = Nazir) ، ومسيح الرب يهود ، ومن العصيان أن ترتفع يد ضده (٢) ، ومن أشق الأمور أن تلعن الملك ، لأنك تلعن ديهوه ، (الله - والعباد بالله) نفسه (٣) ، وكان القوم يعتقدون أن للملك قوى ، مثل « رجال الرب » عند الشعوب البدائية ، الذين يتحركون في المطر والشمس ، ومن ثم يفترض أنه هو الذي يتسبب في المجاعة (٤) ، وكان يخاطب على أنه « نفس أنوقنا ، مسيح الرب (٥) ، ، وأنه « سراج إسرائيل (٦) ، وتقارن حكمته بشيلا عند ملاك الرب ، ولأن الملك إنما هو كلاك الله لفهم الخير والشر (٧) . »

وطبقا لرواية التوراة ، فن حقه أن يدعى أنه « ابن الرب » ، « أنا أكون

(١) مزمور ٢ : ٦ ، ٨٩ : ٣ - ٤ ، صموئيل ثان ٧ : ١٦ ، فؤاد حسنين :

المرجع السابق ص ١٧١

(٢) صموئيل أول ٢٤ : ٧ - ١١ ، ٢٦ : ٩ - ١١ ، ٢٣ ، صموئيل ثان

١ : ١٤ - ١٦ ، ٤ : ١٢

(٣) خر-ج ٢ : ٢٧

(٤) ملوك ثان ٦ : ٢٦ - ٢٧ ، إشعياء ٨ : ٣١ ، مزمور ٧٣ : ٣ ، ١٦

(٥) سرائي إرميا ٤ : ٢٠ (٦) صموئيل ثان ٢١ : ١٧

() صموئيل ثان ١٤ : ١٧

له أبا ، وهو يكون لي ابنا ، (١) ، لأنه عند تنويجه يجعله ربه « يهوه » ، هدفا لإقرار خاص بالتبني ، « إني أخير من جهة قضاء الرب ، قال لي : أنت ابني ، أنا اليوم ولدتك » (٢) ، « وتمادوا بعض الملوك إلى حد بعيد ، حتى اتحلوا لقب « الآلهة » (٣) ، ولكن سبق ان أقامت « اليهودية » (Jahwism) تميزا حادا بين « إلوهم » (Elohim) ، وبين المخلوق الفاني ، حتى لا تؤخذ هذه الإدعاءات مأخذ الجد (٤) .

ومن ناحية أخرى ، فلقد كان الملك كذلك كاعنا ، وقد رقص داود رقصة مقدسة أمام التابوت مرتديا لباسا كهنوتيا (إفود من الكتان) (٥) ، ومن بعده بارك سليمان شعبه (٦) ، ومن قبلها أعير شاول في طفولته إلى « يهوه » ، والحق بمعبد « شيلوه » ، وكان الملك يعين الكهنة ويقيلهم من وظائفهم حسب أهوائه الشخصية ، كما كان يغير من أثاث المعبد في أي وقت يشاء (٧) .

وكان الملك يمنح سلطته المقدسة عن طريق مسحه (دهانه) ببيت البركة ، وهي طقوس ذات شكلين ، الواحد : ديني ، والآخر : أكثر ديمقراطية ، وكان الشكل الديني لهذه الطقوس مستخدما في سورية في القرن السادس عشر قبل

(١) صموئيل ثان ٧ : ١٤

(٢) مزمور ١٢ : ٧ (٣) مزمور ٨٢ : ٦٠

(٤) Adolphe Lods, *Israel, From its Beginnings to the Middle of the Eighth Century*, Translated by S. H. Hooke, London, 1962, p. 393-394

(٥) صموئيل ثان ٦ : ١٤ (٦) ملوك أول ٨ : ٥٤ - ٥٦

(٧) A. Lods, *op—cit*, p. 355-356, 394

الميلاد ، وهو يفترض أن عادة مسح الملك بزيت البركة ، إنما كانت سابقة لعصر
د شاول ، (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م) (١) .

وكان الشيوخ القدامى يحملون « الحربة » ، أو « الإكليل » ، (الذي يليق على
الرأس) و « السوار » ، (الذي يليق في النزاع) (٢) ، وهما شعار الملكية القديم ،
وربما لم يقتبس « التاج » ، كذلك قبل عهد « داود » ، (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق م) (٣)
وأصبحت مراعاة قواعد آداب السلوك والتعامل واجبة في القصر الملكي ، كلما
تقدم الزمن ، وطبقا لتقاليد الشعوب المجاورة ، فلقد أصبح من الواجب على كل
شخص يريد مقابلة « داود » ، أن يقدم التماسا بذلك ، فضلا عن أنه إنما يكون
بجرا على أن يركع بنفسه أمامه على الأرض (٤) .

ونظرا لأن القوم إنما كانوا يعتقدون أن ملكيتهم إنما كانت ذات أصول
دينية ، فلقد أصبحت السلطة الملكية دينية مطلقة ، وإن كانت هناك قلة من الملوك
- من أمثال سليمان وأخاب - بقادرة على إملاء سلطتها وإرادتها على الشعب
الإسرائيلي .

ومع ذلك ؛ فقد كانت هناك حدود لسلطة الملك الإسرائيلي ، منها (أولا)
أن عدم وجود قاعدة ثابتة لوراثة العرش (٥) ، قد أعطت القوم فرصة لاختيار

(١) Ibid, p. 394 (٢) صموئيل ثان ١ : ١٠

(٣) صموئيل ثان ١٢ : ٣٠ - ٢٢ (٤) صموئيل ثان ١٤ : ٤

(٥) لم تكن هناك قاعدة ثابتة قد وضعت (حتى أيام داود على الأقل) لخلافة
العرش في دولة إسرائيل الجديدة ، ولكن بما لاشك فيه أن الابن الأكبر في
البيت المالك كان صاحب الحق في ذلك ، إلا أن مكانة الأم ، وتميز الملك ،
واختيار الشعب ، وموافقة يهوه (رب إسرائيل) الصريحة ، قد تكون سببا في
اختيار أحد إخوته الصغار (A. Lods, op-cit, p. 364)

ملكهم الجديد ، أو على الأقل ، وضع شروط لا بد وأن يرضح الملك الجديد لها ، وإلا فلن يحصل الملك على موافقة القبائل على تنويجه ملكا لإسرائيل ، ومثال ذلك ، ما حدث بعد وفاة سليمان في عام ٩٢٢ ق.م . إذ اجتمعت القبائل على هيئة مؤتمر عام في « شكيم » - على مبعدة ٦ أميال إلى الشمال الغربي من السامرة ، ٣١ ميلا شمال أورشليم - وأتى « رحبعام بن سليمان » إلى هناك ، وأرادت القبائل الإسرائيلية أن تجعله ملكا ، وخليفة لآبيه سليمان ، أى أن هذه القبائل إنما أرادت أن تناقش معه أمر التعمين ، وأن يملو شروطهم على الملك الجديد ، قبل موافقتهم على جلوسه على عرش إسرائيل (١) .

وبدهى أن هذا ، إنما يعنى أن القبائل الإسرائيلية لم تعترف بالوراثة التقليدية ، التى حدثت من قبل في الحالات الضرورية ، كالتى حدثت بعد سقوط شاول ، وتولية ابنه « إيشبعل » ، بسبب نفوذ « أبير » ، المهاب ، ومرة أخرى عند وفاة داود وتولية سليمان ، بسبب قوة داود الشخصية ، والأمر كذلك بالنسبة إلى اختيار كل من « شاول » و « داود » ملكا على إسرائيل (٢) .

وهكذا يمكن القول أن القوم إنما أرادوا أن يمنحوا التاج بأنفسهم لرحبعام ، وان يعتقدوا معه ميثاقا ، وقد أعطوه أفضلية على غيره ، بصفته الابن الأكبر لسليمان العظيم ، ولكنهم طلبوا منه تأكيدا بانتهاء الأعياد التى أصبحت لا تطلق

(١) Martin Noth, The History of Israel, London, 1965, (١)

p. 226

(٢) أنظر عن هذه الأحداث : محمد بيومى مهران : إسرائيل - الكتاب

الثانى - التاريخ - الإسكندرية ١٩٧٨ ص - ٧٠١ - ٧٠٧ ، ٧٤٠ - ٧٤١ ،

منذ أيام سليمان ، وبدهى أن من هذه الأعباء الجزية النوعية ، طالما أن المدينة الكنعانية السابقة هي التي احتضنت الحركة (١) .

ويبدو أن فريقا من المؤرخين قد وجدوا غرابة في أن ملكا ، كان له الحق - كما كان لأبيه من قبل ، وكما سوف يكون لابنه من بعده - في أن يجلس على العرش بحق الوراثة ، ومع ذلك فهو يرضى بأن يطرح حق وراثة العرش للتصديق الشعب ، ومن هنا فإن هذا المريق من المؤرخين إنما يستنتجون أن اجتماع شكيم ، إنما كان اجتماعا ثوريا ، قصد منه الملك محاولة استعادة الإسرائيليين الذين تمردوا من قبل ، وليس لتنصيبه ملكا - كما تقول التوراة - ولكن حكم الوراثة المطلق لم تكن قد تثبتت أقدامه بعد في إسرائيل ، حتى يستطيع الملك أن يعزو من متاعب الحصول على الموافقة الشرعية ، سواء فيما يختص بتعاقب الملوك ، وبخاصة في أوقات المحن ، أو حتى في أمور 'تشريع الهامة' (٢)

ومنها (ثانيا) أن الملوك سمحوا ببناء التنظيم القبائلي القديم بالبقاء ، ومن ثم فقد استمر الشيوخ - وهم رؤساء العائلات الرئيسية في إسرائيل - يناقشون أمور مدنهم الهامة ، ويصدرون الأحكام في بعض القضايا ، كما كان دأبهم ، ملك إسرائيل يشاور الشيوخ في عظام الأمور (٣) .

غير أن قيادة الملك الإسرائيلي للجيش إبان لحروب ، إنما قضت تدريجيا

(١) M Noth, op-cit, p. 226—227

(٢) صموئيل ثان ١٦ : ١٨ ، ملوك أول ١ : ٤٠ ، ٣ : ٥ ، ١٢ : ١١-١٠ ،

ملوك ثان ١١ : ٤ - ٢٠ ، ٢٣ : ٣٠ ، وكذا

J. Lods, op - cit, P. 372—373

(٣) ملوك أول ٢٠ : ٧-٨ ، ٢١ : ٨-٤ ، ملوك ثان ١٠ : ١-٥

على الأمر والقبائل الإسرائيلية التي كانت من قبل هي التي تتولى الدفاع ، فتحظى بشرف النصر ، واستتبع قيام الملكية وتولى الملك قيادة الجيش إبان الحروب ، لإنشاء جيش عامل تولى قيادته وتدريبه رجال من قبل الملك، ويدينون له ولعرشه بالولاء ، كما حرص الملك على إسناد المناصب الرئيسية في الجيش إلى أقاربه والمخلصين له ولبيته ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل نجد شيوخ القبائل أو البطون لا يبلغون مكانتهم عن طريق منزلتهم من أهل القبيلة أو السبط ، بل عن طريق النفوذ الملكي ودرجة إخلاصهم للعرش (١) .

ومنها (ثالثاً) أن الملك الإسرائيلي كان يقوم بتعيين موظفين لجباية الضرائب، وزيادة عدد القوات العسكرية، ورغم أن القوم إنما كانوا يطلبون أن يحكم الملوك في قضاياهم مباشرة ، غير أن منفذى الأحكام التي يصدرها الملوك ، إنما كانوا يقيمون وسط ذرى قربانهم ، وليس هناك رابطة مباشرة بينهم وبين الملك أو أتباعه (٢) .

غير أن أيلولة القضاء إلى الملك إنما قد جردت أولئك الذين كانوا يباشرونها من رؤساء الأسباط والكهنة منها ، وهكذا نجد الملك في المجتمع الإسرائيلي يصبح قاضياً ، وباسمه تصدر الأحكام ، حتى أصبح لفظ «قاضى» مرادفاً للفظ «ملك» (٣) .
ومنها (رابعاً) أن الأنبياء كثيراً ما كانوا يثيرون سخط الملوك - حتى الاتقياء منهم - بسبب السلطة التي كان مهترفاً بها لهم في الحكم على حسن الأفعال وقبحها ،

(١) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٧٢

(٢) ملوك ثان ٤ : ١٣ ، وكذا A. Lods, op-cit, p. 395

(٣) أنظر : تثنية ١٧ : ٩ ، ١٢ ، ملوك ثان ١٥ : ٥ ، إشعياء ١٦ : ٥

وفي لوم الملوك أنفسهم عندما يتعارض سلوكهم العام أو الخاص ، مع ما قرره الانبياء ، وهكذا نقرأ في التوراة أن الملك داسا ، (٩١٣ - ٨٧٣ ق.م) إنما قد حكم طبقا للشريعة ، ولكنه وضع دحناق، في السجن ، لأنه تجرأ على لومه علانية لوما شديدا للإتفاق الذي عقده مع ملك الاراميين (١) .

وعلى أى حال ، فلم يكن هناك دستور يحدد لحقوق الحاكم أو ذوى قرباه ، ولم يكن قانون الملكية ، الذى جاء في سفر التثنية من التوراة (٢) ، لم تكن أكثر من ترخيص سياسى بقيام الملكية، وهو - على أى حال - يفتى إلى مرحلة لاحقة، من الواضح أنها أضيفت فيما بعد إلى القانون التثوى ، كما يبدو من نص التثنية (١٧ : ١٨ - ٢٠) .

(١) ملوك أول ١٥ : ١١ - ١٤ ، أخبار أيام ثان ١٦ : ٧ - ١٠ ، باروخ سينتوزا : المرجع السابق ص ٢٤٤

(٢) جاء في هذا القانون : « متى أتيت إلى الأرض التى يعطيك الرب إهلك وامتلكتها وسكنت فيها ، فإن قلت اجعل على ملكا كجميع الأمم الذين حولي ، فإنك تجعل عليك ملكا ، الذى يختاره الرب إهلك ، من وسط إخوتك تجعل عليك ملكا ، لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ، ليس هو أخاك ، ولكن لا يكثر له الخيل ، ولا يرد الشعب إلى مصر كي يكثر الخيل ، والرب قد قال لكم لا تمودون ترجعون في هذا الطريق أيضا ، ولا يكثر له نساء لئلا يزبغ قلبه ، وفضة وذهبا لا يكثر له كثيرا ، وعندما يجلس على كرسي ملكته يكتب له نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين ، فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته ، لكي يتعلم أن يتق الرب إلهه ، ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليحفظها ، لئلا يزبغ قلبه على إخوته ، ولئلا يحيد عن الوصية يمينا أو شمالا ، لكي يطيل الأيام على ملكته هو وبنيه في وسط إسرائيل (تثنية ١٧ : ١٤ - ٢٠)

ويصف المصدر المعاصر لحكم الملكية النبي صموئيل بأنه قد أنذر الملائ من قومه بغضب الرب ، إن هو رضى فذلك عليهم ملكا ، ذلك أنه كان منتظرا أن تظهر في ملوك إسرائيل كل مظاهر البذخ والإسراف التي كانت تقترن بها حياة الملوك السابقين ، فضلا عن المجاورين لهم من أمم لها ملوك ، كان منتظرا أن يسعروا الشباب لصنع الأسلحة وحملها. والاشتباه في الحروب، وخدمة العرش، وكان منتظرا كذلك أن يسعروا بنبيهم لفلاحة أراضيهم ، وأن يأخذوا من بناتهم وزوجاتهم عطارات وطباخات ونخبازات ، وكان منتظرا أن تفرض الضرائب الثقيلة على الحقول والكروم ، وحتى البهائم والغنم (١) .

ويشهد قلق د حزقيال ، (٤٩٣ - ٥٧٣ ق.م) على وجود هذه الأخطاء التي حذر منها د صموئيل النبي ، بغية عدم تكرارها ، وبالرغم من أنه حتى د أخاب ، إنما قد أجبر على أن يلجأ إلى الاتهام الباطل الذي اتبعه في الحصول على بساتين كروم د نابوت ، اليزرعيلى (٢) ، فإن سلطة الملك إنما قد أجبرت فقط على التخلي مظهريا عن المبدأ القائل بأن ما يرثه الفرد عن أسلافه لا يصح أن ينتهك (٣) .

وأيا ما كان الأمر ، فلقد ساعد قيام الملكية في إسرائيل على إيجاد حكومة مستقرة ، نجحت في الحفاظ على الأمن في ربوع البلاد ، وإن كان هذا لا يمنع من القول بأنه طوال فترة حكم الشعب لم تنشب إلا حرب أهلية واحدة، وأشفق المنتصرون على خصومهم المهزومين ، إلى حد أنهم ساعدوهم بكل الوسائل على

(١) صموئيل أول ٨ : ١٥ - ١٥ ، وكذا A. Lods, op—cit, p. 395

(٢) ملوك أول ٢١ : ١ - ٢٩

A. Lods, op—cit, p. 396

(٣)

استرداد كرامتهم وقوتهم الاولى (١) .

ولكن عندما استبدل الشعب - الذي لم يكن مهيبا للخضوع للسلطة الملكية - نظاما ملكيا بالانظام الاول ، توالت الحروب الاهلية دون توقف ، ووقعت معارك رهيبية لم يحدث مثلها حتى ذلك الحين ، فقد قتل عاربوا د يهوذا ، خمسمائة ألف من عاربي د إسرائيل ، في معركة واحدة (٢) (وهو أمر لا يمكن تصديقه بحال من الأحوال) ، وفي معركة أخرى ، أباد عاربوا إسرائيل بدورهم عددا كبيرا من سكان يهوذا ، وأسروا الملك ، وهدموا جزءا كبيرا من حائط اورشليم ، وسلبوا المعبد كله ، ثم رجعوا بغنائم عظيمة ، بعد أن ارتوا من دماء إخوتهم اليهوديين ، وأخذوا منهم رهائن كثيرة (٣) ، وبعد بضع سنوات استعادت يهوذا قوتها ، وسرعان ما نشب القتال بينها وبين إسرائيل ، في معركة حامية الوطيس ، كتب النصر فيها للإسرائيليين على اليهوديين ، فقتلوا مائة وعشرين ألف رجل ، وأسروا مائتي ألف طفل وامرأة من اليهوديين (٤) .

أضف إلى ذلك أن القوم قبل الملكية إنما كانوا - كما تقول التوراة - ينعمون بفترات من الأمن والسكينة ، وصلت إلى أربعين سنة في بعض الأحيان ، وإلى ثمانين سنة في أحيان أخرى (٥) ، أما أثناء الملكية فكانت الحروب تكاد لا تنقطع بعد أيام سليمان العظيم - صلوات الله وسلامه عليه - وهكذا تجرد المجتمع الإسرائيلي - وبخاصة في الشمال - لا يخرج من دوامة ، إلا وتلقفه أخرى ، وتتحول

(١) قضاة ١٩ : ١ - ٢ : ٤٨ (٢) أخبار أيام ثان ١٣ : ١٣ - ٢٠

(٣) ملوك ثان ١٤ : ٨ - ٢٠ ، أخبار أيام ثان ٢ : ١٧ - ٢٨

(٤) أخبار ثان ٢٨ : ٦ - ٨ ، باروخ سينتوزا : المرجح السابق ص ٤٢٤ - ٤٢٥

(٥) أخبار أيام ثان ٣ : ٧ - ٣٠

إسرائيل - أو الدولة الشمالية - إلى مسرح الانقلابات السياسية ، فلا يكاد يتربخ على عرشها ملك ، حتى يقتله آخر ، ويحل محله ، معتقدا أو مدعيا ، أنه يحرر الشعب ، ويأخذ بيده إلى العزة والرفاهية ، أما يهوذا ، فقد غدت أهميتها السياسية ضئيلة ، فانزوت بين تلالها في الجنوب ، ولم يجد النفوذ الاجنبي كبير عناء ليمتد إليها في كل شئونها ، الدينية والديوية (١) .

وأما علاقة الدولتين - إسرائيل ويهوذا - ببعضها ، فلم تكن في أغلب الاحايين طيبة ، فقد كانت الواحدة منها تريق دماء الاخرى ، في نزاع إثر نزاع ، من أجل الحدود قارة ، ومن أجل سيطرة الواحدة على الاخرى ، تارة اخرى ، وهكذا كانت منذ البداية حروب بين رحبعام ويريعام كل الايام ، وقد ظلت الحروب مشتتة الاوار بينها ، يرثها خلف عن سلف ، وكانت حروب بين آسا وبمشا ملك إسرائيل كل أيامها (٢) ، وهكذا نسمع دائما عن اقتتال إسرائيل ويهوذا بين الفينة والفينة ، بل إن التوراة كثيرا ما تتختم حديثها عن كل ملكين متعاصرين في إسرائيل ويهوذا بهذه العبارة « وكانت بينهما حرب كل الايام » .

وأخيرا ، فإن الانبياء الكذبة لم يخذعوا الشعب إلا بعد أن تركت مقاليد الامور للبلوك ، والذين كثيرا ما كان الكثير من هؤلاء الانبياء الكذبة يتملقونهم ، هذا فضلا عن الشعب إنما قد اعتاد أن ينتقل بين روح التعالي وروح التواضع ، حسب الظروف ، كان يستطيع أن يقنوم نفسه بسهولة ، عندما تحمل به المصائب ، فيتوجه إلى الله ، ويعيد للقوانين حرمتها ، بحيث لا يتعرض للخطر ، أما الملوك ،

(١) فواد حسنين : المرجع السابق ص ٢٤٥ وكذا

M. Noth, op—cit, p. 40

(٢) ملوك أول ١٤ : ٣٠ ، ١٥ : ١٦

الذين اعتادوا الكبر والغرور ، فلم يكن في استطاعتهم أن يباطثوا رؤوسهم ،
دون إذلال لأنفسهم ، ولذلك تمسكوا برذائلهم ، حتى حل الحزاب الكامل بالمدينة
القدسة (١) .

وعلى أى حال ، وأى كان أثر الملكية على شعب إسرائيل ، فقد كان هناك
- على أيام الملكية - موظفون كثيرون في الدولة ، وأعلى هؤلاء الموظفين ، إنما
كان المذكير ، (Mazkir) (كاتم أسرار الدولة) (٢) ، و«كاتب الدولة» (٣) ،
والذى كان موظفا هاما ، يوحى بالاحترام ، وكانت وظيفته تدوين الحوادث
الهامة ، وحفظ الحوليات الملكية ، التى كانت دون شك أساس كل الإشارات
الحقيقية في التوراة للنظام الإدارى والبناء الاجتماعى (فى عهد داود مثلا) ،
ومن بينها الإشارة إلى التعداد القومى الكبير ، فضلا عن الإشراف على جميع
المراسلات بين الملك وموظفيه ، وكذا مع الأمراء الأجانب .

وهناك من الموظفين المرموقين كذلك ، رئيس السخرة ، ورئيس الجلادين ،
وصاحب الملك ، وعبد الملك ، ومدير البيت ، ورجال التشريفة ، وموظفو
الحريم ، هذا فضلا عن اثنى عشر موظفا كانوا يتولون الأمور المالية ، أما
موظفوا الحاشية فكانوا كثيرين ، فمنهم الساقى والموكل بالملابس وغيرهما ، أما
حاكم المحافظة فكان ضابطا ، وكان يشرف على شئون محافظته ، فضلا عن جمع
الضرائب التى كان يحتاجها الملك (٤) .

(١) باروخ سينوزا : المرجع السابق ص ٤٢٥ - ٢٤٦

(٢) صموئيل الثانى ٨ : ١٦ ، ٢٠ : ٢٤ ، ملوك أول ٤ : ٣

(٣) صموئيل الثانى ٨ : ١٧ ، ٢٠ : ٢٤ ، ملوك أول ٤ : ٣

(٤) صموئيل ثان ٨ : ١٨ ، ملوك أول ٤ : ٥ - ٦ ، ١٠ : ٥ ، ٢٢ : ٤ ، ٢٣ : ٤

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن سليمان - عليه السلام - إنما قد عمل على تفتيت أى تحالف بين القبائل ، ومن ثم فقد مزق الحدود القديمة التى كانت تفصل بين قبيلة وأخرى ، ثم قسمها إلى اثنتى عشرة محافظة ، تختلف فى حدودها عن الحدود القديمة للقبائل الاثنتى عشرة ، وفرض على كل محافظة إعاشة الملك وحاشيته وجيشه وخيله شهرا فى السنة (١) .

ومن المعروف أن مملكة « شاول » كانت بسيطة ، ومن ثم فلم يحرص شاول على فرض جديدة من أجل جيشه ، كما أنه استمر يعيش من عمله فى حقله الخاص ، ولم يتخذ لنفسه قصرا أو بلاطا مترقا ، وكان فى أول كل شهر ، وعند مشرف كل قر جديد ، يقيم مأدبة فى منزله يدعو إليها ضباطه ، ويجلس فى صدارتها على مقعد ، مستقدا على الحائط ، وإلى يمينه حريمه ، كما أنه اعتاد أن يعقد مجلس الحرب فى ظلال الشجرة المقدسة فى « جبعة » ، وظل حاكمه فى مظاهر كثيرة ملكيا قلبيا ، ولكنه كان أكثر تقدما مما كان عليه أيام جدعون ويفتاح (٢) .

وعلى أى حال ، فرغم أننا لانعرف الكثير عن الشئون الإدارية فى إسرائيل ، على أيام داود ، فليس هناك من شك ، فى أن داود إنما كان مستولا عن بعض

ملوك ثان ٨ : ٦ ، ٩ : ٢٢ ، ١٠ : ٢٢ ، أخبار أيام أول ٢٧ ، إشعياء ٣ : ٣ ،
فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٧٥

(١) صموئيل ثان ٩ : ٩ ، ١٣ : ٢٢ ، ١٦ : ١٦ ، أو ما بعدهما ، ١٩ : ٢٥
وما بعدهما ، وكذا

O. Eissfeldt, CAH, II, Part, 2, Cambridge, 1975, p. 591

وكذا A. Lods, op—cit, p. 371

(٢) صموئيل أول ١٢ : ٥٠ - ٥٢ ، ٢٢ : ٧ ، صموئيل ثان ٤ : ٢-٣ وكذا

A. Lods, op—cit, p. 356—357

التغييرات الأساسية في شئون الإدارة ، والدليل على ذلك من قائمة الموظفين الكبار ، التي جاءت في التوراة - كما رواها سفر صموئيل الثاني (١) - وكان كل منهم يدير هيئة من الهيئات الحكومية ، يساعده في ذلك دون شك هيئة من الموظفين الصغار ، ومن الواضح أن هذا التنظيم قد أصبح تدريجيا ، ذلك لأن المقارنة بين القائمة التي قدمتها لنا التوراة في سفر صموئيل الثاني - والتي ترجع على أية حال - إلى الجزء الأخير من عهد داود ، وتلك التي قدمتها لنا التوراة كذلك - في سفر الملوك الأول (٢) - عن موطن عهد سليمان الكبار ، تظهر المقارنة بوضوح تلك الزيادة المستمرة في عدد الموظفين الرئيسيين (٣) .

وأيا ما كان الأمر ، فإن الجهاز الحكومي الإسرائيلي بين التشريع والإدارة ، أو بين المدنيين والعسكريين ، فوظف الملك كان يمثل جميع السلطات - عسكرية أو إدارية أو قضائية - ومن هنا نجد كيف تجمعت السلطات في يد فرد ، ومن هنا فلا عجب إذا وجدنا الانبياء يوجهون مرّ النقد إلى الموظفين ، ذلك لأن الموظف إنما كان آلة في يد الملك أو رجاله ينفذون كل ما يأمر به دون إبداء أى اعتراض ، فكان الموظف يرتضى وتمتد يده إلى كل ما تصل إليه ، فهدف الموظفين إنما هو جمع الثروات فحسب ، وفي سبيل ذلك كانوا يقترفون مختلف أنواع الجرائم ، فالرشوة والتعزير من الصفات المميزة للموظفين - كبارا كانوا أم صغارا - ومن ثم فلا عجب إذا تحطمت الوحدة الاجتماعية في إسرائيل إبان عهد النظام الملكي (٤) .

(١) صموئيل ثان ٨ : ١٦ - ١٨ ، ٢٠ : ٢٣ - ٢٦

(٢) صموئيل ثان ٢٠ : ٢٢ - ٢٦ ، ملوك أول ٤ : ٢ - ٦

(٣) M. Noth, op-cit, p. 271

(٤) صموئيل ثان ١١ : ١٤ ، ملوك أول ١٣ : ١٠ ، فؤاد حسنين : المرجع

وأخيرا ، فلمل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن اليهودية إنما قد أصبحت - فيما يرى بعض الباحثين - بعد العودة من السبي البابلي في عام ٥٢٩ ق.م ، « جمهورية ثيوقراطية » ، يحكمها الكهنة الشيوخ (١) ، وقد أقام « نحميا » (٤٤٥) - (٤٢٣ ق.م) و « عزرا » (الذي وصل إلى اورشليم حوالي عام ٢٩٨ ق.م) نظاما للحكومة تتمتع بالحكم الذاتي في فلسطين ، وكان لها مجلس له رئيس يتولى السلطة الإدارية العليا في البلاد ، ويساعده مجلس مكون من الكهنة ، وآخر من الشيوخ (٢) .

وفي عهد « سمان المكابي » (١٤١ - ١٣٥ ق.م) ، الذي عين ملكا (٣) على اليهودية ، فأنشئ السنهدين الكبير ، والذي تصفه مصادر غير الأحبار ، بأنه مجلس سياسي - يرأسه كبير الكهنة - وفي العهد الروماني قسمت اليهودية إلى خمسة أقسام صغيرة ، يحكم كل منها « سنهدين » صغير (٤) .

(١) Ernest Renan, Histoire du Peuple d' Israël, Paris, (١)

1887, 5, p. 40

(٢) نحميا ٨ : ٩ ، ١٠ ، ٢ : ٤ ، وكذا J. Finegan, Light from The

Ancient Past, Princeton, 1969, p 238

(٣) قارن : فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٦٩

(٤) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٣١٠ ، وكذا

F. Josephus, Antiquities, XIV, 5, 3

Martin Noth, The History of Israël, London, 1965, وكذا

p. 404—405

وكذا Cecil Roth, A Short History of the Jewish People, London,

1969, p. 84—85

الفصل الثاني

التنظيم الاقتصادي والقضائي والعسكري

(١) الحياة الاقتصادية

لا ريب في أن أولى الحرف التي مارستها الإسرائيليون إنما كانت الرعي - رعي الأغنام - بل إن حياة الرعاة إنما كانت الحياة المثالية للمجتمع الإسرائيلي ، كما نقتبعا من قصص الآباء الأولين ، وما جاء إلينا من شعر إسرائيلي ، وحتى «يهوه» ، فقد وصف بأنه الراعي الأمين لشعبه ، بل إن الملوك أنفسهم إنما كانوا يعنون بهذه المهنة ويباشرونها ، ولا أدل على أهمية تربية الماشية عند بني إسرائيل من عناية الشريعة والعقوس الدينية بها (١) .

وعلى أي حال ، فلقد كان بنو إسرائيل طوال الألف الثانية قبل الميلاد رعاة أغنام ، ينتقلون خلف قطعانهم من المر والضان بمحاذاة الحدود الصحراوية للمناطق الخصبة ، يتعقبون مواسم الأمطار ومناطق الأعشاب ، ويحطون الرحال من حين إلى حين ، مدة تقصر أو تطول ، حسبما يتوافر المرعى ويتكاثر الكلا ، وكانت الأغنام هي العنصر الجوهرى لأثروة ، به يعد مقدار ما يملك الإنسان ، فلا يؤكل لحما ، إلا استثناء ، وفي صورة أضاحى مقدسة ، وإنما يتفيس الرعاة على لبنها ويرتدون فروتها .

وكانت كل عشيرة تسير خلف قطعانها برعامة رئيسها ، قد يدفعها التحط

(١) تثنية ٨: ١٣ ، صموئيل أول ١٧: ١٦-٣٦ ، إرميا ٣١: ٧ ، فؤاد حسنين:

إسرائيل عبر التاريخ - الجزء الأول - ص ١٢٣-١٢٤

المفاسجىء إلى الانقسام إلى جماعتين ، كل واحدة تستقل بنفسها ، وتذهب إلى سبيلها ، مثلما فعل « أبرام » مع ابن أخيه « لوط » ، حينما زاد عدد الغنم عن كمية العشب (١) .

هذا وقد مارس الإسرائيليون حرفة الرعى ، منذ أول لحظة وصلوا فيها إلى أرض الكنانة ، وذلك حين يطلب يوسف الصديق من أبيه وإخوته ، أن يقولوا لملك مصر : « عبيدك أهل مواش منذ صبا ، إلى الآن نحن وآباؤنا جميعاً ، (٢) وبدهى أن هذه إنما كانت مهنتهم على أيام التيه في صحراوات سيناء ، وهى مهنة قاسية - دون شك - إذ كان على الراعى أن يجمع ماشيته ، ويهدى الضالة ، ويعالج المريضة ، ويحمل المتعبة ، ويستخرج لها الماء من النبع لسقايتها ، ويحميها من الحيوانات المفترسة (٣) .

وكل ما كان يحمله الراعى معه لا يتعدى جراب من الجلد فيه طعامه ، وكذلك هصاه ، وهى سلاحه الوحيد ، كما كان يحمل معه مقلاعا ، فضلا عن كلبه ، أما الناي فيكاد لا يفارقه أبداً ، وأما أجر الراعى فقد كان ضئيلاً جداً ، وكان يدفع أحياناً نقداً ، أو بعض الخراف التى يرعاها ، كما نفهم ذلك من قصة يعقوب (٤) .

(١) تكوين ١٣ : ٦-١٣ ، ١٧-١٢ : ٢٧ ، صموئيل أول ٢٥ : ٢ ، ثروت

الأسيرطى : المرجع السابق ص ١٤٧ ، وكذا

L. G Levy, op-cit p. 90 F وكذا A. Lods, op-cit, p. 231 F

(٢) تكوين ٤٦ : ٢٣-٢٤

(٣) تكوين ٢٤ : ٠ ، ٢٩ : ٢ ، ٣١ : ٤٠ ، صموئيل أول ١٧ : ٣٤ ،

إرميا ٤٩ : ١٩

(٤) تكوين ٢٨ : ٣٠ ، قضاة ١٦ : ٥ ، صموئيل أول ١٧ : ٤٠ ، أيوب ٣٠ : ١٥

مينا ٧ : ١٤ ، زكريا ١١ : ١٣ ، قواد حسنين : المرجع السابق ص ١٢٤

وكانت ثروة الرعاة تعتمد أساسا على قطعان الحيوان ، أما الأرض فوسيلة لاغاية، بل وسيلة مؤقتة تزول قيمتها بجفاف عشبها . ولا يشعر أحد أهمية الإستثمار بها ، لذلك عرفت الملكية الفردية بالنسبة إلى القطعان ، في حين ظلت الأرض ملكية جماعية ، تنتقل كل عشيرة داخل منطقة معلومة تنتفع بها تجود به من كلاً وماء (١) .

واستمر الإسرائيليون على بداوتهم طوال أيام التية الأربعين ، يرعون ماشيتهم ، ويزرعون بعض الحبوب ، في بعض مراحل تنقلهم ، وكانت واحة قادش ، ومنطقة عبر الأردن - بصفة خاصة - تتناسبان مع الزراعة البسيطة ، وأسلوب الحياة الرعوية (٢) ، ومن ثم فإن الوافدين الجدد عندما وصلوا إلى كنعان لم تكن الحياة الزراعية صعبة أو عديمة المذاق بالنسبة إليهم ، حيث استبدلوا الخيمة بالمنزل ، واحتفظ أبناء « يائير » المقيمون في عبر الأردن باسم « حووث يائير » (معسكرات يائير) ، ولكننا نعرف من نصوص معينة أنها كانت « مدن عظيمة ذات أسوار » ، ومن الواضح أن دائرة خيام الوافدين ، تطورت تدريجيا إلى مدن محصنة (٣) .

وتم التخيير بالتأكيد على أيام القضاة ، وجاء في رؤيا في قصة «دعون» ، أن رغبنا من العصور إنما كان رمزا لإسرائيل ، بينما تصور العدو الميدياني الباحث

(١) L. G. Levy op-cit, p. 117 F وكذا A. Lods, op - cit, p. 232

(٢) A. Lods, op-cit, p. 387

(٣) تنية ٣: ١٤ ، عدد ١٠: ٢٢ ، يشوع ١٣: ٣٠ ، قضاة ١٠: ٤ ، ملوك أول

١٣: ٤ ، أخبار أيام أول ٢: ٢٣ ، وكذا A. Lods, op-cit, p. 387

عن رزقه على شكل خيمة (١) ، كما يرمز في قصة « يوثام » الإسرائيلية إلى أعضاء المجتمع النافعين بالزيتونة أو شجرة التين أو الكرمة (٢) ، وهكذا أصبح الوافدون الجدد منصرفين بكل حواسهم إلى الزراعة ، وهي المهنة التي تربط الفلاح بالأرض (٣) ، وبالتالي بالاستقرار ، واعتبروها توجيهات من ربهم « يهوه » (٤) .

واستقر بنو إسرائيل في ربوع كنعان ، فاستمر بعضهم على حرفة الرعي خاصة في الهضاب الجنوبية ، في حين تحولت غالبيتهم إلى فلاحه الأرض وزراعة الحبوب ، وشرع هؤلاء الرعاة في تطبيق أنظمتهم المتعلقة بالملكية الجماعية للأرض فوزعوا الأراضي المنتصبة على القبائل المختلفة عن طريق القرعة ، وحظروا نقل الأنساب من قبيلة إلى أخرى (٥) .

غير أن تطور الاقتصاد من الرعي إلى الزراعة ، أدى إلى تبلور نظم جديدة فسرعان ما تلاشت الملكية الجماعية ، وظهرت تدريجيا الملكية الفردية ، فلقد مكن

(١) تقول التوراة : « وجاء جدعون فإذا رجل يخبر صاحبه بحلم ، ويقول : قد حلمت حلما ، وإذا رغيف خبز شعير يتدحرج في محلة المديانيين ، وجاء إلى الخيمة وضربها فسقطت وقلبها إلى فوق فسقطت الخيمة ، فأجاب صاحبه وقال : ليس ذلك إلا سيف جدعون بن يوآش رجل إسرائيل ، قد دفع الله إلى يده المديانيين وكل الجيش » (قضاة ٧: ١٣-٤٤)

(٢) قضاة ٩ : ٨ - ١٣

A. Lods, op-cit, p. 388

(٣)

(٤) إشعياء ٢٨ : ٢٦

(٥) عدد ٢٦ : ٥٢-٥٦ ، ٣٢ : ٥٤ ، ١٣ : ٢٤ ، ٢٦ : ٩ وكذا

A. Lods, op-cit, p. 449-450

المحراث الإنسان من الإستقرار نهائيا في الأرض ، وتولى زراعة قطعة معينة على سبيل العوام ، واستأثر بإنتاجها دون غيره من الناس ، قبدأ يشعر بنقته في البقاء فيها هو وأولاده من بعده ، وتبلورت مع الرقن فكرة الملكية الخاصة للأرض ، سواء أكانت ملكية أسرة ، أم ملكية فردية ، وحلت محل الملكية الجماعية للبطن (١) ، بدليل أن بعض النصوص تقرّر لأقارب البائع حق استرداد الأرض المباعة ، وتعترف ضمنا بوجود ملكية فردية تصلح عملا لليع والشراء ، واستمر التحول مثل مد البحر حتى بلغ أقصاه ونشأ الإقطاع ثم تضخم ، وتمثل بالتالي في الناس عنصر الثروة والتميز بينهم طبقا لما (٢) .

وبدهى أن الإسرائيليين إنما قد أخذوا الزراعة عن الكنعانيين ، وأصبحوا بالتدريج مجتمعًا زراعيًا خالصًا ، وكانت صادرات البلاد من القمح والصلب والزيت والتوابل والدهن وما إلى ذلك ، وكانت تُرسل هذه المحاصيل إلى فينيقيا على وجه الخصوص ، إذ كانت فينيقيا ليس لديها غير أرض ضيقة لا تكفي لإعاشة مدنها الكبيرة ، وتأتي فينيقيا إلى بلاد اليهودية في مقابل ذلك ما تصنعه في مصانعها أو ما تأتي به من العالم ، الذي كانت ذات علاقة به ، من الحلى والرياش والسلاح والنسيج والخشب والعاج (٣) .

وقد دفع سليمان ما عليه من دين لحليفه د حـيرام ، ملك صور من القمح

(١) ثروت الأسيوطى : المرجع السابق ص ١١٢ ، صوفى حسن أبو طالب

مبادئ تاريخ القانون - القاهرة ١٩٦٥ ص ٤٩-٨٧

(٢) لاويون ٢٥ : ٢٤ - ٢٦ ، راعوث ٤ ، ثروت الأسيوطى : المرجع

السابق ص ١٦٩-١٧٠

(٣) جوستاف لوبون : المرجع السابق ص ٤٤-٤٥

والزيت ، وكانت زراعة الكروم منتشرة بدرجة أن الشعراء إنما كانوا يصورون الأمة على شكل « كرمة » ، ومن المثير بالملاحظة أن الكروم والتين والزيتون من الثمار التي اشتهرت بها فلسطين منذ القدم ، كما أن الجالوس في ظلها باعث على الهدوء والسلام (١) .

وكان الإسرائيلي يستخدم المحراث في حرث الأرض ، ثم بعد ذلك يمهدها ، ويذرع فيها أحيانا أكثر من صنف ، أما الحصاد فكان يتم بالمنجل ، ثم يحمل عادة إلى تل مرتفع ويدرس بالنورج ، وأحيانا كان يؤتى بالثيران أو الحمير ، وترك على الحصاد فتيرسه وتدرسه ، وهناك نوع آخر من وسائل الدرس ، وهي العربية (وتسمى العجلة) ، أما إذا كانت الكمية صغيرة فيكتفى في درسها بدقها بالعصا ، ثم تدرى الحبوب بالمدرى وتحفظ بعد ذلك في حفر في الحقل ، تعرف باسم « مطونيم » ، أما « التبن » فيقدم طابعا للباشية بجانب الشعير (٢) .

وقد لعبت الصناعة دورا صغيرا في الحياة الإقتصادية عند بني إسرائيل ، إذ كانت تقوم على عدد صغير من الحرف ذكرت في الأدب العبراني ، فقد كانت كنعان بلدا زراعييا غالبا من الصناعة ، مما اضطر سليمان إلى أن يحضر الصناع من صور ، والنجارين من بيلوس ، عندما أراد بناء معبده (٣) ، وعلى أى حال ، فقد

(١) ملوك أول : ٥ : ٥ ، هوشع ٢ : ١٠ ، ١٤ ، فؤاد حسنين : المرجع السابق

ص ١٢٦

(٢) تثنية ٢٢ : ٩ ، لاويون ١٩ : ١٩ ، قضاة ٦ : ١١ ، أيوب ٢٩ : ١٠ ،

إشعيا ٢٨ : ٢٤ ، ٢٧ : ٢٧ ، ٤١ : ١٤ ، ٤٨ : ٢٤ ، إرميا ١٥ : ٧ ، ٤١ : ٨ ، عاموس

٣ : ١ ، فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٢٥

(٣) A. Lods, Israel From its Beginnings to

the Middle of the Eighth Century,

London, 1962, p. 370

كان الحرفيون في الغالب في القرى والمدن المحصنة هم « الحدادون » ، ولم يوجد في إسرائيل حرفيون مهرة في كثير من الفنون (١) ، فقد كان بنو إسرائيل عاطلين ، حتى في إبان أبعثهم ، عطلا تماما من المهال المهرة ، ومن هنا فقد طلب سليمان من حليفه « حيرام » أن يرسل إليه نجارين « لأنه ليس بيننا من يعرف قطع الخشب » (٢) ، وأن يرسل إليه كذلك « رجلا حكيما في صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والأرجوان والقرمز والأسمانجوني ، ماهرا في النقش » (٣) ، في مقابل أن يعطيه « عشرين ألف كر من الخنطة ، وعشرين ألف كر شعير ، وعشرين ألف بث خمر وعشرين ألف بث زيت » (٤) .

وكان النجار في إسرائيل يعمل في نفس الوقت صائغا للآثاث، وبناء وحفارا وخطابا ، وقد مارس - دون شك - العمل في المعادن والحجارة ، إلى جانب مهنته كعامل في قطع الأخشاب ، وذلك لأن كلمة « حرش » (Harash) ، إنما تشير إلى ذلك العامل الذي يعمل في هذه المهن الثلاثة ، وللتفرقة بين الواحدة والآخرى من هذه المهن ، كان يجب أن يضاف إليها ما يميزها عن غيرها (٥) ، كان تقول « عامل في الحديد » (٦) ، و « نجار في الخشب » (٧) ، و « عامل في الحجر » (٨) ، و « بناء » ، أو « صانع الخائط » (٩) .

-
- (١) صموئيل أول ١٣:٢٠-٢١ (٢) ملوك أول ٦:٥
(٣) أخبار أيام ثان ٧:٢ (٤) أخبار أيام ثان ١٠:٢
(٥) A. Lods, op-cit, p. 389 (٦) أخبار أيام ثان ١٢:٢٤
(٧) صموئيل ثان ١١:٥ ، إشعياء ٤٤:١٢-١٣
(٨) صموئيل ثان ١١:٥ ، أخبار أيام أول ١٥:٢٢
(٩) أخبار أيام أول ١:١٤

وبالإضافة إلى هؤلاء الحرفيين غير المتخصصين ، كان هناك « صانع الفخار » ،
الذي قلده النماذج الأجنبية بأسلوب بدائي ، وقد كان هناك صانع للفخار في
أورشليم (١) ، ولكن يبدو أن الجهات التي كانت في مجاورات حبرون وبيت
جيرين ، إنما كانت تشتهر أكثر من غيرها بصناعة الفخار ، بسبب وفرة الصلصال
هناك ، ويبدو أن معظم مقابض الفازات ، التي تنتمي إلى القرن السابع قبل الميلاد
مختومة بأسماء مدن حبرون وسكوت ، فضلا عن عبارة « من أجل الملك » ، على
أساس أن هناك من هؤلاء الصناع من كانوا يقيمون في القصور الملكية ، هذا
إلى جانب أن بعضا من صناع الفخار إنما كانوا يحفرون أسماءهم على سلمهم (٢) .

ومن البدهي أن التخصص في الحرف ، إنما كان في المدن أكثر منه في القرى
وكان يزود أورشليم خبازون محترفون يعيشون في أحياء خاصة (سوق الخبازين) (٣)
وكان هناك من يعملون في صناعة الحلى من الذهب ، وكان الصائغ عادة يذيب
الذهب والفضة ليجمع المعدن أكثر طواعية لصياغته ، وذلك بإضافة البورق إليه
وكان القوم يصنعون من الذهب والخواتم والأساور والحجول ، كما كان الصائغ

(١) إرميا ١٨: ٢-٤

(٢) A. Lods, op—cit. p. 389 ، وكذا

P. Schwalm, La Vie privée du peuple Juif, p. 233-234

على أن هناك من يحدد الفترة (٦٥٠ - ٥٠٠ ق.م) (أنظر :

H. Vincent, JPOS, 1, p. 64

وهناك من يحدد الفترة (٧٢٧ - ٦٤٣ ق.م) (أنظر :

(R. Dussaud, Sy, 1925, p. 338

(٧) إرميا ٢٧: ٢١

خبيرا بالحمام ، وباستخدام خيوط الذهب في الأقمشة (١) ، التي استوردها في عصر سليمان من د أوفير ، (٢) .

وكان هناك سقاهون يجلبون المياه للبيوت ، كما كان هناك نساجون يعملون في صناعة الأقمشة الشعبية ، أما الأقمشة الرفيعة فكانت تستورد من مصر وسورية وبابل ، وما أن يمضى حين من الدهر ، حتى تبدأ النساء في غزل الكتان والصوف وطبقا لرواية د المشنا ، فقد انتقل النول المصرى إلى فلسطين ، وبمرور الأيام بدأ الإسرائيليون ينسجون الأقمشة الملونة ، وقد يستخدمون خيوطا ذهبية في الأقمشة الفاخرة (٣) .

وكان هناك من يحفرون على الاختام الشمعية ، مثل ختم د شما ، (Shema) — خادم الملك يربعام — وهو خليط من العناصر البابلية (الأسد) والمصرية (عنخ) والفلسطينية (النقش) (٤) ، وهناك صناعة العطور ، حيث ظهرت مجموعة صانعي العطور المحترفين في القرن السابع قبل الميلاد (٥) .

(١) خروج ٦:٢٨ ، إشعيا ٢٥:١ ، ٧:٤١

(٢) عن موقع أوفير : أنظر : محمد بيومى مهران : إسرائيل - الكتاب الثانى

التاريخ ص ٧٨٢-٧٩٢

(٣) يشوع ١٢:٧ ، خروج ٥:٢٨ ، ٢:٣٩ ، حزقيال ١٢:٧ ، ٢٧ : ٧ ،

صفنيا ٨:١ ، قواد حسنين : المرجع السابق ص ١٣٠-١٣١

(٤) A. Lods, op - cit, p. 390

R. Dussaud, Sy, 1925, p. 108 وكذا

(٥) صموئيل أول ٨ : ١٣ ، نحemia ٢ : ٨ ، وكذا

A. Lods, op - cit, p. 390

هذا وقد ذكر الحديد كثيرا في صناعة الآلات أيام عصر داود، كما استخدم في صناعة الأبواب، وذكرت في سفر أيوب الدروع الحديدية والسلاسل والفتوس والمسامير والمقابض، وكان الإسرائيليون على علم بأفران صهر الحديد والنحاس في عسيون جابر (١).

وفي الواقع، فلقد كان موقع «عسيون جابر» (٢) اختيارا موقفا، في مكان لم يسبق من قبل، بين تلال أدوم من الشرق، وتلال فلسطين من الغرب، حيث يمكن الاستفادة إلى أقصى الحدود من الريح التي تهب من الشمال، بحيث تبلغ غاية سرعتها في وسط وادي العربة، وذلك للإنتفاع بها في تأجيج النار اللازمة للتكرير، هذا فضلا عن أن «أدوم» وكل المنطقة الواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة غنية بالنحاس والحديد، ونقرأ في التوراة عن «أرض حجارها حديد»، وفي جبالها تحفر نحاسا، ومن هنا كانت «عسيون جابر» - بجانب وادي عربة والنقب - مركزا لصهر النحاس والحديد في عهد سليمان، الذي وصفه «ناسون جلوك» بأنه «ملك النحاس العظيم» (٣).

(١) تثنية ٤ : ١٠ ، ١٩ : ٥ ، ضموريل أول ١٧ : ٥ ، صموئيل ثان ١٣ : ٣١ ، ٢٢ : ٣٥ ، ملوك أول ٨ : ٥١ ، مزموذ ١٤٩ ، أيوب ١٩ : ٢٤ ، ٢٠ : ٢٤ ، ملوك ثان ٦ : ٥ ، إشعياء ٤٥ : ٢ ، إرميا ١٥ : ١٢ ، عاموس ١ : ٣ ، فواد حسنين : المرجع السابق ص ١٢٩

(٢) أنظر : عن موقع عسيون جابر : محمد يومي مهران : المرجع السابق

ص ٧٩٢

O. Eissfeldt, op—cit, p. 594

(٣) تثنية ٨ : ٩ ، وكذا

= J. Finegan, op—cit, p. 181

وكذا

وقد اكتشف « سيرفلنדרز بترى » ، في « دجة » ، معامل لاستخراج الحديد ، أصغر كثيرا من تلك التي في « عصبون جابر » ، ويبدو أن داود كان قد نازع الفلسطينيين حقهم في احتكار الحديد ، وأخذ عنهم طريقته السرية في صهره كتمن لمزيمتهم ، ومن ثم فإن مخزونات النحاس والحديد قد استخرجت وصهرت في عهد سليمان بدرجة كبيرة (١) .

وأما التجارة ، فقد كانت بسيطة في إسرائيل ، لأن التاجر الإسرائيلي لا يملك سلما لتصدير يمكن أن تقوم عليها تجارة ناجحة ، ولكنه في موقع يمكن أن يتصرف منه كوسيط ، وقد أدرك سليمان هذه الحقيقة فاشتغل بتجارة الخيول .

ولم تفلت تجارة المرور ، التي كانت من قبل حرة من يد سليمان ، ومن ثم فقد احتكرها وفرض عليها إتاوة ، محتجا ببعض الطرق التي عبثها ، وزودها ببعض المحطات ، وهكذا كانت القوافل الآتية من الجزيرة العربية ، والمحملة بالتوابل من تلك البلاد ، خاضعة لدفع الرسوم ، عندما كانت تمر بأراضي مملكة إسرائيل (٢) .

وكذا W.F. Albright, *Archaeology and the Religion of ISrael*, 1953, p. 133 F

وكذا N. Gbueck, *The Other Side of the Jordan*, N.Y, 1940, d. 89 F

(١) ولیم او ابرایت : آثار فلسطين ص ١٢٨ ، وكذا :

W. Keller, op—cit, p. 198—199

(٢) فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٧ ، فواد حسنين : المرجع السابق

A: Lods, op—cit, p. 370

ص ٢٣٨ ، وكذا :

وحتى أى حال ، فرغم أن بعض الملوك - من أمثال سليمان (١) وأخاب (٢) ويوشافط (٣) وهزريا (٤) - قد بذلوا جهدا كبيرا لتنمية التجارة ، فإن إجمالى التجارة الدولية - فيما يبدو - إنما بقي فى أيدي الفينيقيين والعرب ، وأن نشاط الإسرائيليين التجارى فى فلسطين ، إنما كان محدودا للغاية أثناء عهد الملكية ، وحتى نهاية الدولة اليهودية فى فلسطين ، وقد اقتصر على بيع المنتجات الزراعية والماشية والأرض (٥) .

وهكذا كان النشاط التجارى فى إسرائيل القديمة أضيق نطاقا وأبسط نظاما إلى حد بعيد من نظيره فى أرض الرافدين ، حيث ينبىء قانون حمورابى وغيره من القوانين عن درجة عالية نسبيا من التطور الصناعى والتجارى ، فكان المبريون يزاولون البيع والشراء بطريقة شديدة البساطة ، ولم يكن يلزم - فيما يبدو - تحرير عقد مكتوب ، كما كان الحال فى بابل ، وأول عقد من هذا النوع يذكر العهد القديم ، إنما كان فى سفر متأخر ، هو سفر إرميا ، وعلى أى حال ، فى حالة عدم وجود عقد مكتوب ، إنما تجب شهادة الشهود ، حتى يضمن على نحو فعال احترام العقد الشفوى .

وكانت الديون والقروض تعالج فى النظام العبرى القديم على نحو بالعم السذاجة ، فقد كانت مثل هذه العمليات التجارية شديدة البعد عن مزاج الشعب ،

(١) أنظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٧٥٧ - ٧٩٢

(٢) ملوك أول ٢٠ : ٢٤

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٩٥٩ - ٩٦٠

(٤) أخبار أيام ثان ٢٦ : ٢

(٥) عاموس ٨ : ٥ ، هوشع ١٢ : ٨ - ٩

ويمكن القول بوجه عام ، أن التشريع العبري في مثل هذه الأمور يدل على ميل إلى حماية الفقير، لتحقيق العدالة الدينية والخلقية ، وكان الربا محرماً صريحاً - مع أنه عملهم المفضل تجاه الأجانب في كل زمن ، وكان مبدأ التضامن القوي الزاجر القوي الوحيد الذي يضع حداً لجشع اليهودي - وهكذا كان الإقراض مقابل رهن بقبود ، تخفف منه إلى أبعد حد ممكن ، وفي كل سنة يعتق جميع العبريين ، وكان يتنازل أيضاً عن كل الديون (١) .

وظل المجتمع الإسرائيلي في هذا الوضع حتى جاء السبي البابلي (٥٨٧ - ٥٣٩ ق.م) فانتزعه من الزراعة إلى التجارة ، بسبب انتقال الإسرائيليين إلى ملكة بابل ، حيث كانت الحياة التجارية هناك قد استكملت كل مقوماتها ، وإن كان هذا لا يعني أن اليهود إنما كانوا جدداً في ميدان التجارة ، إذ كانت لهم خبرتهم منذ أيام سليمان ، حتى أصبحت أورشليم وقت ذلك من أنشط أسواق التجارة في الشرق الأدنى القديم ، على أن الخبرة اليهودية في ميدان التجارة إنما كانت في حدود ضيقة، بسبب اشتغال القوم بالزراعة، وربما بسبب الاضطرابات التي سادت معظم أيام دولتهم في اليهودية ، وعلى أي حال ، فقد كانت تجربتهم التجارية في بابل نواة لنشاطهم المعروف في العالم في هذا المضمار (٢) .

وهناك أساس للاعتقاد بأن التجار والمرايين كانوا من الأوساط اليهودية في بابل ، الفئة الأكثر نفوذاً اقتصادياً ، ذلك لأن النصوص إنما تشهد على أن

(١) خروج ٢٢ : ٢٥ - ٢٧ ، إرميا ٢٢ : ٩ - ١٢ ، ٣٤ : ٨ - ١١ ،

سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ص ١٧٠

(٢) N. Anshel, The Book of Jewish Knowledge, p. 126

النازحين اليهود قد اشتركوا اشتراكا نشطا في الحياة التجارية ، ومارسوا عملية التسليف بالربا ، وقد كانت هذه العملية متبعة بشكل واسع بين سكان بابل (٢) .

(٢) التنظيم القضائي

اتبع الإسرائيليون نوعين من التقاضي - أعنى الكهنوتي والقبلي - فالكاهن أو النبي إذا ما عرضت عليه مشكلة من المشاكل ، استشار الله فيوحى إليه بما يوحى ، هكذا فعل موسى ، ووظيفة الكاهن إرشاد الشعب إلى اتباع التعاليم الدينية والأحكام الشرعية ، أما القضايا الصغيرة فكان يكتب المتخاصمان برضاها على شيوخ الأسرة أو القبيلة ، الذين يباشرون عادة نظر مثل هذه الدعوى ، وتنعس التوراة أن هذا النظام التشريعي أوجده موسى في المجتمع الإسرائيلي إستجابة لرأى د يثرو ، كاهن مدين ، وأن موسى نفسه إنما كان القاضي الأعلى لشعبه ، وأنه عين من بين الشيوخ وزعماء القبائل المختلفة ، قضاء تابعين له على طوائف الشعب المختلفة (٣) .

وفي عصر الملكية كانت السلطة القضائية تابعة للملك ، فهو قاضي القضاة ، وهو المرجع الأخير للأحكام ، كما يتبين من قصة المرأة القويحية (٤) ، ومن القضايا

(١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ١٠١٤-١٠١٦ ، وكذا

L.Brentano, Das Wirtschaftsleben der Antiken Welt, 1929, p: 80

(٢) خروج ١٨ : ١٠ ، ١٩ ، ٢٠ ، عدد ١١ : ١٦ ، تثنية ١ : ١٥ ،

٣٣ : ١٠ ، سيقينو موسكاتي : المرجع السابق ص ١٧٢ ، فؤاد حسنين : المرجع

السابق ص ١٩٠

(٣) خلاصة القصة أن امرأة من قروح مات زوجها ، وترك لها ولدين ، =

الأخرى التي كان يتقدم بها أصحابها إلى الملك مباشرة للفصل فيها ، غير أن الملك إنما كان يخلع دائما سلطته القضائية على الكهنة (١) .

وبعد موت سليمان في عام ٩٢٢ ق.م ، وانقسام الدولة إلى قسمين (إسرائيل ويهوذا) كانت سلطة القضاء في أيدي الأعيان المحليين ، غير أنه في مملكة يهوذا ، قام الملك ديهو شافط ، (٨٧٣-٨٤٩ ق.م) بإصلاح القضاء ، وذلك بأن أقام في كل مدينة محكمة تتألف من د لاويين ، وقضاة مدنيين ، فضلا عن إنشاء محكمة عليا في أورشليم (القدس) ، وبعد العودة من السبي البابلي ، أعاد د عزرا ، تنظيم القضاء ، الذي أصبح - آخر الأمر - في أيدي السنهدرين ، (Sanhedrin) (٢) .

وكانت الإجراءات القضائية في منتهى البساطة ، فكان القضاء يجلسون عند مدخل المدينة ، حيث يجتمع القوم للبيع والشراء في السوق (٣) ، ومن ثم فإنشاء قاعة للمحكمة في حجرة بالقصر الملكي في أورشليم ، إنما كان من تجديدات سليمان العظيم ، وعلى أي حال ، فلقد كان الحصان يمثلان أمام القاضي ، ويدافعان كل عن موقفه ، وإذا لم تكن هناك دعوى ، لم تكن هناك محاكمة ، فعجلة القانون كانت

== قتل أحدهما الآخر في الحقل، وحين طلب منها شيوخ المدينة تسليم القاتل لقتله جزاء وفاقا على ما ارتكبت يدها ، فشكيت للملك داود ، لأن في هذا الحكم هلاك ولدها الاثنين ، فلم الملك أن المراد عودة ولده أبشالوم الذي قتل أخاه أمنون ، ومن ثم فقد وافق على ذلك (صموئيل ثمان ١٤:١٠-٢٣)

(١) تثنية ١٧:٩ ، صموئيل ثمان ١٥:٢ ، ملوك أول ٣:٦

(٢) سبيتو موسكاتي : المرجع السابق ص ١٧٢

(٣) تثنية ٢١:٩

لا تدور إلا بنام علي طالب (١) .

وكان التحقيق القضائي يتم شفويا ، وكان لا بد لإقامة دليل ، باتفاق شاهدين على الأقل ، ويستثنى من إحضار الشهود الوالد الذي يطلب إصدار حكم بإعدام ولده العاق ، وينص القانون صراحة على أن كل دعوى يجب أن تؤخذ فيها شهادة شاهدين على الأقل ، وأقوال الشاهد الواحد لا تكفي لإدانة المتهم ، واستصدار الحكم بإعدامه ، ويروي المؤرخ اليهودي « يوسف بن متى » أن القوم ما كانوا يقبلون شهادة النساء والعبيد .

وكان على القاضي مناقشة الشاهد ، والتأكد من صدق شهادته ، وكان من حق القاضي أن يوقع على شاهد الزور ، نفس العقوبة التي كانت ستوقع على المتهم ، إذا ما ثبتت صحة شهادته (٢) ، وثمة موضع في سفر التثنية يدل على أن الواجب إنما كان يقضى بتنفيذ العقوبة بعد الحكم مباشرة ، وأمام عيني القاضي الذي أصدر الحكم (٣) .

ومع ذلك تدلنا قصة « نابوت » الزرعيلي وبستان كرمه ، على أنه لم يتعذر على القوم من بني إسرائيل إدانة رجل بريء ، وذلك بالتحريض على الشهادة زورا ضده ، فلقد نجحت الملكة « إيوابيل » في تحريض رجلين على الشهادة زورا بأن « نابوت » قد جدف بالله والملك ، ومن ثم فقد حكم عليه بالموت ، فرجم

(١) سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ص ١٧٢

(٢) تثنية ١٧ : ٦ ، ١٩ : ١٨ ، عدد ٣٥ : ٣ ، متى ١٨ : ٦ ، فؤاد خنينين :

المرجع السابق ص ١٩٢

(٣) تثنية ٢٥ : ٢

بالحجارة حتى مات ، وأخذ الملك « أخاب » بستانه (١) .

وكان المبدأ السائد في قانون العقوبات الإسرائيلي ، هو نفس المبدأ السائد عند كل الساميين ، وهو « العين بالعين ، والسن بالسن » (٢) ، فضلا عن شريعة الكهنة « كسر بكسر ، وعين بعين ، وسن بسن » (٣) ، ويثبت « كتاب العمود » صراحة قانون القصاص ، على أنه المبدأ الأساسي لقانون العقوبات ، وهذا المبدأ إنما يكرر ويؤكد كثيرا في مواضع مختلفة من التشريع العبري ، وهو مأخوذ عن عادة سادت النظام القبلي القديم ، وقد ورد هذا القانون في « قانون حمورابي » (٤) ، (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق م) ، فاستقر في تشريعات الشرق الأدنى القديم .

وقد يستبدل حكم القصاص بالدية إذا ما اتفق الطرفان المتخاصمان ، إلا في حالة الضرب المفضى إلى الموت أو القتل ، « فلا تأخذوا فدية عن نفس القتيل

(١) ملوك أول ٢١: ١-٢٩ ، وكذا

T. H. Robinson, A History of Israel, 1, 1932, p. 300-301

A. Lods, The Prophets and the Rise of Judaism, وكذا
London, 1937, p. 64

(٢) خروج ٢١ : ٢٤ ، تثنية ١٩ : ٢١

(٣) لاويون ٢٤ : ٢٠

(٤) أنظر عن قانون حمورابي : نجيب مينايل : مصر والشرق الأدنى القديم

الجزء السادس ص ٥٩-٨١ ، عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم - الجزء الأول ص ٤٦١-٤٦٧ ،

Theophile J. Meek, The Code of Hammurabi, ANET, وكذا
1966, p. 163-180

المذنب للموت ، بل إنه يقتل (١) ، ، وإذا كان القاتل عن غير عمد يستطيع الانتفاع بحق الجوه إلى حمى ، ولم يكن هذا الحمى مقصورا على المباني والاماكن المقدسة ، فسفر التثنية (٢) يذكر بناء مدن تكون ملاذا يحتوى به ، وطالب الثأر من قاتل غير عامد كان يحق له المطالبة بإخراج القاتل من حماه ، ولكن سفر العدد ينص صراحة ، على أنه إذا وجد القاتل حمى يلوذ به ، فإنه لا يحق لولى الدم أن يلجأ إلى العنف ، وينصب نفسه قاضيا في قضية هو خصم فيها ، وإنما يجب أن تفصل الجماعة فيما إذا كان القتل عمدا حقا ، أو عن غير عمد (٣) .

ولعل ما تجدر الإشارة إليه هنا أن شريعة السن بالسن ، والعين بالعين ، إنما كانت تطبق تطبيقا معنويا ، بمعنى أنه إذا اقترف عضو من أعضاء الجسم خطيئة يبر هذا العضو ، كان تقطع يد الابن التي تمتد إلى الوالد وتصفه (٤) ، أو يد المرأة التي تمتد إلى عورة رجل لإيذائه ، تقول التوراة : « إذا تخاصم رجلان بعضهما بعض ، رجل وأخوه ، وتقدمت امرأة احدهما لكي تخاض رجلها من يد ضاربه ، ومدت يدها وأمسكت بعصورته ، فانطع يدها ، ولا تشفق عينك (٥) » .

هذا ولم يكن بنو إسرائيل يطبقون شريعة السن بالسن على العبيد ، ففي حالة قتل عبد — مثلا — يجب على القاتل أن يدفع لسيدته ثمنه (٦) ، وإذا تسبب

(١) عدد ٣٥ : ٢١ (٢) تثنية ١٩ : ٣٠

(٣) عدد ٢٥ : ٢٢-٢٥ ، سيقينو موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧١

(٤) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٩٣

(٥) تثنية ٢٥ : ١١-١٢

(٦) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٩٣

السيد في إتلاف عين العبد ، أو سن من أسنانه ، وجب عليه عتقه ، تقـ ول
التوراة : « إذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته فأثلمها يطلقه حر عوضا عن
عينه ، وإن أسقط سن عبده أو سن أمته ، يطلقه حرا عوضا عن سنه (١) ،
أي أن القوم لم يلتزموا بحكم واحد تجاه الناس جميعا ، ولم يسيروا على المبدأ القائل
« عينا بعين ، وسنا بسن ، ويديا بيد ، ورجلا برجل ، وكيا بكي ، وجرحا بجرح
ورضا برض (٢) » .

وكان بنو إسرائيل ينظرون إلى شريعة القصاص ، على أنها مرتبطة بالمسئولية
الجماعية ، أي أن تشترك الأسرة كلها (أو العشيرة أو القبيلة) في واجب الثأر
لأحد أفرادها ، إذا ما أصابه ضرر من شخص لا ينتمي إلى الجماعة ، والله نفسه
يعاقب على الذنوب ، وقد يلحق العقاب بذرية المذنب ، ولكنه يجزي المحسنين
خير الجزاء (٣) ، ذلك لأن الشريعة اليهودية إنما قد اعتبرت قتل النفس أشنع
الجرائم ، حتى أنها جعلت الثأر واجبا مقدسا ، وشريعة إلهية (٤) ، وأما صاحب
الثأر ، أو المطالب به ، فهو أول قريب للقتيل ، ويعرف باسم « ولي الدم » ، وله
أن يقتل أي فرد من أسرة القاتل ، فالقتل إذن لا يتصب على القاتل وحده ، بل
على كل أسرته (٥) ، ثم بعد ذلك حاولت الحكومة أن تتولى هي أخذ الثأر للقتيل
بإعدام القاتل (٦) ، وإن فشلت في كثير من الأحيان ، ذلك لأن فكرة نقل العقوبة

(١) خروج ٢١ : ٢٦ - ٢٧
(٢) خروج ٢١ : ٢٤ - ٢٥
(٣) خروج ٢٠ : ٥ ، حزقيال ١٨ : ١ ، سببنتو موسكاتي : المرجع السابق
ص ١٧٠-١٧١
(٤) تكوين ٩ : ٥ - ٦
(٥) تثنية ١٩ ، عدد ٢٥
(٦) صموئيل ثان ١٤ : ٤

إلى أفراد أسرة الجاني ، إنما كانت قوية جدا في المجتمع الإسرائيلي ، على أساس أنه دم القتل إنما ينجس الأرض ، وبالتالي فلن يطهرها إلا إراقة دم القاتل ، ولعل هذا كله إنما يفسر لنا اشتراك المجتمع في رجم الجاني ، حتى يتطهر سائر أفراد المجتمع من خطيئته ، ويقضى على الجريمة (١) .

وهناك وسائل كثيرة اتبعتها المجتمع الإسرائيلي لتنفيذ عقوبة الإعدام ، فقد كان هناك الرجم بالحجارة ، حيث يساق المحكوم عليه بالموت خارج مضارب الخيام في العصر البدوي ، أو خارج المدينة في عصور الملكية ، فيرجمه الشهود بالحجارة أولا (٢) ، وكان هناك الشنق ، كما كان هناك الحرق ، وخاصة في حالة اشتغال الكاهنة أو ابنة الكاهن بالبطارة ، وكالزواج من المحارم (٣) ، وهناك الصلب الذي أدخله الرومان إلى فلسطين ، وإن حرموا استعماله على المواطنين الرومانيين (٤) ، وهناك الجلد أربعين جلدة ، زيدت فيما بعد إلى تسعا وثلاثين جلدة (٥) ، وكان الجلد أولا بالعصا ، ومن ثم فقد هنا بعضا تنهى بثلاث شعب من الجلد ، ولما كانت تلك الأخيرة أسمى من الأولى ، فقد خفض عدد الضربات إلى ثلاث

(١) خروج ٢٠ : ١٥ ، ٣٤ : ٧ ، عدد ٢٥ : ٣٠ ، تثنية ١٩ : ١٩ ، يشوع

٧ : ٢٤ ، ملوك ثان ٩ : ٢٦ ، فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٩٤

(٢) عدد ١٥ : ٣٦ ، لاويون ٢٤ : ١٤ ، تثنية ١٦ : ٧ ، ملوك أول ٢١ :

١٠ ، سبتيانو موسكاتي : المرجع السابق ص ١٧١

(٣) لاويون ٢٠ : ١٤

(٤) تثنية ٢١ : ٢٢ ، لاويون ٢٠ : ١٤ ، ٢١ : ٩ ، يشوع ٧ : ١٥ ، ٢٥ ،

صموئيل ثان ٢ : ٩ ، فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٩٤

(٥) تثنية ٢٥ : ١ - ٣ ، كورنثوس الثانية ١١ : ٢٤

عشرة (١) .

وأخيرا هناك الغرامات ، وهي نوعان غرامة الإثم ، وغرامة الخطيئة ، وهي ترتبط بقانون القصاص ، وذلك حين تكون فدية يستعاض بها عن تطبيقه ، ولكنها إنما كانت تفرض في حالات معينة أخرى ، كجريمة قذف فتاة هذراء .

على أن القسانون العبري إنما كان في جملة خال من بعض الملامح المألوفة في التشريع الحديث ، فهو مثلا لا يعرف عقوبة الحبس ، وفي الواقع إن التقاليد التضائية في الشرق الأدنى القديم ، إنما كانت تكاد تخلو تماما من الحبس ، كوسيلة للدفاع عن المجتمع (٢) ، وإن ظهرت عقوبة السجن والنفي بين الإسرائيليين فيما بعد العودة من السبي (٣) .

وأما الآداب العامة ، فلقد حرصت شريعة يهود على احترامها ، ومن ثم فقد جعلت عقوبة الإعدام على كل من تسول له نفسه الإستهانة بها ، وهكذا كان كل من يقترف فاحشة جنسية مع الحيوان يعدم (٤) ، كما حرمت كشف عورة الأهل والآقارب ، وفرضت أقسى العقوبات على المستهترين (٥) ، كما أحاط المجتمع الإسرائيلي الأسرة بتشريع يكفل المحافظة عليها وعلى شرفها ، فرض أقسى العقوبات على الخيانة الزوجية ، تقول التوراة : « إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة ، زوجة بعل ، يقتل الإثنين ، الرجل المضطجع مع المرأة ، والمرأة ،

(١) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٩٥

(٢) سبتيانو موسكاتي : المرجع السابق ص ١٧٢

(٣) بلوك ثان ٦ : ٢٦ ، ١٦٤ : ١٠ : ٨ : ٢٦

(٤) خروج ٢٢ : ١٦ (٥) لاويون ١٨ : ١ - ٣٠

فتزج الشر من إسرائيل (١) ، كما فرضت الشريعة كذلك عقوبة على الرجل الذي يحاول الانتقاص من شرف وعفة زوجته (٢) .

وفي الواقع أنه ليس زنا الأزواج هو الجرم الوحيد الذي تحرمه شريعة يهود على مزاج بني إسرائيل الداهر ، ففي شريعتهم تعدد لدعوات عنيفة مع شدة عقوبة من يقرّف إحداها ، وتثبت هذه الشدة كثرة المخالفات ، وإن كان سفاح ذوى القربى - أى الزنا بالأخت والأخت بالأم - فضلا عن اللواط والمساحقة ، ومواقعة البهائم ، من أكثر الآثام التي كانت شائعة بين ذلك الشعب الشبق ، هذا إلى جانب أن الرجال والنساء - زوجات وبنات - قد مارسوا الدعارة المقدسة على أبواب المعابد فوق التلال (٣) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن العقوبات على انتهاك حق الملكية ، إنما كانت خفيفة على نحو ملحوظ ، ولا سيما إذا قارناها بعقوبة الموت التي كانت تفرض في كثير من الأحوال على هذا النوع من الجرائم في قانون حمورابى ، وكان على اللصوص دفع تعويض يزيد غالبا عن قيمة السرقة ، فإذا لم يستطيعوا فرض عليهم الرق كغيرهم من المدنيين العاجزين عن الدفع ، وكانت عقوبة ماثلة تفرض على المختلسين (٤) .

(١) تثنية ٢٢ : ٢٢ (٢) تثنية ٢٢ : ١٣ - ٢١

(٢) لاويون ٢٠ : ٩ - ٢١ ، تثنية ٢٣ : ١٧ - ١٨ ، ٢٧ : ٢١ ، ملوك

ثان ٢٣ : ٧ ، هوشع ٤ : ١٣ ، جوستاف لوبون : المرجع السابق - ص ٥١

(٤) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧١

(٣) التنظيمات العسكرية

كان الإسرائيليون يعتبرون كل قادر على حمل السلاح محارب ، وكان سلاح هذا المحارب البدوي عبارة عن حربة ، و فرس مكرم مقر ، و ناقة هيفاء ، أما التهيئة العامة للفرو ، فتم عن طريق تجمع العفيرة حول فارسها ، وإذا كان العدو أشد مراسا ، استعدت القبيلة حلفاءها ، وهاجروا العدو مجتمعين ، و من يكتب له النصر يقسم الأسلاب ، و يعود أدراجه (١) .

وفي الواقع فإن بنو إسرائيل رغم ممارستهم للحرب باستمرار ، لم تصبح الحرب فنا ولا علما عندهم ، فكانت تعوزهم التهيئة ، و ما كان يكتب لهم فوز ، إلا بضرب من الصولة المشابهة لغارة البدو المعاصرين ، و بنو إسرائيل إذ كانوا جبناء خوقا بطبيعتهم ، لم يبدوا مرهوبين إلا بما كان يحاول إلقاء زعمائهم و أبنائهم فيهم من حاسة مؤقتة (٢) .

و نقرأ في التوراة أن د جليات ، (جالوت) الفلسطيني ، عندما طلب من بنو إسرائيل أن يخرجوا إليه من يبارزه ، و وسمع شاول ، و جميع إسرائيل ، كلام الفلسطيني هذا ، ارتاعوا و خافوا جدا ، (٣) ، بل إن القائد الفلسطيني إنما ظل يخرج إلى الميدان صباح مساء طيلة أربعين يوما ، دون أن يحرز واحدا من بنو إسرائيل على منازلته (٤) ، بل إن القرات الفلسطينية عندما ظهرت في الميدان ، ارتعد بنو إسرائيل ، ففريق اختبأ بين المقابر و الضياع و الضخور وغيرها ،

(١) فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ٢٠٦

(٢) جوستاف لويون : المرجع السابق ص ٤٦

(٣) صموئيل أول ١٧ : ١١ (٤) صموئيل أول ١٧ : ١٦

وفريق ولي مدبراً نحو شرق الأردن ، بل إن الشعب كله إنما قد ارتعد من وراء
شاؤل ، وهو ما يزال بعد في الجلال (١) .

ومن قبل عندما سار «جدهون» بجيشه ، لمحاربة الميديانيين ، كان تعداد جيشه
ثلاثين وثلاثين ألفاً ، فخطبهم بقوله «من كان خائفاً مرتعداً ، فليرجع وينصرف» ،
فتركه من هؤلاء اثنان وعشرون ألفاً ، وبعد اختبار آخر ، ترك الجيش ،
وتفاحش عن القتال جميع رجال إسرائيل ، إلا أقل القليل من عصم الله ، حتى
لنرى أن نتيجة التصفية ، إنما كانت ثلاثة مائة رجل ، من اثنين وثلاثين ألفاً (٢) .

وأما فن القتال عند الاسرائيليين ، فلم يرق إلى مستواه عن الكنعانيين أو
الفلسطينيين ، الذين نجحوا في تكوين قوات محاربة ، من فرسان ومشاة ومركبات
حديدية (٣) ، الأمر الذي لم يبلغه بنو إسرائيل ، إلا عندما نزلوا المدن المحصنة ،
وأصبح لكل أمير مدينة أو شيخ قبيلة قواته الخاصة ، التي تولت الدفاع عن مدينته
أو قبيلته (٤) .

وظل الأمر كذلك حتى قيام الملكية الإسرائيلية ، فبدأ «شاؤل» (١٠٢٠ -
١٠٠٠ ق م) في تكوين جيش نظامي ، انضم إليه كل إسرائيلي لائق للخدمة
العسكرية (٥) ، وربما من أجل هذا السبب نرى «داود» (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق م) ،
فيما بعد ، يكلف ضباط جيشه بعمل تعداد للمجتمع الإسرائيلي (٦) .

(١) صموئيل أول ١٣ : ٦ - ٧ (٢) قضاة ٧ : ٣ - ٨

(٣) قضاة ١ : ١٩ ، صموئيل أول ١٣ : ٥ .

(٤) قضاة ٩ : ٢٩ . (٥) عدد ١ : ٢ - ٣ ، ٢٦ : ٢ .

(٦) أنظر : محمد بيومي مهران : إسرائيل - الكتاب الثاني - التاريخ

وعلى أى حال، فلقد كان الجيش الإسرائيلي على أيام داود يتكون من عنصرين أساسيين هما (١) :-

(١) السبا : (Saba) ، أى أفراد الحرس الملكي ، وهم جماعة من رجال القبائل الأقوياء ، كانوا يستدعون بضوت النغير ، ويرفع الأعلام ، أو إشعال النار على التلال ، وهى قوات بدون زى موحد ، كان تجميعها ووضعها تحت السلاح يعتمد على الإرادة الفردية الجيدة (٢) ، وكان داود يستخدمهم ضد الشعوب المجاورة فى شرق الأردن ، وكانوا يحملون مع «تابوت العهد» إلى أرض المعركة ، ومن الواضح أن داود ، إنما كان ينظر إلى «تابوت العهد» هذا ، بأهمية كبيرة ، أثناء الحروب ، لأنه كان يمثل تحالف القبائل الإسرائيلية جماعاً (٣) .

(ب) الجبوريم : (Gibborim) ، وهى القوات الدائمة ، وقد تكونت نواتها الأولى من ستائة مقاتل ، كانوا قد تجمعوا من قبل حول داود ، عندما نفاه «شاؤل» - أو بالأحرى عندما هرب منه - وكانوا يسمون «رجال داود الأقوياء» وإن لم يكونوا جميعاً من الإسرائيليين ، بل كان معظمهم فى الحقيقة من شعوب أجنبية (٤) ، وعلى أى حال ، فلقد كانوا ينتمون إلى داود شخصياً ، وليس إلى القبائل الإسرائيلية ، وكانوا سلاحه فى خطواته الأولى نحو العرش الإسرائيلى ، وقد أحرز بهم انتصارات هامة ، كاتصارة الحاسم على الفلسطينيين

(١) أنظر : نفس المرجع السابق ص ٧٢٧ - ٧٢٨ .

(٢) صموئيل ثان ١٩ : ٨ - ١٠ ، ملوك أول ٢٢ : ١٧ وكنا

A. Lods, op-cit, P. 362

M. Noth, op-cit, p. 198

A. Lods, op-cit, p. 362

(٣)

(٤)

وكاحتلال ودزلة المدينة اورشليم، (١) .

هذا وقد كان جيش إسرائيل وقت ذلك مقسما إلى عدة فرق، فرقة من ألف، وأخرى من مائة، ومائة من خمسين جنديا، وكانت كل فرقة تحت إمرة قائد خاص، أما اللواء الضارب، فهو الذي يكون الحرس الملكي لداود (٢) .

وجاء سليمان (٩٦٠ - ٩٢٢ ق.م)، وأدرك ضرورة تكوين جيش قوى للدفاع عن دولته، فضلا عن تجارتها، ومن ثم فإن المصادر التاريخية، إنما تنسب إليه وحده استعمال العربات الحربية، في جيش إسرائيل (٣) .

ونقرأ في التوراة أن داود عندما هزم بمملكة « أرام صوبه »، قد استولى على مئات الخيول، غير أن داود لم يكن يملك عربة واحدة (٤)، بل إنه إنما كان يرى أن استعمال العجلة الحربية في جيشه ليس ضروريا، على الرغم من أنه كان قد أدرك أهمية هذا السلاح أثناء حروبه مع الآراميين، وهكذا ما أن ورك سليمان داود، وآل إليه عرش إسرائيل، حتى أدخل هذا السلاح في جيشه،

(١) M. Noth, op.cit, P. 198

(٢) صموئيل أول ٤ : ٥٢ ، ٨ : ١٢ ، ١٧ : ١٨ ، ٢٢ : ١٤ ، فؤاد حسنين : المرجع السابق ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٣) أنظر : محمد ييوى مهران : إسرائيل - الكتاب الثاني - التاريخ ص ٧٥٢ - ٧٥٦ .

(٤) تقول التوراة : « وضرب داود هدد عزربن رحوب ملك صوبه ، حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات ، فأخذ داود منه ألفا وسبع مئة فارس ، وعشرين ألف راجل ، وعرب داود جميع خيل المركبات ، (صموئيل ثمان ٨ : ٣ - ٤) ، غير أن بقية النص إنما يشير إلى أن داود وأبقي منها مائة مركبة .

بل إنه إنما جعل منه القوة العسكرية الرئيسية في هذا الجيش (١) .
وطبقا لما جاء في التوراة (٢) ، فإن سليمان إنما كان يملك ما بين ١٤٠٠٠
٤٠٠٠٠ حصانا (٣) ، وأما عن مباني الثكنات العسكرية الخاصة بفصائل العجلات
الحربية - طبقا لما جاء في سفر الملوك الأول من التوراة (٤) - فقد اكتشف في
دمجدو، وغيرها ، أسطبلات للخيول ، وحظائر للعربات مع بعضها ، وكانت تلك
التي في دمجدو، تسع ١٥ عربة ، ٤٤ حصانا (٥) .
هذا وقد كان قائد العربة الحربية يتلقى تدريبات طويلة شاقة ، ويظل في
الخدمة طالما كان قادرا على أداء وظيفته أو على الأقل لمدة سنوات ، ومن ثم
فإنه يصبح جنديا محترفا ، وعندما زاد عدد العربات أصبح من الضروري استخدام
عدد لا بأس به من الجنود المرتزقة ، ذلك لأن عددا قليلا من الإسرائيليين الذين
كانوا مكلفين بالخدمة العسكرية كانوا يصبحون جنودا محترفين .

(١) O. Eissfeldt, The Hebrew Kingdom, CAH, II, Part, (١)
2, 1975, P: 583-589

(٢) ملوك أول ٥ : ١١ .

(٣) O. Eissfeldt; op-cit. p. 589 (٣)

وكذا W. F. Albright, op-cit, P. 135 F

(٤) ملوك أول ٩ : ١٩ ، ١٠ : ١٦

(٥) W. F. Albright, From the Stone Age to Christianity, (٥)
N. y, 1957, P. 127, 223

وكذا y. Yadin, Newlight on Solomon's Migddo, BA, 23,
1960, P. 62 F

وكذا C. Watzinger, Dankmalcr Palctinas, I., Leipzig,
1933, p. 67 F: figs, 80-81

وليس هذا يعنى - بحال من الاحوال - أن هؤلاء الإسرائيليين^١ المجندين بالجيش ، ولا يعملون في سلاح العربات الحربية ، قد اعفوا من القيام بالمهام العسكرية ، بل بالعكس من ذلك ، كان الواحد منهم إذا لم يستدع للخدمة في الجيش ، فإنه إنما كان يكلف بالعمل في بناء التحصينات والحظائر الخاصة بالعربات ، فضلا عن العمل في مشاريع سليمان البنائية الأخرى ، ومن ثم فن الأفضل أن نطلق على العمل الذى اشتهر باسم «السخره» (Corvee) خدمة الأعمال العامة ، لبناء وصيانة التحصينات الدفاعية ، وخدمة الجيش^(١) .

ويبدو أن إسرائيل قد احتفظت بجميها ، سواء أكان ذلك في الشمال أو الجنوب ، بسبب الحروب مع جيرانها ، فضلا عن الحروب التى كانت تنشب باستمرار بين قبائل الشمال والجنوب ، وعلى أى حال ، فهناك ما يشير إلى أن نبوخذ نصر ، (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) لما استولى على اورشليم نقل إلى بابل نحو عشرة آلاف رجل ، يعتقد أنهم كانوا يكونون الجيش النظامى ، ولم يترك في فلسطين إلا الفلاحين^(٢) .

هذا ويبدو أن الإسرائيليين جميعا كانوا يجندون في الجيش ، ولم يعف من التجنيد الإجبارى هذا سوى الكهنة واللاويون^(٣) ، ونقرأ في سفر التثنية عن إعفاءات أخرى من الخدمة العسكرية ، منها ذلك الرجل الذى بنى بيتا جديدا ولم يدشته ، ومنها ذلك الرجل الذى غرس كرمه ولم يبتكره ، ومنها ذلك الرجل الذى خطب امرأة ولم يدخل بها ، ومنها ذلك الرجل الخائف وضعيف القلب

O₃ Eissfeldt, *loc. cit.*, p. 590

(١)

(٢) عدد ٢ : ٢٣

(٣) ملوك ثان ٢٤ : ١٤

« لئلا يذوب قلوب إخوته مثل قلبه » (١) ، ومنها ذلك الرجل الذي تزوج بامرأة جديدة « لا يخرج في الجند ، ولا يحمل عليه امرأاً ، حراً يكون في بيته سنة واحدة ، ويسر امرأته التي أخذها » (٢) .

ولست أظن إلا أن هذه الإعفاءات غير الضرورية ، إلا ضربة توجه في الصميم إلى قانون التجنيد الإجباري ، وإلا كيف يكون قانون التجنيد الإجباري ساري المفعول ، وكل هذه الإعفاءات موجودة ، فالكهنة معفون ، وسبط اللاويين معفون ، ومن خطب ولم يتم زواجه بعد يعفى ، ومن تزوج بامرأة جديدة يعفى ، ومن غرس كرماً ولم يحثه بعد يعفى ، بل إن الخائف والضعيف القلب - وما أكثرهم في إسرائيل - معفون .

وأياً ما كان ، فلقد عرف الجيش الإسرائيلي نوعين من الأسلحة ، الخفيفة والثقيلة ، وكان النوع الأول يشتمل على المقلاع والقوس وبجن صغير ، وقد اشتهر باستخدامه البنيامينيون (٣) ، وأما النوع الثاني ، فهو بجن كبير ، ودرع وخوذة ، وربما كانت هذه الأنواع من الأسلحة القتالية للملوك وعظماء القوم ، أكثر منها للعامة والفقراء ، وعلى أي حال ، فإن النصوص تنسب إلى داود بالحيث ، أنه أول من أدخل الدرع والخوذة إلى الجيش الإسرائيلي (٤) .

وأما عربة القتال فقد أخذها الإسرائيليون عن الحيثيين عن طريق الكنعانيين ،

(١) تثنية ٢٠ : ٥ - ٨

(٢) تثنية ٢٤ : ٥

(٣) صموئيل أول ١٧ : ٤٠ ، ٢٥ : ٢٩ ، صموئيل ثان ١ : ٢٢ ، ٢٣ :

٢٣ ، أخبار أيام أول ٨ : ٤٠ ، ١٢ : ٨٢ ، ٢٤ : ٢٤ ، ٣٤ :

(٤) صموئيل أول ١٧ : ٥ ، ٢٨ - ٢٩ ، ٣١ : ٩ ، أخبار أيام ثان ٣٦ : ١٤ ،

أيوب ٣٩ : ٢٣ ، ٤١ : ٢١ .

وفي كل عربة ثلاثة جنود ، الساييس والمحارب وحامل المجن ، الذي يحمي
الإثنين (١) .

هذا وقد عرف الإسرائيليون كذلك الحصون والقلاع ، ونقرأ في التوراة
أن دبعشا ، (٩٠٠-٨٧٧ ق.م) بعد أن بدأ يحكم إسرائيل من دترصة ، (وهي
ترزة في مكان تل الفارع الحالية ، مبعدة سبعة أميال شمال شرق شكيم) بنى حصنا
على حدود مملكته الجنوبية عند الرامة ، (وهي تل الرامة الحالية ، على مبعدة
سته كيلو مترات شمال أورشليم) ، لاتخاذها مركزا عسكريا لتهديد عدوته دولة
يهوذا ، غير أنه ترك هذا الحصن شاغرا ، بسبب هجوم الآراميين على منطقتة ،
وهندئذ استدعى داسا ، (٩١٥-٩١٣ ق.م) ملك يهوذا ، كل جهته لاستخدام
الأحجار والأخشاب ، التي في حصن بعشا في دحصونه ، التي أقامها في دجبعة ،
— على مبعدة ثلاثة كيلو مترات شرق الرامة — بنية الدفاج عن مملكة يهوذا ،
ضد أى هجوم يمكن أن تقوم به إسرائيل ضدها (٢) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الإسرائيل إنما كان ينظر إلى الحرب
على أنها شيء مقدس ، بمعنى أن القائد الأعلى لجيشهم إنما هو ديهوه ، ، قياسا على
أنه درب الجنود (٣) ، ومن ثم فعروب إسرائيل إنما هي دحروب يهوه (٤) ،
وبالتالى فهم يستعدون بأن الله ملازم بأن يحامى عنهم ، لأن حمايتهم حماية لكرامته

(١) ملوك أول ١٠: ٢٨-٢٩ ، فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ٢١٠

(٢) ملوك أول ١٥: ١٦-٢٢ ، وكذا O. Easfeldt, op-cit, p. 590

(٣) صموئيل أول ١٧: ٤٥

(٤) خروج ١٧: ١٦ ، عدد ٢٥: ٢٨ ، قضاة ٥: ٢٣ ، صموئيل أول ٢٥: ٢٨

هو ، وإذا حدث أن سقطت الأمة ، فعنى هذا - في نظرم - أن الله - والعياذ بالله - قد سقط (١) ، ومن هنا كان عليه أن يكرس كل وقته وسلطانه من أجل شعبه إسرائيل ، وهو لذلك يحارب إلى جانبهم ، أو يحارب بدلاً عنهم أو يطرد من أمامهم أعداءهم ، وييسر لهم قتلهم ، ويحل لهم نهبهم (٢) .

وكان « يهوه » يحمل « التابوت » إلى أرض المعركة ، ومن هنا نفهم كيف أن بني إسرائيل كانوا لا يبدأون معركة قبل أن يستشهدوا ربهم « يهوه » ، وقبل أن يقدموا له القرابين ، وكانت صيحة الحرب عندهم إنما هي نداء لربهم يهوه (٣) ، ومن ثم فيجب أن يكونوا في حالة طهارة دينية ، الأمر الذي يفرض عليهم تجنب النساء (٤) .

وأما شريعة الحرب عند بني إسرائيل - كما تصورها التوراة - فهي شريعة تختلف عن كل شرائع الحروب وأهدافها في تاريخ الدنيا ، فليست هناك أمة - مهما بلغت من الوحشية والبربرية - ببالفئة ما بلغت يهود من قسوة وهمجية ، ولتقرأ الآن ماجاء بالتوراة بهذا الشأن : « متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض ، التي أنت داخل إليها لتمتلكها ، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك ، الحثيثيين

(١) القس تاموس عبد المسيح : دراسة في غاموس ، ترجمة حارث قريصة

القاهرة ١٩٦٦ ص ١٨

(٢) عبده الراجعي : الشخصية الاسرائيلية ص ٤٧ ، وثنية ٩ : ٢

(٣) قضاة ٧ : ٢٠ ، ٢٠ : ٢٧-٢٨ ، صموئيل أول ٤ : ٦ ، ٧ : ٨ ، ١٣ : ٩ ،

١٤ : ٣٧ ، ٢٣ : ٢ ، ملوك أول ٢٢ : ٥

(٤) ثنية ٢٣ : ١٠ - ١٢ ، صموئيل ثان ١١ : ٦ ، فؤاد حسنين : المرجع

السابق ص ٢١٣

والجاشيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والجويين واليموسيين ، سبع شعوب أكثر وأعظم منك ، ودفعم الرب إهلك أمامك ، فانك تحرقهم (تقتلهم) ، لا تقطع لهم عهدا ، ولا تشفق عليهم ، ولا تصاهرهم (١) .

وتستطرد التوراة قائلة: «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها، استدعها إلى الصلح، فإن اجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك ، بل عملت حربا ، فحاصرهما ، وإذا دفعها الرب إهلك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهايم ، وكل ما في المدينة ، كل غنيمتك فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إهلك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا ، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إهلك نصيبا ، فلا تستبق منها نسمة ما (٢) .»

ولعل هذا النص يبين لنا بوضوح شريعة إسرائيل في الحرب ، بل عقيدة إسرائيل الدينية في الحرب ، فرب إسرائيل يأمر شعبه ، باستعباد جميع شعوب المدن القريبة منهم ، حين توافق على الصلح معهم، فإن شئت حربا ضدهم ، وكتب لهم نصرا عليها ، فليس لهذه الشعوب عند الإسرائيليين سوى السيف تضرب به رقاب رجالهم جميعا ، وأما النساء والأطفال والبهايم ، وكل ما في المدينة ، فغنيمة خاصة للإسرائيليين .

على أنه يجب ألا يفهم من هذا أن النساء والأطفال لم يتعرضوا لأقسى أنواع

(١) تثنية ٧ : ١ - ٣

(٢) تثنية ٢٠ : ١٠ - ١٨

التعذيب والقتل والبلاء ، فالتوراة غنية بالنصوص التي تشير إلى مدى وحشية
بني إسرائيل ، فهم لا يحترمون امرأة ، ولا يشفقون على طفل ، فكثروا ما بقر
الإسرائيليون بطون الجبال ، وقطعوا الأبطال بحد السيف ، ومن حجب أن هذه
الوحشية الإسرائيلية لم تكن مقصورة على الأجانب وحدهم ، بل إنها امتدت إلى
بني إسرائيل أنفسهم في الحروب التي وقعت بينهم ، بل إن روح الانتقام ضد
القوم إنما وصلت كذلك إلى تخريب البلاد ، بقطع الأشجار ، ودهم الآبار ،
وحرق القرى والمدن (١) .

وعلى أي حال ، فإن التوراة إنما تأمر بني إسرائيل بالنسبة إلى الشعوب
القريبة - ولعلمهم يعنون بها تلك التي تسكن أرض كنعان - تأمرهم ألا يبقوا منها
نسمة أبدا ، أي على الإسرائيليين أن يبيدوهم تماما .

وعندما تم لبني إسرائيل اغتصاب أرض « البن والصل » ، هددهم ربهم
« يهوه » بالانتقام المريع ، إن لم يتردوا السكان الأصليين من أرضهم المقتضية ،
قول التوراة - على لسان يهوه - « إن لم تتردوا سكان الأرض من أمامكم ،
يكون الذين تسبقون منهم أشواكا في أعينكم ، ومناخس في جواربكم ، ويضايقونكم
على الأرض التي أنتم ساكنون فيها ، فيكون أني أفعل بكم ، كما هممت أن أفعل
بهم (٢) ، ، لأن رب إسرائيل وعد شعبه إسرائيل « أعلم اليوم أن الرب الحك

(١) تثنية ٢٠:١٩-٢٠ ، قضاة ٦:٤ ، ملوك ثان ٢:١٩ ، ١٦:٠٥ ،
١٧- ، أخبار أيام أول ٢٠:١ ، إشعياء ١٣:١٦-١٧ ، عاموس ١:١٣ ، هوشع
١٠:١٤ ، قواد حسنين: المرجع السابق ص ٢١٢
(٢) عدد ٣٢:٥٠-٥٦

هو العابر أمامك نارا آكاة ، هو يبیدهم وينذلم أمامك ، فتطردم وتهلكهم سريعا
كما كلمك الرب الهك (١) .

ثم هناك كذلك هذه العبارة الناضحة بالشر ، الموصيية بأضري وأفدح
العدوان : « قومي ودومي يابنت صهيون ، لأنى أجعل قرنك حديدا وأظلافك
أجعلها نحاسا ، فتسحقين شعوبا كثيرين ، وأحرم (أقتل) غنيمتهم للرب ،
وئروتهم لسيد كل الأرض (٢) » .

وهكذا كانت الوحشية اليهودية فى الحروب إنما هى من شعار دينهم - دين
يهو ، رب يهود - وأن الإسرائيليين عندما يقومون بكل أنواع الوحشية والهمجية
إنما هم ينفذون أمر رب إسرائيل « رجل الحرب » الذى جعل القتل فريضة فرضها
على موسى ، وعلى يهود من بعده ، و « زكاة الرب » ، ذلك الرب الذى لا تراها -
من خلال نصوص التوراة - إلا شرها غضوبا ، متعطشا للدماء .

ولنتوقف الآن قليلا ، لنرى رأى الإسلام فى مقبل هذه الأصور ، فأما
الأسرى ، فيقرر القرآن الكريم أنه بعد أن يصبح الأعداء أضعف من أن يهاجروا
المسلمين ، فإلغائهم بالخيار بالنسبة إلى الأسرى ، فهو إما أن يطلق سراحمهم بفدية ،
وإما أن يمن عليهم بحريتهم بغير مال ، وإلى هذا يشير القرآن الحكيم فى قوله
تعالى : « حتى إذا اتختموهم فشدوا الوثاق ، فإما منا بعد ، وإما فداء ، حتى تضع
الحرب أوزارها (٣) » .

(١) تثنية ٩ : ٣ (٢) مينا ٤ : ١٣

(٣) سورة محمد : آية ٤ ، وأنظر : تفسير القرطبي ص ٤٥٠ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ تفسير

ابن كثير ٧/٢٨٩ - ٢٩١ ، صحيح البخارى ٤/٧٥ (مطبعة دار الشعب - القاهرة

١٣٧٨ هـ) ، سنن أبى داود ٢/٥٨ - ٥٠ (القاهرة ١٩٥٢) .

وأما عن النساء والشيوخ والاطفال ، فلدينا حكم الإسلام فيهم عن طريق وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لجيش أرسله لحرب (١) : يقول فيها

(١) إن الدافع للحروب في الإسلام هو دفع الاعتداء ، ومن ثم فإن الحرب في الإسلام لم تكن لدخول الناس في دين الله غصبا ، ذلك لأن القرآن الكريم إنما يقرر ، لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، وإنما كانت الحرب في الإسلام لدفع الاعتداء ، وذلك بنص القرآن الكريم حين يقول : فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ، (سورة البقرة آية ١٩٤ ، ٢٠٦) .

هذا وقد جعل القرآن الذين لا يقاتلون المؤمنين في موضع البر - إن وجلت أسبابه - وإن الذين يقاتلونهم هم الذين يهتدون : ولا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتسقطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوك في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ، (سورة المتحنة آية : ٨ - ٩) .

وهكذا يبين القرآن الكريم بكل وضوح أن بواعث الحرب في الإسلام ، إنما تكن أساسا في قتال الذين يقاتلون المسلمين في دينهم ، بل وقد اعتبر فتنة المتدين في دينه أشد من قتله ، والفتنة أشد من القتل ، (سورة البقرة آية ١٩١) ، وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ، (سورة البقرة : آية ١٩٢) .

هذا فضلا عن أن الذين يخرجون المسلمين من ديارهم ، وكذلك الذين يظاهرونهم على هذا الإخراج ويعاونوهم فيه ، بالوسائل المادية والأدبية ، ولهذا فرض القرآن الكريم في آية أخرى على المسلمين أن يقاتلوا هؤلاء المعتدين البغاة ،

جدنا ومرلانا وسيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انطلقوا باسم الله ،
وبالله ، وعلى بركة رسول الله ، لا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا ولا صغيرا ولا
امراة ولا تغلوا ، وضفوا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا ، إن الله يحب المحسنين ،
وفي معنى هذه الوصية يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « سيروا باسم الله
وقاتلوا أعداء الله ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تنفروا ، ولا تثلوا » .

ويروى الإمام البخارى فى صحيحه ، عن ابن عمر ، رضى الله عنهما ، أنه قال :
« وجدت امرأة مقتولة فى بعض مغازى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتبى
رسول الله من قتل النساء والصبيان (١) » .

وكان الخلفاء الراشدون يتدون بهدى النبى الأعظم - ﷺ - فى حروبه ، ومن
ذلك وصية أبى بكر الصديق - صاحب رسول الله ، وخليفته على المسلمين -
لأسامة بن زيد وجيشه ، والى يقول فيها : « أيها الناس ، قفوا أوصيبكم بعشر
فاحفظوها عنى ، لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ولا تثلوا ، ولا تقتلوا
طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تقربوا نخلا ولا تحرقوه ،
ولا تقطعوا شجرة مشرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا للأكله ،
وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعهم وما فرغوا
أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم

== حتى تعود الأمور إلى وضعها الحقيقى ، وحتى يعود المسلمون إلى ديارهم التى
أخرجوا منها ، يقول سبحانه وتعالى ، واقتلوا حيث تقتولهم وأخرجوهم من
حيث أخرجوكم ، (سورة البقرة : آية ١٩١) .

(١) صحيح البخارى - الجزء الرابع ص ٧٤-٧٦ (دار الشعب - القاهرة
١٣٧٨ هـ) ، سنن أبى داود ٤٩/٢ - ٥٢ (القاهرة ١٩٥٢)

منها شيئاً ، فاذكروا اسم الله عليه ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم
وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف إلا خفقا (١) .

بل إنه لمن الغريب حقاً ، أن يصل المصريون على عهد الفراعين ، إلى قريب
من هذه المبادئ السامية منذ الأسرة السادسة (حوالي عام ٢٣٤٠-٢١٨١ ق م) ،
فها هو « وني » قائد الجيش الذي أرسله الملك « بي الثاني » على رأس حملة ليقتضى
على تمرد تفتش بين البدو في جنوب فلسطين ، « وني » هذا يفخر بأنه استطاع
أن يمنع جنوده من كل ما يسمى إليهم كجنود ، حتى أنه منع الواحد منهم من
أن يحتس خبزاً أو نعلاً من المارة ، أو أن يخطف قطعة قماش من أية قرية ، كما
منع أياً منهم من اغتصاب نعجة من الناس (٢) .

ولنعد الآن إلى التوراة : انرى ما هو موقف اليهود من هذه المبادئ-
الإنسانية السامية ؟ أو قل ما هي أخلاقيات الحرب عند اليهود ، وطبقاً لنصوص
التوراة ، كتاب اليهود المقدس ؟

تصور التوراة موسى ، نبي الله ورسوله ، على أنه كان غضوباً متعطشاً للدماء
(وحاشاه أن يكون كذلك) ، لم يرضه أن يسبي الإسرائيليين نساء المديانيين
- أصهاره وأخوال ولديه جرشوم واليعازر- وأطفالهم ، بعد أن قتلوا كل رجالهم ،
وأحرقوا جميع مدنهم وحصونهم ، فإذا بالتوراة تصوره ، وكأنه يثور على
رؤوساء جيشه ، الذين تركوا النساء والأطفال أحياء ، ثورة طارئة ، ويأمرهم
أن « اقتلوا كل ذكر من الأطفال ، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر (٣) » .

(١) محمد أبو زهرة : نظرية الحرب في الإسلام ص ١٥

(٢) A. H. Gardiner, op—cit, p. 96

(٣) عدد ١٠٢١ : ١٨-

ثم تحدثنا التوراة كذلك أن يشوع - فتي موسى وخليفته - يأمر قومه اليهود بعد الإستيلاء على د أريحا ، أن د اقتلوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل بها تمها (١) .

ثم تستطرد التوراة فتذهب إلى أن موكب الخراب قد انتقل - وعلى رأسه يشوع - من أريحا إلى د عاي ، فيصب عليها - ما صبه على أريحا من قبل - ويقتل أهلها عن بسكرة أبيهم ، حتى أن التوراة تفاخر ، بأنه د لم يبق منهم شارد ولا منقلب ، وحتى ببقط بحد السيف في ذلك اليوم من رجال ونساء ، اثني عشر ألفا ، جميع أهل عاي ، ثم د أحرق يشوع عاي وجعلها قلا أبديا خرابا (٢) .

وتصور التوراة كذلك د داود ، - النبي الأواب - على أنه كان غارقا في الدماء ، متوحشا ، شديد القسوة ، قرى أن داود قد جمع د كل الشعب وذهب إلى ربة عمون (عمان الحالية) وحاربها وأخذها ... وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جدا ، وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشيرو نوارج حديد ، وفزوس حديد ، وأمرهم في آتون الأجر ، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون ، ثم جمع داود ، وجميع الشعب إلى أورشليم (٣) .

وهكذا تنسب التوراة إلى داود أنواعا من التعذيب لم يعرفها الإسرائيليون من قبله ، رغم ما يعرفه قراء التوراة من وحشية اليهود ، التي لا أمر للرحمة فيها ، ومدى استهانتهم بالروح البشرية - وكذا الحيرانية - فالأحراق بالأفران ، بالقاء الناس في آتون النار ، وسلخ جلودهم ، ووشرم بالمفشار ، ووضعهم تحت نوارج

(٢) يشوع ٨ : ٢٢ - ٢٩

(١) يشوع ٦ : ١٦ - ٢٤

(٣) صموئيل ثان ١٢ : ٢٩ - ٣١

الحديد وفؤوسها ، هذا فضلا عن الذبح المنظم بالجملة لجميع بني عمون ومدنهم ، كل ذلك أمر غير مقبول ولا مستساغ حتى من أطفى الطغاه ، فضلا عن أن يكون ذلك من داود ، الملك النبي ، ولكن ما حيلتنا ، والتوراة - كتاب اليهود المقدس - تجعل القتل « فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى (١) » ، و « زكاة للرب ، ورجل الحرب (٢) » .

ومن هنا كان الأهلون من أعداء اليهود يوقفون ، فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة ، فيبادون باسم « يهود » - إله يهود - من غير نظر إلى الجنس أو السن ، وكان التحريق والسلب ، يلازمان سفك الدماء (٣) ، ويعلق « هـ . ج . ويلز » على ما ورد في التوراة عن قسوة داود ، بقوله : « إن قصة داود بما تحوى من قتل وسفك دماء ، واغتيالات متلاحقة ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، أشبه بتاريخ أحد الرؤساء المتوحشين ، منها بتاريخ ملك مدين (٤) » .

ويعترف الكاتبان اليهوديان « مـ . مارجوليس » و « ا . ماركس (٥) » بقسوة داود ، وإن علا ذلك بكثرة الثورات التي قامت ضده ، وبخاصة ثورة ولده

(١) عدد ٢١ : ٢١ (٢) خروج ١٥ : ٣

(٣) جوستاف لوبون : المرجع السابق ص ٤٧

(٤) H. G. Wells, The Outline of History, N. Y, 1965, p. 283

(٥) M. Margolis and A. Marx, A History of the Jewish People, p. 55-56

وإبشالوم ، (١) و « ثورة شبع بن بكرى (٢) » .

ونحن إن كنا ننكر - الإنكار كل الإنكار - أن ذلك قد حدث مع داود - النبي الأواب - فإننا إنما نقدمه كنموذج لما تراه التوراة شريعة لأخلاقيات الحرب عند يهود ، وهم في نفس الوقت ، إنما يؤمنون بذلك ويعتقدونه .

وهكذا يبدو واضحا ، أن وحشية يهود ، وحب إسرائيل لسفك الدماء ، إنما تستمد روحها من دين إسرائيل ، وتتلقى تعاليمها من تورااة يهود ، فتنزل عن نفوسهم منزلة التقديس ، وتتلقاها قلوبهم ، وكأنها وحى من رب إسرائيل على موسى ويشوع وداود وغيرهم ، وبذا غدت داء إسرائيل ، الذى لا أمل معه فى دواء ، وجرحا فى نفوس يهود ، لا يرجى منه شفاء ، مادام للدين أتباع ، وما قامت جماعة إسرائيل باتباع دين إسرائيل ، لأن كل ذلك من أخلاقيات الحرب عند يهود ، إنما هى نصوص تورااة اقراها يهود على الله ، وعلى كليمه موسى عليه السلام .

(١) صموئيل ثان ١١ : ٢ : ١٢ - ١٣ ، ١٤ ، ١٩ : ١ - ٣ ، ١٥ :

٧ - ١٠ ، ٢٠ ، ٢٢ - ١ : ١٨ ، ٢٣ - ١ :

وكذا M. Noth, op-cit, p. 201 - 202

وكذا O. Eissfeldt, op-cit, 585 - 586

W. F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel, Baltimore, 1963, p. 158

(٢) صموئيل ١٩ : ٩ - ٢٠ : ٤ ، محمد بيومى مهران : إسرائيل - الكتاب

الثانى - التاريخ - الإسكندرية ١٩٧٨ : ص ٧٣١ - ٧٣٨

فهرس أعلام الجزء الثالث

١٦٢ ، ٣٨٦ .
الكتابات :
٣ ، ٥ ، ١١ ، ١٤ ، ٦٤ ،
١٤٤ .
إشعيا :
٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٨٣ ، ١١١ ، ١٥٧ ، ٢٣٩ ،
٢٨٣ ، ٣٠٠ ، ٣١٠ ، ٣٢٥ .
إرميا :
٤ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٤ ،
٤٥ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٧٢ ،
٧٦ ، ٧٧ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
١٣١ ، ١٥٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .
الزماير :
٤ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٩٥ ، ١١١ ،
١٣١ ، ٢٠٧ ، ٢٩٧ ، ٣٥١ ،
٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ،
٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ،
٣٧٩ .
الامثال :
٤ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٣٢٦ ،
٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ،
٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ،
٣٧٧ .
أيوب :
٤ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،

١
التوراة :
في معظم صفحات الكتاب .
للهود :
في معظم صفحات الكتاب .
إسرائيل :
في معظم صفحات الكتاب .
التلمود :
في معظم صفحات الكتاب .
الإسكندرية :
٣ ، ١١ ، ٨٠ ، ١٠٧ ،
١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٥ ،
١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ،
١٣٨ ، ٣٢٤ .
المسيحيون :
٦ ، ٧ ، ١١ ، ٣٦ ، ١٠٧ ،
١١٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،
١٢١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ،
١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،
٢٦٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٩٧ ،
٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٧ ، ٤١٨ .
الانبياء :
٣ ، ٥ ، ١١ ، ١٣ ، ٢٨ ،
٣٣ ، ٤٨ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ١٠٢ ،
١١٦ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،

. ٤١٥ ، ٣٩٦

: الإسلام

١٦ ، ١٤١ ، ١٦ ، ١٢ ، ١١

، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٥ ، ١٧٠

، ١٩٩ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠

. ٢١٩ ، ٢٠٢

: اللاويون

، ١٤٥ ، ٩٨ ، ٣٢ ، ٢٠

، ٢٢٤ ، ١٩٧ ، ١٥٤ ، ١٤٧

، ٣٨٢ ، ٣٠٤ ، ٢٩٦ ، ٢٣٣

. ٤٠٤ ، ٣٩٩

: أمنمووي

، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٦٨ ، ٣٦٥

. ٣٧٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧١

: أورشليم

، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٣ ، ٢٢

، ٤٧ ، ٤٢ ، ٣٩ ، ٣٤ ، ٢٨

، ٧٦ ، ٦١ ، ٥٩ ، ٥٢ ، ٤٩

، ٩٢ ، ٩١ ، ٨٧ ، ٨٣ ، ٨٢

، ١٣٠ ، ١٢٦ ، ١٠٩ ، ٩٤

، ٢١٥ ، ٢١٣ ، ١٥٦ ، ١٣٦

، ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥

، ٢٣٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥

، ٣٢٢ ، ٢٨٨ ، ٢٦٩ ، ٢٤٠

، ٣٨٦ ، ٣٦٣ ، ٣٣٣ ، ٣٢٣

. ٤٠٨ ، ٤٠٧

: أبوت

. ٤١١

: الحبيشة

. ١١٧ ، ٢٦ ، ٢٥

. ٣٠٠ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠

: المراثي

. ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٦٤ ، ٤

: الجامعة

، ١٣٢ ، ٩٥ ، ٧٩ ، ٦٤ ، ٤

. ٢٢٠ ، ١٤٢

: أستير

، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٦٤ ، ٤

، ١٣٢ ، ١٢٥ ، ٩٤ ، ٨٩

، ٣٠٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ١٩٦

. ٤٣٢ ، ٤١١

: أحبار

، ١٧ ، ١٤ ، ١٣ ، ٦ ، ٣

، ١٣٣ ، ٨٩ ، ٦٧ ، ٤٠

. ٤٢١ ، ٤١١ ، ٤٠٩

: إيليا

. ٢٣٤

: الساميون

. ٣٥٥ ، ١٨٤ ، ١٧٠

: البروتستانت

، ١٤٢ ، ١٣٢ ، ١٢ ، ٧ ، ٦

. ٢٩٥

: الكاثوليك

، ١٢٢ ، ٨٢ ، ١٢ ، ٧ ، ٦

. ١٤٠ ، ١٣٤

: الأرثوذكس

. ٧ ، ٦

: آخاب

. ٣٠ ، ٨

: إسرائيل ولفنسون

أحاز :
٢٨ ، ٥٧ ، ١٥٦ .
أدولف إرمان :
٣٦٨ .
السير إرنست للفرد واليس بدج
٣٦٨ ، ٣٧٢ .
ارتكزر كسيس الأول :
٣١ ، ٨٠ .
إيبيل رباني :
٤١١ .
الفينيقيون :
٣٤ ، ٩٩ .
اليوسيون :
٣٤ ، ٢٢٥ .
الكنعانيون :
٣٤ ، ٩٩ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ،
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
الأردن :
٣٥ ، ١٤٨ ، ٢١٣ ، ٢٩١ ،
٣٠٩ ، ٣١٠ .
إرنست سيلين :
٤١ .
العراق :
٤٤ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٥ ،
٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ .
أشور :
٤٥ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٩٦ ،
٩٧ ، ٩٩ ، ١١٢ ، ١٢٨ ،
٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٣٢٢ ،
٣٢٣ ، ٣٣٤ .

أدوم :
٥٢ ، ٦٩ ، ١٥١ ، ١٩٠ .
أشور دان الثالث :
٥٣ .
الناصرية :
٥٥ .
الميديون :
٥٨ ، ١٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ .
البندقية :
٤١٦ .
الاسكندر الأكبر :
٦٢ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٢٧ ،
١٢٩ ، ١٤٦ ، ٣٢٤ .
العبرانيون :
٦٣ ، ٦٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٥ ،
١٠٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،
١٣٧ ، ١٥٥ ، ٢٠٧ ، ٢٨٣ ،
٢٨٤ ، ٣٢٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ،
٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ،
٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،
٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ،
٣٧٩ ، ٣٨٥ .
إبراهيم بن عزرا :
٦٨ ، ١٣٨ ، ١٤٧ .
أنشودة آتون :
٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣ .
الكلدانيون :
٧٦ ، ٨٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
٢٩٧ .

القديس أوريجين :	اكثر كسيس الأول :
. ١٣٧ ، ١٣٨	. ٢٩٤ ، ٢٧٣ ، ٨٠
المطران جيمس أشار :	انطيوخس الرابع ايفانس :
. ٢٩٥	١٢٩ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٨٢
أمستر دام :	اليونان :
. ١٤١	١١١ ، ٩٦ ، ٩٠ ، ٨٥ ، ٨٣
إرنست رينان :	١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
. ٢٧٩ ، ١٤٢	١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
ابن حزم :	. ٣٢٤ ، ١٣٨
. ٤٣٠ ، ١٩١ ، ١٨٣ ، ١٤٣	الأراميون :
انكى :	١١٦ ، ١١٥ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٨٦
. ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٦	١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ٢٢٧ ،
ابن عزرا :	٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٣٠٨ ، ٣٩٤ ،
. ١٤٤	. ٤٠٩
أوتو :	إلوهيم :
. ٣٤٠	. ٢٩٩ ، ١٦٠ ، ١٠٠ ، ٩٧
آدم :	السامرة :
. ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٤	. ٩٧ ، ٣٧٩
. ٣٤٥	السريانية :
إبراهيم :	١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٤ ،
. ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ،	. ١٢٨
. ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،	الأمورايم :
. ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،	. ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ،
. ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،	. ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩
. ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ،	الأرمينية :
. ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢٩ ،	. ١١٧ ، ١٢٤
. ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٦٦ ،	أسفار الأبوكريفا :
. ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ،	١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٣١ ،
. ٢٨٥ ، ٢٩٧	١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
	. ٤١٠

٢٣٦ .	إسحاق :
المشنا :	١٥٢ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
٣٨٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،	١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ،	١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ،	١٩٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ .	آدم كلارك :
أوسترلى :	١٥٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ .
٢٨٠ ، ٣٤٩ .	أختاتون :
أدونيا :	١٥٤ ، ١٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٥٣ ،
٢١٣ ، ٢١٤ .	٣٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٢٦٤ ،
أخيا الشيلونى :	٣٦٥ .
٢١٩ .	إساعيل :
اليوسيون :	١٦٤ ، ١٧٩ ، ٢٢٩ ، ٣٨٦ .
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ .	الأسباط :
الفرزيون :	١٦٤ ، ١٩٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ،
٢٢٥ ، ٢٢٧ .	٣٢٢ .
أربحا :	ابن كيثر :
٢٢٥ ، ٢٢٨ .	١٧٠ .
الحيشيون :	ابشاي :
٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ .	١٧٠ .
أفرايم :	القس منير عبد النور :
٢٢٦ ، ٢٨٥ ، ٣١٧ .	١٧٣ ، ١٧٦ .
القينيون :	أبيالك :
٢٢٨ ، ٢٣٢ .	١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ،
القنزليون :	١٨٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٨٥ .
٢٢٨ .	أمنون :
العالمقة :	٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ .
٣٠٩ ، ٣١٠ .	أبشالوم :
أبشتين :	٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٥ ،
٢٤٠ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ،	

. ٢٣٥
بطليموس الثاني :
١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ .
بطليموس الأول :
. ١٠٩
بطليموس الرابع :
. ١٣٠
بلهة :
. ١٩٣ ، ١٩٤ .
بئر سبع :
. ٢٢٩
بنيامين :
٢٣٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .
بيرى الحثي :
. ٢٦٦
بسمة :
. ٢٦٦
بني حث :
. ٢٦٧
بيلشاصر :
. ٢٦٩ ، ٢٧٠ .
بريجليار :
. ٢٧٠ ، ٢٧١ .
بيت لحم :
. ٣١٧
بغداد :
. ٤٠٥
بال :
. ٤١٦

. ٤٢٦ ، ٤٠٥
أوبل مردوح :
. ٢٧٠
أوسركون الرابع :
٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ،
ايوبوت الثاني :
. ٢٨٢ ، ٢٨١

ب

بني لاوى :
. ٣١٧ ، ٣٠٤ ، ٢٠
بعاريم :
. ٢٣ ، ٢٥ .
بيت ليل :
. ٢٨ ، ٢٢٥ ، ٣٠٦ .
بابل :
٣٢ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ،
٥٤ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٨٢ ،
٨٨ ، ١١٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،
٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،
٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ،
٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٨٢ ،
٣٨٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ،
. ٤٠٨ ، ٤٠٩
باروخ سينوزا :
٣٨ ، ٣٩ ، ٦٨ ، ٨٩ ، ٩١ ،
١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ،
. ١٥٨ ، ١٥٩
بني عمون :
٩٢ ، ١١٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،

ث

ثامارا :
۲۱۱ ، ۲۱۲ ، ۲۳۶ ، ۲۸۷ .

ج

جازر :
۳۴ ، ۲۲۵ ، ۲۲۶ ، ۲۲۸ .

جاد :
۳۷ ، ۲۱۹ .

جدائيل :
۸۳ .

جان استروك :
۱۳۹ ، ۱۴۷ .

جورج فلهام فردرك هيجل :
۱۴۲ .

جرار :
۱۷۳ ، ۱۸۶ ، ۱۸۷ ، ۲۲۹ .

جشور :
۲۱۲ ، ۲۲۶ .

جليات :
۲۳۷ ، ۲۳۸ .

جوبرياس :
۲۷۲ .

جيمس هنرى برستد :
۲۸۰ ، ۳۵۵ ، ۳۵۷ ، ۳۵۹ ،
۳۶۹ .

ت

تورى :
۴۱ ، ۴۸ ، ۹۰ .

توماس كارليل :
۷۳ .

تشارلز :
۸۴ .

تيتوس :
۹۴ .

تخوتمس الثالث :
۱۷۱ ، ۲۷۷ .

تلهاى :
۲۱۲ .

تجلات بلاسر الثالث :
۲۷۹ .

تانيس :
۲۸۱ ، ۲۸۴ .

تف نخت :
۲۸۲ ، ۲۸۳ ، ۲۸۴ .

تكوت الثانى :
۲۸۳ .

تدمر :
۲۸۵ ، ۲۸۶ ، ۲۸۷ .

تجلات بلاسر الاول :
۲۸۶ .

توبال :
۳۳۴ .

تروا :
۴۱۲ .

جوتیه :	۳۲۲ ، ۲۸۷ .
۲۹۵ .	حقوق :
جوشن :	۴ ، ۴۸ ، ۵۸ ، ۵۹ .
۳۰۲ .	حجی :
جرشون :	۴ ، ۴۸ ، ۶۰ ، ۶۱ ، ۶۲ ،
۳۰۴ .	۶۳ ، ۹۵ .
جدعون :	حوریب :
۳۰۹ ، ۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۲ .	۲۴ .
جیمس فریزر :	حلقیا :
۳۱۳ .	۲۷ ، ۲۸ ، ۲۹ .
جبة :	حمورابی :
۲۳۶ ، ۳۲۱ .	۳۲ ، ۳۳ .
جیحون :	حران :
۳۴۱ .	۴۶ ، ۲۸۵ ، ۲۹۷ .
جرسمان :	حرون :
۳۴۹ ، ۳۵۶ ، ۳۵۹ ، ۳۶۳ ،	۱۵۲ ، ۱۷۷ ، ۱۹۵ ، ۲۲۵ ،
۳۶۹ .	۲۲۹ ، ۲۶۹ ، ۳۱۵ .
جان یویوت :	حاصور :
۳۵۹ .	۲۲۵ .
جون ویلسون :	حو باب بن رعوثیل :
۳۶۰ ، ۳۶۱ .	۲۳۲ .
جریحوری التاسع :	حام :
۴۱۷ .	۲۶۰ ، ۲۶۱ .
جورج فریدمان :	حماة :
۴۲۵ .	۲۶۶ .
ح	حیب سعید :
حزقیال :	۲۷۶ ، ۲۸۸ ، ۲۹۶ .
۴ ، ۴۰ ، ۴۷ ، ۴۸ ، ۵۷ ،	حانیس :
۵۹ ، ۶۷ ، ۷۲ ، ۷۶ ، ۱۵۷ ،	۲۸۴ .

دارا الأول :	حسن ظاظا :
. ٦١ ، ٨٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .	. ٢٨٩
دوم :	حمورابي :
. ٤١	. ٣٣٦
دارا الثالث :	
. ٨٨	
دينه :	
. ٦٧ ، ١٩٤ .	
درايفر :	
. ١٠٣	
دان :	
. ١٥٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٣١٣ .	
ديورة :	
. ٢٣٢	
دمشق :	
. ٢٦٦ ، ٣٠٨ .	
داريوس المادي :	
. ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .	
دريوتون :	
. ٢٩٥	
دليلة :	
. ٣١٦	
دلون :	
. ٣٤٢ ، ٣٤٣ .	
ديرخ ليرص :	
. ٤١١	
دافيد بن جوريون :	
. ٤٢٥	
	خ
	خرية قمران :
	. ٤٢
	خليج العقبة :
	. ٢٧١
	د
	دانيال :
	. ٤ ، ٦٤ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ،
	. ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١١١ ،
	. ١١٣ ، ١٢٧ ، ١٢٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
	داود :
	. ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٦٤ ،
	. ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ١٥٤ ، ١٧٩ ،
	. ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،
	. ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
	. ٢٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ،
	. ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
	. ٣٦٤
	دودارين :
	. ٤١

ز

زكريا :

٤٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،

٩٥ ، ١٧٩ .

زبولون :

٥٥ .

زيوس :

٨٢ .

زربابل

١٣٦ .

زراعيم :

٣٩٨ ، ٤٢٦ .

زفورية :

٤٠٦ ، ٤٠٧ .

س

سفر الملوك الأول :

٤ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٩٢ ،

٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٧٦ ،

٢٨٥ ، ٣٠٧ .

سفر الملوك الثاني :

٤ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٣٩ ،

٥٣ ، ٩٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،

٢٣٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٢٢ .

سفر القضاة :

٤ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٩ ،

٨٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٢٢٧ ،

٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٨٥ ، ٣٠٩ ،

٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ .

ر

ر

راعوث :

٤ ، ٣٩ ، ٧٥ .

رحمة الله الهندي :

٩٣ ، ٩٤ ، ١٤٨ .

ربي عقيبا :

١٢٢ .

ريتشارسيمون :

١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٩ .

رعسيس الثالث :

١٥٥ ، ١٨٧ ، ٢٦٧ .

راؤبين :

١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٣٠ .

رجععام :

٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٨٥ .

رفقة :

٢٢٩ .

رعوثيل :

٢٣٢ .

رفع :

٢٧٩ .

رفيديم :

٣٠٣ .

روما :

١٢٠ .

١٤٠ ، ١٥٩ ، ٢١٩ ، ٢٦٠ .
سفر العدد :
٣ ، ٣٢ ، ٩٨ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،
١٥٣ ، ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ،
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٣٨٢ .
سورية :
٤٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
سرجون الثاني :
٩٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ .
سياخوس :
١١٣ .
سمعان :
١٢٩ .
سلوقس الرابع :
١٢٩ .
سان جيروم :
١٣٧ .
سارة :
١٥٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ،
٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٦٨ .
سفر العهد :
١٥٩ ، ٢١٩ .
سيناء :
١٧٠ ، ٢٣٢ ، ٣٠٣ ، ٣٦٢ .
سفر ملوك إسرائيل :
٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
سفر ياشر :
٢٢٠ .

سفر الأخبار الاول :
٥ ، ٣٧ ، ٦٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١١٣ ، ٢٢١ ،
٢٣٨ ، ٢٣٩ .
سفر الأخبار الثاني :
٥ ، ٦٤ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٢٨ ،
٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ،
٢٣٥ ، ٢٨٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
٣٥٣ .
سفر الخروج :
١٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٩٨ ، ١٤٥ ،
١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٩٧ ، ٢٢٤ ،
٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ،
٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٦٧ ، ٢٩٨ ،
٣٠٣ ، ٣٥٣ ، ٣٨٢ .
سفر التثنية :
٢٠ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ،
٦٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٦ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٩٧ ،
٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ،
٢٦٠ ، ٣٨٢ .
سليمان في معظم الصفحات
سفر التكوين في معظم
الصفحات
سفر الشريعة :
٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ١١٦ .

سليمان الإسحاقى :	سام :
. ٤١٢	. ٢٦٠
	سومر :
ش	. ٢٧٢ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٧
شكيم :	سير ألن جاردنر :
. ٢١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٨٥	. ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٩٥ ، ٣٥٩
شيلوه :	سوا :
. ٢٢ ، ٢٣	. ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢
شاؤل :	. ٢٨٣ ، ٢٨٤
. ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ١٥٢ ، ٢٣٧	سايس :
. ٢٣٨ ، ٣١٢ ، ٣٣٥	. ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
شاقان :	سنحريب :
. ٢٧	. ٣٢٢ ، ٣٢٣
شبة الجزيرة العربية :	سيجموند فرويد :
. ٦٩ ، ١١٨ ، ٣٤٣	. ٣٦٥
شاهين مكارىوس :	سولومون شختر :
. ٨٠	. ٣٨١ ، ٣٨٢
شمعون :	سلر موعد :
. ١٩٤ ، ٢٢٨ ، ٣٨٨	. ٤٠٠
شمعيا النبي :	سلر ناشيم :
. ٢٢٠	. ٤٠١ ، ٤٣٠
شوييلو ليوما :	سلر نزيين :
. ٢٦٦	. ٤٠١ ، ٤١١ ، ٤٢٦
شلمنصر الخامس :	سلر قداشيم :
. ٢٧٩	. ٤٠٢
شيكو :	سوفريم :
. ٢٧٩ ، ٢٨٠	. ٤١١

. ٢٨٤ ، ٢٨٣
صموئيل نوح كريمير :
. ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٣

ض

ط

طيبة :

. ٥٨

طبرية :

. ٤٠٧ ، ٤٠٦

ظ

ع

عاموس :

٢٢٩ ، ١٥٧ ، ٥٠ ، ٤٨ ، ٤

عوبديا :

. ٥١ ، ٤٨ ، ٤

عزرا : في معظم صفحات
الكتاب

عمر بن الخطاب :

. ١٦

عمان :

. ٦٩

عالي سميث :

. ١٢٠

شمشون ابن متوح :

. ٣١٦ ، ٣١٤ ، ٣١٣

شولم :

. ٣٢٥

شوليت :

. ٣٢٦ ، ١٢٥

شيشنق الأول :

. ٣٤٨

شاي :

. ٤٠٢ ، ٣٨٩

شيتومير :

. ٤١٦

ص

صموئيل الأول :

. ٤ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩

. ٢٢٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨

صموئيل الثاني :

. ٤ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩

. ٢٠٦ ، ٢٢٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٩

صفنيا :

. ٤ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠

صهيون :

. ٢٣ ، ٢٠٧ ، ٣٨٥

صيدا :

. ٣٤

صبري جرجس :

. ٩٨

صوعن :

غ

غزة :

. ٢٦٨ ، ٢٧٩ ، ٣١٥ .

ف

فلسطين : في معظم صفحات
الكتاب

فيكتور هيجو :

. ٧٣

فارس :

. ٨٠ ، ٨١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،

. ٣٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ .

قواد حسنين :

. ٨٩

فلهاوزن :

. ٩٧

فارس الشدياق :

. ١٢٠

فسباسيان :

. ١٣٠

فاتر :

. ١٥٩ ، ١٦٠ .

فوطيفار :

. ٢٣٠ ، ٢٧٤ .

فوط :

. ٢٦١

عيسى :

. ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،

. ١٨١

علي بن أبي طالب :

. ٢١٠

عسر :

. ١٩٥

عدو الرأي :

. ٢٢٠

عائى :

. ٢٢٥

عجلون :

. ٢٢٥

عفرون الحثي :

. ٢٦٦

عشتار :

. ٢٩٣ ، ٣٢٤ .

عين حرود :

. ٣٠٩ ، ٣١٠ .

عمر بن أبي ربيعة :

. ٣٢٤

عبد المنعم أبو بكر :

. ٣٦٣

عقيبا :

. ٣٩٠ ، ٣٩١ .

عانة :

. ٤٠٦

عكا :

. ٤١٤

قيسارية :
. ٤٠٦
قرطبة :
. ٤١٤

ك

كبروش الثاني :
. ٢٧١ ، ٩٠ ، ٦١ ، ٦٠ ،
. ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٣٣
كوخ :
. ٩٧
كبردج :
. ١١٤
كرينليوس فاندريك :
. ١٢٠
كارلشتات :
. ١٣٨
كنعان :

. ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٧ ،
. ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٦ ،
. ١٨٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ،
. ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ،
. ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٣٥

كوش :
. ٢٦١
كتشن :
. ٢٨٠ ، ٢٨١

فنوئيل :
. ٢٩١
فيثوم :
. ٣٠٥
فيشون :
. ٣٤١
فينيقيا :
. ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣
فرانسوا دوما :
. ٣٥٩
فرق هشالوم :
. ٤١٢
فاس :
. ١١٤
فرنسا :
. ٤١٧ ، ٤٢١

ق

قرطاجنة :
. ١٣٣
قرية أربع :
. ١٥٢
قادش :
. ٢٢٥ ، ٢٢٨
قمبيز الثاني :
. ٢٧٢
قسطنطين الأكبر :
. ٣٩٧ ، ٤٠٨

لويس التاسع :
. ۴۱۷

م

موسى: فى معظم الصفحات
ميخا :

. ۴ ، ۴۸ ، ۵۶ ، ۵۷ ، ۲۳۶ ،

ملاخى :

. ۴ ، ۴۸ ، ۶۰ ، ۶۳ ، ۹۵ .

محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم: فى معظم الفحات
مكيدة :

. ۲۶

ميكال :

. ۲۳

مصر: فى معظم الصفحات
مراد كامل :

. ۳۷

مردخاى :

. ۸۰ ، ۸۱ .

مارتن لوثر :

. ۸۰ ، ۱۳۲ ، ۱۳۴ ، ۲۹۵ .

ميكائيل :

. ۸۳

ميلان :

. ۱۱۴

منسى :

. ۱۲۸ ، ۱۳۱ ، ۱۳۴ ، ۱۵۶ ،

. ۲۲۷

كفن :
. ۳۷۰

ل

لوسيان جوتيه :

. ۸۴ ، ۱۰۰ ، ۱۰۵ .

لنجير كه :

. ۹۷

لويس شابل :

. ۱۴۰

لوز :

. ۱۵۳

لوط :

. ۱۷۰ ، ۱۷۳ ، ۱۷۹ ، ۱۸۲ ،

. ۱۸۴ ، ۱۸۵ .

لاوى :

. ۱۹۴ ، ۲۳۸ .

لبنان :

. ۲۲۰

لابان :

. ۲۴۰

لباشى مردوخ :

. ۲۷

ليتوبوليس :

. ۲۸۱

لانج :

. ۳۶۸

. ۳۹۱ ، ۳۹۰	موران :
موسی بن میمون :	. ۱۴۰
. ۴۱۵ ، ۴۱۴ ، ۴۱۳ ، ۳۹۹	مؤاب :
ن	. ۱۸۳ ، ۱۵۱ ، ۱۴۸
ناحوم :	مایر :
. ۵۸ ، ۵۴ ، ۴۸ ، ۴	. ۲۹۵ ، ۱۷۶
نشید الأناشید :	مدیان :
. ۳۲۵ ، ۱۴۲ ، ۷۴ ، ۶۴ ، ۴	. ۲۳۲ ، ۲۳۰ ، ۱۹۷
. ۳۲۶	مریم :
نحمیا :	. ۲۰۱
. ۸۵ ، ۸۲ ، ۷۵ ، ۶۴ ، ۵	مجلو :
. ۹۴ ، ۹۲ ، ۸۹ ، ۸۸ ، ۸۷	. ۲۲۷
. ۱۳۶ ، ۱۱۳ ، ۱۰۶ ، ۱۰۱	مکز :
نابلس :	. ۲۵۷
. ۲۸۵ ، ۷	مصرایم :
نجیب میخائیل :	. ۲۶۱
. ۳۲۱ ، ۱۶۰ ، ۱۳۶ ، ۲۰	موصرو :
ناثان :	. ۲۸۰
. ۲۱۹ ، ۲۰۵ ، ۲۰۴ ، ۳۷	مردخای :
نینوی :	. ۲۹۴
. ۲۲۳ ، ۵۸ ، ۵۵ ، ۵۴ ، ۵۳	مردوك :
نبوخذ نصر :	. ۳۳۷ ، ۲۹۴
. ۲۴۰ ، ۷۸ ، ۷۶ ، ۵۹ ، ۵۴	مراری :
. ۴۰۸ ، ۲۷۱ ، ۲۷۰ ، ۲۶۹	. ۳۰۴
نجد :	مجان :
. ۶۹	. ۳۴۳
نیقیة .	مری کارع :
. ۸۰	. ۳۷۶
	مثیر :

هونتریش :	نابليون :
. ۴۷	. ۱۳۶
هرفورد :	نوح :
. ۴۷	، ۱۶۳ ، ۱۸۰ ، ۱۸۱ ، ۲۶۰
هاليس :	. ۲۶۱
. ۷۱	نفتالی :
هرونيموس :	. ۱۹۳ ، ۱۹۴ ، ۲۲۷
، ۱۳۳ ، ۱۲۲ ، ۱۱۴ ، ۸۵	نبونيد :
. ۱۳۴	. ۲۷۰ ، ۲۷۱
هروودوس الكبير :	ننخزساج :
. ۳۹۰ ، ۹۴	. ۳۴۰ ، ۳۴۱
هبو :	نخاو :
. ۱۳۳	. ۳۴۸
هاجر :	نشيد اخناتون :
. ۲۲۹ ، ۱۶۸ ، ۱۵۸	، ۳۶۱ ، ۳۶۰ ، ۳۵۹ ، ۳۵۳
هنرى واسكات :	. ۳۶۵ ، ۳۷۰
. ۱۴۸	ناتان :
هستاس :	. ۴۱۱
. ۲۷۳	
هنو :	ه
. ۱۷۹	هوشع :
هوجر فنلكر :	، ۴ ، ۴۸ ، ۴۹ ، ۲۷۹ ، ۲۸۰
. ۲۸۰	. ۲۸۲
هامان :	هولشر :
. ۳۰۶ ، ۲۹۳	. ۴۷
هربرت جورج ويلز :	هارون :
. ۳۳۳	، ۲۴ ، ۲۵ ، ۱۷۹ ، ۱۹۸
هومبير :	، ۱۹۹ ، ۲۰۰ ، ۲۰۱ ، ۲۰۲
. ۲۵۰	. ۲۳۶

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٦٧ ، ١٣١ ،
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ،
٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٦٧ .

يوثيل :

٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٢٨٨٧

يونان :

٤ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،

٥٥ ، ٥٦ ، ٩٥ .

يوشيا :

٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٦ ،

٦٠ ، ١٠١ ، ٢٣٣ .

يرون :

٢٣١ ، ٢٣٢ .

يربعام الأول :

٢٨ ، ٢١٥ ، ٢٨٥ ، ٢٠٧ .

يهوذا :

٢٨ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ،

٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٨ ،

٥٩ ، ٦٠ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٢٨ ،

١٣٧ ، ١٦٠ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،

٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٦٩ ،

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،

٣٣٤ ، ٣٤٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ،

٣٩٢ ، ٣٩٥ .

يهويافين :

٢٣٦ .

يربعام الثاني :

٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٣٠٦ .

هليو بوليس :

٣٧٩ .

همل :

٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٤٠٢ :

هازيخ جرتيز :

٤١٩ .

و

وليم اولبرايت :

٢٩ ، ٢٩٦ .

ول ديورانت :

٣٣ ، ١٦٠ .

وستمنستر :

١٣٥ .

وادي يزرعيل :

٢٢٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ .

ونلوك :

٢٩٥ .

وليم فلنדרز بيري :

٣٠٤ .

وادي الصرار :

٣١٣ ، ٣١٦ .

وادي السند :

٣٤٣ .

وليم هنز :

٣٥٩ .

ي

يشوع :

٤ ، ٦ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٢٤ ،

۱۰۵ ، ۱۰۰ ، ۱۷۹ ، ۲۳۰ ،	یہوہ : ۵۰ ، ۷۱ ، ۹۷ ، ۹۹ ، ۱۰۰ ،
۲۷۵ ، ۲۷۶ ، ۲۷۸ ،	۱۵۴ ، ۱۵۷ ، ۱۶۰ ، ۲۰۵ ،
یاثر :	۲۱۳ ، ۲۱۴ ، ۲۳۸ ، ۲۳۹ ،
۱۵۳ .	۳۰۹ ، ۳۱۴ ، ۳۵۸ ، ۳۷۹ .
یحییٰ :	یونانان : ۵۵ .
۱۷۹ .	یہو یاقیم :
یوآب :	۵۹ ، ۶۰ ، ۲۴۰ .
۲۰۴ ، ۲۱۴ .	یعقوب :
یوناداب :	۶۷ ، ۱۶۴ ، ۱۷۵ ، ۱۷۹ ،
۲۱۱ ، ۲۱۳ .	۱۸۷ ، ۱۸۸ ، ۱۸۹ ، ۱۹۰ ،
یافت :	۱۹۱ ، ۱۹۲ ، ۱۹۳ ، ۱۹۴ ،
۲۶۱ .	۱۹۵ ، ۲۳۴ ، ۲۳۵ ، ۲۴۰ ،
یہودیت :	۲۹۱ ، ۲۹۲ ، ۳۰۱ ، ۳۴۹ .
۲۶۶ .	یہو شافط :
یابال :	۹۲ ، ۲۲۱ ، ۲۸۸ .
۳۳۴ .	یاهو :
یو بال :	۲۳۴ .
۳۳۴ .	یوسفیوس :
یعقوب بن أشهر :	۹۳ ، ۱۳۰ ، ۱۷۱ ، ۲۸۵ .
۴۱۵ .	یوسف :
یوسف کارو :	
۴۱۶ .	

فهرس اعلام الجزء الرابع

أرميا :
٢٨٢ ، ٢٥٢ ، ١١٧ ، ٧٩
اسماعيل :
٢٤٨ ، ٧٥
اسحاق :
٤ ، ٢١ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٨٣ ،
٨٦ ، ١٠٧ ، ١٩٤ ،
٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦
أستير :
١٨١
أسا :
١١١ ، ١١٢ ، ١٥٢
اسرائيل :
٧ ، ١٦ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ،
٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦١ ،
٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٣ ،
٨٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،
١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
١١١ ، ١٣٤ ، ١٦٥ ، ١٩٧ ،
٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
٢٢٨ ، ٢٣٠
أسنات :
٢٤٩
أشعيا :
٥٤ ، ٦٦ ، ١١٣ ، ٢٠٦

ا

ابراهيم الخليل :
٤ ، ١١ ، ١٥ ، ٢١ ، ٦٠ ،
٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٣ ،
٨٦ ، ٨٨ ، ١٠٧ ، ١٩٤ ،
٢٧٣
أبشالوم :
٤٣ ، ١١١
ابن حزم :
١٩٤
أبيقور :
١٩٣
أبيالك :
٧٠ ، ٧٢ ، ٢٤٩
أبيا :
٢٧٥
أخاب :
٢٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٥ ،
١٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٨٤
أخزيا :
٥١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٨٥
أدونيا :
٢٨٤
أرسطو بولوس :
١٨٧

١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٣٢٧ .

العبرانيون :

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٣ ،

٣٤ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٦١ ، ٦٦ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

العرب :

٢٤٢ ، ٢٧٠ .

العراق :

٢٠٩ .

العمونيون :

٧٨ ، ٨٠ ، ٩٨ ، ٢٥٣ .

العهد القديم :

٢٣ ، ٤٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٢٩ .

الفريسيون :

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،

١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ .

القرآن الكريم :

٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ١٩٤ .

القاهرة :

٢٧٨ .

الكسندر أرسطوبولس :

١٨٧ .

المصريون :

١١ ، ١٢ ، ٥٠ ، ٧١ ، ٧٤ ،

٨٩ ، ٩٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ،

٢٠٧ ، ٢٥٣ ، ٢٧٠ .

٢٢٧ .

أشعيا الثاني :

٧٩ .

اكثر كسيس :

١٨١ .

البابليين :

٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ .

التوراه : في معظم الصفحات

التلمود :

١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩١ ،

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ،

٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ،

٢٨٠ .

الحيثيين :

٢٤٩ .

الساميين :

٢٤٢ .

السامره :

٣٢ ، ٥٢ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،

١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،

٢٨٤ .

السامريون :

١٨٨ .

السودانيون :

٧٤ .

الصدوقيون :

١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

أور :	المديانيون :
. ٧٤	. ٩٧ ، ٩٦ ، ٤٠
أورشليم :	المؤابيون :
في معظم الصفحات	٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٧٠ ، ٧٤ ،
أولوس جابثيوس :	. ٩٨ ، ٢٥٣
. ١٨٧	الكنعانيون :
الالوهيم :	٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ،
. ٢٣٥	٧٤ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ،
الاسلام :	١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ٢٠٨ ،
١٩ ، ٨٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،	٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ،
. ٢١٧ ، ٢٦٥ ، ٢٧١	. ٢٨٤
الاراميون :	المكابيون :
. ٥١	. ١٩٩ ، ٢٨٦
الاموريون :	اليهود : في معظم الصفحات
. ٢٤٩ ، ٢٥٣	اليمن :
الاسرائيليون : في معظم	٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ،
الصفحات	اليبوسيون :
الآسينيون :	. ٢٤٩ ، ٢٥٣
١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٢	اليحاذر :
ايزابيل :	٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ .
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،	المسيح :
١٠٨ ، ١٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٨٤ ،	١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،
ايليا النبي :	. ١٩٦
٢٢ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٢ ،	المنصور :
٥٨ ، ٦٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،	. ٢٠٠
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .	أمنون بن داود :
إيل :	. ٢٥٢
. ٤٨	

بتيوس :
. ۱۹۵
بيت ايل :
۱۰۰ ، ۱۲۷ ، ۱۳۶ ، ۱۳۸ ،
. ۱۴۰

ت

تابور :
. ۲۸۴
تعتاك :
. ۲۸۴
تيتوس :
. ۱۸۱ ، ۱۸۲ ، ۲۱۰

ث

ثامارا :
. ۲۵۲ ، ۲۶۹

ج

جازر :
. ۲۶۰
جبل جرديم :
. ۱۹۵
جبل بن جوال :
. ۲۱۳
جبعون :
. ۱۳۹ ، ۱۵۲
جدعون :
۳۲ ، ۶۰ ، ۹۶ ، ۹۷ ، ۲۴۹ ،
. ۲۷۴

ب

باراق :
. ۲۸۴
بابل :
. ۱۶۷ ، ۲۵۳
بتشبع :
. ۲۸۴
بعل ياداع :
. ۳۲
بعل حانان :
. ۳۲
بعل زيوب :
. ۵۱ ، ۵۲
بلهه :
. ۲۳۹ ، ۲۷۴
بلينى الاكبر :
. ۱۹۶
بلعام :
. ۵۱
بنيامين :
. ۲۳۹
بوسه و موسى :
. ۱۸۱
بولس :
. ۱۹۰ ، ۱۹۱
بوعز :
. ۲۶۷
بو عنيدة :
. ۲۸۳

خلده :
٢٨٣ ، ٢٨٢ .
داجون :
٥٣ .
دان :
١٠٠ ، ١٣٦ ، ١٣٨ .
داود :
٣٢ ، ٧٣ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ١١٥ ،
١٣٣ ، ١٣٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥ ،
٢٧٤ ، ٢٧٦ .
دبورة :
٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
دمشق :
١١٤ ، ٢١٥ .
دهماء :
٢٦٦ .
دينه :
٢٥٠ ، ٢٥٨ .
ذ
ر
راعوث :
٢٦٦ .
راحيل :
٨٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ .
راموث جلعاد :
٢٨٥ .

جرشوم :
٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٧٧ .
جوسنان :
٢٧٥ .
جيرشوم بن يهوذا :
٢٧٦ .
ح
حجورة :
٢٧٤ .
حزائيل :
١٠٧ ، ٢٨٥ .
حزقيال :
٣٨ ، ٨٩ ، ١١٤ ، ١١٨ ،
١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ،
١٤٢ ، ٢٣١ .
جنه :
٢٨٢ ، ٢٨٣ .
حنانيا :
٢٠١ .
حلب :
٢١٥ .
حلقيا :
١١٦ ، ٢٥٢ .
حوريب :
١٠٧ .
خ
خاتوسيل الثاني :
٨٦ .

سفر اشعيا : :
. ٢٢٥
سفر حزقيال :
. ٤٣
سفر عاموس :
. ٦٦
سفر التثنية :
٤٦ ، ٤٩ ، ١٢٤ ، ١٥٨ ،
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
. ٢٥٢
سفر التكوين :
٨ ، ١١ ، ١٤٩ ، ٢٣٩ ، ٢٥٠
سفر الخروج :
١١ ، ١٥٦ ، ١٦٨ ،
سفر القضاة :
٩ ، ٩٤ ، ١٤٥ ،
سفر المكابيين :
١٨٠ ،
سفر الملوك :
١٠٥ ، ١٤٢ ،
سفر نحميا :
١٧٧
سفر اللاويين :
٨٠ ، ١٤٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
١٦٥ ، ١٧٦ ، ٢٥١ ،
سليمان :
٤٩ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٩٣ ، ٩٧ ،
٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١١٥ ،
١٢٠ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٩٥ ،

راؤبين :
. ٢٣٩
رحبعام :
٧٣ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ٢٧٤ ،
رققة :
. ٢٥٦
رمسيس الثاني :
. ٨٦

ز

زبولون :
. ٢٣٩
زلفة :
٢٣٩ ، ٢٧٤ ،
زيوس :
. ٤٩

س

سبط بنيامين :
. ١٩١
سارة :
٢٥٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ،
سالومي :
٢٦٢ ، ٢٨٦ ،
سفر أخبار الأيام :
٥ ، ٧٣ ،
سفر الأخبار الثاني :
. ٩٩
سفر إستير :
. ١٨٠

ص

صدقيا :

. ٧٣

صدوق :

. ١٩٥

صفورة :

. ٢٤٩

صلفحاد :

. ٢٥١

صموئيل :

. ١٤٧ ، ١٣٠

ع

عاموس :

. ٢٢٦ ، ٢٠٦ ، ١١٠

عيد :

. ٢٦٧

عثليا :

. ٢٨٥ ، ١١٢

عجلون :

. ١٣٩

عزرا :

. ١٩٤ ، ١٨٦ ، ١٧٧ ، ١٢١

. ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢

عزيز :

. ١٩٤

عشتار :

. ١٣٤ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ٢٦

. ١٣٥

. ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٥

. ٢٨٤

سمعان المكابي :

. ١٨٦

سمعان :

. ٢٠٣

سورية :

. ٩٩

سيناء :

. ١٠ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٩

. ٤٤ ، ٦٧ ، ١٣١ ، ١٣٣

ش

شارل : جينز :

. ١٩١

شاؤل :

. ١٣ ، ٣١ ، ٧٧ ، ١٢٧

. ٢٤٩ ، ١٣٥

شكيم :

. ١١٩ ، ١٤٩ ، ١٩٥ ، ٢٤٩

شكيم بن خمو الحدي :

. ٢٥٨ ، ١٥٠

شمشون :

. ٢٥٧ ، ١٤٩

شمعون :

. ١٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٣٩

شوشان :

. ١٨٠

شيلوه :

. ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٢

ملکية بنت خارجه :	لابان :
. ۲۶۶	. ۸۶ ، ۸۵ ، ۸۴ ، ۷۰
منسى :	. ۲۵۹ ، ۲۵۴ ، ۲۴۸
. ۲۴۹ ، ۱۳۳ ، ۱۱۶ ، ۱۱۵	لاوى :
منصور بن زبان :	. ۲۵۰ ، ۲۳۹
. ۲۶۶	
ميخا :	م
. ۱۴۸ ، ۱۴۷ ، ۱۳۶ ، ۱۰۳	ماعت :
میکال :	. ۶۰
. ۱۳۵	مجدو :
	. ۲۸۴
ن	محلہ :
ناحور :	. ۲۴۸
. ۲۵۲	محمد عليه الصلاه والسلام :
نبوخذ نصر :	. ۲۰۱
. ۱۷۷	مدین :
نحميا :	. ۲۵۹ ، ۲۴۹
. ۲۵۴ ، ۲۳۳ ، ۲۳۲ ، ۱۸۶	مردوخ :
نعمان :	. ۱۱۴ ، ۶۰ ، ۴۹
. ۴۳	مریم :
نعمی :	. ۲۸۲
. ۲۶۶	مصر :
ه	. ۹۲ ، ۹۰ ، ۸۷ ، ۶۱ ، ۳۰
هارون :	. ۱۱۷ ، ۱۱۳ ، ۱۰۰ ، ۹۴
. ۱۴۳ ، ۸۸ ، ۲۱ ، ۱۶ ، ۷	. ۱۵۶ ، ۱۵۴ ، ۱۴۳ ، ۱۴۲
. ۲۸۲ ، ۲۷۲ ، ۲۵۲	. ۲۰۷ ، ۱۶۹ ، ۱۶۷ ، ۱۶۱
هامان :	. ۲۷۷ ، ۲۱۵ ، ۲۰۸
. ۱۸۱ ، ۱۸	معکه :
	. ۱۱۱

فيلون :
١٩٦ .
فيلاذ لفييا :
٢٧٠ .

ق

قادش :
١٤٩ ، ٣٩ .
قابين :
٧٢ .
قيصر :
١٨٩ .
قيشون :
٢٨٤ .

ك

كنعان :
٢٨ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٢ ،
٤٣ ، ٤٨ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٠٢ ،
١٣٢ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ،
٢٢٣ .
كوستا باروس :
٢٦٣ .
كروش الثاني :
٢٣٢ .
كيموش :
٧٠ .

ل

ليته :
٢٣٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ .

عشتارت :
١٢٤ ، ٩٤ .
عقره :
١٣٩ ، ٩٦ .

عقرون :
٥٢ .

عمرام :
٢٧٨ ، ٢٥٢ .
عنان بن داود :
٢٠١ ، ٢٠٠ .

عيسو :
٢٥٥ ، ٢٤٨ .
عيسى بن مريم :
٢٠١ .

ف

فدان آرام :
٢٥٩ ، ٢٥٦ .

فلسطين :
٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٨ ،
٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ،
٤٩ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٩ ،
١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ،
١٣٤ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٧٨ ،
١٨١ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢١٦ ،
٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ .

فوطس فارع كاهن أدن :
٢٤٩ .

فيدوت :
٢٨٣ .

يهوذا :
٣٧ ، ٧٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١١
١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ،
١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ،
٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ .
يهورام :
٢٨٥ .
يهوه :
في معظم الصفحات .
يهو ناداب :
٢٣٠ .
يهو شافط :
١١٢ ، ١٥٢ .
يوحنا المعمدان :
١٩٦ .
يوحنا هير كانوس الاول :
٢٠٩ .
يونانان :
١٩٦ .
يو كابد :
٢٥٢ ، ٢٧٨ .
يوسف :
٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ .
يوسف بن متي :
١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ .
يوشيا :
١١٦ ، ١١٧ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ،
١٥٢ ، ٢٨٢ .

هوشع :
١٣٨ ، ١٥٢ .
هيرودوس :
١٩٩ .

ي

ياهو :
١٠٩ ، ١١٠ ، ٢٣٠ .
يثرب :
٢١٧ .
ييرو :
٤٠ ، ٤١ .
يساكر :
٢٣٩ .
يسوع :
١٩٤ .
يشوع :
١٨ ، ٤٩ ، ٩٤ ، ١٣٢ ، ١٤٧ ،
١٨٠ .
يربعام :
٧٣ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
١١٧ ، ١٣٦ ، ١٦٤ .
يعقوب :
٤ ، ٨ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ،
٢١ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٨٣ ، ٨٤ ،
٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٤٨ ،
٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ .
يعاريم :
١١٧ ، ١٣٣ ، ١٥٢ .

المراجع المختارة

المراجع المختارة

أولاً : اراجع العربية

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - صحيح البخارى - دار الشعب - القاهرة ١٣٧٨ هـ
- ٣ - صحيح مسلم - دار الشعب - القاهرة ١٩٧١ - ١٩٧٢
- ٤ - مسند الإمام أحمد - طبعة الحلبي - القاهرة -
- ٥ - كتب التفسير
- ٦ - الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) دار الكتاب المقدس ، القاهرة ، ١٩٧٠
- ٧ - الكتاب المقدس ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥١
- ٨ - الكتاب المقدس : الاسفار القانونية التي حذفها البروتستانت ، الاسكندرية ، ١٩٥٦
- ٩ - إبراهيم خليل : محمد في التوراة والانجيل والقرآن
- ١٠ - إبراهيم خليل : إسرائيل والتلمود ، القاهرة ، ١٩٦٧
- ١١ - أبكار السقاف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، القاهرة ، ١٩٦٧
- ١٢ - ابن الايثر (عز الدين أبو الحسن علي الشيباني) :
الكامل في التاريخ - الجزء الأول والثاني - بيروت ، ١٩٠٥
- ١٣ - ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم) :
مجموع فتاوى ابن تيمية (الأجزاء من ١ - ٣٥) الرياض
١٣٨١ - ١٣٨٢ هـ

- ١٤ - ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد) :
الفصل في الملل والأهواء والنحل (خمسة أجزاء) القاهرة
٠ ١٩٦٤
- ١٥ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) :
تاريخ ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٧١ .
- ١٦ - ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد) :
الطبقات الكبرى - الجزء الأول - دار التحرير ، القاهرة ،
٠ ١٩٦٨
- ١٧ - ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل) :
البداية والنهاية في التاريخ - الجزء الأول - بيروت ،
٠ ١٩٦٦
- ١٨ - ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل) :
قصص الأنبياء (جزءان) ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ١٩ - ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل) :
السيرة النبوية (أربعة أجزاء) القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٦ .
- ٣٠ - ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن أيوب) :
سيرة النبي صلى الله عليه وسلم (أربعة أجزاء) القاهرة ، ١٩٥٥ .
- ٢١ - أبو الحسن الفدوى : النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ٢٢ - أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل) :
(المختصر في أخبار البشر - الجزء الأول - القاهرة ،
٠ ١٣٢٥ هـ)
- ٢٣ - أحمد حسن الباقورى : مع القرآن ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ٢٤ - الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف : مصر في القرآن والسنة ، القاهرة ،
٠ ١٩٧٣

- ٢٥ - الدكتور أحمد فخري : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعوني -
الأدب المصري ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- ٢٦ - الدكتور أحمد فخري : دراسات في العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- ٢٧ - الدكتور أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ٢٨ - الدكتور أحمد فخري : مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- ٢٩ - الدكتور إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ،
١٩٢٧ .
- ٣٠ - الدكتور إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، القاهرة ، ١٩٢٦ .
- ٣١ - الدكتور إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون - حياته ومصنفاته -
القاهرة ، ١٩٣٦ .
- ٣٢ - أسعد رزوق : النبلود والصيونية ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ٣٣ - الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي : أصول الصهيونية في الدين اليهودي ،
القاهرة ، ١٩٦٤ .
- ٣٤ - الشهرستاني (أبو الفتح محمد) : الملل والنحل (ثلاثة أجزاء) القاهرة
١٩٦٨ .
- ٣٥ - الدكتور التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن ، تونس ، ١٩٧٤ .
- ٣٦ - الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) :
تاريخ الرسل والملوك (المعروف بتاريخ الطبري) - الجزء
الأول والثاني - القاهرة ١٩٦٧ .
- ٣٧ - المقدس (المطهر بن طاهر) :
كتاب البدء والتاريخ - الجزء الثالث والرابع - باريس
١٩٠٣ - ١٩٠٧ .

- ٣٨ - إيلي ليفي أبو عسل : يقظة العالم اليهودي ، القاهرة ، ١٩٢٤ -
- ٣٩ - الدكتور ثروت أنيس الأسيوطي : نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين -
الجماعات البدائية - بنو إسرائيل ، القاهرة -
- ٤٠ - الدكتور جمال حمدان : شخصية مصر ، القاهرة ، ١٩٧٠
- ٤١ - الدكتور جمال حمدان : اليهود أنثروبولوجيا ، القاهرة ، ١٩٦٧
- ٤٢ - الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (عشرة أجزاء)
بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧١ .
- ٤٣ - حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس - دار التأليف والنشر
للكنيسة الأسقفية ، القاهرة -
- ٤٤ - حبيب سعيد : خليل الله في اليهودية والمسيحية والإسلام ، القاهرة -
- ٤٥ - حبيب سعيد : الأنبياء الأقدمون يتكلمون ، القاهرة -
- ٤٦ - حبيب فارس : صراخ البريء في بوق الحرية والذباتح التلمودية ، مطبعة
الجامعة ، مصر ، ١٨٩١ .
- ٤٧ - الدكتور حسن ظاظا : القدس : مدينة الله - أم مدينة داود ؟ الاسكندرية ،
١٩٧٠ .
- ٤٨ - الدكتور حسن ظاظا : الساميون ولفاتهم ، الاسكندرية ، ١٩٧٠ .
- ٤٩ - الدكتور حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- ٥٠ - الدكتور حسن ظاظا وآخرون : الصهيونية العالمية وإسرائيل ، القاهرة ،
١٩٧١ .
- ٥١ - حسين ذو الفقار صبرى : إنما الأمور بأصولها - المجلة - العدد ١٥١ ،
القاهرة ١٩٦٩ .

- ٥٢ - حسين ذوالفقار صبرى : توراة اليهود - المجلة - العدد ١٥٧ ، القاهرة ،
١٩٧٠ .
- ٥٣ - حسين ذوالفقار صبرى : اله موسى في توراة اليهود - المجلة - العدد ١٩٦٣ -
القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ٥٤ - الدكتور خالد طه الدسوقي : الجالية اليهودية في أسوان ، القاهرة ،
١٩٧٤ .
- ٥٥ - خالد محمد خالد : كما تحدث القرآن ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ٥٦ - الدكتور رشيد الناضوري : جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا - الكتاب
الاول - بيروت ١٩٦٨ .
- ٥٧ - الدكتور رشيد الناضوري : جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا - الكتاب
الثالث - بيروت ١٩٦٩ .
- ٥٨ - الدكتور سليم حسن : مصر القديمة (الاجزاء من ١ - ١٣) ، القاهرة
١٩٤٥ ، ١٩٥٨ .
- ٥٩ - الدكتور سليم حسن : الادب المصري القديم - الجزء الاول - القاهرة
١٩٤٥ .
- ٦٠ - شاهين مكاريوس : تاريخ الامة الاسرائيلية ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ٦١ - شوقي عبد الناصر : برزوتوكولات حكماء صهيون وتعاليم النلود ،
القاهرة -
- ٦٢ - الدكتور صبرى جرجس : التراث اليهودي الصهيوني ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ٦٣ - طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - القسم الاول والثاني -
بغداد ١٩٥٥ .
- ٦٤ - عباس محمود العقاد : ابراهيم ابو الانبياء - دار الهلال - القاهرة -

- ٦٥ - عباس محمود العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والخبيرين ،
القاهرة ، ١٩٦٠ .
- ٦٦ - عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ٦٧ - عباس محمود العقاد : الصهيونية العالمية ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ٦٨ - عباس محمود العقاد : مطلع النور ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٦٩ - عباس محمود العقاد : الاسلام دعوه عالمية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ٧٠ - عباس محمود العقاد : الله ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٧١ - عباس محمود العقاد : المرأة في القرآن ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- ٧٢ - الدكتور عبد الحميد زايد : الشرن الخالد ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ٧٣ - الدكتور عبد الحميد زايد : النفس الخالدة ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- ٧٤ - الدكتور عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر
والعراق ، القاهرة ١٩٦٧ .
- ٧٥ - عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ٧٦ - عبد الله محمود شحاته : تفسير سورة الإسراء ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ٧٧ - عبد الله محمود شحاته : في نور القرآن ، القاهرة ، ١٧٧٣ .
- ٧٨ - عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
- ٧٩ - الدكتور عبد الرأحيم : الشخصية الاسرائيلية ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ .
- ٨٠ - الدكتور علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ،
القاهرة ، ١٩٦٠ .
- ٨١ - عصام الدين حفيظ ناصف : محنة النوراه على أيدي اليهود ، القاهرة ،
١٩٦٥ .
- ٨٢ - عصام الدين حفيظ ناصف : اليهودية في العقيدة والتاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

- ٨٣ - عمر فوزخ : تاريخ الجاهلية ، بيروت ، ١٩٦٤ .
- ٨٤ - عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، الاسكندرية ، ١٩٦٧
- ٨٥ - الدكتور فؤاد حسنين : إسرائيل عبر التاريخ - الجزء الاول - القاهرة -
- ٨٦ - الدكتور فؤاد حسنين : النوراه الهيروغليفية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٨٧ - كمال أحمد عون : اليهود في كتابهم المقدس ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ٨٨ - محمد الصادق عرجون : معجزات الانبياء بين العقل والدين ، القاهرة ،
- ١٩٥٥ .
- ٨٩ - محمد العزب موسى : موسى في سيناء - الهلال العدد ٦ ، القاهرة ،
- ١٩٧١ .
- ٩٠ - محمد بدر : الكنز في قواعد اللغة العبرية ، القاهرة ، ١٩٢٦ .
- ٩١ - الدكتور محمد بيومي مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفراعنة
(رسالة ماجستير) الاسكندرية ، ١٩٦٦ .
- ٩٢ - الدكتور محمد بيومي مهران : مصر والعالم الخارجي في عصر رعمسيس
الثالث - (رسالة دكتوراه) الاسكندرية ، ١٩٦٩ .
- ٩٣ - الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ اليهود القديم (١) مجلة
الاسطول - العدد ٦٣ - الاسكندرية ، ١٩٧٠ .
- ٩٤ - الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ اليهود القديم (٢) مجلة
الاسطول - العدد ٦٤ - الاسكندرية ، ١٩٧٠ .
- ٩٥ - الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ اليهود القديم (٣) مجلة
الاسطول - العدد ٦٥ - الاسكندرية ، ١٩٧٠ .
- ٩٦ - الدكتور محمد بيومي مهران : قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة
(١) مجلة الاسطول - العدد ٦٦ - الاسكندرية ١٩٧١ .

- ٩٧ - الدكتور محمد بيومي مهران : قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة.
(٢) مجلة الأسطول - العدد ٦٧ - الاسكندرية ١٩٧١ .
- ٩٨ - الدكتور محمد بيومي مهران : النقاوة الجنسية عند اليهود - مجلة الأسطول -
العدد ٦٨ - الاسكندرية ١٩٧١ .
- ٩٩ - الدكتور محمد بيومي مهران : أخلاقيات الحرب عند اليهود، مجلة الأسطول -
العدد ٦٩ - الاسكندرية ١٩٧١ .
- ١٠٠ - الدكتور محمد بيومي مهران : التلود - مجلة الأسطول - العدد ٧٠ ،
الاسكندرية ١٩٧٢ .
- ١٠١ - الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم -
الجزء الثاني - إسرائيل - الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٣ .
- ١٠٢ - الدكتور محمد بيومي مهران : الساميون والآراء التي دارت حول موطنهم
الأصلي - مجلة كلية اللغة العربية - العدد الرابع - الرياض ١٩٧٤ .
- ١٠٣ - الدكتور محمد بيومي مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب
المقدسة - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد الخامس ،
الرياض ١٩٧٥ .
- ١٠٤ - الدكتور محمد بيومي مهران : العرب وعلاقتهم الدولية في العصور
القديمة - مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - العدد السادس -
الرياض ١٩٧٦ .
- ١٠٥ - الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم -
الجزء الثالث - حركات التحرير في مصر القديمة - دار المعارف -
القاهرة ١٩٧٦ .
- ١٠٦ - الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم (أصدرته

- جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (الرياض ١٩٧٧ .
- ١٠٧ - الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم -
الجزء الاول - في بلاد العرب - (أصدرته جامعة الامام محمد
ابن سعود الاسلامية) الرياض ١٩٧٨ .
- ١٠٨ - الدكتور محمد بيومي مهران : النبوة والانبياء عند بني اسرائيل ،
الاسكندرية ، ١٩٧٨ .
- ١٠٩ - الدكتور محمد بيومي مهران : دراسة حول الديانة العربية القديمة ،
القاهرة ١٩٧٨ .
- ١١٠ - الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم
إسرائيل ، الكتاب الاول - التاريخ - الاسكندرية ، ١٩٧٨ .
- ١١١ - الدكتور محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم ،
إسرائيل ، الكتاب الثاني - التاريخ - الاسكندرية ، ١٩٧٨ .
- ١١٢ - الدكتور محمد حسين هيكل : حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، القاهرة ١٩٧٠ .
- ١١٣ - الدكتور محمد عبد القادر : الساميون في العصور القديمة ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ١١٤ - الدكتور محمد عبد الله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم ، الكويت ١٩٧٤ .
- ١١٥ - محمد عزه دروزه : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، بيروت ١٩٦٩ .
- ١١٦ - محمود أبورية : دين الله واحد على السنة جميع الرسل ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ١١٧ - محمود الشرقاوى : الأنبياء في القرآن الكريم ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ١١٨ - الدكتور مراد كامل : الكتب التاريخية في العهد القديم ، القاهرة ١٩٦٨ .
- ١١٩ - الدكتور مصطفى كمال عبد العليم : اليهود في مصر في عصرى البطالة
والرومان ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ١٢٠ - منسى عبد النور : ابراهيم السائح الروحى ، القاهرة .

- ١٢١ - الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث ،
الاسكندرية ، ١٩٦٦ .
- ١٢٢ - الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الرابع ،
الاسكندرية ، ١٩٦٦ .
- ١٢٣ - الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الخامس ،
الاسكندرية ، ١٩٦٣ .
- ١٢٤ - ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله) : معجم البلدان (خمسة أجزاء)
بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .
- ١٢٥ - يس منصور : عصمة الكتاب المقدس ، الاسكندرية ١٩٦٨ .

ثانها : المرجع المترجمة إلى اللغة العربية

- ١٢٦ - الكسندر شارف : تاريخ مصر ، ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر ،
القاهرة ١٩٦٠ .
- ١٢٧ - ايما نويل فليكوفسكي : أوديب واخناتون ، ترجمة فاروق فريد ،
القاهرة ١٩٨٦ .
- ١٢٨ - باروخ سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم الدكتور
حسن حفي ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- ١٢٩ - تيودور روبنسون : تاريخ العالم - اسرائيل في ضوء التاريخ - ترجمة
عبد الحميد يونس ، القاهرة ، - .
- ١٣٠ - ج . كونتنو : الحضارة الفينيقية ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي شعيره
ومراجعة الدكتور طه حسين ، القاهرة

- ١٣١ - جان يويت : مصر المرعونية ، ترجمة سعد زهران ، ومراجعة الدكتور
عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ١٣٢ - جوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل
زعيتر ، ١٩٦٧ .
- ١٣٣ - جيمس بيكي الآثار المصرية في وادي النيل ، الجزء الأول ترجمة لبيب
حبشى وشفيق فريد ، ومراجعة الدكتور محمد جمال الدين مختار
(الالف كتاب) القاهرة ١٩٦٣ .
- ١٣٤ - جيمس فريزر : الفولكلور في العصر القديم ، الجزء الأول ، ترجمة
الدكتورة نديلة إبراهيم ومراجعة الدكتور حسن ظاظا ، القاهرة ١٩٧٢
- ١٣٥ - جيمس فريزر : الفولكلور في العهد القديم ، الجزء الثاني ، ترجمة الدكتورة
نديلة إبراهيم ومراجعة الدكتور حسن ظاظا ، القاهرة ، ١٩٧٤
- ١٣٦ - سبتيانو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ترجمه وزاد عليه الدكتور
السيد يعقوب بكر القاهرة ١٩٦٨ .
- ١٣٧ - عاموس عبد المسيح : دراسة في عاموس ، ترجمة حارث قريصه ،
القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ١٣٨ - ف . ب . ماير : موسى ، ترجمة القس مرقس داود ، القاهرة
- ١٣٩ - ف . ب . ماير : يشوع وأرض الموعد ، ترجمة القس مرقس داود ،
القاهرة ، ١٩٤٩ .
- ١٤٠ - ف . ب . ماير : حياة صموئيل - ترجمه القس مرقس داود ،
القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ١٤١ - فيلب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ترجمة جورج
حداد وعبد الكريم رافق ، بيروت ١٩٥٨ .

- ١٤٢ - م. ص. سيغال : حول تاريخ الانبياء عند بني اسرائيل ، ترجمة الدكتور حسن ظاظا، بيروت ، ١٩٦٧ .
- ١٤٣ - و. ح. دي بوج : تراث العالم القديم ترجمة زكي سوس، القاهرة، ١٩٧١
- ١٤٤ - وليم أوبرايت : آثار فلسطين، ترجمة الدكتور زكي اسكندر والدكتور محمد عبد القادر، القاهرة، ١٩٧١ .
- ١٤٥ - ول ديورانت : قصة الحضارة - الجزء الثاني - ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٦١ .
- ١٤٦ - يورى ايفانوف : احذروا الصهيونية، ترجمة ماهر عسل، القاهرة، ١٩٦٩ .

ثالثا : المراجع الأجنبية

- 146 - Abaraoni, (Y.), *The Land of the Bible*, 1966.
- 147 - Albright, (W. F.), *The Archaeology of Palestine*, London, 1949.
- 148 - Albright, (W. F.), *Archaeology and the Religion of Israel*, Baltimore, 1953.
- 149 - Albright, (W. F.), *The Bible and [the Ancient Near East*, London, 1961.
- 150 - Albright, (W. F.), *The Biblical Period. From Abraham to Ezra*, N. Y., 1963.
- 151 - Allegro, (J.), *The Dead Sea Scrolls*, 1971.
- 152 - Alleman, (H. C.) *Old Testament Commentary*, Philadelphia, 1948
- 153 - Allis, (O. T.), *The Five Books of Mose*. Philadelphia, 1943.
- 154 - Altheim, (F.) and Stiehl (R.), *Die Araber in der Alten Welt*, Berlin, 1964.
- 155 - Barton, (G. A.), *Semitic and Hamitic Origins*, London, 1934.
- 156 - Baron, (S. W.), *A Social and Religions History of the Jews*, N. Y., 1967.
- 157 - Bell, (H. I.) *Cults and Creeds in Graeco - Roman Egypt*, Liverpool, 1954.

- 158 — Benzidger, (I.), Passover and Feast of Unleavened Bread. in *Eucyclopaedia Biblica*, III, 1902.
- 159 — Benzinger, (I.), Feast of Taberanches, in *Eucyclopaedia Biblica*, 4, 1904.
- 160 — Benzinger, (I.) and Cheyne, (T.K.), Day of Tonement, in *EB*, I, 1899.
- 161 — Berkovits, (E.), *Towards Historic Judaism*, Oxford, 1943.
- 162 — Berry, (G. R.), *The Book of Proverbs*, Philadelphia, 1905.
- 163 — Bertho'et, (A.), *Histoire de la Civilisation d'Israel*, Paris, 1929
- 164 — Bertman, D.) *Initiation au Judaisme*, Paris, 1937.
- 165 — Bonfante, (G.) *Who Were the Palistines*, *AJA*, L, 1946.
- 166 — Box, (G H.), *Hebrew Studies in the Reformation*, in *the Legacy of Israel*, Oxford, 1953.
- 167 — Box, (G. H.), *Judaism in the Greek Period*, Oxford, 1953.
- 168 — Bright, (J.) *Ashort History of Israel*, Philadelphia, 1959.
- 169 — Bright, (J.), *Modern Study of the Old Testament literature in the Bible and the Ancient Near East*, N. Y., 1961.
- 170 — Burrows, (M.), *The Dead Sea Scrolls*, N. Y.; 1955.

- 171 — Burry, (G R.), *The Book of Proverbs, Philadelphia, 1905.*
- 172 — Cadbury. (H, G.), *Egyptian Influences on the Book of Proverbs, J.R. 1929*
- 173 — Cameron, (G. G.), *Darius and Xerxes in Babylonia, AJSL, LVIII, 1941.*
- 174 — Capelrud, (A. S.), *Joel Studies, Uppsala, 1948.*
- 175 — Charles, (R. H.), *A. Pocrypha Pseuppigrapha of the Old Testament, 2 vols, Oxford. 1913.*
- 176 — Charles, (R. H.), *ACritical and Exegetical Commentary on the Book of Daniel, Oxford. 1929.*
- 177 — Cook, (G. A.), *The Text - Book of North Semitic Inscriptions, Oxford, 1903.*
- 178 — Cook, (G. A.), *The Prophets of israel, in CAH, III, Campridge, 1965 .*
- 179 — Cornwell. (P.B), *On the Location of Dilmun, BASOR, 103, 1946.*
- 180 — Daumas, (F.), *La Civilisation de l'Egypte Pharaonique, Paris, 1965.*
- 181 — Davis, (A.P.), *The Ten Commandment, N. Y., 1956.*
- 182 — Demombynes, (G.), *Contribution a L'etude de Pelerinage de la Mekke, Paris, 1923.*
- 183 — Dennefelt, (L.), *Les Proplemes du livre de Joel. Paris, 1926.*

- 184 — Doughery, (R. P.), Nabonidus and Belshazzar New - Haven, 1929.
- 185 — Driver, (S.R.), Notes on the Hebrew Text of the Books of Samuel, Oxford, 1890.
- 186 — Driver, (S.R.), Introduction to the Literature of the Old Testament, Edinburgh, 1950.
- 187 — Eissfeldt, (O.), Einleitung in das Alte Testament, Tubringen 1956.
- 188 — Eissfeldt, (O.), The Hebrew Kingdom, in CAH, II, Part 2, Cambridge, 1975.
- 189 — Epstein, (I.), The Rabbimic Tradition in the Jewish Heritage, London, 1955.
- 190 — Epstein, (I.), Judaism, A Historical Presentation, (Penguin Books), 1970.
- 191 — Finegan, (J.), Light from the Ancient Past, I; Princeton 1969.
- 192 — Frazer, (J.), Folklore of the Old Testament, II, London, 1919.
- 193 — Freud, (S), Moses and Monotheism, N. Y., 1939.
- 194 — Friedmann, (G.), The End of the Jewish People N. Y., 1968.
- 195 — Gardiner, (A. H.), Ancient Egyptian Onomastica, I, Oxford, 1947.

- 196 — Gardiner, (A. H.), Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964.
- 197 — Gardiner, (A. H.), Egyptian Grammar, Oxford, 1966.
- 198 — Gaster, (T. H.), Festivals of the Jewish Year, N. Y., 1953.
- 199 — Gautier, (L.) Introduction a l'Ancien Testament, Payot - Suisse, 1939.
- 200 — Glueck. (N.), The Other Side of the Jordan. New Haven, 1945.
- 201 — Gordon, (T. C.), The Rebel Prophet, New York, 1933.
- 202 — Graetz, (H.), History of the Jews, II, Philadelphia, 1956 .
- 203 — Grayzel, (S.), A History of Jews, Philadelphia, 1964 .
- 204 — Greene, (B), Resume Chronologique de l'Ancien Testament, Lyon, Geneve, 1909.
- 205 — Gressman, (H), Die Neugefundene Lehr das Amen-em-Ope, Und die Vovexilische Spruchdichtung Israel, in ZAW, XLII, 1924.
- 206 — Gressman, (H.), and Others, The Psalmists, Oxford, 1926 .
- 207 — Gruignebert, (C.), Le Monde Juif au Temps Jews, Paris, 1935.

- 208 — Hall, (H. R.), *The Ancient History of the Near East*, London, 1936.
- 209 — Hastings, (J.), *A Dictionary of the Bible*, Edinburgh, 1936
- 210 — Hayes, (W. C.), *The Scepter of Egypt*, Harvard, 1959.
- 211 — Heaton, (E. W.), *The Old Testament Prophets* (Penguin Books), 1969.
- 212 — Hermann, (I.), *The Jews and Human Sacrifice, Human Blood and Jews ritual, an Historical and Sociological Inquiry*, London, 1909.
- 213 — Hitti, (P. K.), *History of the Arabs*, London, 1960
- 214 — Hooke, (S H.), *Middle Eastern Mythology* (Penguin Books), London, 1963.
- 215 — Humbert, (P.), *Recherches sur les Sources Egyptiennes de la Litterature Sapientale d'Israel*, New hatel, 1929.
- 216 — Hyatt, (J. P.), *The Peril from the North in Jeremiah*, JBL, LIX, 1940.
- 217 — Hyatt, (J. P.), *The Date and Background of Zephaniah*, JNES, 7, 1948.
- 218 — Irwin, (W. A.), *The Problem of Ezekiel*. Chicago, 1934.

- 219 — Jaer, (H. K.), *The Excavation of Shilo*, in *JPOS*, 10, 1930.
- 220 — James, (M. R.), *The Lost A Pocrypha of the Old Testament*, 1920.
- 221 — Jausen, (A. J.), and Savignae, (R.), *Mission Archaeologique en Arabie*, II, Paris, 1911.
- 222 — Jeremias, (A.), *Das Alte Testament im Lichte des Altenorients*, Leipzig, 1904.
- 223 — Kahle, (P. E.), *The Cairo Geniza*, London, 1947.
- 224 — Kammerer, (W.), *Esai Sur L'Histoire Antique d'Abyssinie*, Paris, 1926.
- 225 — Kammerer, (W), *A coptic Bibliography*, 1950.
- 226 - Kaplan, (M. M.), *The Creator Judaism in the Making, Astudy of the Modern Evolution of Judaism* N Y. 1967.
- 227 — Kitchen, (K. A.), *The Third Intermediate Period in Egypt*, Oxford, 1972.
- 228 — Kramer, (S. N.), *Bilmun, The Land of Living*, in *BASOR*, 96, 1944.
- 229 — Kramer, (S. N.), *A Paradise Mythe*, in *ANET*, 1966.
- 230 — Kramer, (S. N.), *The Indus Civilization and Dilmun, The Sumerian Paradise Land*, Philadelphia, 1964.
- 231 — Laessce, (J. L.) , *Peoples of Ancient Assyria*, London, 1963 .

- 232** — Lagrange, (M. J.), *Etudes sur les Religions Semitiques*, Paris, 1905.
- 233** — Lagrange, (M. J.), *Le Judaisme avant Jewis - Christ*, Paris, 1931.
- 234** — Lange, (H. O.), *Das Weisheitshbuch des Amenemope*, Gopenhagen, 1925.
- 235** — Leese, (A.), *Jewish Ritual Murder*, London, 1938.
- 236** — Lefebvre, (G.), *Romans et Contes Egyptines de l'Epoque Pharaonique*, Paris, 1949.
- 237** — Levy, (L. G.), *La Famille dans l'Antiquite Israelite*, Paris, 1905.
- 238** — Lods, (A.), *The Prophets and the Rise of Judaism*, London, 1937.
- 239** — Lods. (A.), *Israel from its Beginnings to the Middle of the Eighth Century*, London, 1962.
- 240** — Loisy. (A) *La Religion d'Israel*, 1908.
- 241** — Marcus, (J. R), *The Jews in the Medieval World*, N. Y., 1960.
- 242** — Margoliouth, (D. D.), *The Relations between Arabs and Israelites, Prior to the Rise of Islam*, London, 1924
- 243** — Mielziner, (M.), *Introduction to the Talmud*, N. Y, 1925.

- 244 — Millgrom, (J.), The Date of Jeremiah, chap. 2, in JNES, XIV, 1955.
- 245 — Monniot, (A.) *Le Crime Rituel Chez les Juifs*, Paris, 1914.
- 246 — Montgomery, (J. A.), *Arabia and the Bible*, Philadelphia, 1934.
- 247 — Montgomery, (J. A.), *The Ethiopic Text of Acts of the Apostles*, HTR, XXVII, 1934.
- 248 — Nicholson, (R. A.), *A Literary History of the Arabs*, Cambridge, 1962.
- 249 — Noth, (M.), *The History of Israel*, London, 1965.
- 250 — Oesterley, (W. O. E.), *The Wisdom of Egypt and the Old Testament*, London, 1927.
- 251 — Oesterley, (W. O. E.), and Robinson, (T. H.), *Introduction to the Books of the Old Testament*, London, 1934.
- 252 — Oesterley, (W. O. E.), and Robinson, (T. H.), *Hebrew Religion*, London, 1937.
- 253 — Oesterley, (W. O. E.), *Egypt and Israel, in the Legacy of Egypt*, Oxford, 1947.
- 254 — Olmstead, (A. T.), *History of the Persian Empire*, Chicago, 1970.
- 255 — Oppenheim, (A. L.), *Babylonian and Assyrian Historical Texts*, ANET, 1960.

- 256 — Petrie, (W. M. F.), Egypt and Israel, London, 1925 .
- 257 — Pfeiffer, (R. H.), Introduction to the Old Testament London, 1952.
- 258 — Renan, (E.), Histoire Generale et Systeme Compare des Langues Semitique, Paris, 1855.
- 259 — Ripley, (W. Z.), Races of Europe, London, 1900.
- 260 — Roberts, (B. J.), The Old Testaments Texts and Versions, London, 1951.
- 261 — Robinson. (T. H.), The Structure of the Book of Obadiah, JTS, 17, 1916.
- 262 — Rogers, (R. W.), Conneiform Paralles to the Old Testament, London, 1912.
- 263 — Roth, (C), The Ritual murder litiel and the Jews, London, 1935.
- 264 — Roth, (L.) Jewish Thought of the Modern World, in the Legacy of Israel, Oxford, 1953.
- 265 — Rowley. (H. H.), The Nature of Prophecy in the Light of Recent Study, Harvard, 1945.
- 266 — Rowley, (H. H.), The Servant of the Lord and Other Essays on the Old Testament, 1962.
- 267 — Sachar A. L.), A History of The Jews N Y. 1'45

- 268 — Samuel, (R.), *Ropaport, Toles, and Maxiums from the Talmud*, London, 1910.
- 269 — Sandman, (M.), *Texts from the time of Akhenaton*, Brussels, 1938.
- 270 — Schecher, (S), *Studies in Judaism*, JPSA, 1945.
- 271 — Simon, (R.), *Histoire Critique de Vieux Testament*, Paris, 1978.
- 272 — Skinner, (J.), *Prophecy and Religion*, Cambridge, 1922.
- 273 — Steinmann, (J.), *La Critique devant La Bible*, Paris, 1956.
- 274 — Steinmuller, (J. E.), *Companion to Scripture Studies*, 11, N. Y., 1942.
- 275 — Sykes, (C.), *Crossroads to Israel*, London, 1965.
- 276 — Torrey, (C. C.), *The Prophecy of Maluchi*, JBL, 1898.
- 277 — Torrey, (C. C.), *Pseudo-Ezekiel and Original Prophecy*, New - Haven, 1930.
- 278 — Torrey, (C. C.), *The Apocrypha Literature*, New Haven, 1948.
- 279 — Trumbull, (H. C.), *The Reasonableness of the Miracle of Jonah*, LCR.
- 280 — Tushingham, (A. D.), *A Reconsideration of Hosea, Chapters 1 — 3*, in JNES, 12, 1955

- 281 — Unger, (M. F.), Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970 .
- 282 — Vogelstein, (M.), Biblical Chronology, Part 1, Cincinnati, 1944.
- 283 — Vincent, (H.), Canaan d'après l'Exploration Recent, Paris, 1914.
- 284 — Voltaire., Dictionnaire Philosophique, Paris — Garnnier, 1954 .
- 285 — Watermann, (L.), The Treasuries of Solomon's Private Chapel, JNES, 6, 1947.
- 286 — Watermann, (L.), Hosea, Chapters 1 — 3, in JNES, 14, 1955 .
- 287 — Waxman, (M.), A History of the Jewish Literature, 1, London, 1960.
- 288 — Weigall, (A.), Histoire de l'Egypte Ancienne, Paris, 1968 .
- 289 — Welch, (A. C.), The Code of Deuteronomy, N. Y., 1924 .
- 290 — Wells, (H. G.), A Short History of the world (Plican Books), 1965.
- 291 — Wilson, (J.), The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963 .
- 292 — William, (F.). Edgerton and John A. Wilson Historical Records of Ramses III, Chicago, 1935.

- 293 — Wilson, (J. A.), *The Instruction of Amen-Em-Op't*, ANET, 1966.
- 294 — Wilson, (J. A.), *The Instruction for King Meri-Ka - Re*, in ANET, 1966.
- 295 — Woolley, (S.), *Ur of the Chaldees*, London, 1950.
- 296 — Woolley, (S.), *Excavations at Ur*, London, 1963.
- 297 — Woolley, (S.), *The Beginnings of Civilization*, N.Y. 1965.
- 298 — Yahuda, (A. S.), *Die Sprache des Pentateuch in ihren Beziehungen Zum Egyptischen*, Erstes Buch, 1929.
- 299 — Young, (J.), *Introduction to the Old Testament*, 1949.
- 300 — Zeitlin, (S), *The Apocrypha*, JQR. 37, 1947.

فہر س الموضوعات

الجزء الثالث

الباب الأول

صفحة

٤٥٧ - ١ مصادر الفكر الإسرائيلي : التوراة والتلمود

١٢٥ - ٣ الفصل الأول : التوراة

١٧ - ٣ ١ - تعريف بالتوراة

٩٦ - ١٨ ٢ - كتابة التوراة

٣٣ - ١٨ ١ - أسفار موسى الخمسة

٦٤ - ٣٣ ب - أسفار الأنبياء

٩٦ - ٦٤ ج - الكنايات

١٠٦ - ٩٧ ٣ - مصادر التوراة

١٢٠ - ١٠٧ ٤ - ترجمات التوراة

١٣٥ - ١٢١ ٥ - أسفار الأبوكريفا

٢٣٢ - ١٣٦ الفصل الثاني : دراسة في التوراة

١٤٤ - ١٣٦ ١ - المحاولات النقدية للتوراة

ب - دراسة في التوراة : وتشمل

١٦١ - ١٤٤ ١ - التوراة ومدى صحة الاسفار الخمسة الأولى إلى موسى

٢١٨ - ١٦٢ ٢ - التوراة والأنبياء

صفحة

- ٣ - التوراة والأسفار الخفية والمفقودة ٢١٩ - ٢٢٣
- ٤ - التوراة ومدى الترابط أو التناقض بين أسفارها ٢٢٤ - ٢٥٢
- ٥ - التوراة والتفرقة العنصرية ٢٥٣ - ٢٦٢
- ٦ - التوراة والحقائق التاريخية ٢٦٣ - ٢٩٦
- ٧ - التوراة والاختلاف بالزيادة أو النقصان ٢٩٧ - ٣٠٠
- ٨ - التوراة والمبالات ٣٠١ - ٣٢٣
- ٩ - التوراة والغزل المكشوف ٣٢٤ - ٣٣٢

٣٢٣ - ٣٧٩ الفصل الثالث : التوراة والتأثيرات الأجنبية

- ١ - التأثيرات البابلية والسومرية ٣٣٣ - ٣٤٦
- أ - قصة الخلق ٣٣٦ - ٣٤٠
- ب - قصة الفردوس ٣٤٠ - ٣٤٦
- ٢ - التأثيرات المصرية ٣٤٧ - ٣٧٩
- أ - المزامير وقصائد المديح المصرية في الإله آمون رع ٣٥١ - ٣٥٣
- ب - المزمور ١٠٤ ونشيد إخناتون ٣٥٣ - ٣٦٧
- ج - سفر الأمثال وتعاليم أمنمووبي ٣٦٨ - ٣٧٩

٣٨٠ - ٤٢٧ الفصل الرابع : التلمود

- ١ - تعريف بالتلمود ٣٨٠ - ٣٨٢
- ٢ - نشأة التلمود ٣٨٢ - ٣٩٧
- ٣ - أقسام التلمود ٣٩٧ - ٤١٠

صفحة

٤١٠ - ٤١٨

٤ - ملحقات التلمود

٤١٩ - ٤٢٧

٥ - مكانة التلمود وأثره

٤٢٨ - ٤٥٧

الفصل الخامس : نماذج من التلمود

٤٢٨ - ٤٣٥

١ - التلمود والنات العلية

٤٣٥ - ٤٣٦

٢ - التلمود والملائكة

٤٣٦ - ٤٣٧

٣ - التلمود والشياطين

٤٣٧ - ٤٣٩

٤ - التلمود والأرض المقدسة

٤٣٩ - ٤٤٥

٥ - التلمود ونظرة لليهود وغير اليهود

٤٤٥ - ٤٤٩

٦ - التلمود والمسيح

٤٤٩ - ٤٥١

٧ - التلمود والمسيحيون

٤٥١ - ٤٥٥

٨ - التلمود والمرأة

٤٥٥ - ٤٥٧

٩ - التلمود والحرمان

الجزء الرابع

الباب الثاني

صفحة	
٢١٨ - ١	الديانة اليهودية
١٩ - ٣	الفصل الأول : الله في التوراة
٧ - ٤	١ - الله واليهود
١٩ - ٧	٢ - صفات الله في التوراة
٨٢ - ٢١	الفصل الثاني : يهوه إله إسرائيل
٢٥ - ٢١	١ - الأصول العربية لاله يهوه
٣٨ - ٢٥	٢ - يهوه والآلهة الكنعانية
٤٦ - ٣٧	٣ - موطن يهوه
٥٤ - ٤٦	٤ - يهوه والآلهة الأجنبية
٦١ - ٥٤	٥ - عقائد يهوه
٦٤ - ٦١	٦ - نشاط يهوه لمصلحة شعبه إسرائيل
٦٦ - ٦٤	٧ - عقيدة تقديس يهوه
٧٣ - ٦٧	٨ - غضب يهوه
٨٢ - ٧٤	٩ - يهوه والتضحية البشرية

صفحة

الفصل الثالث : اليهود بين التوحيد والتعدد ٨٣ - ١٢١

١ - عصر ما قبل موسى ٨٣ - ٨٧

٢ - عصر موسى ٨٧ - ٩٤

٣ - عصر القضاة ٩٤ - ٩٧

٤ - عصر الملكية ٩٧ - ١٢٠

٥ - عصر السبي وما بعده ١٢٠ - ١٢١

الفصل الرابع : المقدسات الإسرائيلية ١٢٣ - ١٥٢

١ - السواري ١٢٣ - ١٢٤

٢ - تابوت العهد ١٢٤ - ١٣٣

٣ - الصور والتماثيل ١٣٣ - ١٣٨

٤ - المذبح ١٣٨ - ١٤٢

٥ - الاشخاص المقدسون ١٤٢ - ١٥٢

الفصل الخامس : الأعياد اليهودية ١٥٣ - ١٨٤

١ - التقويم العبري ١٥٣ - ١٥٤

٢ - الأعياد اليهودية ١٥٥ - ١٨٤

الفصل السادس : الهيئات والفرق اليهودية ١٨٥ - ٢٠٣

١ - الهيئات اليهودية ١٨٥ - ١٨٧

٢ - الفرق اليهودية ١٨٨ - ٢٠٣

صفحة

الفصل السابع : اليهود بين الإنغلاق والتبشير ٢٠٥-٢١٨

الباب الثالث

٢١٩-٢٨٦

الحياة الإجتماعية

الفصل الأول : التطور الإجتماعى فى المجتمع

٢٢١-٢٢٧

الإسرائيلى

٢٢١ - ٢٢٢

١ - طبقات المجتمع الإسرائيلى

٢٢٢ - ٢٢٧

٢ - التطور الإجتماعى فى إسرائيل

٢٣٩ - ٢٨٦

الفصل الثانى : الاسرة

٢٣٩ - ٢٤٥

أولا : النظام الابوى

٢٤٦ - ٢٨٦

ثانيا : الزواج

٢٤٧ - ٢٥٤

١ - الزواج من الداخل

٢٥٤ - ٢٥٦

٢ - حرية اختيار الزوج

٢٥٦ - ٢٥٨

٣ - انعقاد الزواج

٢٥٨ - ٢٦٠

٤ - نظام المهر

٢٦٠ - ٢٦٤

٥ - الطلاق

٢٦٤ - ٢٧٠

٦ - زواج ييوم

٢٧٠ - ٢٧٨

٧ - تعدد الزوجات

- ٢٨٠ - ٢٧٨ ٨ - المحرمات
٢٨٦ - ٢٨٠ ٩ - مكانة المرأة اليهودية

الباب الرابع

- ٢٥٤ - ٢٨٧ التنظيم السياسي والاقتصادي والقضائي

والعسكري

- ٢١٣ - ٢٨٩ الفصل الأول : التنظيم السياسي

- ٢٩٧ - ٢٨٩ ١ - ما قبل الملكية

- ٣١٣ - ٢٩٨ ٢ - الملكية الإسرائيلية

- ٣٥٤ - ٣١٥ الفصل الثاني : التنظيم الاقتصادي

والقضائي والعسكري

- ٣٢٨ - ٣١٥ ١ - الحياة الاقتصادية

- ٣٣٦ - ٣٢٨ ٢ - التنظيم القضائي

- ٣٥٤ - ٣٣٧ ٣ - التنظيمات العسكرية

Bibliotheca Alexandrina · *



02227475